المسائل والرسائل

المروية عن الإمام أحمد بن حنبل

في العقيدة

الجزء الأول

جمع وتحقيق ودراسة
عبد الله بن سلمان بن سالم الأحمدي

الطبعة الأولــى

١٩٩١ م - ١٤١٢ هـ

دار طيبة

الرياض — شارع حسور — ص.ب. ٧٦١٢

المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ... وبعد :

فإنه لا يخفى ما للعقيدة من دور متميز فى حياة المسلمين إيمانا وسلوكا فهى الأساس ومن حقها أن تكون لها الأولوية ، ومن الواجب على المسلم أن يكون اعتقاده مبنيا على ماجاء فى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهما المصدران اللذان يعول عليهما فى هذا الشأن .

لذا لم ينشأ النزاع في المسائل العقدية فى عهد الصحابة ومن تبعهم بإحسان لثباتهم على هذا المبدأ لكن لما ظهر من لم يكتف بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم نشأ النزاع والاضطراب ، عندها لم يجد علماء السلف بداً من إيضاح الأمور وفق ما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن أولئك العلماء الذين جاهدوا فى سبيل تثبيت العقيدة الصحيحة فى قلوب المسلمين إمام أهل السنة أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى والذى قد كفينا عن سطر ما قام به من جهود كبيرة فهى معروفة للقاصى والدانى وما سنذكره عن الإمام أحمد يمثل عقيدة أهل السنة والجماعة .

ولما كانت أقوال هذا الإمام في المسائل العقدية لايجمعها – حسب علمى – كتاب بهذا الأسلوب بل هى متناثرة فى بطون الكتب المطبوع منها والمخطوط ، رأيت من المفيد جمع هذه المسائل وترتيبها والتعليق عليها وفق منهج علمى دقيق حتى تكتمل الفائدة منها .

هذا وقد قدمت لهذه المسائل والرسائل دراسة جعلتها على بابين ذكرت فى الأول منها ما يتعلق بسيرة الإمام أحمد – بإيجاز –وتحدثت فى الباب الثانى عن جمع هذه المسائل والرسائل وما يتعلق بها . وختمته بالمنهج المتبع فى الجمع والتحقيق والدراسة .

وأسجل هنا شكرى وتقديرى لفضيلة الشيخ حماد بن محمد الأنصارى الأستاذ فى قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية . الذى تفضل بالإشراف على هذا البحث وأفادنى كثيراً فجزاه الله خيراً وشكر سعيه .

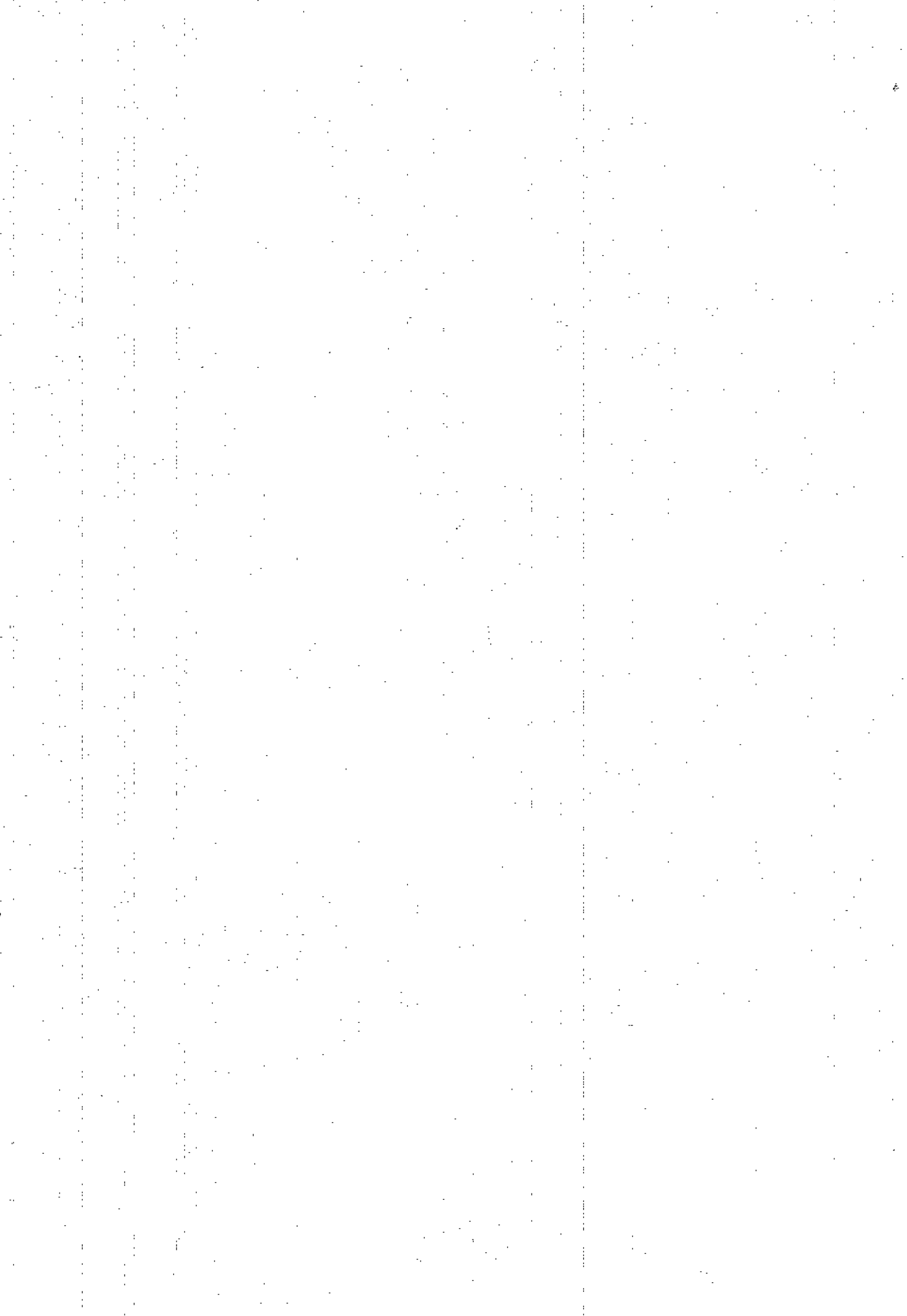
في ترجمة الإمام أحمد رحمه الله .

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : اسمه ونسبه ، كنيته ، مولده ، أسرته ، عصره .

المبحث الثاني : نشأته العلمية ، رحلاته ، سعة علمه ، شيوخه ، تلاميذه .

المبحث الثالث : مؤلفاته ، ثباته على الحق ، وفاته .



المبحث الأول

اسمه ونسبه :

هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله ابن حبان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل الشيبانى.[١]

كنيته :

يكنى بأبى عبد الله .

مولده :

ولد – رحمه الله تعالى – فى شهر ربيع الأول من أربع وستين ومئة ببغداد . وقيل ولد بمرو ومنها حمل إلى بغداد والأول هو الصحيح فقد وفدت أمه إلى بغداد وهى حامل به ، ونشأ يتيما .

أسرته :

كان مقام أسرته بالبصرة وما حولها . ووالده من أجناد مرو ، توفى وهو شاب فى الثلاثين من عمره ، وجده حنبل تقلد ولاية سرخس فى العصر الأموى ثم أصبح من المناصرين للدعوة العباسية عند انطلاقها . ووالدته من بنى شيبان أيضا ، وقد تولت تربيته فأحسنت .[٢]

---

(١) تاريخ بغداد : ٤١٤/٤ ، مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص :١٨ ، البداية والنهاية : ٣٥/١٠ ، سير أعلام النبلاء : ١٧٨/١١ .

(٢) المصادر السابقة .

وقد كان له - رحمه الله - ولدان عالمان هما صالح وعبد الله[1]، وله أيضا من الأولاد غيرهما[2] .

عصــره

الحالة السياسية :

عاش الإمام أحمد مابين عام أربع وستين ومئة إلى عام إحدى وأربعين ومئتين حيث عاصر من خلفاء بنى العباس المهدى والهادى والرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، وقد تميزت فترة ولاية هؤلاء بالاستقرار السياسى وإن كان يحدث من فترة لأخرى بعض القلاقل[3] أما البيت العباسى نفسه فقد كان فيه التنافس - فى بعض الأحيان - قويا على السلطة بسبب سعى بعض الخلفاء إلى نقض ما أبرمه سلفه فى ولاية العهد ونتج عن هذا وقوع فتنة بين الأمين والمأمون انتهت بمصرع الأول الذى كان يؤازره العرب وغلبة الثانى الذى يؤازره الفرس ، مما نتج عنه فيما بعد تسلط الأعاجم على الحكم وإحكام قبضتهم على خلفاء بنى العباس.

الحالة الاجتماعية :

نظرا لهذا الوضع السياسي المستقر كانت الحياة الاجتماعية فى تلك الفترة جيدة وطغى عليها من بعض الفئات مظاهر الترف والتبذير والمجون .

الحالة العلمية :

كانت تلك الفترة ذهبية ، فهى فترة ثقافة ورقى وحضارة وعز للإسلام . وقد كانت بغداد - التى عاش فيها الإمام أحمد - منارة للعلم ومقصدا للعلماء .

---

(١) سيأتى التعريف بهما عند الكلام عن المصادر المعتمدة فى جمع هذه المسائل والرسائل ص:٢١م ، ٢٤م .

(٢) انظر: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص :٩ .

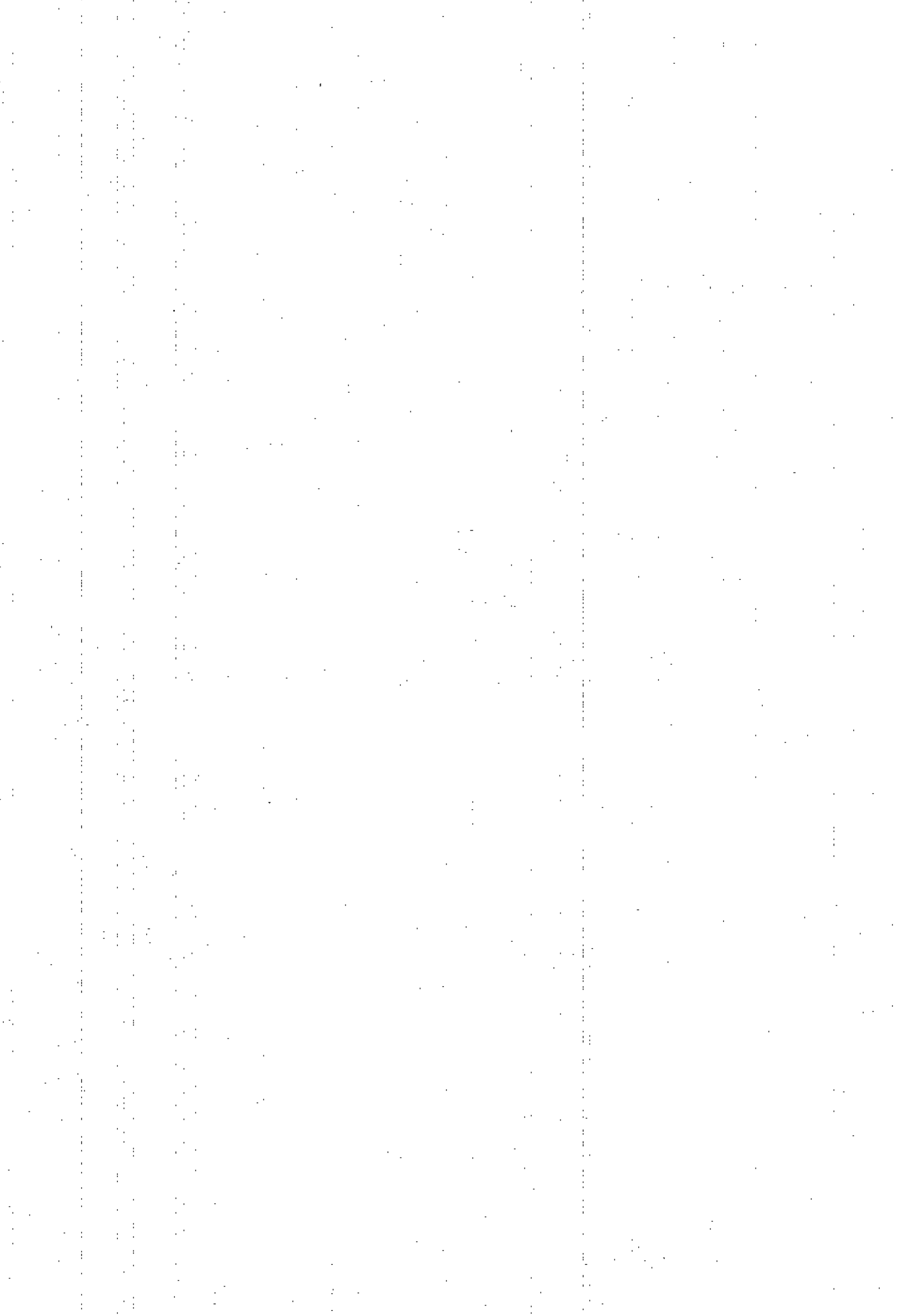
(٣) من ذلك : ثورات العلويين المتتالية واستفحال أمر بابك الخرمى وأتباعه .

وصاحب هذه النهضة العلمية الكبرى استفحال البدع وظهور تيارات وحركات حاولت النيل من عقيدة السلف . وقد وجدت فى بعض الفترات المساندة السياسية كما حصل فى عصر المأمون إذ قويت شوكة المعتزلة وحاولوا إرغام الناس على القول بخلق القرآن .

ويُرجع كثير من المحققين السبب فى انتشار البدع إلى تلك الكتب اليونانية– وغيرها – التى ترجمت إلى اللغة العربية حيث تلقفها المتكلمون وفتنوا بما فيها .

وقد كان لظهور البدع وانتشارها أثر بالغ فى حركة التأليف حيث هب العلماء للدفاع عن العقيدة الصحيحة وإزالة الشوائب التى حاول المبتدعة إلصاقها بها .[1]

(١) انظر كثيرا من الجوانب التى تمثل هذه الفترة في : البداية والنهاية : ١٠/١٥٨ – ٣٤٣ .



المبحث الثانى

نشأته العلمية :

بدأ الإمام أحمد مسيرته العلمية فى سن مبكرة إذ يقول : اختلفت إلى الكتاب ثم اختلفت إلى الديوان وأنا ابن أربع عشرة .[١]

وطلبت الحديث وأنا ابن ست عشرة سنة .[٢]

رحلاته:-

يتضح من سيرته العلمية اهتمامه بالحديث إذ كان له الباع الطويل فى هذا الشأن . وقد رحل فى تحصيله إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام وطرسوس[٣].

سعة علمه:

قال الشافعى : أحمد إمام فى ثمان خصال :

إمام فى الحديث ، إمام فى الفقه ، إمام فى اللغة ، إمام فى القرآن ، إمام فى الفقر ،إمام فى الزهد ، إمام فى الورع ، إمام فى السنة[٤] .

وقال أيضا : خرجت من بغداد وما خلفت بها أحداً أتقى ولا أورع ولا أفقه من أحمد بن حنبل[٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء : ١٨٥/١١ .
(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص : ٤٦ .
(٣) ت/ بغداد : ٤١٢/٤ .
(٤) طبقات الحنابلة : ٥/١ .
(٥) ت/ بغداد : ٤١٩/٤ .

وقال أبو عبيد بن سلام : انتهى العلم إلى أربعة : أحمد بن حنبل ...وكان أحمد أفقههم فيه[1].

وقال أبو زرعة لعبد الله بن أحمد : أبوك يحفظ ألف ألف حديث[2]. اهـ .

وقد كان – رحمه الله تعالى – من أئمة الجرح والتعديل وقوله فى الرجال له مكانته ووزنه . وقد كانت إمامته فى الحديث أمرا متفقا عليه ، لكن الغريب ما زعمه البعض من أن الإمام أحمد لا يعد فقيها وإنما هو محدث[3]. وأقول : لا ينكر توجه الإمام أحمد إلى الحديث واهتمامه به إلا أن هذا لايعنى أنه اقتصر عليه بل كان هذا التوجه إلى هذا العلم الشريف هو ما جعل منه فقيها كبيرا ، فقد كان يعتمد على الحديث فى مسائل الفقه ، وما بين أيدينا من فقه الإمام أحمد خير شاهد على هذا ، فلا يلتفت إلى هذه المقولة الباطلة . وقد تقدم آنفا قول الإمام الشافعى وأبى عبيد وهناك نقول عن علماء كبار تشهد له بالإمامة فى الفقه[4].

قال ابن عقيل : ومن عجيب ما تسمعه عن هؤلاء الأحداث الجهال : أنهم يقولون : أحمد ليس بفقيه لكنه محدث ، وهذا غاية الجهل لأنه قد خرج عنه اختيارات بناها على الأحاديث بناءً لا يعرفه أكثرهم ، وخرج عنه من دقيق الفقه ما ليس نراه بأحد منهم[5].

شيوخه :-

ذكر ابن الجوزى جملة كبيرة من مشايخه الذين روى عنهم ، وهم كثر من أبرزهم : هشيم وسفيان بن عيينة وجرير بن عبد الحميد ووكيع وأبو معاوية الضرير وعبد الرحمن بن مهدى والشافعى وعبد الرزاق وعفان وأبو نعيم وعبد الله بن نمير[6].

---

(١) المصدر السابق : ١/٥ – ٦ ، وسير أعلام النبلاء : ١٩٦/١١ .

(٢) سير أعلام النبلاء : ١٨٧/١١ .

(٣) انظر : تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص :١٦ .

(٤) انظر : ت/ بغداد : ٤١٩/٤ ، مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص :١٢٧ .

(٥) مناقب الإمام أحمد ص : ٩١ – ٩٢ .

(٦) مناقب الإمام أحمد ص :٥٨ – ٦١ ، ت/ بغداد : ٤١٣/٤ ، سير أعلام النبلاء : ١٨٠/١١ – ١٨١ .

قال الذهبى : فعدة شيوخه الذين روى عنهم فى المسند مئتان وثمانون ونيف[1]. اهـ .

وممن حدث عنه من شيوخه : عبد الرزاق والشافعى[2].

تلاميـذه:

الرواة عن الإمام أحمد كثيرون أيضا فمنهم من روى عنه الحديث فقط ، ومنهم من اهتم بنقل مسائله وتدوينها ، ومنهم من جمع بين الأمرين .

ومن أبرز من حدث عنه : البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى[3] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) مناقب الإمام أحمد ص : ١١٥ - ١٢٤ ، سير أعلام النبلاء : ١٨١/١١ .

(٣) المصادر السابقة .

المبحث الثالث

مؤلفاته :

الإمام أحمد كان يكره وضع الكتب وكان – رحمه الله – من الحفاظ المشهود لهم .

قال أبو زرعة : حُزِرَتْ كتب أحمد يوم مات فبلغت اثنى عشر حملا وعدلاً ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان ولا فى بطنه حدثنا فلان كل ذلك كان يحفظه[1] .اهـ

فهو – رحمه الله – لم يكتب إلا الكتب الحديثية كالمسند والزهد وفضائل الصحابة وبعض الرسائل فى العقيدة . وقد كان لابنيه عبد الله وصالح وأصحابه وتلامذته جهد كبير فى إظهار علمه ونشر ما أثر عنه . وسأذكر مؤلفاته المصنفة والمروية عنه[2] المطبوع منها والذى ما زال مخطوطا أو مفقودا ، ثم أذكر فى المبحث التالى ما أفدته من هذه المصنفات وغيرها .

وأبدأ بالمطبوع أو الذى حقق ولم يطبع:

١ – المسند . وهو بحق يعتبر موسوعة فى الحديث النبوى ، ومصدراً أساسياً لا يمكن الاستغناء عنه فقد جمع فيه ما يقارب أربعين ألف حديث كما ذكر ابن النديم[3] ، وذكر فؤاد سزكين[4] أنه يضم ٢٨٠٠٠ – ٢٩٠٠٠ حديث ، وهو مطبوع . وفيه زيادات لابنه عبد الله كثيرة .

٢ – الزهد . مطبوع .

---

(١) سير أعلام النبلاء : ١٨٨/١١ .

(٢) أقصد ما لم يصنفه هو وإنما صنفه تلامذته أو من أخذ عنهم كالخلال الذى جمع مسائله ثم وضعها فى مصنفات مناسبة لها .

(٣) الفهرست ص : ٣٢٠ .

(٤) فى تاريخ التراث العربى : ١٩٨/٢ .

٣ – فضائل الصحابة . وقد نال به محققه درجة الدكتوراه وطبعه .
٤ – العلل ومعرفة الرجال رواية عبد الله . طبع .
٥ – الأشربة . طبع مرارا .
٦ – الورع .طبع قديما وظهر أخيرا .
٧ – الرد على الجهمية . طبع مرارا .
٨ – الصلاة وما يلزم فيها . طبع مرارا .
٩ – أحكام النساء . طبع .
١٠ – مسائل أحمد – برواية عبد الله – طبع .
١١ – مسائل أحمد – برواية صالح – حقق – رسالة دكتوراه ، في الجامعة الإسلامية قد طبع بالتحقيق المذكور .
١٢ – مسائل أحمد – برواية ابن هانئ – طبع .
١٣ – مسائل أحمد – برواية أبي داود – طبع .
١٤ – مسائل أحمد – برواية الكوسج – **حقق، رسالة دكتوراه، وأربع رسائل** ماجستير بالجامعة الإسلامية .
١٥ – مسائل أحمد – برواية عبد الله بن محمد بن عبد العزيزالبغوى – طبع .
١٦ – عقيدة الإمام أحمد برواية : عبدوس بن مالك ، ومحمد بن عوف الطائى ، والحسن بن إسماعيل الربعى ، ومحمد بن حبيب الأندرانى ، وأحمد بن جعفر **الإصطخرى** وهى جميعها مطبوعة ضمن تراجم أصحابها فى طبقات الحنابلة .
١٧ – رسالته إلى مسدد بن مسرهد . مطبوعة ضمن طبقات الحنابلة فى ترجمة مسدد .
١٨ – كتاب السنة للخلال جمع فى معظمه نصوص الإمام أحمد وقد حقق قسم منه ، رسالة دكتوراه بالجامعة الإسلامية .
١٩ – الأسماء والكنى ، برواية صالح . طبع .

ومن المؤلفات المخطوطة :

٢٠ – مختصر فى أصول الدين والسنة[١] .
٢١ – مسائل حرب الكرمانى[٢] .
٢٢ – مسائل الأثرم[٣] .
٢٣ – الناسخ والمنسوخ[٤] .
٢٤ – أحكام أهل الملل ، جمع الخلال[٥] .
٢٥ – الثلاثة أحاديث التى رواها الإمام أحمد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام[٦] .
٢٦ – أسئلة لأحمد بن حنبل عن الرواة الثقات والضعفاء[٧] .
٢٧ – جزء فيه أحاديث رواها أحمد بن حنبل عن الشافعى[٨] .
٢٨ – مسند أهل البيت لأحمد بن حنبل[٩] .
٢٩ – معرفة الرجال وعلل الحديث . رواية أبى بكر المروذى[١٠] .
٣٠ – الوقوف والوصايا جمع الخلال[١١] .

---

(١) تاريخ الأدب العربى : ٣/٣١٠ ، وتاريخ التراث العربى : ٢/٢٠٦ .
(٢) ذكر محقق مسائل ابن هانىء أنه يحتفظ بنسخة منها .
(٣) مكتبة عبد الرحيم صديق بمكة المكرمة . أشار إلى وجوده فى المكتبة المذكورة محقق كتاب الإبانة الصغرى لابن بطة .
(٤) له نسخة مصورة فى مكتبة فضيلة الشيخ حماد بن محمد الأنصارى .
(٥) له نسخة مصورة فى مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية .
(٦) تاريخ التراث العربى : ٢/٢٠٦ .
(٧) فهرس مخطوطات الظاهرية – حديث ص :١٢٣ ، ولدى فضيلة الشيخ حماد بن محمد الأنصارى نسخة منه .
(٨) فهرس معهد المخطوطات : ٢/٢٣٦ .
(٩) فهرس الخزانة التيمورية : ١/٢٣٦ .
(١٠) فهرس مخطوطات الظاهرية ص : ٢١٢ .
(١١) فهرس دار الكتب بالقاهرة .

٣١ - جواب الإمام أحمد عن سؤال فى خلق القرآن[1] .

٣٢ - قصيدة فى الموت والآخرة[2] .

٣٣ - السنة الصغير[3] .

٣٤ - الترجل[4] .

ومن المؤلفات التى ذكرت فى ثنايا بعض الكتب والتى يظن أنها مفقودة :

٣٥ - التفسير[5] .

٣٦ - المناسك[6] .

٣٧ - الفرائض[7] .

٣٨ - طاعة الرسول برواية صالح بن أحمد[8] .

٣٩ - التاريخ[9] .

٤٠ - المقدم والمؤخر فى كتاب الله[10] .

٤١ - حديث شعبة[11] .

---

(١) تاريخ التراث العربى : ٢١٥/٢ .

(٢) تاريخ التراث العربى : ٢٠٣/٢ .

(٣) تاريخ التراث العربى : ٢٠٥/٢ .

(٤) دار الكتب المصرية. وله نسخة فى مكتبة عبد الرزاق حمزة بمكة المكرمة وفى مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(٥) طبقات الحنابلة : ٨/١ ، وسير أعلام النبلاء : ٥٢١/١٣ ، وانظر ما ذكره فى : ٣٢٨/١١ حول نسبة هذا الكتاب لأحمد .

(٦) الكبير والصغير . طبقات الحنابلة : ١٨٣/١ .

(٧) سير أعلام النبلاء : ٣٢٨/١١ .

(٨) وهو موجود برواية عبد الله وقد أفدت منه ، ذكره الداودى فى طبقات المفسرين : ٧١/١ . وما تقدم ذكره ابن النديم فى الفهرست ص : ٣٢٠ .

(٩) سير أعلام النبلاء : ٣١٨/١٣ ، فتح البارى : ٢٧/١ .

(١٠) طبقات الحنابلة : ٨/١ ، والسير : ٥٢١/١٣ .

(١١) طبقات الحنابلة : ١٨٣/١ ، والسير : ٥٢١/١٣ .

٤٢ – جوابات القرآن[1] .

٤٣ – حديث الشيوخ[2] .

٤٤ – الإرجاء[3] .

٤٥ – فضائل أهل البيت[4] .

٤٦ – الإيمان برواية عبد الله بن أحمد بن حنبل[5]. وبرواية الحسين بن الحسن الرازي[6] .

٤٧ – الرد على الزنادقة ٣/ج[7] .

٤٨ – نفى التشبيه .

٤٩ – الإمامة[8] .

ثباته على الحق :

لقد كان فى ثبات الإمام أحمد– رحمه الله– فى مسألة القرآن قوة وصلابة دحر بها أهل الزيغ والضلال وتلاشت أمامها أوهامهم فى حمل أئمة السنة على القول بخلق القرآن .

قال أبو نصر السجزى : ... ثم ظهر الكلام وأهله وانتشرت كتب الفلاسفة وأهل الزيغ فى أيدى الناس وكثرت المذاهب فى الأصول فأيد الله سبحانه **بمنه أبا عبد الله أحمد** بن **محمد** بن حنبل **الشيبانى– رحمه الله– حتى قام بإظهار المنهاج** الأول ... وكان متمسكا بآثار السلف ومتمكنا من العقل والعلم والحلم ، فنشر ما كان عليه السلف وثبت فى المحنة ولم يأت من عنده بشىء ولم يعول إلا

---

(١) المصدران السابقان .

(٢) ت / بغداد : ٣٧٥/٩ ، مناقب الإمام أحمد ص :٢٤٨ .

(٣) سير أعلام النبلاء : ٢٤٣/١١ . ومحنة أحمد بن حنبل لحنبل بن إسحاق ص : ٤٠ .

(٤) المستدرك للحاكم : ١٥٧/٣ .

(٥) العدة فى أصول الفقه للقاضى أبى يعلى : ٩٦٣/٣ .

(٦) المعجم المفهرس لابن حجر : ١٠٦/١ .

(٧) لعله الكتاب المتداول المعروف .

(٨) سير أعلام النبلاء : ٣٣٠/١١ .

على السنن الثابتة ، وإنما عرف المذهب به لتفرده بالقيام فى وقته وسكوت أترابه عن ذلك ، إما لخوف البعض أو عرفانا من الآخرين بأنه أولاهم بما قام به لتقدمه عليهم فى خصال الخير ، وظهر تقدمه فى العلوم التى ذكرناها فهو إمام مقتدى به[1] .

ويقول ابن تيمية : إن الإمام أحمد صار مثلا سائرا يضرب به المثل فى المحنة والصبر على الحق ، وإنه لم تكن تأخذه فى الله لومة لائم ، حتى صار اسم الإمام مقرونا باسمه فى لسان كل أحد فيقال : قال الإمام أحمد . هذا مذهب الإمام أحمد لقوله تعالى ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآيتنا يوقنون ﴾[2] فإنه أعطى من الصبر واليقين ما يستحق به الإمامة فى الدين . وقد تداوله ثلاثة خلفاء مسلطون من شرق الأرض إلى غربها ، ومعهم من العلماء المتكلمين والقضاة والوزراء والسعاة والأمراء والولاة من لا يحصيهم إلا الله فبعضهم بالحبس وبعضهم بالتهديد الشديد بالقتل وغيره ، وبعضهم بالتشريد والنفى ... وهو مع ذلك لم يعطهم كلمة واحدة مما طلبوه منه وما رجع عما جاء به الكتاب والسنة ولا كتم العلم ، ولا استعمل التقية[3] بل أظهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثاره ودفع من البدع المخالفة لذلك ما لم يتأت مثله لعالم من نظرائه وإخوانه المتقدمين والمتأخرين[4] .

ويقول فى موضع آخر : وصار الإمام أحمد علما لأهل السنة الجائين بعده من جميع الطوائف : كلهم يوافقه فى جمل أقواله وأصول مذاهبه ، لأنه حفظ على الأمة الإيمان الموروث والأصول النبوية ممن أراد أن يحرفها ويبدلها[5] .

---

(١) الرد على من أنكر الحرف والصوت (ق : ٤٩) .

(٢) سورة السجدة / آية : ٢٤ .

(٣) قال لعمه إسحاق لما أراده عليها وهو فى السجن : يا عم إذا أجاب العالم تقية والجاهل يجهل فمتى نتبين الحق . محنة أحمد لحنبل بن إسحاق ص :٤١ .

(٤) مجموع الفتاوى : ٤٣٩/١٢ .

(٥) المصدر نفسه .

وفاته:

بعد حياة حافلة بطلب العلم ونشره ومناصرة عقيدة السلف والدفاع عنها وافاه الأجل يوم الجمعة فى الثانى عشر من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومئتين وله سبع وسبعون سنة- رحمه الله - وجزاه عما قدمه من نصرة الدين خير الجزاء.

ولابد لى أن أشير هنا إلى أن ما سطرته فى هذه الوريقات لا يمثل الجوانب المتعددة فى حياة هذا الإمام وما ذكرت إلا غيضا من فيض ، فالإمام أحمد علم من أعلام المسلمين اهتم به العلماء والمؤرخون قديما وحديثا ، وكتبوا عنه حتى إن البعض منهم صنف فى هذا كتبا مستقلة كما فعل ابن الجوزى فى كتابه «مناقب الإمام أحمد » . وكذا ألف البيهقى[1] والهروى[2] كتابين بهذا الاسم .

وللسعدى[3] « الجوهر المحصل فى مناقب الإمام أحمد » وقد طبع ، وذكر فؤاد سزكين لتقى الدين المقريزى (ت : ٨٤٥هـ) « مناقب أحمد » وقال ربما كان مختصرا من كتاب المقفى للمقريزى[4] - ليدن : ١١٠٣ .

كما خصصت مؤلفات فى محنته ، ومنها :

« ذكر محنة أحمد لحنبل بن إسحاق » وهو مطبوع ، ومحنة إمام أهل السنة للمقدسى وقد طبع حديثا ، وامتحان أحمد مع أمير المؤمنين لأبى طاهر إبراهيم ابن أحمد بن يوسف القرشى كتبه قبل ٦٦٩[5] . وله نسخه مصورة فى مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية .

---

(١) ستأتى ترجمته ص : ٥٣ م . والكتاب ذكر فى مجموع الفتاوى لابن تيمية : ٣٨٤/٨ . وذكره فؤاد سزكين فى تاريخ التراث العربى : ١٩٨/٢ وقال : وصلت إلينا منه قطعة كبيرة فى كتاب البداية والنهاية : ٣٢٩/١٠ - ٣٣٥ .

(٢) هو : عبدالله بن محمد الأنصارى وقد ذكر مُصَنفه هذا ابن تيمية فى مجموع الفتاوى : ١٧٧/٦ . والذهبى فى السير : ٥١٠/١٨ .

(٣) هو : بدر الدين ، محمد بن محمد بن أبى بكر السعدى . المتوفى سنة ٩٠٠ هـ. انظر معجم المؤلفين : ١٩٩/١١ .

(٤) تاريخ التراث العربى : ١٩٨/٢ .

(٥) نفس المصدر .

وهناك أبحاث أخرى أيضا منها : سيرة الإمام أحمد لصالح بن أحمد[1] .

وذكر فؤاد سزكين :

« مجمل الرغائب فى المناقب » لزكى الدين عبد الله بن محمد بن عبد الله الخزرجى المالكى كتبه قبل ٨٣٤هـ . وهو تنقيح لمختصر من كتاب لابن الجوزى- دار الكتاب بالقاهرة[2] .

وذكر بروكلمان[3] فيمن كتب عن أحمد :

أحمد بن مخرمة فى تاريخ عدن وفيه أنه ورد إلى عدن فى طلب العلم[4] .

وفى العصر الحاضر ظهرت مؤلفات كثيرة تبحث فى سيرته ومنها :

أحمد بن حنبل حياته وعصره - آراؤه الفقهية.لمحمد أبو زهرة .
أحمد بن حنبل بين محنة الدين والدنيا.لعبد الجواد الدومى .
أحمد بن حنبل إمام أهل السنة.لعبد الحليم الجندى .
أحمد بن حنبل والمحنة.لعلى بن الحق .
أحمد بن حنبل والمحنة ولتر . ترجمة عبد العزيز بن عبد الحميد .

---

(١) راجع المصدر السابق .
(٢) المصدر السابق .
(٣) تاريخ التراث العربى : ٣٠٩/٣ .
(٤) وهناك نص يؤكد ذهابه إلى عدن فقد روى الأثرم عن أحمد أنه قال : فى سبيل الله دراهم أنفقناها فى الذهاب إلى عدن إلى إبراهيم بن الحكم بن أبان . الجرح والتعديل : ٩٤/٢ .

وذكر بروكلمان أطروحة دكتوزاه فى أحمد بن حنبل ومحنته ، لباتن[1] .
حصص له أصحاب كتب التراجم مساحات كبيرة فى كتبهم واهتموا

(١) تاريخ الأدب العربى : ٣٠٩/٣ .
(٢) انظر : طبقات ابن سعد : ٣٥٤/٧ ، التاريخ الكبير : ٥/٢ ، والتاريخ الصغير : ٣٧٥/٢ وكلاهما للبخارى ، والتاريخ ليعقوب الفسوى : ٢١٢/١ ، والجرح والتعديل : ٢٩٢/١ – ٣١٣ و٦٨/٢ ، ٧٠ ، وحلية الأولياء : ١٦١/٩ ، ٢٣٣ ، والفهرست لابن النديم ص : ٢٨٥ ، وت/ بغداد : ٤١٢/٤ ، ٤٢٣ ، وطبقات الحنابلة : ٤/١،٢٠ ، وتهذيب الأسماء واللغات : ١١٠/١ ، ١١٢ ، ووفيات الأعيان : ٦٣/١ ، ٦٥ ، وتهذيب الكمال ورقة :٣٦ ، تذكرة الحفاظ : ٤٣١/٢ ، وسير أعلام النبلاء : ١٧٧/١١ ، والعبر : ٤٣٥/١ ، وتهذيب التهذيب : ٢٢/١ ، والواف بالوفيات : ٣٦٣/٦ ، ٣٦٩ ، مرآة الجنان : ١٣٢/٢ ، وطبقات الشافعية للسبكى : ٢٧/٢، ٣٧ ، والبداية والنهاية : ٣٢٥/١٠ ، ٣٤٣ ، وغاية النهاية فى طبقات القراء : ١١٢/١ ، والنجوم الزاهرة : ٣٠٤/٢ ، ٣٠٦ ، وطبقات الحفاظ ص :١٨٦ ، وخلاصة تذهيب الكمال : ١١ ، ١٢ ، وطبقات المفسرين : ٧٠/١ ، الرسالة المستطرفة ص :١٨ ، وشذرات الذهب : ٩٦/٢ ، ٩٨ .
كذا ذكر محقق الجزء الحادى عشر من سير أعلام النبلاء عند ترجمة الإمام أحمد .
وانظر أيضاً : تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين : ١٩٦/٢ – ٢١٩ ، وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان : ٣١٠/٣ – ٣١٦، ومعجم المؤلفين لكحالة : ٩٦/٢ – ٩٧ ، والأعلام للزركلى : ٢٠٣/١ .

الباب الثانى

فى المسائل والرسائل :

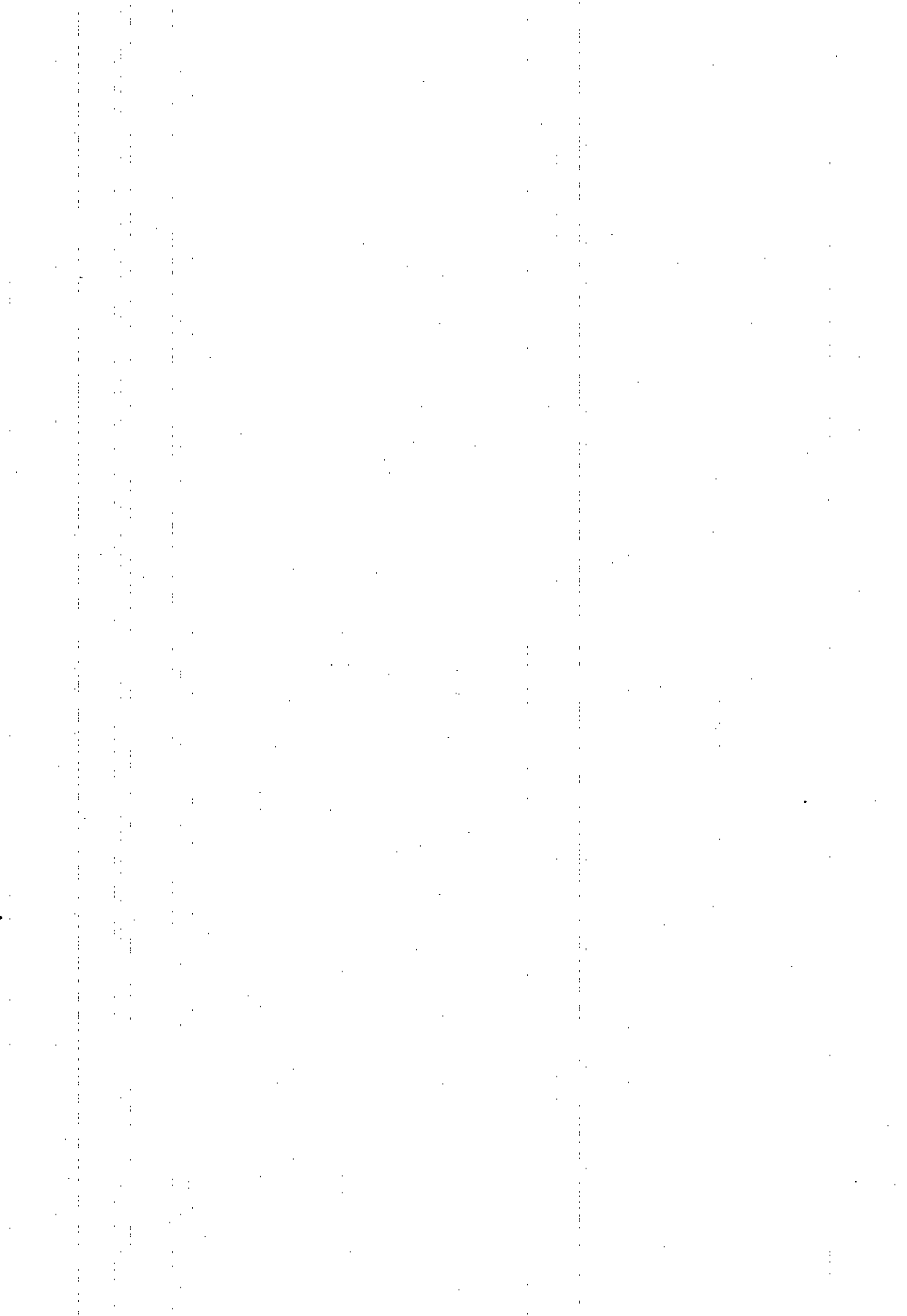
وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : المصادر المعتمدة فى جمع هذه المسائل والرسائل .

المبحث الثانى : رسالتا التميميين ومدى صحة نسبة ما فيهما للإمام أحمد.

المبحث الثالث : أهمية جمع هذه المسائل والرسائل .

المبحث الرابع : منهجى فى الجمع والتحقيق والدراسة .



المبحث الأول

المصادر المعتمدة فى جمع هذه المسائل والرسائل

لم يكن جمع هذه المسائل والرسائل بالعمل السهل فهى متناثرة فى بطون الكتب المطبوعة والمخطوطة . ولقد بذلت أقصى ما أستطيع من جهد لجمع أكبر قدر ممكن ، حتى إنى فى كثير من الأحيان أتصفح كتابا – مطبوعا أو مخطوطا – يتألف من عدة أجزاء لأستخرج منه رواية أو اثنتين وأعتقد – والله أعلم – أنى وفقت لجمع جملة طيبة . إذ يستحيل الاستقصاء والحصر .

وسوف أذكر الآن المصادر التى أفدت منها – المطبوعة والمخطوطة – وستكون بالترتيب على حسب الأهمية والإفادة منها :

١ – كتاب السنة ،لأبى بكر الخلال :

وهو أحمد بن محمد بن هارون ، ولد سنة أربع – أو خمس – وثلاثين ومئتين وتوفى سنة إحدى عشر وثلاث مئة . قال عنه الذهبى : الإمام العلامة الحافظ الفقيه شيخ الحنابلة وعالمهم[1] .

وهذا الرجل له فضل كبير على المذهب الحنبلى بوجه خاص ، فكيما قدمت فالإمام أحمد رحمه الله كان يكره تصنيف الكتب – فلم يصنف إلا بعض الكتب الحديثية وبعض الرسائل فى العقيدة – إلا أن أصحابه حفظوا علمه وأقواله وفتاويه

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٢٩٧/١٤ . وانظر ترجمته فى : ت/ بغداد : ١١٢/٥ ، وطبقات الحنابلة : ١٢/٢ ، والمنتظم : ١٧٤/٦ ، وتذكرة الحفاظ : ٧٨٥/٣ ، والواف بالوفيات : ٩٩/٨ ، والبداية والنهاية : ١٤٨/١١ ، والنجوم الزاهرة : ٢٠٩/٣ ، وطبقات الحفاظ ص : ٣٢٩ ، شذرات الذهب : ٢٦١/٢ ، والرسالة المستطرفة ص : ٣٧ .

فى صدورهم ومدوناتهم وتتلمذ الخلال على يد بعض أصحاب الإمام أحمد كأبى بكر المروذى وصرف جل جهده فى تتبع تلامذة وأصحاب الإمام أحمد وكتابة ما حفظوه وكتبوه عن الإمام ، فرحل فى سبيل هذا العلم النبيل إلى بقاع كثيرة وبلدان متباعدة . وجمع كنوز الإمام أحمد فى فنون شتى وأودعها مصنفات كثيرة من أجمعها فى باب العقيدة كتاب السنة هذا . وكتب أخرى سنتعرض لها .

ولم يكتف-رحمه الله-بهذا الجهد الكبير ، بل إنه صنف كتابا فى الطبقات ولعله خصص منه جزءًا كبيرا لتراجم أصحاب وتلامذة الإمام أحمد إذ أن ابن أبى يعلى فى طبقات الحنابلة قل ما يترجم لأحد إلا ويذكر قول الخلال فيه . وكذلك الخطيب فى تاريخ بغداد ينقل كثيراً من أقواله فى أصحاب الإمام أحمد .

قال ابن تيمية : أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال – وهو الذى جمع نصوص أحمد فى أصول الدين وأصول الفقه وفى أبواب الفقه كلها وفى الآداب والأخلاق والزهد والرقائق وفى علل الحديث وفى التاريخ وغير ذلك من علوم الإسلام[1] .

وقال الذهبى : رحل إلى فارس وإلى الشام والجزيرة يتطلب فقه أحمد وفتاويه وأجوبته وكتب عن الكبار والصغار حتى كتب عن تلامذته وجمع فأوعى ، ثم أنه صنف كتاب : « الجامع فى الفقه » من كلام الإمام أحمد بأخبرنا وحدثنا يكون عشرين مجلدا . وصنف كتاب « العلل » عن أحمد فى ثلاث مجلدات وألف كتاب « السنة وألفاظ أحمد والدليل على ذلك من الأحاديث » فى ثلاث مجلدات ، تدل على إمامته وسعة علمه . ولم يكن قبله للإمام مذهب مستقل . حتى تتبع هو نصوص أحمد ودونها وبرهنها بعد الثلاث مئة ، فرحمه الله تعالى[2]

---

(١) مجموع الفتاوى : ٣٢٥/١٢ .
(٢) سير أعلام النبلاء : ٢٩٧/١٤ – ٢٩٨ .

وقال ابن القيم : وجمع الخلال نصوصه فى الجامع الكبير فبلغ نحو عشرين سفرا أو أكثر. اهـ[1] .

قلت : وكتاب السنة هذا منه جزء مخطوط له صورة فى المكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية - قسم المخطوطات - وقد حقق ما يقارب نصف هذا الجزء رسالة دكتوراه - كما سبق الإشارة إليه - والنصف الآخر ما زال مخطوطا ، وقد عانيت صعوبات كثيرة من الجمع فى هذا الكتاب خاصة الجزء الثانى منه ففيه طمس فى مواضع كثيرة وعدم وضوح ، إلا أنى ولله الحمد تغلبت على ذلك ونقلت منه مسائل كبيرة .

وهذا الجزء الذى بين أيدينا لا يمثل إلا قسما من الكتاب ، ولا أدرى هل الأجزاء المتبقية موجودة أم لا .

والمطلع على كتب ابن تيمية وابن القيم يجد أنهما أكثروا النقل من هذا الكتاب فكثيرا ما يقولان : قال الخلال فى كتاب السنة،وكذا القاضى أبو يعلى ابن الفراء يكثر النقل من الكتاب ، وإن كان فى كثير من الأحيان لا يصرح باسم الكتاب إلا أنه قد تأكد لى من أوجه كثيرة أنه ينقل منه .

والخلال لم يقتصر فى هذا الكتاب على النقول عن الإمام أحمد فقط ، بل نقل عن غيره - وإن كان أكثر عنه واعتمد قوله - كما أنه يروى فيه أحاديث كثيرة .

وخلاصة القول : أن كتاب السنة للخلال يعتبر من أهم المصادر التى يعتمد عليها لتلقى أقوال الإمام أحمد فى مسائل العقيدة .

ومن كتب الخلال التى أفدت منها أيضا :

٢ - كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

---

(١) إعلام الموقعين : ٢٨/١ . وانظر : ت /بغداد : ١١٢/٥ - ١١٣ .

وقد نقلت منه مسائل متنوعة فى هذا الباب ، وهو مطبوع .

٣ - كتاب الحث على التجارة والصناعة والرد على من يدعى التوكل :

وعندى منه نسخة مصورة عن مخطوط الظاهرية تقع فى (١٣ : ق) وخطها واضح وقد طبع قديما إلا أنى لم أحصل على تلك الطبعة ، ثم طبع فى الآونة الأخيرة .

٤ - كتاب أحكام أهل الملل والردة والزنادقة وتارك الصلاة والفرائض ونحو ذلك:

وهو كتاب كبير جليل فريد فى بابه . له نسخة مصورة فى قسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية ، ولايزال مخطوطا وقد أفدت منه كثيرا فى مسائل قلما توجد فى غيره .اهـ .

انتهى ما أفدت من مصنفات الخلال .

٥ - كتاب السنة .

٦ - مسائل الإمام أحمد .

وكلاهما لعبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل ، ابن الإمام .

وهو : أبو عبد الرحمن ، ولد سنة مئتين وثلاث عشرة، عاش مع أبيه ثمانى وعشرين سنة قضى عشرين منها ملازما لأبيه فأسمعه من الحديث وغيره الكثير وكان حافظا حتى أصبح من أروى الناس عن والده . سمع المسند والناسخ والمنسوخ والتاريخ وحديث شعبة والمقدم والمؤخر فى كتاب الله عز وجل والمناسك وجوابات القرآن والزهد والسنة والعلل والمسائل وغيرها من الكتب تجدها عند من ترجم له[1].

---

(١) انظر :الجرح والتعديل : ٧/٥ ، ت/ بغداد : ٣٧٥/٩ ، وطبقات الحنابلة : ١٨٠/١، والمنتظم ٣٩/٦، وتذكرة الحفاظ ٦٦٥/٢، وسير أعلام النبلاء ٥١٦/١٣ ، والبداية والنهاية : ٩٦/١١ ، وطبقات القراء لابن الجزرى : ٤٠٨/١، تهذيب التهذيب : ١٤١/٥ ، النجوم الزاهرة : ١٣١/٣ ، شذرات الذهب : ٢٠٣/٢ .

وكما أشرت سابقا أنه سمع من أبيه ما لم يسمعه غيره حتى أنه سئل كم سمعت من أبيك ؟ قال : مئة ألف وبضعة عشر ألفا .

ولم يكتف بالتتلمذ على والده فقط بل إن شيوخه زادوا على الأربع مئة . وله زيادات على المسند كثيرة وكذا الزهد وفضائل الصحابة وكلها لأبيه .

ومن مصنفاته هو :

كتاب السنة . الذى أفدت منه .

وهو من كتب العقيدة السلفية وهو مشهور ومعروف أفاد منه كثير من العلماء سلك فيه مؤلفه طريقة المحدثين فهو يسوق تحت كل باب ما يناسبه من الأحاديث والأخبار ويقول فى بعض المباحث سألت أبى عن كذا . وهذا هو الذى أفدته فى بحثى هذا من الكتاب .

وهذا الكتاب طبع قديما عام ١٣٤٩هـ بالمطبعة السلفية بمكة المكرمة ثم ظهر عام ١٤٠٥هـ وقدم أطروحة لنيل درجة الدكتوراه فى جامعة أم القرى . ونال به محققه هذه الدرجة ، ثم طبع فظهر عام ١٤٠٧ هـ .

ولدىَّ من الكتاب نسختان مصورتان عن مخطوطة « الظاهرية » و « خدا بخش »ولقد اعتمدت عليهما مع المطبوع فى تقويم النص .

أما المسائل ، فهو فى الفقه ، إلا أنى أفدت منه كثيرا ففيه جملة لا بأس بها من المسائل العقدية المتناثرة فى ثنايا الكتاب .

وقد طبع الكتاب عام ١٤٠١هـ .ثم قدم أطروحة لنيل درجة الدكتوراه فى جامعة الأزهر ونال به محققه هذه الدرجة ثم أظهره مطبوعا عام ١٤٠٦هـ .

وأختم حديثى حول هذين الكتابين بقول مصنفهما : «كل شى أقول قال أبى » فقد سمعته مرتين وثلاثا وأقله مرة[1].

(١) طبقات الحنابلة : ١٨٤/١ .

٧ - مسائل الإمام أحمد ، رواية أبي داود السجستاني :

وهو : سليمان بن الأشعث ، الحافظ العالم الثقة ، مصنف السنن وغيرها ، ولد سنة اثنتين ومئتين وتوفي سنة خمس وسبعين ومئتين .

قال الذهبي : كان على مذهب السلف في اتباع السنة والتسليم لها وترك الخوض في مضائق الكلام[1] .اهـ .

وهذه المسائل في الفقه غالبها ، وفيها جملة جيدة تتعلق بالعقيدة أفدت منها كثيرا .

والكتاب طبع على نسختين : « المحمودية » و «الظاهرية » والأولى منهما راجعتها للمقارنة مع المطبوعة وهي الآن في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة النبوية .

٨ - مسائل الإمام أحمد ، رواية ابن هانئ:

وهو :إسحاق بن إبراهيم بن هانئ النيسابوري ، ولد سنة ثمان عشرة ومئتين ، وتوفي سنة خمس وسبعين ومئتين .

قال ابن أبي يعلى : خدم إمامنا وهو ابن تسع سنين وذكره أبو بكر الخلال فقال : **كان أخا دين وورع ، ونقل عن أحمد مسائل كثيرة ستة أجزاء . اهـ .**

وقال الذهبي : الفقيه ، من أصحاب الإمام أحمد ، له عنه سؤالات في مجلدة وكان من العلماء العاملين[2] . اهـ .

وهذه المسائل كسابقتها معظمها في الفقه وفيها جملة طيبة تتعلق بالعقيدة ولقد كانت الفائدة منها كبيرة ولله الحمد . والكتاب مطبوع .

---

(١) انظر ترجمته وافية في : أخبار أصبهان : ٦٦/٢ ، ت/ بغداد : ٤٦٤/٩ ، طبقات الحنابلة : ٥١/٢ ، المنتظم : ٢١٨/٦ ، وفيات الأعيان : ٤٠٤/٢ ، سير أعلام النبلاء : ٢١٢/١٣ ، تذكرة الحفاظ : ٧٦٧/٢ ، البداية والنهاية : ٥٤/١١ ، طبقات الحفاظ ص : ٣٣٢ ، طبقات القراء لابن الجزري : ٤٢٠/١ ، تهذيب التهذيب : ١٦٩/٤ ، شذرات الذهب : ١٦٧/٢ .

(٢) انظر ترجمته في : ت/ بغداد : ٣٧٦/٦ ، طبقات الحنابلة : ١٠٨/١ ، المنتظم : ٩٦/٥ ، سير أعلام النبلاء : ٩/١٣ ، المنهج الأحمد : ٢٥٤/١ .

٩ - مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه ، رواية الكوسج .

وهو: إسحاق بن منصور بن بهرام المروزى ، الفقيه الحافظ الحجة . ولد بعد السبعين ومئة ، وتوفى سنة إحدى وخمسين ومئتين .

قال الذهبى فى ترجمته : هو صاحب المسائل عن أحمد بن حنبل ... فبلغه أن أحمد بن حنبل رجع عن بعض تلك المسائل التى علقها عنه ... فخرج راجلًا إلى بغداد وعرض خطوط أحمد عليه فى كل مسألة استفتاه عنها فأقر له بها ثانيا وأعجب به[١] .

وهذه المسائل كما أشرت سابقا حققت فى خمس رسائل جامعية الا أنه لم يطبع منها شيء حتى تاريخ إعداد هذه الرسالة . وهى فى الفقه وفيها جملة قليلة تتعلق بالعقيدة ولها نسختان المصرية والظاهرية ، والأولى منهما هى التى اعتمدت عليها فى الجمع وقد بذلت فيها جهداً لطولها مع قلة ما استخرجته منها من مسائل ورغم قلتها إلا أنها من غاية الأهمية فلله الحمد والمنة .

١٠ - مسائل الإمام أحمد ، رواية صالح بن أحمد بن محمد بن حنبل ، ابن الإمام :

وهو : أبو الفضل ، المحدث الثقة الحافظ الفقيه القاضى . ولد سنة ثلاث ومئتين وتوفى سنة ست وستين ومئتين ، سمع أباه وتفقه عليه .

قال أبو بكر الخلال : سمع من أبيه مسائل كثيرة وكان الناس يكتبون إليه من خرسان يسأل لهم أباه فوقعت إليه مسائل جيدة[٢] . اهـ.

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٢٥٩/١٢ - ٢٦٠ وذكرها غيره .
وانظر ترجمته في : الجرح والتعديل : ٢٣٤/٢ ، ت/ بغداد : ٣٦٢/٦ ، طبقات الحنابلة : ١١٣/١ ، تذكرة الحفاظ : ٥٢٤/٢ ، الواف بالوفيات : ٤٢٦/٨ ، تهذيب التهذيب : ٢٤٩/١ ، النجوم الزاهرة : ٢٣٣/٢ ، طبقات الحفاظ ص :٢٢٩ ، شذرات الذهب : ١٢٣/٢ .

(٢) انظر ترجمته في : الجرح والتعديل : ٣٩٤/٤ ، ت بغداد ٣١٧/٩ ، طبقات الحنابلة : ١٧٣/١ ، سير أعلام النبلاء : ٥٢٩/١٢ ، البداية والنهاية : ٤٠/١١ ، المنتظم : ٥١/٥ ، شذرات الذهب : ١٤٩/٢ ، الرسالة المستطرفة ص : ١٠٤ .

وهذه المسائل فى الفقه ، وفيها قليل مما يتعلق بالعقيدة ، وهى كسابقاتها فيها طول وقدمت أطروحة دكتوراه بالجامعة الإسلامية ، وخرجت مطبوعة بالتحقيق المذكور بعد إعداد هذه الرسالة .

١١ – طبقات الحنابلة ، تصنيف ابن أبى يعلى ، العلامة الفقيه القاضى أبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين الفراء :

ولد سنة إحدى وخمسين وأربع مئة ، توفى والده وهو صغير .

قال ابن رجب : سمع الحديث وبرع في الفقه وأفتى وناظر وكان عارفا بالمذهب متشددا فى السنة وله تصانيف كثيرة فى الفروع والأصول وغير ذلك منها : « المجموع فى الفروع » و« رؤوس المسائل » و« المفردات فى الفقه » و«التمام لكتاب الروايتين والوجهين » الذى لأبيه، « المفردات فى أصول الفقه » و« طبقات الأصحاب » و« إيضاح الأدلة فى الرد على الفرق الضالة المضلة » و« الرد على زائغى الاعتقادات » و« شرف الاتباع وسرف الابتداع » و«تنزيه معاوية بن أبى سفيان » و« المفتاح فى الفقه »...

وحدث ، وسمع منه خلق كثير .

قتله اللصوص فى داره ليلة الجمعة سنة ست وعشرين وخمس مئة[١].

وهذا الكتاب أفدت منه كثيراً فى المسائل والرسائل .

أما المسائل فقد تقدم أن كتاب السنة للخلال فقد منه جزء وأشرت إلى أهمية الكتاب والذى اتضح لى أن ابن أبى يعلى ينقل من ذلك الكتاب ومن كتاب الطبقات للخلال ، فكان كلما ترجم لأحد أصحاب أحمد أو تلامذته ذكر له بعض ما نقله عن الإمام . وفى أحيان كثيرة يصرح فى نسبة النقل وفى أخرى

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة : ١٧٧/١ ، وانظر ترجمته في : المنتظم : ٢٩/١٠ ، الكامل فى التاريخ : ٦٨٣/١٠ ، سير أعلام النبلاء : ٦٠١/١٩ ، الواف بالوفيات : ١٥٩/١ ، مرآة الجنان : ٨٨/٨ ، البداية والنهاية : ٢٠٤/١٢ ، مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص : ٥٢٩ ، شذرات الذهب : ٧٩/٤ ، كشف الظنون : ص : ٤٣٢ .

يكتفى بالنقل دون ذكر المصدر الذى هو فى الغالب كتب الخلال ، لأجل ما تقدم كانت الإفادة من المسائل فى هذا الكتاب جيدة .

أما الرسائل المروية عن أحمد ففى الكتاب منها جملة طيبة رواها المصنف بإسناده إلا واحدة كما سيأتى إيضاحه .

وأبدأ الآن بذكر أسانيدها والتعليق عليها ، ثم أعطى نبذة مختصرة عن الإفادة منها :

١- رسالة الإمام أحمد إلى مسدد بن مسرهد[(١)]:

قال ابن أبى يعلى :

أنبأنا على[(٢)] عن ابن بطة[(٣)] حدثنى على بن أحمد المقرىء المراغى[(٤)] - بالمراغة - حدثنا محمد بن جعفر بن محمد السوندينى[(٥)] حدثنا على بن محمد ابن موسى الحافظ[(٦)] - المعروف بابن المعدل - حدثنا أحمد بن محمد التميمى الزرندى[(٧)] قال : لما أشكل على مسدد بن مسرهد أمر الفتنة ، وما وقع الناس فيه من الاختلاف فى القدر والرفض والاعتزال وخلق القرآن والإرجاء : كتب إلى أحمد بن حنبل : اكتب إلىَّ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم[(٨)] ...

---

(١) ابن مسربل الأسدي ، ثقة حافظ ، يقال أول من صنف المسند بالبصرة ،توفى سنة ثمان وعشرين ومئتين ويقال اسمه عبد الملك بن عبد العزيز ومسدد لقبه . تقريب : ٢٤٢/٢ .

(٢) مسند العراق ، أبو القاسم على بن أحمد بن محمد بن على البسري ، البغدادى البندار ، قال السمعاني : كان شيخا عالما ثقة وقال الخطيب : كتبت عنه وكان صدوقا . وقال إسماعيل الحافظ : شيخ ثقة وأثنى عليه ، توفى سنة أربع وسبعين وأربع مئة. ت/بغداد: ٣٣٥/١١ ، الأنساب : ٢١١/٢ ، سير أعلام النبلاء : ٤٠٢/١٨ .

(٣) الفقيه المحدث شيخ العراق ، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبرى الحنبلي ، مصنف كتاب «الإبانة الكبرى» وغيره . توفى سنة سبع وثمانين وثلاث مئة . ت/ بغداد : ٣٧١/١٠ ، السير : ٥٢٩/١٦ .

(٤) لم أعرفه . وانظر : الأنساب للسمعانى : ١٨١/٢ .

(٥) لم أجده فيما اطلعت عليه فى المصادر .

(٦) لم أتمكن من تحديده .

(٧) لم أجده فيما اطلعت عليه من المصادر .

(٨) طبقات الحنابلة : ٣٤١/١ .

هذا إسناد ابن أبى يعلى . والرسالة رواها ابن الجوزى أيضا هاك إسناده :

أخبرنا عبد الملك بن أبى القاسم[1] قال : أنا عبد الله بن محمد الأنصارى[2] قال أنا أبو يعقوب الحافظ[3] قال : أنا محمد بن أحمد بن الفضل[4] قال : أنا : عبد الله محمد بن بشر بن بكر[5] قال : ثنا أبو بكر أحمد بن محمد البردعى التميمى[6] (قال) : لما أشكل على مسدد[7]...

فهذه الرسالة وإن كان فى إسنادها من لم يعرف إلا أنها معروفة عن أحمد .

يقول ابن تيمية : وأما رسالة أحمد بن حنبل إلى مسدد بن مسرهد فهى مشهورة عند أهل الحديث والسنة من أصحاب أحمد وغيرهم ، تلقوها بالقبول . وقد ذكرها أبو عبد الله بن بطة فى كتاب الإبانة واعتمد عليها غير واحد كالقاضى أبى يعلى وكتبها بخطه[8].

---

(١) الشيخ الثقة ، أبو الفتح عبد الملك بن أبى القاسم عبد الله بن أبى سهل بن القاسم الكروخي الهروى ، توفى سنة ثمان وأربعين وخمس مئة . الأنساب : ٤٠٩/١٠ ، المنتظم : ١٥٤/١٠ ، سير أعلام النبلاء : ٢٧٣/٢٠ .

(٢) شيخ الإسلام ، أبو إسماعيل الهروي ، توفى سنة إحدى وثمانين وأربع مئة .
انظر سيرته في : طبقات الحنابلة : ٢٤٧/٢ ، المنتظم : ٤٤/٩ ، سير أعلام النبلاء : ٥٠٣/١٨ ، البداية والنهاية : ١٣٥/١٢ .

(٣) هو : إسحاق بن أبى إسحاق إبراهيم بن محمد القراب ، محدث هراة ، وصاحب التواليف الكثيرة . توفى سنة تسع وعشرين وأربع مئة . سير أعلام النبلاء : ٥٧٠/١٧ ، الوافى بالوفيات: ٣٩٤/٨ ، طبقات الحفاظ ص : ٢٤٤ ، شذرات الذهب : ٢٤٤/٣ .

(٤) لم أتمكن من تحديده . انظر لسان الميزان : ٤٧/٥ .

(٥) لم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه من المصادر .

(٦) لم أجده . وانظر اللسان : ٢٦٩/١ .

(٧) مناقب الإمام أحمد ص : ٢١٦ . وهذه الرسالة نقلها العليمى فى المنهج الأحمد : ٨٤/١ ونعمان الألوسى فى جلاء العينين ص : ٢١٧ وابن بدران فى المدخل إلى مذهب أحمد ص : ٩ وأشار إليها فؤاد سزكين فى تاريخ التراث العربى : ٢٠٦/٢ ، وبروكلمان فى تاريخ الأدب العربى : ٣١٢/٣ .

(٨) مجموع الفتاوى : ٣٩٦/٥ .

٢ - رسالة عبدوس بن مالك .

قال ابن أبي يعلى :

قرأت على المبارك[١] ، قلت له : أخبرك عبد العزيز الأزجي[٢] أخبرنا على ابن بشران[٣] أخبرنا عثمان المعروف بابن السماك[٤] حدثنا الحسن بن عبد الوهاب[٥] حدثنا سليمان بن محمد المنقرى[٦] حدثني عبدوس بن مالك العطار[٧] قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول : أصول السنة عندنا ...[٨]

---

(١) الثقة الثبت ، أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد البغدادى الصيرفى ابن الطيورى .توفى سنة خمس مئة . الأنساب : ٢٠٩/٤ ، المنتظم : ١٥٤/٩ ، سير أعلام النبلاء : ٢١٣/١٩ ، شذرات الذهب : ٤١٢/٣ .

(٢) المحدث المفيد ، أبو القاسم عبد العزيز بن على . قال الخطيب :كتبنا عنه وكان صدوقا كثير الكتاب . توفى سنة أربع وأربعين وأربع مئة . ت/ بغداد : ٤٦٨/١٠ ، الأنساب : ١٩٧/١ ، اللباب : ٤٦/١ ، سير أعلام النبلاء : ١٨/١٨ .

(٣) المعدل ، المسند ، أبو الحسين على بن محمد بن عبد الله بن بشران . قال الخطيب : كان صدوقا ثبتا . وقال الذهبى : روى شيئا كثيرا على سداد وصدق وصحة رواية كان عدلا وقورا . توفى سنة خمس عشرة وأربع مئة . ت/ بغداد : ٩٨/١٢ ، المنتظم : ١٨/٨ ، سير أعلام النبلاء : ٣١١/١٧ ، شذرات الذهب : ٢٠٣/٣ .

(٤) الثقة الثبت ، أبو عمرو عثمان بن أحمد بن عبد الله البغدادى . توفى سنة أربع وأربعين وثلاث مئة . ت/ بغداد : ٣٠٢/١١ ، الأنساب : ١٢٧/٧ ، المنتظم : ٣٧٨/٦ ، سير أعلام النبلاء : ٤٤٤/١٥ .

(٥) لم أجده فيما اطلعت عليه من المصادر .

(٦) سيأتى الكلام عنه بعد قليل .

(٧) ذكره أبو بكر الخلال فقال :كانت له عند أبى عبد الله منزلة وله به أنس شديد وكان يقدمه وله أخبار يطول شرحها . وقد روى عن أبى عبد الله مسائل لم يروها غيره ، ولم تقع إلينا كلها . مات ولم تتخرج عنه ووقع إلينا منها شيء ، أخرجه أبو عبد الله فى جماع أبواب السنة أخرجه أبو عبد الله ودفعه إليه . طبقات الحنابلة : ٢٤١/١ ، ت/ بغداد : ١١٥/١١ ، مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص :٥١١ ، المنهج الأحمد : ٤٣٥/١ . وذكره الذهبى فيمن حدث عن أحمد . سير أعلام النبلاء : ١٨٢/١١ .

(٨) طبقات الحنابلة : ٢٤١/١ .

وهذه الرسالة رواها أيضا : اللالكائى[1] وابن الجوزى[2] وضياء الدين المقدسى[3] بأسانيدهم من طرق أخرى عن ابن السماك به إلا أن عندهم محمد ابن سليمان المنقرى بدلا من « سليمان بن محمد المنقرى » كما عند ابن أبى يعلى .

وروى أبو بكر الخلال فى السنة مقاطع منها إذ قال : حدثنا محمد بن سليمان الجوهرى ثنا عبدوس بن مالك .

ولم أجد فيما اطلعت عليه من المصادر من يسمى بمحمد بن سليمان المنقرى أو سليمان بن محمد المنقرى ، وفى تاريخ بغداد ذكر الخطيب فيمن روى عن عبدوس محمد بن سليمان المنقرى البصرى وإذا كان هو الجوهرى الذى روى عنه الخلال فى السنة فقد ذكره ابن حبان فقال : محمد بن سليمان الجوهرى **من أهل البصرة سكن أنطاكية يروى عن أبى الوليد وأهل البصرة ، يقلب الأخبار** عن الثقات ويأتى عن الضعفاء بالملزقات لا يحل الاحتجاج به بحال[4] .اهـ.

---

(١) شرح أصول السنة : ١٥٦/١ .
(٢) مناقب الإمام أحمد ص :٢١٦ .
(٣) ضمن مجموع مصور عن الظاهرية وهو فى مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية ويقع الجزء فى خمس ورقات . والرسالة أورد ابن شكر فى شرح اعتقاد الإمام أحمد مقاطع منها . وذكرها مختصرة العليمى فى المنهج الأحمد : ٤٣٦/١ . ونقلها كاملة : نعمان الألوسى فى جلاء العينين ص :٢٢٧ ،وابن بدران فى المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص : ١٩ ، وأشار إليها فؤاد سزكين فى تاريخ التراث العربى : ٢٠٦/٢ .
(٤) المجروحين : ٣٠٩/٢ ، ميزان الاعتدال : ٥٧٢/٣ ، لسان الميزان : ١٨٧/١ .

٣ – رسالة الحسن بن إسماعيل الربعي :

قال ابن أبي يعلى :

أنبأنا المبارك[١] قال : أخبرنا عبد العزيزالأزجى[٢] حدثنا أبو بكر المفيد[٣] حدثنا الحسن بن إسماعيل الربعى[٤] قال : قال لى أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والصابر تحت المحنة :...

وذكرها ابن الجوزى بسنده إلى أبى بكر المفيد وهذا إسناده :
أخبرنا المحمدان : ابن عبد الملك[٥] وابن ناصر[٦] قالا : أنا أحمد بن الحسن المعدل[٧] قال ابن ناصر:وأنا المبارك بن عبد الجبار[٨] وأحمد بن المظفر التمار[٩]

---

(١)،(٢) سبق التعريف بهما فى رسالة عبدوس .

(٣) قال الذهبي : الشيخ الإمام ، المحدث الضعيف ، محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب الجرجانيّ المفيد . قال أبو الوليد الباجي : أبو بكر المفيد ، أنكرت عليه أسانيد ادعاها ،وقال المحدث محمد بن أحمد الرويانى لم أر أحدا أحفظ من المفيد . ووصفه أبو نعيم الأصبهانى بالحفظ وارتحل إليه . وقال الماليني : كان المفيد رجلا صالحا . توفى سنة ثمان وسبعين وثلاث مئة . ت/بغداد : ٣٤٦/١ ، سير أعلام النبلاء : ٢٦٩/١٦ ، ميزان الاعتدال : ٤٦٠/٣ ، لسان الميزان : ٤٥/٥ ، طبقات الحفاظ ص : ٣٨٨ ، شذرات الذهب : ٩٢/٣ .

(٤) قال : ابن أبى يعلى سمع عبد الرحمن الفهرى وغيره . طبقات الحنابلة : ١٣٠/١ ، المنهج الأحمد : ٣٨٦/١ .

(٥) هو محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون ، البغدادى المقرئ مصنف كتاب « المفتاح » فى القراءات العشر وكتاب « الموضح » فى القراءات . قال السمعاني : ثقة صالح ، توفى سنة تسع وثلاثين وخمس مئة . المنتظم : ١١٥/١٠ ، الكامل : ١٠٣/١١ ، سير أعلام النبلاء : ٩٤/٢٠ ، غاية النهاية : ١٩٢/٢ .

(٦) محمد بن ناصر بن محمد السلامى البغدادي ، المحدث الحافظ الثقة الثبت توفى سنة خمسين وخمس مئة . المنتظم : ١٦٢/١٠ ، سير أعلام النبلاء : ٢٦٥/٢٠ ، البداية والنهاية : ٢٣٣/١٢ ، ذيل طبقات الحنابلة : ٢٢٥/١ .

(٧) المحدث الثقة أبو طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد الباقلاني ، توفى سنة تسع وثمانين وأربع مئة . المنتظم : ٩٨/٩ ، سير أعلام النبلاء : ١٤٤/١٩ ، الوافى بالوفيات : ٣٠٦/٦ ، شذرات الذهب : ٣٩٢/٣ .

(٨) ابن الطيورى . تقدمت ترجمته ص :٢٨ .

(٩) ابن سوسن ، الشيخ المعمر ، قال الأنماطي : شيخ مقارب ، توفى سنة ثلاث وخمس مئة وله اثنتان وتسعون سنة . المنتظم : ١٦٤/٩ ، سير أعلام النبلاء : ٢٤١/١٩ ، لسان الميزان : ٣١١/١ ، شذرات الذهب : ٧/٤ .

قالوا : أنا عبد العزيز بن على القرميسينى[1] قال : ثنا أبو بكر محمد بن أحمد الحافظ[2] قال : ثنا الحسن بن إسماعيل الربعى قال : قال لى أحمد بن حنبل[3].

٤ - رسالة محمد بن يونس السرخسى أو محمد بن حبيب الأندرانى :

قال ابن أبى يعلى :

حدثنا أحمد بن عبيد الله العكبرى[4] قال : أخبرنا أبو الحسن على بن محمود الزوزنى[5] قال : حدثنا أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن على بن الشاه التميمى المروروذى[6] قال: حدثنا أبو معاذ بن أبى عصمة[7] عن عسكر الصواف الزنجانى الهروى[8] قال : حدثنى أبو مسعود سعيد بن خشنام بن محمد السمرقندى[9] - مولى ابن هاشم - قال أخبرنا محمد بن يونس السرخسى[10] قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول[11].فذكرها وهذه الرسالة أوردها

---

(١) لم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه .

(٢) المفيد . سبق التعريف به فى الصفحة السابقة .

(٣) مناقب الإمام أحمد ص :٢٢٨ . وهذه الرسالة أشار إليها فؤاد سزكين فى تاريخ التراث العربى : ٢٠٦/٢ .

(٤) أبو العز ، المعروف بابن كادش ، قال السمعاني :كان ابن ناصر يسىء القول فيه وقال عبد الوهاب الأنماطى : كان مخلطا . وقال ابن النجار : كان ضعيفا فى الرواية ، مخلطا كذابا لا يحتج به وللأئمة فيه مقال . وقال ابن ناصر : لم يسمع كل كتاب الجليس من أبى على الجازرى . قال السمعاني : فذكرت هذا لأبى القاسم الدمشقى فأنكره غاية الإنكار وقال :كان صحيح السماع ، ورأيت سماعه لهذا الكتاب فى الأصل مثبتا وأثنى على أبى العز ، توفى سنة ست وعشرين وخمس مئة . ولد سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة وقيل : واحد وقيل خمس وقيل : سبع وثلاثين . المنتظم : ٢٨/١٠ ، الكامل : ٦٨٣/١٠ ، سير أعلام النبلاء : ٥٥٨/١٩ ، ميزان الاعتدال : ١١٨/١ ، البداية والنهاية : ٢٠٤/١٢ ، لسان الميزان : ٢١٨/١ .

(٥) قال السمعانى فى الأنساب : ٣٤٤/٦ : على بن محمود بن إبراهيم بن ماخرة الزوزنى الصوفى ، مبكن بغداد حدث عن عبد الوهاب بن الحسن الدمشقى وعلى بن المثنى الاستراباذى وغيره . ذكره الخطيب وقال : كتبت عنه وكان لا بأس به وكانت ولادته سنة ست وستين وثلاث مئة ووفاته عام إحدى وخمسين وأربع مئة اهـ . وحفيده له ترجمة فى السير ٥٧/٢٠ وغيرها .

(٦)،(٧)،(٨)،(٩) لم أجد تراجمهم فيما اطلعت عليه من المصادر .

(١٠) قال ابن أبى يعلى فى ترجمته : نقل عن إمامنا أحمد أشياء ثم ساق الرسالة .

(١١) طبقات الحنابلة ٣٢٩/١ .

ابن أبى يعلى فى موضعين : أحدهما هذا وذلك فى ترجمة محمد بن يونس السرخسى وقبل ذلك ساقها فى ترجمة محمد بن حبيب الأندرانى . بدون إسناد إذ قال : نقل عن إمامنا أشياء منها رسالة السنة فذكرها كتلك التى رواها بإسناده عن محمد بن يونس .

ثم إنى وجدت ابن الجوزى رواها بإسناد آخر فهاك الإسناد :

أخبرنا عبد الملك بن أبى القاسم[1] قال : أنا عبد الله بن محمد الأنصارى[2] ، قال : أنا أبو يعقوب[3] وأحمد بن حمزة [4] وغيرهما قال : أنا أحمد بن محمد بن عيسى[5] قال : ثنا يعقوب بن إسحاق[6] قال : حدثنى سعيد ابن خشنام مولى بنى هاشم قال : أنا محمد بن يونس السرخسى قال : ثنا محمد ابن حميد الأندرانى[7] قال : قال أحمد بن حنبل[8] :...

٥ - رسالة أحمد بن جعفر الإصطخرى :

قال ابن أبى يعلى :

قرأت على المبارك[9] عن على بن عمر البرمكى[10] أخبرنا أحمد بن عبد اللهالمالكى

---

(١)،(٢)،(٣) تقدم التعريف بهم .

(٤) لم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه من المصادر .

(٥) لعله : أحمد بن محمد بن عيسى ، المعروف بابن الميرانى ، قال عنه الذهبى : الحافظ الأوحد المجود . توفى فى حدود سنة ثمان وعشرين وأربع مئة . اهـ.سير أعلام النبلاء : ٥٧٤/١٧ . قلت : وهى السنة التى توفى فيها أبو يعقوب .

(٦) لم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه من المصادر .

(٧) هكذا قال محمد بن حميد . ولعله تصحيف فلم يعرف إلا محمد بن حبيب .

(٨) مناقب الإمام أحمد ص : ٢١٥ . والرسالة ذكرها العليمى فى ترجمة محمد بن حبيب . المنهج الأحمد ٣٣٢/١ . وقال فى ترجمة محمد بن يونس : نقل أشياء منها المقدمة فى صفة المؤمن : ٣٤٩/١ . وهو بهذا يتابع ابن أبى يعلى .

(٩) تقدم التعريف به ص : ٢٨ .

(١٠) على بن عمر بن أحمد بن إبراهيم ، أبو الحسن البرمكى قال الخطيب : كتبت عنه وكان ثقة . توفى سنة خمسين وأربع مئة . ت/بغداد ٤٣/١٢-٤٤ ، الأنساب ١٨١/٢ .

حدثنا أبى[1] ثنا محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن يعقوب بن زوزان[2] - لفظا - حدثنا أبو العباس أحمد بن جعفر بن يعقوب بن عبد الله الفارسى **الإصطخرى**[3] قال :قال أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل[4] :...

وهذه الرسالة أشار الذهبى إلى أن فى ثبوتها عن الإمام أحمد نظراً[5] بل إنه ساقها مختصرة بسنده[6] وأكد أنها موضوعة[7] والذى دعاه لذلك هو وزود بعض الألفاظ فى هذه الرسالة لا تتفق وأصول السلف . وأقول إنه محق فى أن هذه الرسالة احتوت على لفظتين[8] لا يمكن أن تصدر من الإمام أحمد ، بل هى ألفاظ منكرة ينكرها الإمام أحمد نفسه[9] لكن ورود هذين اللفظين فى الرسالة لا يعنى الحكم عليها بالوضع ككل . إذ إن مجمل ما فى الرسالة موافق لأصول الإمام أحمد ، ولما روى عنه ، عدا هاتين اللفظتين وهما من تصرف الرواة إن صحت نسبة الرسالة للإمام أحمد فإن هذه الرسالة بتمامها رويت بإسناد آخر وفيها إحدى

---

(١) لم أعرفهما .

(٢) الحافظ العالم الرحال ، أبو بكر بن زوزان الأنطاكى . توفى سنة نيف وثلاثين وثلاث مئة . سير أعلام النبلاء : ٣٣٤/١٥ .

(٣) قال ابن أبى يعلى : روى عن الإمام أحمد أشياء ثم ساق الرسالة .

(٤) طبقات الحنابلة : ٢٤/١ وهذه الرسالة نقل منها ابن شكر فى شرح اعتقاد أحمد وذكر بعض أجزائها العليمى فى المنهج الأحمد : ٣٥٣/١ ونقلها ابن بدران كاملة فى المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص : ٢٦ **وأشار إليها** فؤاد سزكين فى تاريخ التراث العربى : ٢٠٦/٢ . قال القاضى أبو يعلى : رأيت فى كتاب الرسالة لأحمد رواية أبى العباس أحمد بن جعفر **الإصطخرى عنه** بخط أحمد بن سعيد الشيحى...العدة فى أصول الفقه : ٨٩٨/٣-٨٩٩ .

(٥) سير أعلام النبلاء : ٢٨٦/١١-٢٨٧ .

(٦) من طريق آخر إلى ابن زوزان . وفيه من لم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه من المصادر . وكذا ساق أجزاء منها الدشتى - فى كتابه الذى وسمه « إثبات الحد لله » - بسنده والتقى مع إسناد الذهبى فى الراوى عن ابن زوزان وهو : عبد الله بن جعفر النهاوندى ، ولم أعرفه .

(٧) نفس المصدر ص :٣٠٢ - ٣٠٣ .

(٨) انظرهما فى ص : ٢٩ج : ١ ، طبقات الحنابلة .

(٩) فالصفات لا تثبت إلا عن طريق القرآن الكريم وما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يلتفت إلى ما سواهما البتة . وهذا هو مذهب السلف راجع القواعد العامة لإثبات الصفات عند قول الإمام أحمد فى الصفات ص : ٢٧١ - ٣٦٨ .

هاتين اللفظتين وفى إسنادها من لم يعرف أيضا ، وهى مطبوعة ضمن شذرات البلاتين[1] ولم يذكر الشيخ حامد الفقى- رحمه الله- المصدر الذى نقلها منه وهى مسوقة بإسناد طويل يبدأ من : عمر بن إبراهيم بن محمد بن مفلح الحنبلى إلى أبى الحسن محمد بن أحمد بن أبى شيخ الرافعى ابن الحسن بن موسى العبادى بن أحمد بن وهب القرشى قال : قال أحمد بن حنبل:...

٦ - رسالة محمد بن عوف الطائى :

قال ابن أبى يعلى :

ونقلت من خط أحمد الشنجى[2] بإسناده قال : سمعت محمد بن عوف[3] يقول : أملى علىَّ أحمد بن حنبل[4] :

٧ - رسالة « الصلاة » ، رواية مهنا بن يحيى :

قال ابن أبى يعلى[5]:

---

(١) ص :٤٢ .

(٢) هكذا جاء . وقد ترجم له ابن أبى يعلى فى الطبقات : ١٧٩/٢ فقال : الشيحى وهو الصواب وقد تقدم أن أبا يعلى بن الفراء نقل عن خطه رسالة الإصطخرى وقال :الشيحى . وقد ذكره الخطيب فى تاريخ بغداد : ١٧٣/٤ فقال : أحمد بن سعيد أبو العباس الشامى يعرف بالشيحى ، سكن بغداد وحدث بها ... وله كتاب مصنف فى الزوال وعلم مواقيت الصلاة . وكان ثقة صالحا دينا حسن المذهب . توفى سنة ست وأربع مئة .

(٣) الحافظ المجود الثقة محمد بن عوف بن سفيان الطائى، أبو جعفر الحمصى، قال الإمام أحمد بن حنبل: ما كان بالشام من أربعين سنة مثل محمد بن عوف توفى سنة سبعين ومئتين . طبقات الحنابلة : ٣١٠/١ ، سير أعلام النبلاء : ٦١٣/١٢ ، تهذيب التهذيب : ٣٨٣/٩ .

(٤) طبقات الحنابلة : ٣١١/١ . والرسالة معروفة روى أبو بكر الخلال عن محمد بن عوف مقتطفات منها . وأفاد منها العلماء كالقاضى أبى يعلى بن الفراء وغيره . ونقلها العليمى فى المنهج الأحمد : ٣٢٤/١ وأشار إليها فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي : ٢٠٧/٢ .

(٥) فى طبقات الحنابلة : ٣٤٨/١ ..

أخبرنا المبارك[١] -- قراءة – أخبرنا إبراهيم[٢] ،أخبرنا أبو عمر[٣]، أخبرنا طيب[٤]، أخبرنا أحمد بن القطان الهيتى[٥] ،حدثنا سهل التسترى[٦] قال : قرأ علينا مهنا ابن يحيى الشامى[٧] : هذا كتاب الصلاة ... كتبه أبو عبد الله أحمد بن محمد ابن حنبل إلى قوم صلى معهم بعض الصلوات .

---

(١) هو : ابن الطيورى .

(٢) **بقية المسندين، أبو إسحاق، إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكى، البغدادى، قال الخطيب: كتبنا عنه** وكان صدوقا دينا فقيها على مذهب الإمام أحمد بن حنبل .توفى سنة خمس وأربعين وأربع مئة . ت/ بغداد : ١٣٩٦/٦ ، طبقات الحنابلة ١٩٠/٢ ، المنتظم ١٥٨/٨ ، سير أعلام النبلاء : ٦٠٥/١٧ .

(٣) المحدث المسند ، أبو عمر محمد بن العباس بن محمد ، ابن حيويه . قال الخطيب : سمع خلقا يطول ذكرهم ، وكان ثقة ،وكتب طول عمره وروى المصنفات الكبار . قال البرقانى : ثقة ثبت حجة . **توفى فى حدود سنة ثمان وعشرين وأربع مئة. اهـ . سير أعلام النبلاء: ٥٧٤/١٧. قلت : وهى السنة** ٤٠٩/١٦ ، البداية والنهاية : ٣١١/١١ .

(٤) لم أتوصل إلى معرفته .

(٥) لعله : أحمد بن محمد بن إسماعيل ، أبو بكر الهيتى ، قدم بغداد وحدث بها عن يعيش بن الجهم والحسن ابن عرفة وحمزة بن العباس المروزى وعبدوس بن بشر وأحمد بن منصور الرمادى روى عنه عدة منهم أبو الحسن الدارقطنى وقال : ثقة وكما ترى ليس فى الترجمة «القطان » فلا أدرى أهو هذا أم غيره . ت/ بغداد : ٣٨٨/٤ ، الأنساب للسمعانى (ق :٥٨٤) ، اللباب ٣٩٧/٣ .

(٦) هو : سهل بن عبد الله التسترى ، الصوفى المشهور ، توفى سنة ثلاث وثمانين ومئتين . انظر سيرته في : حلية الأولياء : ١٨٩/١٠ – ٢١٢ ، المنتظم : ١٦٢/٥،اللباب : ٢١٦/١ ، **وفيات الأعيان** : ٤٢٩/٢ ، سير أعلام النبلاء : ٣٣٠/١٣ ، النجوم الزاهرة : ٩٨/٣ ، شذرات الذهب : ١٨٢/٢ .

(٧) هو : السلمى ، أبو عبد الله ، قال أبو بكر الخلال : من كبار أصحاب أبى عبد الله ، روى عن أبى عبد الله من المسائل ما فخر به وكان أبو عبد الله يكرمه ويعرف له حق الصحبة ورحل معه إلى عبد الرزاق وصحبه إلى أن مات ومسائله أكثر من أن تحد من كثرتها وكتب عنه عبد الله بن أحمد مسائل كثيرة بضعة عشر جزءًا ، مسائل جياد عن أبيه لم تكن عند عبد الله عن أبيه ولا عند غيره ، وكان عبد الله يرفع قدره ويذكره كثيرا وحدث عنه بأشياء كثيرة عن أبيه غيره. قال عبد الله ابن أحمد :قال مهنا : لزمت أبا عبد الله ثلاثا وأربعين سنة . سئل الدارقطنى عن مهنا فقال : ثقة نبيل . **وقال أبو الفتح الأزدى : منكر الحديث وذكره ابن حبان فى الثقات وقال الذهبى : حدث** عن زيد بن أبى الزرقاء بحديث فى الجمعة . قال ابن عبد البر : لهذا الحديث طرق ليس فيها ما يقوم به حجة إلا أن مجموعهما يدل على بطلان من حمل على العدوى أو على مهنا بن يحيى . ت/ بغداد : ٢٢٦/١٣ ، طبقات الحنابلة : ٣٤٥/١ ، مناقب الإمام أحمد ص : ٦١٧ ، المنهج الأحمد : ٤٤٩/١ ، ميزان الاعتدال : ١٩٧/٤، لسان الميزان : ١٠٨/٦ .

وهذه الرسالة معروفة مشهورة اعتمدها العلماء وأفادوا منها[1] .

وقد أثبت منها ما هو متعلق بالجانب العقدى فقط .

بقى أن أقول إن هذه الرسائل وإن كان فى أسانيدها مقال إلا أن ماجاء فيها يقوى صحة نسبتها إلى الإمام أحمد ، والمطلع عليها يلاحظ ذلك ، علاوة على الشواهد الكثيرة الصحيحة التى تدعم ما جاء فيها من مسائل متنوعة ، فهناك روايات كثيرة بأسانيد صحيحة مطابقة بألفاظها لكثير مما ورد فى هذه الرسائل ، وهو ما ستراه جليا عند ذكر بعض ما ورد فى هذه الرسائل فى بعض المباحث .

١٢ - الرد على الزنادقة والجهمية ، رواية عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه :

وفى الكتاب رد على الجهمية القائلين بخلق القرآن والمنكرين للرؤية والزاعمين أن الله عز وجل فى كل مكان والمدعين أن الجنة والنار لم تخلقا بعد وأمور أخرى .

فند أبو عبد الله مزاعمهم ونقض معتقداتهم بأدلة قاطعة .

وفى القسم الأول منه : فند أيضا مزاعم أهل الزندقة والإلحاد المدعين تعارض آى الكتاب .

والكتاب عموما معروف مشهور أفاد منه كثير من العلماء : كأبى يعلى وابن تيمية وابن القيم وغيرهما .

وقد دار جدل حول صحة نسبة الكتاب إلى الإمام أحمد - وليس بالطارىء - فقد ذكر الذهبى أنه موضوع على أبى عبد الله ثم قال : ولعله قاله . ولم يذكر الذهبى - رحمه الله تعالى - علة لذلك إلا أنه يرى أن فيه كلاما لا يصدر عن مثل الإمام أحمد . وأقول إن وجد شىء من هذا فلا يبرر الحكم عليه بالوضع ، فكل كتاب - عدا كتاب الله عز وجل - عرضة للصواب والخطأ .

---

(١) وقد طبعت عام ١٣٥٦هـ ، مطبعة محمد على صبيح ، وهى مطبوعة أيضا ضمن شذرات البلاتين بإسناد ابن أبى يعلى المتقدم .

لكن هناك من علل تشكيكه بأمر آخر وهو أن فى السند إلى عبد الله بن أحمد رجلا **مجهولا لا يعرف** وهو **الخضر بن المثنى**[1] .

يقول ابن القيم : وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية عن أحمد[2].اهـ.

قلت : وقد ذكر ابن تيمية أن الإمام أحمد صنف « الرد على الزنادقة والجهمية » وهو فى الحبس ، وكتبه بخطه[3] .

قال ابن القيم: فإن قيل هذا الكتاب يرويه أبو بكر عبد العزيز غلام الخلال[4] عن الخلال عن الخضر بن المثنى عن عبد الله بن أحمد عن أبيه،وهؤلاء أئمة معروفون إلا الخضر بن المثنى فإنه مجهول ، فكيف تثبتون هذا الكتاب عن أحمد برواية **مجهولة** ؟ فالجواب من وجوه :

أحدها : أن الخضر هذا قد عرفه الخلال وروى عنه كما روى كلام أبى عبد الله عن أصحابه وأصحاب أصحابه ولا يضر جهالة غيره له .

الثانى : أن الخلال قد قال : كتبته من خط عبد الله بن أحمد وكتبه عبد الله من خط أبيه،والظاهر أن الخلال إنما رواه عن الخضر لأنه أحب أن يكون متصل السند على طريقة أهل النقل . وقد روى الخلال (عنه) غير هذا فى جامعه فقال فى كتاب « الأدب » من الجامع : دفع إلىَّ الخضر بن المثنى بخط عبد الله ابن أحمد أجاز لى أن أرويه عنه...[5]اهـ .

والكتاب ذكره ابن النديم وعده من مؤلفات الإمام أحمد . وسماه : « الرد على الجهمية ».[6] .

---

(١) ذكره ابن أبى يعلى فقال : نقل عن عبد الله بن أحمد أشياء منها الرد على الجهمية ثم ساق بإسناده مقاطع من الكتاب . طبقات الحنابلة : ٤٨/٢ .

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ص :٨١

(٣) مجموع الفتاوى : ٤٤٠/١٢ - ٤٤١ .

(٤) اسمه : عبد العزيز بن جعفر . قال الذهبى : كان كبير الشأن من بحور العلم له الباع الأطول فى الفقه...ثقة فيما ينقله . سير أعلام النبلاء : ١٤٣/١٦ .

(٥) اجتماع الجيوش الإسلامية ص : ٨١ - ٨٢ .

(٦) الفهرست ص : ٣٢٠ .

وقال الذهبى : قال ابن الجوزى : وله - يعنى الإمام أحمد - من المصنفات ... « كتاب الرد على الزنادقة » ثلاثة أجزاء[1] .اهـ

والكتاب كما هو معروف طبع مرارا . وعندى منه عدة نسخ صورتها من مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية واعتمدت إحداها عند النسخ وهى من مكتبة ندوة العلماء - لكناؤ ، الهند .

واستعنت أيضا بما هو متوفر لدى من الطبعات . وأثبت فى البحث معظم الكتاب وذلك بوضع كل باب منه فيما يناسبه .

١٣ - الورع لأبى بكر المروذى :

قال الذهبى فى ترجمته : القدوة الفقيه المحدث شيخ الإسلام أبو بكر أحمد ابن محمد بن الحجاج المروذى ، نزيل بغداد ، وصاحب الإمام أحمد ولد فى حدود المئتين .اهـ .

ذكر الخلال : أن أبا بكر المروذى خرج إلى الغزو فشيعه جماعة كثيرة فجعل يردهم فقيل له : يا أبا بكر احمد الله فهذا علم قد نشر لك ، فبكى وقال : ليس هذا العلم لى . إنما هو لأبى عبد الله أحمد .

قال الخطيب : هو المقدم من أصحاب أحمد لورعه وفضله وكان أحمد يأنس به وينبسط إليه وهو الذى تولى إغماضه لما مات وغسله وقد روى عنه مسائل كثيرة .

وقال الخلال : روى عن أبى عبد الله مسائل مشبعة كثيرة .

قال الذهبى : وكان إماماً فى السنة ، شديد الاتباع . توفى سنة خمس وسبعين ومئتين[2] .اهـ

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٣٣٠/١١ .

(٢) ت/ بغداد : ٤٢٣/٤ ، طبقات الحنابلة : ٥٦/١ ، المنتظم : ٩٤/٥ ، سير أعلام النبلاء : ١٧٣/١٣ .

وكتابه هذا ينقل فيه عن الإمام أحمد وغيره . إلا أن أكثره عن أحمد إما رواية وإما مسائل ، وقد أفدت منه . وهو مطبوع كما سبق الإشارة إليه[1] .

مصنفات القاضى أبى يعلى ابن الفراء :

ليس من المستغرب أن أتجه إلى مصنفات القاضى أبى يعلى ابن الفراء للإفادة منها فى هذا البحث : فهو من أئمة الحنابلة وممن عنوا بكلام الإمام أحمد فصنف كتبا كثيرة تدور فى كثير من مباحثها حول ما نقل عن الإمام أحمد .

وقبل البدء فى ذكر ما أفدت من مؤلفاته أود أن نعطى نبذة مختصرة عن القاضى أبى يعلى :

هو :محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء البغدادى[2]، وقد نشأ القاضى فى أسرة علمية، فوالده أحد فقهاء الحنفية، ووصفه الذهبى بأنه من أعيانهم فى عصره . توفى سنة ثلاث مئة وتسعين ولأبى يعلى عشر سنين[3] . وجده لأمه ، عبيد الله بن عثمان المعروف بابن جليقا . كان محدثا ثقة مأمونا وهو من شيوخه[4] . من هنا نجد البداية القوية لأبى يعلى إضافة إلى أنه نشأ فى حاضرة العلم والعلماء بغداد ، فأخذ أصنافاً شتى من العلم على علماء كبار لهم وزنهم ومكانتهم كأبى عبد الله بن حامد[5] ثم كانت له بعض الرحلات . وبعد تمكنه وتوفر المناخ اللازم بدأ رحمه الله فى التصنيف . فأخرج إلى المكتبة الإسلامية مصنفات غاية فى القوة خاصة فى المذهب الحنبلى الذى برع فيه.

---

(١) ص : ١٥ من هذا البحث .
(٢) ت/ بغداد : ٢٥٦/٢ ، طبقات الحنابلة : ١٩٣/٢ ، المنتظم : ٢٤٣/٨ ، سير أعلام النبلاء : ٨٩/١٨ .
(٣) المصدر السابق . وانظر : البداية والنهاية : ٣٢٧/١١ ، طبقات الحنابلة : ١٩٤/٢ .
(٤) المنتظم : ٢١٠/٧ .
(٥) سيأتى التعريف به ص : ٢٦٢ .

ومن مصنفاته التى أفدت منها :

١٤ - إبطال التأويلات لأخبار الصفات:

وكان تأليفه له ردا على ما ذكره ابن فورك فى كتابه « مشكل الحديث وبيانه » الذى تأول فيه آيات وأحاديث الصفات .

وهذا الكتاب حصل بسببه نزاع فقد ذكر البعض أن القاضى أبا يعلى ضمنه ما يشعر التشبيه[1] .

قال ابن أبى يعلى :

وقد كان حضر الوالد فى سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة فى دار الخلافة فى أيام القائم بأمر الله مع العدد الكثير من أهل العلم ، وكان صحبته الشيخ أبو الحسن القزوينى لفساد قول جرى من المخالفين لما شاع قراءة كتاب : «إبطال التأويلات»... وكان قبل ذلك قد التمس منه حمل كتاب «إبطال التأويلات» ليتأمل فأعيد إلى الوالد . وشكر له - أى الخليفة - تصنيفه[2] .اهـ

قلت : والكتاب ذكر فيه القاضى الصفات وما يتعلق بها . ونقل روايات عن الإمام أحمد . والذى يؤخذ على القاضى إيراده لجملة من الأحاديث الواهية، والتى لا ينبغى أن تذكر فى هذه المسائل بالذات فالصفات لا تثبت إلا عن طريق القرآن الكريم وما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط . ولا يلتفت إلى ما سواهما البتة .

ولأجل إيراد القاضى لبعض الأحاديث الواهية فى هذا الباب الدقيق أنكر بعض العلماء عليه كابن الجوزى[3] وغيره[4] .

---

(١) انظر :الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٦/٨ .
(٢) طبقات الحنابلة :١٩٧/٢ .
(٣) انظر : دفع شبه التشبيه .
(٤) انظر فيه «العلو» للذهبى ص :١٨٤ .

يقول ابن تيمية : وقد صنف القاضي أبو يعلى كتابه : « إبطال التأويل » ردا لكتاب ابن فورك وهو وإن كان أسند الأحاديث التى ذكرها وذكر من رواها ففيها عدة أحاديث موضوعة كحديث الرؤية عيانا ليلة المعراج ونحوه ومنها أشياء عن بعض السلف رواها بعض الناس مرفوعة كقعود الرسول صلى الله عليه وسلم على العرش رواه بعض الناس من طرق كثيرة مرفوعة كلها موضوعة[1] .اهـ

وإفادتى من هذا الكتاب كانت محصورة فى استخراج مانقله القاضى أبو يعلى عن الإمام أحمد من الروايات المتعلقة بالصفات وحديث الصورة . وكما أشرت سابقا أن كتاب السنة جزء منه مفقود والقاضى ينقل عن الكتاب كثيرا وهذا يتيح لنا تعويض تلك الروايات التى هى فى الجزء المفقود بأخذها من مصادر أخرى اطلعت على الكتاب كاملا .

وكتاب إبطال التأويلات كبير وهو لا يزال مخطوطا وكان يعتقد أنه مفقود وظهر أخيرا حيث وجد فى مكتبة نعمان الألوسى بالعراق[2] ولدى فضيلة الشيخ حماد بن محمد الأنصارى نسخة مصورة منه . وللكتاب مختصر وهو مخطوط أيضا .

١٥ - الروايتان والوجهان :

يبحث فيه القاضى الروايات المختلفة عن الإمام أحمد ومعظمه فى الفقه وأفرد آخره ببحث مسائل عقدية على ضوء الرويات عن الإمام أحمد بلغت اثنتى عشر مسألة تحت عنوان : « مسائل من أصول الديانة » .وطبع منه ما يتعلق بالفقه فقط تحت عنوان : المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين . وما يتعلق بالعقيدة لا يزال مخطوطا - حسب اطلاعى -وقد أفدت من هذا الجزء الذى صورته عن النسختين المصورتين فى قسم المخطوطات بالمكتبة المركزية فى الجامعة الإسلامية .

---

(١) درء تعارض العقل والنقل :٥/٢٣٧ .

(٢) ولعله موجود في مكتبات أخرى .

١٦ - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

وعندى منه نسخة مصورة . وهو لايزال مخطوطا وفيه نقص من أوله . والأصل فى الظاهرية وعنه صورة فى مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية وإفادتى منه قليلة لوجود الأصل الذى ينقل منه عندى وهو الأمر بالمعروف للخلال .

١٧ - الأحكام السلطانية :

ويتناول فيه مسائل الولاية وما يتفرع منها . وينقل عن الإمام أحمد مسائل شتى . وإفادتى منه لابأس بها .

والكتاب مطبوع . وقدم مؤخراً أطروحة للدكتوراه بعنوان « القاضى أبو يعلى وكتابه الأحكام السلطانية » ونال به محققه الدرجة وطبعه .

١٨ - المسائل التى حلف عليها الإمام أحمد :

وهو جزء صغير عندى منه نسخة مصورة . أفدت منها قليلا .وقد طبع مؤخرا .

١٩ - العدة فى أصول الفقه :

وكما هو ظاهر من عنوانه فهو يبحث فى مسائل أصول الفقه وقد وجدت فيه روايتين فقط نقلهما عن أحمد متعلقة بالعقيدة ، وهو مطبوع .

٢٠ - الإيمان :

وهذا الكتاب حقه أن يقدم ، ففيه نقول عن أحمد وقد صورته من مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية وفى آخره نقص إلا أنى لم أفد منه حيث وجدت ما ينقله من الروايات فى الجزء المتوفر لدى من السنة للخلال والنقل منه أولى .

وقد قدم الكتاب لنيل درجة الماجستير بالجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة . وللقاضى مصنف طبع مؤخراً أسماه « مختصر المعتمد فى أصول الدين »وهو اختصار لكتابه الكبير « المعتمد » .

انتهى ما أفدته من مصنفات القاضى أبى يعلى ابن الفراء .

٢١ - مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى :

وهو كتاب كما يظهر من عنوانه يبحث فى سيرة الإمام أحمد وقد عقد فصلا فى اعتقاده ساق فيه بسنده جملا من كلامه . فأفدت من ذلك .
والكتاب مطبوع متداول .

٢٢ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة :

للحافظ أبى القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائى .
ومعلوم أهمية هذا الكتاب فهو من كتب العقيدة السلفية الذى لم يؤلف مثله . وقد نقل فيه مصنفه بإسناده بعض الروايات عن الإمام أحمد .
والكتاب حقق قسم منه « أطروحة دكتوراه » . وطبعه محققه .

٢٣ - كتاب الشريعة :

لأبى بكر محمد بن الحسين الآجرى وهو من كتب العقيدة السلفية ذكر فيه - بسنده - بعض الروايات عن الإمام أحمد . وهو مطبوع .

٢٤ - تعظيم قدر الصلاة :

لمحمد بن نصر المروزى . ذكر فى ثناياه بعض الروايات عن الإمام أحمد . وهو مطبوع .

٢٥ - شرح اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل :

تأليف أبى الحسن على بن شكر بن أحمد بن شكر . وقد بحثت عنه فلم أتوصل إلى معرفته فيما نظرته من المصادر[1] .
جاء على الورقة الأولى : وكتبه مصنفه على بن شكر فى السادس والعشرين من المحرم سنة (طمس) ست مئة . أما تأخر المصنف فهو واضح إذ ينقل فيه من كتب ابن شاهين واللالكائى .

(١) لا يلتبس بأنه على بن شوكر الذى هو من أصحاب الإمام أحمد . طبقات الحنابلة : ٢٢٥/١ .

والذى بين أيدينا من شرح الاعتقاد الجزء الاول كما كتب على الورقة الاولى واتضح لى من قراءته أن فيه نقصاً،وهذا الجزء يقع فى عشر ورقات وهو عبارة عن نقول من رسالة **الإصطخرى** وعبدوس وكذا جمل من كلام الإمام أحمد بأسانيد ابن شاهين واللالكائى وهو ما أفدته من هذا الشرح .

هذا وقد أفدت من كتب أخرى مثل مسائل البغوى وصريح السنة للطبرى وإثبات صفة العلو،والمغنى لابن قدامة والاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقى وذكر محنة الإمام أحمد لحنبل بن إسحاق،وخلق أفعال العباد للبخارى،وتلبيس إبليس لابن الجوزى،ومجموع الفتاوى ، والصارم المسلول والإيمان واقتضاء الصراط المستقيم ونقض أساس التقديس وغيرها من كتب ابن تيمية،وأحكام أهل الذمة والصواعق المرسلة وغيرها من كتب ابن القيم . وكتب أخرى كثيرة متنوعة تجدها فى ثنايا البحث .

المبحث الثانى
رسالتا التميميين ومدى صحة نسبة ما فيهما للإمام أحمد

رسالة أبى محمد رزق الله التميمى[(١)] .
رسالة أبى الفضل عبد الواحد التميمى[(٢)].

إن هاتين الرسالتين لهما وضع خاص فالتميميان لا يحكيان فيهما ما أثر عن الإمام أحمد رواية بل يقولان : كان مذهبه كذا وكان يقول كذا،لأجل هذا لم أدرجهما فى ثنايا البحث .

وكثر النقل منهما على أساس أنهما يمثلان مذهب الإمام أحمد . وعند مراجعتى لهاتين الرسالتين وجدت فيهما بعض المسائل التى لا تتفق وما صح عن الإمام أحمد أو أصول مذهبه .

---

(١) المسماة : عقيدة الإمام أحمد بن حنبل . وقد ألحقها الشيخ محمد حامد الفقى – رحمه الله –بآخر كتاب طبقات الحنابلة : ٢٦٥/٢ .نقلا عن الكواكب الدرارى لابن عروة ، من الجزء السادس والأربعين ، المكتبة الظاهرية . وقد أشار فؤاد سزكين إلى وجودها فى مكتبة شهيد على تحت رقم : ١/٧٦٦٣ . إضافة إلى الظاهرية . تاريخ التراث العربي : ٢٠٣/٢ . ورزق الله هو ابن عبد الوهاب ابن عبد العزيز التميمى البغدادى ، قال السمعانى : هو فقيه الحنابلة... عمر حتى قصد من كل جانب . وقال أبو على الصدفى : كان كبير بغداد وجليلها . وقال شيرويه الديلمي الحافظ : كان ثقة صدوقا فاضلا .اهـ . وله تصانيف منها : «شرح الإرشاد» لشيخه ابن أبى موسى فى الفقه والخصال والأقسام . توفى سنة ثمان وثمانين وأربع مئة عن سبع أو ثمان وثمانين عاما . انظر سيرته في : مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص : ٥٢٥ ، معجم الأدباء : ١٣٦/١١ ، الكامل لابن الأثير : ٢٥٣/١٠ ، معرفة القراء للكبار : ٣٥٦/١ ، سير أعلام النبلاء : ٦٠٩/١٨ ، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد : ١١٦/١٨ ، البداية والنهاية : ١٥٠/١٢ ، غاية النهاية : ٢٨٤/١ ، شذرات الذهب : ٣٨٤/٣ .

(٢) المسماة : اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل وقد ألحقها الشيخ محمد حامد أيضا بآخر كتاب طبقات الحنابلة : ٢٩١/٢ . وله نسخة مصورة في مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية عن الظاهرية . وعبد الواحد هو : ابن عبد العزيز بن الحارث ، التميمى البغدادى قال الذهبى : الفقيه رئيس الحنابلة . وقال الخطيب: كان صدوقا . اهـ . وكان صديقا للقاضى أبى بكر الباقلانى ومواداً له . ت/ بغداد : ١٤/١١ ، طبقات الحنابلة : ١٧٩/٢ ، سير أعلام النبلاء : ٢٧٣/١٧ ، مجموع الفتاوى: ١٦٧/٤ .

يقول ابن تيمية : وأما التميميون كأبى الحسن[1] وأبى الفضل وابن رزق الله فهم أبعد عن الإثبات وأقرب إلى موافقة غيرهم وألين لهم ولهذا تتبعهم الصوفية ويميل اليهم فضلاء الأشعرية كالباقلانى[2] والبيهقى[3] فإن عقيدة أحمد التى كتبها أبو الفضل هى التى اعتمدها البيهقى مع أن القوم ماشون على السنة[4] .

وفى موضع آخر يقول : « ... وسلك طريق ابن كلاب[5] – فى الفرق بين الصفات اللازمة كالحياة والصفات الاختيارية وأن الرب يقوم به الأول دون الثانى – كثير من المتأخرين من أصحاب مالك والشافعى وأحمد كالتميميين أبى الحسن التميمى وابنه أبى الفضل التميمى وابن ابنه رزق الله التميمى وعلى عقيدة أبى الفضل التى ذكر أنها عقيدة أحمد اعتمد أبو بكر البيهقى فيما ذكره من مناقب أحمد من الاعتقاد[6] .

ويقول أيضا معلقا على رسالة أبى الفضل :

وله فى هذا الباب مصنف ذكر فيه من اعتقاد أحمد ما فهمه و لم يذكر فيه ألفاظه وإنما ذكر جمل الاعتقاد بلفظ نفسه وجعل يقول : وكان أبو عبد الله وهو بمنزلة من يصنف كتابا فى الفقه على رأى بعض الأئمة ويذكر مذهبه بحسب ما فهمه ورآه وإن كان غيره بمذهب ذلك الإمام أعلم منه بألفاظه وأفهم لمقاصده[7] .اهـ .

---

(١) ستأتى ترجمته ص : ٣٤٦ .

(٢) أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد البصرى ، ثم البغدادى ، ابن الباقلانى ، صاحب التصانيف . توفى سنة ثلاث وأربع مئة . انظر : ت/ بغداد :٣٧٩/٥ ، المنتظم : ٢٦٥/٧ ، وفيات الاعيان : ٢٦٩/٤ ، سير أعلام النبلاء : ١٩٠/١٧ ، البداية والنهاية : ٣٥٠/١١ ، شذرات الذهب : ٩٢/٣ .

(٣) الحافظ العلامة الثبت الفقيه ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى ، صاحب التصانيف الكثيرة المفيدة المشهورة ، توفى سنة ثمان وخمسين وأربع مئة . انظر : المنتظم : ٢٤٢/٨ ، الكامل : ٥٢/١٠ ، سير أعلام النبلاء : ١٦٣/١٨ ،وفيات الأعيان : ٧٥/١ ، طبقات الشافعى للسبكى : ٨/٤ ، البداية والنهاية : ٩٤/١٢ ، النجوم الزاهرة : ٧٧/٥ ، طبقات الحفاظ ص : ٤٣٣ ، شذرات الذهب : ٣٠٤/٣ .

(٤) مجموع الفتاوى : ٥٣/٦ .

(٥) ستأتى ترجمته ص : ٢٩٤

(٦) نفس المصدر ٣٦٧/١٢ .

(٧) مجموع الفتاوى : ١٦٧/٤ – ١٦٨ .

المبحث الثالث

أهمية جمع هذه المسائل والرسائل

إن المطلع على هذا البحث يظهر له بوضوح القيمة العلمية لهذه المسائل والرسائل فهى ذات ثراء علمى كبير فى مجال العقيدة ولا غرابة فى ذلك فهى صادرة عن إمام أهل السنة ، الذى جاهد لتثبيت العقيدة الصحيحة لذلك نجد أن أئمة كباراً اهتموا بمسائله ونقلوها .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : والنقل عن أحمد وغيره من أئمة السنة متواتر بإثبات صفات الله تعالى ... وهؤلاء متبعون فى ذلك ما تواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فأما أن المسلمين يثبتون عقيدتهم فى أصول الدين بقوله أو بقول غيره من العلماء : فهذا لايقوله إلا جاهل ... وأصحاب أحمد : مثل أبى داود السجستانى ، وإبراهيم الحربى، وعثمان بن سعيد الدارمى ، وأبى زرعة ، والبخارى ومسلم ، وبقى بن مخلد ، وأبى بكر الأثرم ، وابنيه صالح وعبد الله ، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمى ، ومحمد بن مسلم بن وارة ، وغير هؤلاء الذين هم من أكابر أهل العلم والفقه والدين . لا يقبلون كلام أحمد ولا غيره إلا بحجة بينها لهم ، وقد سمعوا العلم كما سمعه هو ، وشاركوه فى كثير من شيوخه ومن لم يلحقوه أخذوا عن أصحابه الذين هم نظراؤه ، وهذه الأمور يعرفها من يعرف أحوال الإسلام وعلمائه[1] .اهـ .

لهذا أقول : إن هذه المسائل والرسائل تمثل مذهب السلف المرتكز على الكتاب والسنة وأقوال الإمام أحمد لا تخرج عن هذين الأصلين ، وهذا ما أكسبها مكانه خاصة .

وهذه المسائل والرسائل مع ما تشكله من أهمية كبرى ، كانت متناثرة فى بطون الكتب المطبوع منها والمخطوط ، لذا كان جمع ما يمكن منها أمراً فى نظرى

(١) مجموع الفتاوى : ٢١٦/٦ .

بالغ الاهمية خاصة أن الإمام أحمد لم يكن يهتم بالتصنيف وهذا أمر ساهم فى نسبة أقوال إليه لم تصح عنه ، لذا كان ضروريا تجريد ما صح عنه والتنبيه إلى مانسب إليه من الأقوال التى لم تصدر عنه أو لاتتفق وأصول مذهبه يضاف إلى ذلك انتشار البدع والعقائد المنحرفة مما يجعل الحاجة ماسة لمعرفة أصول الدين المستقاة من الكتاب والسنة وهو ما تحققه هذه المسائل والرسائل وفى نظرة سريعة حول هذه المسائل نجد أنها قد تعرض عليه فيجيب عنها أو يتحدث بها ابتداء من غير سؤال .

المبحث الرابع
منهجى فى الجمع والتحقيق .

يظهر للمطلع على هذا البحث قيامه على عنصرين رئيسين :

الأول : جمع جملة كبيرة من المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد

الثانى : التعليق عليها .

أما العنصر الأول فقد بذلت فيه جهدا مضاعفا لأنه فى نظرى عمود البحث ولقد كانت طريقتى فى الجمع ذات شقين :

الأول :جمع الكتب التى هى مظان لهذه الرسائل والمسائل .

الثانى : تصفح هذه الكتب بدقة وعناية واستخراج ما فيها من مسائل .

وبعد ذلك تأتى مرحلة أخرى تتمثل فى ترتيب هذه المسائل حسب أهميتها وصحة أسانيدها ثم تصنيفها ووضعها تحت عناوين مناسبة لها .

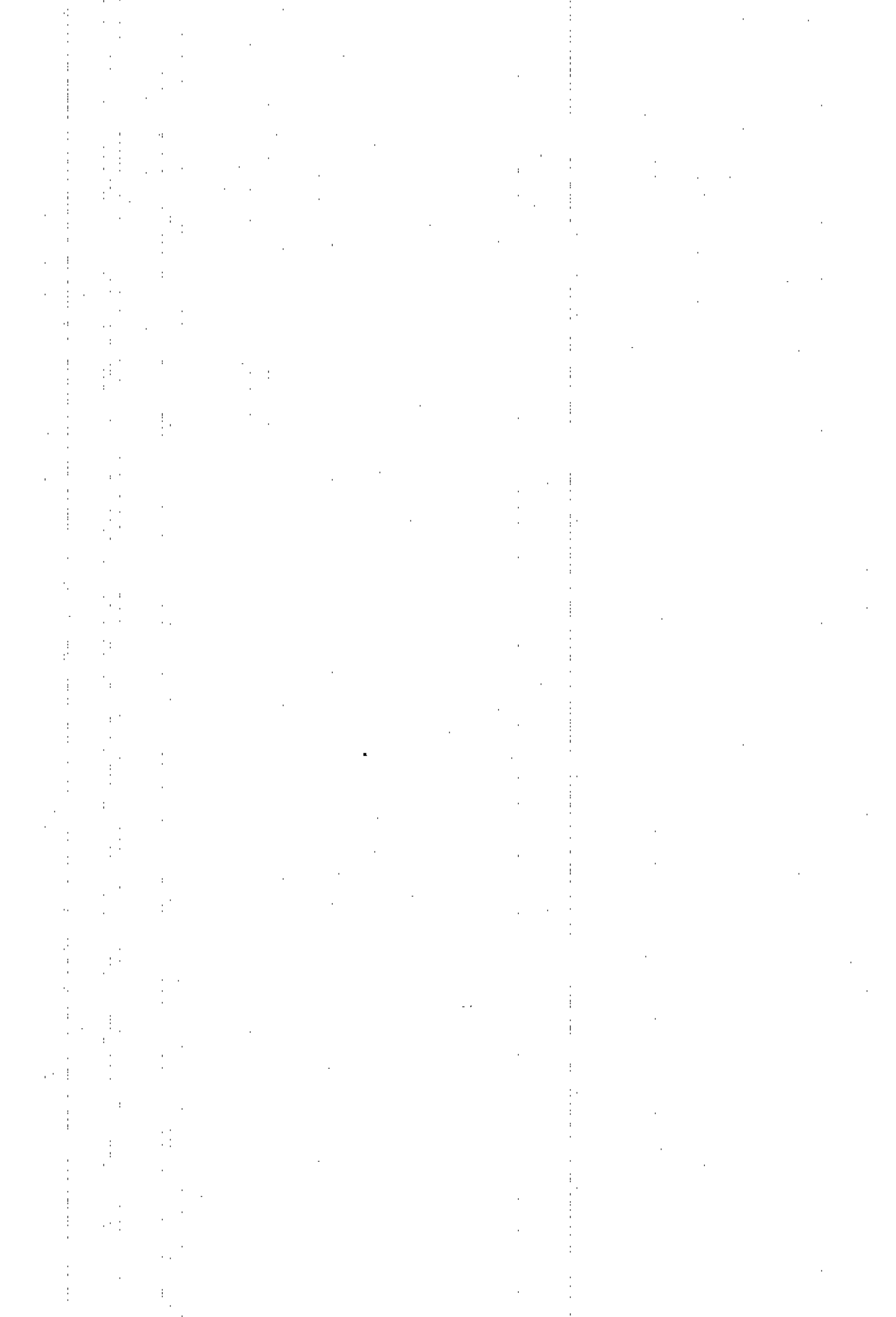
وهنا أمر أود أن أشير إليه وهو أنى اعتمدت على الروايات المسندة فى تقرير ما نقل عن الإمام أحمد ثم أنتقى من تلك الروايات الرواية الجامعة وأثبتها فى أول النقل . ثم أتبعها بالروايات الأخرى وذكر جميع الروايات فيه توثيق للمسألة المثبتة ففى تضافر النقل قطع بصحة الرواية وقد بذلت فى انتقاء الروايات والنظر فى أسانيدها ووضع العناوين لها جهودا وأرجو أن أكون قد وفقت .

والعنصر الثانى وهو التعليق : فقد بذلت فيه أيضا جهدا كبيرا لأنه فى نظرى مكمل للعنصر الأول فقد قمت بالتعليق المفصل – فى كثير من الأحيان –علىٰ ما أثبته من المسائل وذلك بدراسة ما يحتاج منها لدراسة أو مقارنة ثم التعليق على المسألة بصفة عامة ببيان منهج السلف والتطرق إلى مخالفيهم من المتكلمين وغيرهم وإيضاح الصواب فى المسألة مقرونا بالأدلة .

هذا بالنسبة للتعليق على المسائل من الجانب العقدى .

أما ما يتعلق بالناحية المنهجية فقد قمت بتحقيق هذه المسائل والرسائل وفق منهج علمى . وذلك بإيفاء ما يحتاج إليه من ترجمة للأعلام ورجال الإسناد . وأذكر الترجمة فى أول موضع تذكر فيه . وأقتصر فى الترجمة على ذكر ما نقل من مسائل - إن كان من نقلة المسائل - وتوثيقه وقد لا أجد فيه جرحا ولا تعديلا فأكتفى بذكر ما وجدته . وكذا قمت بتخريج للآيات والأحاديث وغير ذلك مما هو متعلق بهذه الناحية .

وعندما أعزو الحديث إلى صحيح البخارى فأعنى مع شرحه لابن حجر المسمى « فتح البارى شرح صحيح البخارى » .



المسائل والرسائل

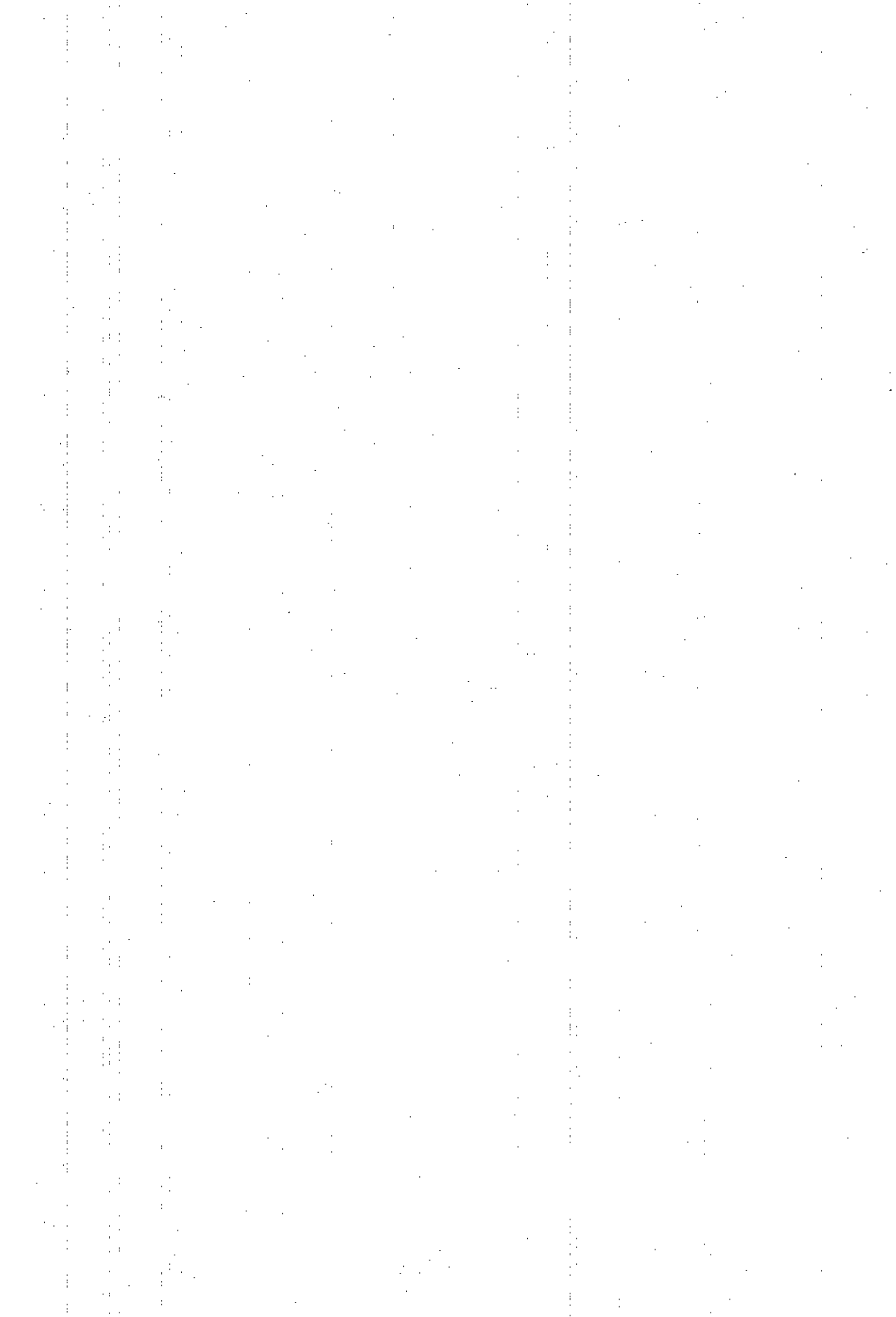
المروية عن

الإمام أحمد بن محمد بن حنبل

في العقيدة

جمع وتحقيق ودراسة

عبد الإله بن سلمان بن سالم الأحمدي



بسم الله الرحمن الرحيم

مسائل الإيمان

قول الإمام أحمد فى تعريف الإيمان

قال أبو بكر الخلال[1] :

١ – أخبرنى عبد الملك بن عبد الحميد الميمونى[2] : أنه سأل أبا عبد الله : الإيمان قول وعمل ونية ؟ فقال لى : كيف يكون بلا نية . نعم الإيمان قول وعمل ونية . (لا)[3] بد من النية . قال لى النية متقدمة[4] .

★ اختلفت عبارة الإمام أحمد فى تعريف الإيمان فتارة يقول : قول وعمل ونية كما فى رواية الميمونى هذه . وكذا قال فى رواية حنبل بن إسحاق[5] وإسحاق بن إبراهيم بن هانىء[6] .

٢ – وفى رواية الإصطخرى[7] زاد :وتمسك بالسنة .

٣ – وتارة يقول : قول وعمل . كما فى رواية أبى بكر المروذى[8] وأحمد

---

(١) هو : أحمد بن محمد بن هارون الخلال . انظر : ترجمته والتعريف بمؤلفاته ص : ٢٥ م .

(٢) هو : عبد الملك بن عبد الحميد بن ميمون بن مهران ، ثقة فاضل ، لازم أحمد أكثر من عشرين سنة ، توفى سنة أربع وسبعين ومئتين تقريب :٥٢٠/١ .

(٣) ما بين القوسين ليس من الأصل وما أثبته يقتضيه السياق .

(٤) السنة للخلال (ق٩٦/ب) .

(٥) هو : حنبل بن إسحاق بن حنبل : ابن عم الإمام أحمد ، قال الخطيب : كان ثقة، وسئل عنه الدارقطنى فقال : صدوق . تاريخ بغداد : ٢٨٦/٨ ، طبقات الحنابلة : ١٤٣/١ . والرواية فى شرح اعتقاد الإمام أحمد لأبى الحسن بن شكر ص :١٣ .

(٦) انظر : ترجمته والتعريف بمسائله ص : ٣٠ . والرواية فى السنة للخلال (ق٩٦/ب) .

(٧) هو :أحمد بن جعفر **الإصطخرى** . انظره والتعريف برسالته عن أحمد ص : ٣٣م . والنص فى الرسالة المشار إليها (طبقات الحنابلة : ٢٤/١) . وانظر كتاب السنة لأحمد ضمن شذرات البلاتين ص : ٤٤ .

(٨) هو : أحمد بن محمد بن الحجاج . انظر ترجمته ص : ٤٥ . والرواية فى السنة للخلال (ق٩٩/أ) والإبانة الكبرى لابن بطة : ٧٣٨/٢ .

ابن الحسن الترمذى[1] وأحمد بن القاسم[2] وعيسى بن فيروز الأنبارى[3] وشاهين بن السميذع[4] والفضل بن زياد[5] .

التعليق :

ليس هناك تعارض بين هذه التعريفات فهى كلها تؤدى إلى معنى واحد .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة فى تفسير الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية ، وتارة يقولون: قول وعمل ونية واتباع السنة ، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح ، وكل هذا صحيح ، فإذا قالوا : قول وعمل ، فإنه يدخل فى القول قول القلب واللسان جميعا ، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام ، ونحو ذلك إذا أطلق ... والمقصود هنا أن من قال من السلف : الإيمان قول وعمل ، أراد قول القلب واللسان وعمل القلب

---

(١) هو : أحمد بن الحسن بن جنيدب الترمذى ، ثقة حافظ ، توفى سنة خمسين ومئتين . تقريب : ١٣/١ . والرواية انظرها في السنة للخلال : (ق١٠٧/أ) .

(٢) أحمد بن القاسم ، صاحب أبى عبيد قال الخطيب : حدث عنه وعن أحمد بن حنبل . تاريخ بغداد : ٣٤٩/٤ . والرواية فى السنة للخلال (ق ٩٩/ب) .

(٣) هو : عيسى بن فيروز ، أبو موسى الأنبارى ، قال ابن أبى يعلى : سمع من الإمام أحمد أشياء . وذكره ابن الجوزى فيمن حدث عن أحمد ، ووهم الذهبى فقال : قال الخطيب : ليس بثقة . ومقولة الخطيب في حق رجل روى عنه وهو : على بن محمد بن سعيد الموصلى كما هو واضح من كلام الخطيب . وقد نبه ابن حجر إلى ذلك فى اللسان . تاريخ بغداد :١٧٢/١١ ، طبقات الحنابلة : ٢٤٨/١ ، مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص : ١٣٧ ، لسان الميزان : ٤٠٣/٤ ، ميزان الاعتدال : ٣٢١/١ ، المنهج الأحمد : ٣٢١/١ . والرواية في طبقات الحنابلة : ٢٤٨/١.

(٤) هو : شاهين بن السميذع ، أبو سلمة العبدى ، ذكره ابن أبى يعلى فقال : نقل عن الإمام أحمد أشياء وذكر بعضها ، وذكره ابن الجوزى فيمن حدث عن الإمام أحمد.طبقات الحنابلة : ١٧٢/١ ، مناقب الإمام أحمد ص : ١٣٣ . والرواية في طبقات الحنابلة : ١٧٢/١ .

(٥) هو : الفضل بن زياد ، أبو العباس القطان البغدادى ، ذكره أبو بكر الخلال فقال : كان من المقدمين عند أبى عبد الله، وكان أبو عبد الله يعرف قدره ويكرمه، وكان يصلى بأبى عبد الله . فوقع له عن أبى عبد الله مسائل كثيرة جياد . تاريخ بغداد : ٣٦٣/١٢ ، طبقات الحنابلة : ٢٥/١ ، مناقب الإمام أحمد ص : ١٣٨ . والرواية في الإبانة الكبرى لابن بطة :٧٣٨/٢ .

والجوارح ، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لايفهم منه إلا القول الظاهر ، أو خاف ذلك ، فزاد الاعتقاد بالقلب ، ومن قال : قول وعمل ونية ، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان ، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية ، فزاد ذلك ، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لايكون محبوبا لله إلا باتباع السنة ، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل ، وإنما أرادوا ما كان مشروعا من الأقوال والأعمال ، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط ، فقالوا : بل هو قول وعمل والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم ، كما سئل سهل بن عبد الله التستري[1] عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة، لأن الإيمان إذا كان بلا عمل ، فهو كفر ، وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق ، وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة[2] .اهـ .

وما ذهب إليه الإمام أحمد – رحمه الله – من تعريف للإيمان هو مذهب عامة السلف فى الإيمان: **اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان. فالسلف – رحمهم الله – رأوا أن الإيمان عبارة عن هذه الأمور الثلاثة ، واعتبروا التصديق** بالقلب والقول باللسان أصلاً والعمل فرعا . لذلك نجدهم لايكفرون مرتكب الكبيرة ولا يحكمون عليه بالتخليد فى النار . كما يفعل الخوارج والمعتزلة[3] . وقد نقل الإجماع عنهم على هذا التعريف للإيمان أبو عبيد القاسم بن سلام[4] والشافعى[5] والبخارى[6] واللالكائى[7] والبغوى[8] وابن عبد البر[9] وغيرهم . وهذا الإجماع منهم مبنى على أدلة صريحة من الكتاب والسنة .

---

(١) تقدمت ترجمته ص : ٤٢ .

(٢) الإيمان ص : ١٦٢ . وانظر مجموع الفتاوى له :٥٠٥/٧ – ٥٠٦ ، والشريعة للآجرى ص :١١٩ .

(٣) قد يلتبس على البعض تعريف أهل السنة للإيمان وتعريف الخوارج والمعتزلة له وسيأتى مزيد من الإيضاح حول هذه المسألة عند الكلام عن الفرق المخالفة فى تعريف الإيمان ص : ٧٦ .

(٤) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية : ٣٠٩/٧ ولم أجده في كتاب الإيمان ولعله فى مؤلف آخر له ، والله أعلم .

(٥) انظر : الإيمان لابن تيمية ص : ١٩٧ .

(٦) انظر : فتح البارى : ٤٧/١ .

(٧) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : ٨٣٢/٤ .

(٨) انظر : شرح السنة : ٣٨/١ .

(٩) انظر : التمهيد : ٢٣٨/٩ .

قال الحافظ ابن مندة موضحا ما يشمله كل ركن من هذه الأركان الثلاثة : فمن أفعال القلوب : النيات والإرادات ، والعلم ، والمعرفة بالله وبما أمر به والاعتراف له والتصديق به وبما جاء من عنده ، والخضوع له ولأمره ، والإجلال والرغبة إليه ، والرهبة منه والخوف والرجاء والحب له ولما جاء من عنده والحب والبغض فيه والتوكل والصبر والرضا والرحمة والحياء والنصيحة لله ولرسوله ولكتابه وإخلاص الأعمال كلها مع : سائر أعمال القلب[1] .

ومن أفعال اللسان: الإقرار بالله وبما جاء من عنده والشهادة لله بالتوحيد ولرسوله بالرسالة ولجميع الأنبياء والرسل. ثم التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل والثناء على الله والصلاة على رسوله والدعاء وسائر الذكر[2] .

ثم أفعال سائر الجوارح : من الطاعات والواجبات التي بني عليها الإسلام أولها إتمام الطهارات كما أمر الله عزوجل،ثم الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان والزكاة على ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم ثم حج البيت من استطاع إليه سبيلا، وترك الصلاة كفر[3] . وكذلك جحود الصوم[4] والزكاة[5] والحج[6] ، والجهاد فرض مع الكفاية مع البر والفاجر .

---

(١) ما يدل على ما يلزم القلب من فرض الإيمان قول الله تعالى:﴿ **يا أيها** الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن **قلوبهم** ﴾سورة المائدة/٤١ . وقوله عز وجل : ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب **عظيم** ﴾سورة النحل /١٠٦ ، وقوله عز وجل : ﴿**قالت** الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في **قلوبكم** ﴾ سورة الحجرات . انظر : الشريعة للآجرى ص : ١١٩ .

(٢) ما يدل على ما يلزم اللسان من فرض الإيمان قول الله تعالى : ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما **أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من** ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له **مسلمون** ﴾سورة البقرة /١٣٦ ، ومن السنة قول النبي ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا **لا إله إلا الله** » أخرجه البخاري : ٢٧٥/١٢ ، ٢٥٠/١٣ ، ومسلم : ٥٢/١ من حديث أبي هريرة . انظر : الشريعة للآجرى ص : ١٢٠ .

(٣) انظر : قول الإمام أحمد في تارك الصلاة ص : ٣٤/٢ .

(٤) انظر : قول الإمام أحمد في تارك الصيام ص : ٤٩/٢ .

(٥) انظر : قول الإمام أحمد في مانع الزكاة ص : ٤٦/٢ .

(٦) انظر : قول الإمام أحمد في تارك المباني الخمسة ص : ٥٠/٢ .

وسائر أعمال التطوع : التى يستحق بفعلها اسم زيادة الإيمان،والأفعال المنهى عنها التى بفعلها يستحق نقصان الإيمان[1][2] .

(١) ستأتى الأدلة على هذا الجانب عند الكلام على « دخول الأعمال فى الإيمان » ص : ٨١ .
(٢) كتاب الإيمان : ٣٦٢/١ .

أقوال المخالفين في تعريف الإيمان ونقض الإمام أحمد لها

تعريف الكرامية للإيمان :

قال أبو بكر الخلال :

٤ – أخبرني أبو بكر المروذي قال : حدثني أبو علي الحسين بن حامد النيسابوري[١] قال سمعت أبا عبد الرحيم الجوزجاني يقول : كتب إليَّ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل وأخبرني عبد الله بن عبيد الله الطرسوسي[٢] **قال : ثنا محمد بن حاتم المروزي[٣] قال : ثنا أبو عبد الرحيم محمد بن أحمد بن** الجراح الجوزجاني[٤] قال : كتب إليَّ أحمد بن حنبل :...وأما من زعم أن الإيمان الإقرار فما يقول في المعرفة ؟ هل يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار ؟ وهل يحتاج أن يكون مصدقا بما أقر . قال **محمد** بن حاتم وهل يحتاج أن يكون مصدقا بما عرف فإن زعم أنه يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار فقد زعم أنه من شيئين ، **وإن زعم أنه يحتاج أن يكون مقرا ومصدقا بما عرف ، فهو من ثلاثة أشياء ، فإن جحد وقال : لا يحتاج إلى المعرفة والتصديق ، فقد قال عظيما ولا أحسب أحد يدفع المعرفة . قال المروزي : ولا أحسب امرءا يدفع المعرفة والتصديق** فكذلك العمل مع هذه الأشياء[٥] .

التعليق :

الكرامية من فرق المرجئة . وإن كانت تعرف أكثر بالتجسيم والتشبيه في باب الصفات والإمام أحمد يطلق صفة الإرجاء على كل من أخرج العمل عن

---

(١)،(٢) لم أجد لهم تراجم فيما اطلعت عليه من المصادر .

(٣) هو : محمد بن حاتم بن نعيم ، **ثقة . تقريب : ١٥٢/٢ .**

(٤) ثقة ، فاضل ، توفي سنة مئتين وخمس وأربعين . تقريب : ١٤٢/٢ .

(٥) السنة للخلال (ق : ١٠٨) ونقله أبو يعلى ابن الفراء في الإيمان (ق : ١/ب) ، وابن تيمية في الإيمان ص ٣٧٦ .

الإيمان . قال – لما سئل عن المرجئة من هم –: « من زعم أن الإيمان قول »[1] . وقد عدهم أبو الحسن الأشعرى من فرق المرجئة[2] ، وشيخ الإسلام ابن تيمية قسم المرجئة إلى ثلاثة أصناف وعد الكرامية أحد هذه الأصناف[3] وقد كان أول ظهور لهذه الفرقة فى بداية القرن الثالث بزعامة مؤسسها محمد بن كرام السجستانى[4] . ومذهبهم فى الإيمان – كما تقدم – عبارة عن أمر واحد لا تعدد فيه وهو الإقرار باللسان . وقد حكى عنهم هذا المذهب جل المشتغلين بآراء الطوائف والفرق ، وإن كان البعض قد انفرد فى نسبة بعض الآراء إليهم والتى لم تصح عنهم كما سيأتى بيانه ، ومجمل مذهبهم : أن الإيمان هو الإقرار دون تصديق القلب وعمل الجوارح . والمنافق عندهم مؤمن فى الدنيا وفى الآخرة من الخالدين فى النار[5] هذا هو المعروف من مذهبهم والذى أجمع عليه كل من تكلم عنهم إلا أن ابن حزم نسب إليهم أمرا لم يصح عنهم حيث يقول : « وذهب قوم إلى أن الإيمان هو إقرارباللسان بالله تعالى وإن اعتقد الكفر بقلبه فإذا فعل ذلك فهو مؤمن من أهل الجنة وهذا قول محمد بن كرام السجستانى[6] » قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «وقد حكى بعضهم عنهم أنهم يجعلون المنافقين من أهل الجنة وهو غلط عليهم »[7] .وفى موضع آخر : من حكى عنهم أنهم يقولون : المنافق يدخل الجنة فقد كذب عليهم بل يقولون إن المنافق مؤمن لأن الإيمان هو القول الظاهر .

قال الشهرستانى فى معرض كلامه عن الكرامية : « وفرقوا بين تسمية المؤمن مؤمنا فيما يرجع إلى أحكام الظاهر والتكليف وفيما يرجع إلى أحكام

---

(١) انظر الروايات عنه فى هذا المعنى فى (قول الإمام أحمد في المرجئة) ص : ٨٩١ .
(٢) انظر : مقالات الإسلاميين : ٢٠٤/١ .
(٣) انظر : الإيمان لابن تيمية ص : ١٨٤ .
(٤) قال عنه الذهبى : العابد المتكلم شيخ الكرامية ساقط الحديث عل بدعته . ميزان الاعتدال : ٢١/٤ .
(٥) انظر : الملل والنحل للشهرستانى بهامش الفصل : ١٥٤/١ ، أصول الدين للبغدادى ص : ٢٥٠ ، مجموع الفتاوى : ١٤٠/٧ ، ٢١٦ .
(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل : ١٨٨/٣ .
(٧) مجموع الفتاوى : ١٤١/٧ .

الآخرة والجزاء فالمنافق عندهم مؤمن فى الدنيا حقيقة مستحق للعقاب الأبدى فى الآخرة[1] ».

والإمام أحمد ينقض فى كتابه هذا مزاعم مرجئة الكرامية القائلين إن الإيمان هو مجرد الإقرار باللسان فقط .وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رد أبى عبد الله على هذه الطائفة وعلق عليه قائلا : « قلت:أحمد وأبو ثور وغيرهما من الأئمة كانوا قد عرفوا أصل قول المرجئة ، وهو أن الإيمان لا يذهب بعضه ويبقى بعضه فلا يكون إلا شيئا واحدا ، فلا يكون ذا عدد اثنين أو ثلاثة ، فإنه إذا كان له عدد ، أمكن ذهاب بعضه وبقاء بعضه ، بل لا يكون إلا شيئا واحدا... فلهذا صاروا يناظرونهم بما يدل على أنه ليس شيئا واحداً ... وأحمد ذكر أنه لابد من المعرفة والتصديق مع الإقرار ، وقال : إن من جحد المعرفة والتصديق ، فقد قال قولا عظيما ، فإن فساد هذا القول معلوم من دين الإسلام ! ولهذا لم يذهب إليه أحد قبل الكرامية ، مع أن الكرامية لا تنكر وجوب المعرفة والتصديق ، ولكن تقول : لا يدخل فى اسم الإيمان حذرا من تبعضه وتعدده ، لأنهم رأوا أنه لا يمكن أن يذهب بعضه ويبقى بعضه ، بل ذلك يقتضى أن يجتمع فى القلب إيمان وكفر ، واعتقدوا الإجماع على نفى ذلك ، كما ذكر هذا الإجماع الأشعرى وغيره .

.. **وأحمد – رضى الله عنه – فرق بين المعرفة التى فى القلب وبين التصديق** الذى فى القلب ، فإن تصديق اللسان هو الإقرار ، وقد ذكر ثلاثة أشياء ، وهذا يحتمل شيئين يحتمل أن يفرق بين تصديق القلب ومعرفته ، وهذا قول ابن كلاب ، والقلانسى ، والأشعرى وأصحابه يفرقون بين معرفة القلب وبين تصديق القلب ، فإن تصديق القلب قوله ، وقول القلب عندهم ليس هو العلم ، بل نوعا آخر ، ولهذا قال أحمد :هل يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار...– (إلى آخر كلام أحمد) – والذين قالوا : الإيمان هو الإقرار باللسان يتضمن التصديق باللسان ، والمرجئة لم تختلف أن الإقرار باللسان فيه التصديق ، فعلم أنه أراد تصديق القلب ومعرفته مع الإقرار باللسان ، إلا أن يقال : أراد تصديق القلب واللسان جميعا مع المعرفة

---

(١) الملل والنحل بهامش الفصل : ١٥٤/١ .

والإقرار ، ومراده بالإقرار الالتزام لا التصديق كما قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لمآ آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جآءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾[1] فالميثاق مأخوذ على أنهم يؤمنون به وينصرونه ، وقد أمروا بهذا ، وليس هذا الإقرار تصديقا فإن الله تعالى لم يخبرهم بخبره بل أوجب عليهم إذا جاءهم ذلك الرسول أن يؤمنوا به وينصروه ، فصدقوا بهذا الإقرار والتزموه ، فهذا هو إقرارهم ، والإنسان قد يقر للرسول بمعنى أنه يلتزم ما يأمر به مع غير معرفة ، ومن غير تصديق له أنه رسول الله ، لكن لم يقل أحد من المرجئة : إن هذا الإقرار يكون إيمانا ، بل لابد عندهم من الإقرار الخبرى وهو أنه يقر له بأنه رسول الله كما يقر المقر بما يقر به من الحقوق ، ولفظ الإقرار يتناول الالتزام والتصديق ، ولا بد منهما وقد يراد بالإقرار مجرد التصديق بدون التزام الطاعة ، والمرجئة تارة يجعلون هذا هو الإيمان وتارة يجعلون الإيمان التصديق والالتزام معا ، هذا هو الإقرار الذى يقوله فقهاء المرجئة : إنه إيمان ، وإلا لو قال : أنا أطيعه ولا أصدق أنه رسول الله أو أصدقه ولا ألتزم طاعته لم يكن مسلما ولا مؤمنا عندهم .

وأحمد قال :لابد مع هذا الإقرار أن يكون مصدقا ،وأن يكون عارفا ، وأن يكون مصدقا بما عرف ، وفى رواية أخرى مصدقا بما أقر ، وهذا يقتضى أنه لابد من تصديق باطن ، ويحتمل أن يكون لفظ التصديق عنده يتضمن القول والعمل جميعا ، كما ذكرنا شواهده أنه يقال صدق بالقول والعمل فيكون تصديق القلب عنده يتضمن أنه مع معرفة قلبه أنه رسول الله قد خضع له وانقاد ، فصدقه بقول قلبه وعمل قلبه محبة وتعظيما وإلا فمجرد معرفة القلب أنه رسول الله مع الإعراض عن الانقياد له ... فلا يكون إيمانا . ولا بد فى الإيمان من علم القلب وعمله ، فأراد أحمد بالتصديق أنه مع المعرفة به صار القلب مصدقا له تابعا له محبا له معظما له ،فإن هذا لابد منه ، ومن دفع هذا أن يكون من الإيمان ، فهو من جنس من دفع المعرفة من أن تكون من الإيمان . وهذا أشبه بأن يحمل عليه كلام أحمد ،

---

(١) سورة آل عمران /٨١ .

لأن وجوب انقياد القلب مع معرفته ظاهر ثابت بدلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة بل ذلك معلوم بالاضطرار من دين الإسلام ومن نازع من الجهمية فى أن انقياد القلب من الإيمان فهو كمن نازع من الكرامية فى أن معرفة القلب من الإيمان ، فكان حمل كلام أحمد على هذا هو المناسب له فى هذا المقام[١]اهـ.

قول الإمام أحمد فيما نقله عن شبابة فى الإيمان

٥ – أخبرنا محمد بن على[٢] قال :ثنا أبو بكر الأثرم[٣] قال : سمعت أبا عبد الله وقيل له : شبابة[٤] أى شيء تقول فيه ؟ فقال : شبابة كان يدعو إلى الإرجاء قال : وقد حكى عن شبابة قول أخبث من هذه الأقاويل ما سمعت عن أحد مثله قال : قال شبابة إذا قال فقد عمل . قال : الإيمان قول وعمل كما يقولون . فإذا قال فقد عمل بجارحته أى بلسانه حين تكلم . ثم قال أبو عبد الله : هذا قول خبيث ما سمعت أحداً يقول به ولا بلغنى[٥] اهـ .

ونحو رواية الأثرم هذه نقل أبو الحارث الصائغ[٦] عن أحمد .

التعليق :

هذا القول لم أجد من قال به أو حكاه عن شبابة سوى ما ذكره الإمام أحمد ، أما وجه خبثه فيتمثل بما قد ينشأ عنه من الإيهام والتدليس على مذهب أهل السنة القائلين بركنية العمل فى الإيمان . فقد يتوهم البعض موافقته لمذهبهم مع بعده عنه وهذا ما جعل الإمام أحمد يصفه بالخبث . والله أعلم .

(١) الإيمان ص : ٣٧٦ – ٣٨٠ .

(٢) أبو بكر السمسار أو حمدان . وسيأتيان في الرواية التالية .

(٣) هو أحمد بن محمد بن هانئ ، ثقة حافظ ، له تصانيف ، توفى سنة ثلاث وسبعين ومئتين . تقريب : ٢٥/١ .

(٤) هو : شبابة بن سوار المدائنى ، ثقة حافظ ، رمى بالارجاء . توفى سنة أربع أو خمس أو ست ومئتين . تقريب : ٣٤٥/١ وقد قيل إنه رجع عن الارجاء .انظر : ت/بغداد : ٢٩٩/٩ .

(٥) السنة للخلال (ق ٩٤/ب) ونقلها ابن تيمية في الإيمان ص : ٢٤١ من كتاب السنة للأثرم .

(٦) هو : أحمد بن محمد قال عنه أبو بكر الخلال : كان أبو عبد الله يأنس به ويقدمه ويكرمه وكان عنده بموضع جليل وروى عن أبى عبد الله مسائل كثيرة بضعة عشر جزءا وجود الرواية عن أبى عبد الله . طبقات الحنابلة : ٧٤/١ ، تاريخ بغداد : ١٢٨/٥ . والرواية انظرها فى السنة للخلال (ق ٩٤/ب) .

تعريف الجهمية للإيمان

قال أبو بكر الخلال :

٦ – وأخبرنى محمد بن موسى[١] ومحمد بن على[٢] أن حمدان بن على الوراق[٣] حدثهم قال : سألت أحمد وذكر عنده المرجئة[٤] فقلت له : إنهم يقولون :إذا عرف الرجل ربه بقلبه فهو مؤمن . فقال : المرجئة لا تقول هذا بل الجهمية[٥] تقول بهذا[٦] . المرجئة تقول حتى يتكلم بلسانه (وإن لم تعمل جوارحه)[٧] . والجهمية تقول :إذا عرف ربه بقلبه وإن لم تعمل جوارحه ، وهذا كفر ، إبليس قد عرف ربه فقال : ﴿ **رب بما أغويتنى** ﴾[٨] قلت : فالمرجئة لم كانوا يجتهدون وهذا قولهم ؟ قال : البلاء[٩] .

التعليق:

الجهمية : أتباع جهم بن صفوان الترمذى[١٠] .وما ذكره الإمام أحمد عنهم فى تعريفهم للإيمان هو ما أجمع عليه الباحثون فى آراء الطوائف والفرق فالإيمان عند « جهم » وأتباعه عبارةعن شيء واحد وهو المعرفة وأنه لايزيد ولا ينقص

---

(١) هو : محمد بن موسى ، أبو الفضل الوراق ، قال عنه : أبو بكر الخلال : رجل جليل القدر كثير العلم . اهـ ، توفى سنة مئتين وثلاث وثمانين . ت/ بغداد : ٢٤١/٣ .

(٢) هو :محمد بن على بن شعيب ، أبو بكر السمسار ، سكت عنه الخطيب . ت/ بغداد : ٦٦/٣ .

(٣) هو : محمد بن على المعروف بحمدان . كان فاضلا ثقة . ت/ بغداد : ٦١/٣ .

(٤) سيأتى تعريف شامل بالمرجئة وفرقها عند الكلام عن الفرق ص : ٣٦٢/٢ .

(٥) سيأتى تعريف بالجهمية ومعتقداتها عند الكلام عن الفرق ص : ٣٦٨/٢ .

(٦) إلى هنا أخرجه ابن أبى يعلى بسنده من طريق آخر عن حمدان به . طبقات الحنابلة : ٣٠٣/١ .

(٧) فى الأصل « وتعمل جوارحه » .والظاهر – والله أعلم – أن هنالك سقطا وهو ما أثبته إذ إنه لا يوجد في المرجئة من يقول بهذا .

(٨) سورة الحجر/٣٩ . .

(٩) السنة : (ق :٩٤) .

(١٠) قال عنه الذهبي : الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان صغار التابعين وما علمته روى شيئا لكنه زرع شراً عظيما . ميزان الاعتدال : ٤٢٦/١ .

والناس فيه سواء ويرون أن من عرف ربه بقلبه ثم جحد بلسانه لم يكن كافرا بجحده هذا ، لأن المعرفة لا تزول وتذهب بالجحد . فعلى مذهبهم الفاسد أن العبد إذا عرف ربه وعرف أنه هو الخالق لهذا الكون فهو فى غاية من الإيمان . وهذا مبنى على قاعدتهم المعروفة : « الإيمان هو المعرفة بالله والكفر هو الجهل به »[١] ، ولا شك أن هذا المذهب من أفسد المذاهب وأقبحها ، وأشدها خطرا على عقيدة المسلم لذا أطلق الإمام أحمد القول بتكفير من اعتقد هذا مستدلا على ذلك بأقوى الأدلة عليهم فى هذا الجانب .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وقول جهم فى الإيمان قول خارج عن إجماع المسلمين قبله ، بل السلف كفروا من يقول بقول جهم فى الإيمان[٢] .اهـ.

ولابد هنا من التطرق لمذهب الأشاعرة والماتريدية فى الإيمان حتى يتضح الفرق بينهما وبين مذهب الجهمية فى الإيمان .

وأبدأ أولا بالأشاعرة :-

وهم المنتسبون إلى أبى الحسن الأشعرى[٣] حيث ذهب جمهورهم إلى أن الإيمان هو : التصديق فى اللغة والشريعة جميعا وأن الأفعال والأعمال من شرائع الإيمان لا من نفس الإيمان . وإن كان البعض منهم يرى إدخال القول فى

---

(١) انظر : مقالات الإسلاميين : ٣٣٨/١ ، الفرق بين الفرق للبغدادى ص :٢١٢ ، الملل والنحل للشهرستانى : ١١١/١ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص : ٣٧٤ .

(٢) مجموع الفتاوى : ١٤١/٧ .

(٣) هو : على بن إسماعيل بن أبى بشر البصرى ، صاحب المصنفات ، توفى سنة أربع وعشرين وثلاث مئة وله بضع وستون سنة . وقد كان رحمه الله في بداية أمره على مذهب الاعتزال ثم تركه وسلك طريق ابن كلاب ثم رجع بعد ذلك إلى مذهب السلف . وما جاء فى كتابيه مقالات الإسلاميين والإبانة عن أصول أهل السنة والديانة يكفى للاستدلال على رجوعه إلى مذهب السلف وفى كتابه الأخير الإبانة وافق السلف فى كل ما عرضه من المسائل ، وفي كتابه مقالات الإسلاميين قال : « وبكل ما قالوا نقول وإليه نذهب – يعنى أهل الحديث . والمنتسبون إليه هم من أخذوا عنه عند رجوعه عن الاعتزال إلى مذهب ابن كلاب . انظر : خطط المقريزى : ٣٥٨/٢ ، الملل والنحل للشهرستانى : ١١٩/١ ، أصول الدين للبغدادى ص :٩٠ ، الفرق بين الفرق ص : ٣٣٤ ، العبر :٢٠٢/٢ ، طبقات الشافعية : ٣٥٢/٣ ، شذرات الذهب ٣٠٣/٢ .

الإيمان[1] . ونقل ابن تيمية عن بعضهم موافقتهم للسلف فى الإيمان[2] إلا أن القول الأول هو المشهور عنهم قال الإيجي موضحا مذهبهم : « اعلم أن الإيمان في اللغة هو التصديق قال تعالى حكاية عن إخوة يوسف : ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ﴾[3] أى بمصدق وقال عليه السلام « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله »[4] أى تصدق . وأما فى الشرع ، وهو متعلق ماذكرنا من الأحكام فهو عندنا وعليه أكثر الأئمة – كالقاضى والأستاذ – التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة ، تفصيلا فيما علم تفصيلاوإجمالا فيما علم إجمالا[5] . اهـ .

أما الماتريدية : فهم أتباع أبى منصور الماتريدى[6] . ومذهبهم فى الإيمان موافق لمذهب الأشاعرة[7] .

وبهذا الإيضاح الموجز لمذهب كل من الأشاعرة والماتريدية فى الإيمان يتضح أن هناك فرقا بين ما ذهبوا إليه وبين مذهب الجهمية السابق . فالتصديق عندالأشاعرة والماتريدية يدخل فيه عمل القلب كالإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل كما تقدم ، بخلاف الجهمية الذين جعلوا الإيمان المعرفة بالله فقط والكفر الجهل به .

---

(١) انظر : تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص : ٦٢ ، أصول الدين للبغدادى ص : ٢٦٦ ، التمهيد للباقلانى ص : ٣٤٦ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى : ١٤٣/٧ ، العقيدة النظامية ص :٦٢ .

(٣) سورة يوسف ١٧ .

(٤) هذا جزء من حديث جبريل المشهور والذى أخرجه مسلم : ١٥٧/١ من حديث عمر بن الخطاب والبخارى من حديث أبى هريرة ١١٤/١ .

(٥) المواقف ص : ٣٨٤ .

(٦) هو محمد بن محمد بن محمود من أئمة علماء الكلام ، له مؤلفات منها : تأويلات أهل السنة ، والتوحيد وهما مطبوعان . شاعت آراؤه في البلاد التى ساد فيا المذهب الحنفى ومذهبه أقرب إلى مذهب الأشاعرة . انظر : الفوائد البهية فى تراجم الحنفية ص : ١٩٥ .

(٧) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص : ٣٧٣ - ٣٧٤ .

مذهب الخوارج[1] فى الإيمان :-

الإيمان عند الخوارج فعل الطاعات المفترضة كلها بالقلب واللسان وسائر الجوارح . وهذا القدر متفق عليه بين أهل السنة والخوارج والمعتزلة إلا أن الخوارج يرون أن الإيمان مركب من هذه الأمور الثلاثة إذا أخل المكلف بواحد منها ذهب إيمانه بالكلية . فعلى مذهبهم لا يمكن ذهاب بعضه وبقاء بعضه . فإذا ذهب بعضه ذهب كله فهم ينكرون الزيادة والنقصان فى الإيمان[2] . وهذا هو الفارق بين مذهب أهل السنة من جهة وما ذهب إليه الخوارج والمعتزلة من جهة أخرى .

قال الحافظ ابن مندة : وقال أهل الجماعة : الإيمان هو الطاعات كلها بالقلب واللسان وسائر الجوارح غير أن له أصلا وفرعا[3] .اهـ.

فالتصديق بالقلب واللسان أصل فى الإيمان والعمل فرع فيه وترتب على قول الخوارج فى الإيمان : أن كفروا مرتكب الكبيرة إذا مات ولم يتب منها وحكموا عليه بالخلود فى النار[4] .

مذهب المعتزلة فى الإيمان :-

وأما ما ذهب إليه المعتزلة فى تعريف الإيمان فهو ما ذهب إليه الخوارج أيضا عدا بعض الفروق التى سأشير إليها .

فالمعتزلة يرون أن الإيمان مركب من هذه الأمور الثلاثة : التصديق والقول والعمل ، فإذا أخل المكلف بواحد منها ذهب إيمانه . وأن الإيمان لايزيد ولا ينقص[5] . وهم بهذا يوافقون الخوارج . إلا أن الخوارج يقولون بتكفير مرتكب الكبيرة وتخليده فى النار كما تقدم والمعتزلة وافقوهم فى الشطر الثانى وهو التخليد

---

(١) سيأتى تعريف شامل بالخوارج وفرقهم عند « قول الإمام أحمد في الخوارج » ص : ٣٤٦/٢ .
(٢) انظر : مقالات الإسلاميين :٢٠٤/١ ، وأصول الدين للبغدادى ص : ٢٤٩ .
(٣) الإيمان . ٣٣١/١ .
(٤) انظر : مقالات الإسلاميين : ٢٠٤/١ .
(٥) ولايلتبس هذا على البعض فإن الزيادة والنقصان فى الإيمان والتى أقروها ترجع إلى التكاليف . كما سيأتى بيانه عند الكلام على زيادة الإيمان ونقصانه ص: ٥٦ .

فى النار ، وخالفوهم فى إطلاق القول بتكفير مرتكب الكبيرة فهم يرون أن مرتكب الكبيرة فى منزلة بين المنزلتين[1] بمعنى أنه خرج من الإيمان ولم يدخل فى الكفر[2] .

مرجئة الحنفية :

الإمام أبو حنيفة[3] -رحمه الله -أحد الأئمة الأربعة الذين بذلوا جهوداً كبيرة فى خدمة هذا الدين ولست فى مقام إبراز فضائل هذا الإمام الجليل فهى معروفة للقاصى والدانى . إلا أن شأنه شأن بقية العلماء عرضة فى جميع أقوالهم للصواب والخطأ . وكما قال الإمام مالك رحمه الله : كل يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر - يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة فى الإيمان لم يقره عليه أئمة السلف حيث يرى أن الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان . فهو - رحمه الله - ينكر أن يكون العمل ركنا فى الإيمان ومن أجل هذا نسب إلى الإرجاء[4] . والإمام أحمد يطلق هذه الصفة على كل من أخرج العمل عن الإيمان[5] وعلى من قال الإيمان لا يزيد ولا ينقص[6] . وهو ما أثر عن أبى حنيفة رحمه الله أيضا[7] . أما ما يتعلق بإخراجه

---

(١) سيأتى عرض للأصول الخمسة عند المعتزلة ومن ضمنها المنزلة بين المنزلتين ص : ٣٦٥/٢ .

(٢) انظر : الأصول الخمسة ص :٧٠٧ ، الفصل في الملل لابن حزم : ١٨٨/٣ ، مجموع الفتاوى : ٢٢٣/٧ ، أصول الدين للبغدادى ص : ٢٤٩ .

(٣) هو : النعمان بن ثابت الكوفى ، يقال أصله من فارس ويقال مولى بنى تيم ، فقيه مشهور . توفى سنة خمسين ومئة على الصحيح ، وله سبعون سنة ، تقريب : ٣٠٣/٢ .

(٤) انظر : مقالات الإسلاميين : للأشعرى : ٢٢١/١ ، الملل والنحل لابن حزم : ١٨١/٢ ، وللشهرستانى : ١٤١/١ ، الإيمان لابن تيمية ص : ١١٤ .

(٥) فى رواية حرب الكرمانى وأبى بكر المروذى وأحمد بن الحسين بن حسان وأحمد بن أصرم : لما سئل عن المرجئة - وعند بعضهم - عن المرجىء قال المرجىء الذى يقول الإيمان قول . انظر : السنة للخلال (ق : ٩٤/أ) وانظر : «قول الإمام أحمد في المرجئة » ص : ٣٦٢/٢ .

(٦) في رواية إسماعيل بن سعيد الشالنجى : سألت أحمد عن من قال : الإيمان يزيد وينقص ؟ قال : هذا برىء من الإرجاء . انظر السنة للخلال (ق : ٩٧/أ) وللمزيد انظر : أبواب الزيادة والنقص في الإيمان ص : ٨٩ .

(٧) سيأتى عرض لأقواله فى هذا الجانب عند الكلام على زيادة الإيمان ونقصانه ص : ١٠٢ .

العمل من الإيمان فيبينه بقوله : « ثم العمل غير الإيمان والإيمان غير العمل بدليل أن كثيرا من الأوقات يرتفع العمل عن المؤمن ولايجوز أن يقال : يرتفع عنه الإيمان ، فإن الحائض ترتفع عنها الصلاة ، ولا يجوز أن يقال يرتفع عنها الإيمان ، أو أمر لها بترك الإيمان ، وقد قال لها الشارع دعى الصوم ثم اقضيه ، ولا يصح أن يقال دعى الإيمان ثم اقضيه ، ويجوز أن يقال : ليس على الفقير زكاة ، ولا يجوز أن يقال ليس على الفقير الإيمان[1] » .

ويقول أيضا : « الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان ، والإقرار وحده لا يكون إيمانا ، لأنه لو كان إيمانا لكان المنافقون كلهم مؤمنين ، وكذلك المعرفة وحدها أى مجرد التصديق لا يكون إيمانا لأنها لو كانت إيمانا لكان أهل الكتاب كلهم مؤمنين قال الله تعالى فى حق المنافقين ﴿ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾[2] أى فى دعواهم الإيمان ،حيث لا تصديق لهم . وقال الله تعالى فى حق أهل الكتاب : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾[3][4]

وبعد هذا العرض الموجز لمذهب الإمام أبى حنيفة فى الإيمان ، قد يتساءل البعض هل هذا الإرجاء المنسوب إلى أبى حنيفة من جنس قول غلاة المرجئة : « لا تضر مع الإيمان معصية كما لاتنفع مع الكفر طاعة » ؟ والجواب لا .

يقول شارح الطحاوية : والاختلاف الذى بين أبى حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة اختلاف صورى . فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب ، أو جزءا من الإيمان ،مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لايخرج من الإيمان بل هو فى مشيئة الله ، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه - نزاع لفظى ، لا يترتب عليه فساد اعتقاد[5] .

---

(١) شرح الفقه الأكبر ص :٧٢ .
(٢) سورة المنافقون/١ .
(٣) سورة البقرة/١٤٦ وسورة الأنعام/ ٢٠ .
(٤) شرح الفقه الأكبر ص : ٦٨ .
(٥) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٣٧٤ .

ويقول ابن تيمية : « والمرجئة الذين قالوا : الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان ، والأعمال ليست منه ، كان منهم طائفة فقهاء الكوفة وعبادها ، ولم يكن قولهم مثل قول جهم ، فعرفوا أن الإنسان لا يكون مؤمنا إن لم يتكلم بالإيمان مع قدرته عليه ، وعرفوا أن إبليس وفرعون وغيرهما كفار مع تصديق قلوبهم لكنهم إذا لم يدخلوا أعمال القلوب فى الإيمان لزمهم قول جهم ، وإن أدخلوها فى الإيمان لزمهم دخول أعمال الجوارح أيضا فإنها لازمة لها ولكن هؤلاء لهم حجج شرعية بسببها اشتبه الأمر عليهم»[1] .

ويقول فى موضع آخر : « ومما ينبغى أن يعرف أن أكثر التنازع بين أهل السنة فى هذه المسألة هو نزاع لفظى ، وإلا فالقائلون بأن الإيمان قول من الفقهاء كحماد بن أبي سليمان[2] – وهو أول من قال ذلك ومن اتبعه من أهل الكوفة وغيرهم – متفقون مع جميع علماء السنة على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد ، وإن قالوا : إن إيمانهم كامل كإيمان جبريل فهم يقولون : إن الإيمان بدون العمل المفروض ومع فعل المحرمات يكون صاحبه مستحقا للذم والعقاب ، كما تقوله الجماعة ، ويقولون أيضاً : بأن من أهل الكبائر من يدخل النار كما تقوله الجماعة ، والذين ينفون عن الفاسق اسم الإيمان من أهل السنة متفقون على أنه لايخلد فى النار فليس بين فقهاء الملة نزاع فى أصحاب الذنوب إذا كانوا مقرين باطنا وظاهرا بما جاء به الرسول ، وما تواتر عنه أنهم من أهل الوعيد وأنه يدخل النار منهم من أخبر الله ورسوله بدخوله إليها ، ولا يخلد منهم فيها أحد ، ولا يكونون مرتدين مباحى الدماء ، ولكن الأقوال المنحرفة قول من يقول بتخليدهم فى النار، كالخوارج والمعتزلة، وقول غلاة المرجئة الذين يقولون : ما نعلم أن أحدا منهم يدخل النار ، بل نقف فى هذا كله . اهـ[3] .

ويقول أيضا أى ابن تيمية : لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب فليس لأحد أن يقول بخلاف قول الله ورسوله لا سيما وقد صار ذلك ذريعة

---

(١) الإيمان ص : ١٨٣ .
(٢) أبو إسماعيل صدوق له أوهام . توفى سنة عشرين ومئة أو قبلها. تقريب : ١٩٧/١ .
(٣) الإيمان ص : ٢٨١ – ٢٨٢ .

إلى بدع أهل الكلام من أهل الإرجاء وغيرهم إلى ظهور الفسق فصار ذلك **الخطأ** اليسير فى اللفظ سببا لخطأ عظيم فى العقائد والأعمال فلهذا أعظم القول فى ذم الإرجاء حتى قال إبراهيم النخعى : لفتنهم – يعنى المرجئة – أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة . وقال الزهرى : ما ابتدعت فى الإسلام بدعة أضر على أهله من الإرجاء،وقال الأوزاعى : كان يحيى بن أبى كثير وقتادة يقولان:ليس شىء أخوف عندهم على الأمة من الإرجاء[1] .

وبعد هذه الدراسة الموجزة لآراء الفرق المخالفة فى تعريف الإيمان يتضح أنها قد انحصرت فى خمسة مذاهب :

الأول : أن الإيمان مجرد المعرفة القلبية بالله وهو مذهب الجهمية .

الثانى :أن الإيمان هو : التصديق بالقلب فقط وهو مذهب الماتريدية والأشاعرة .

الثالث : أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط وهو مذهب الكرامية .

الرابع : أن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان وهو مذهب الإمام أبى حنيفة وأتباعه .

الخامس : أن الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح إلا إنه لا يزيد ولاينقص فمتى ذهب بعضه ذهب كله وهو مذهب الخوارج والمعتزلة .

ومن هنا يتضح أن كلا من : المذهب الأول والثانى والثالث والرابع اتفق أصحابه على عدم ركنية العمل فى الإيمان ، وانفرد المذهب الخامس بإدخال العمل إلا أنه جعله أصلاً فى الإيمان . وهذا خلاف مذهب أهل السنة الذين جعلوه فرعا كما سبق إيضاحه ، ثم إن المذهب الأول شذ عن بقية المذاهب فى الإيمان حيث جعله مجرد ما فى القلب من المعرفة بالله . وهذا لم يقله أحد غير الجهمية . لذا نجد الإمام أحمد وغيره يكفرون من اعتقد هذا المعتقد الفاسد .

---

(١) المصدر السابق ص : ٣٧٨ .

كما أن مذهب ابن كرام لا يختلف فى شذوذه عن مذهب الجهم فما ذهب إليه هو والجهم ظاهر البطلان والفساد .

والأشاعرة الذين جعلوا الإيمان ما يقوم بالقلب من التصديق لاشك أن قولهم باطل أيضا إلا أنه أفضل من قول الجهم ، الذى جعل الإيمان ما يقوم بالقلب من المعرفة وقد بينا الفرق بين المعرفة والتصديق .

أما ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة فهو الأقرب إلى مذهب السلف، وما جاء فى رواية صالح - وغيره - أنه سأل أباه عمن لا يرى الإيمان قولا وعملا قال : هؤلاء المرجئة[1] .فقوله هذا يشمل جميع طوائف المرجئة على مختلف مذاهبهم .

ما احتج به الإمام أحمد على دخول الأعمال فى الإيمان

قال أبو بكر الخلال :

٧ - أخبرنى على بن الحسن بن هارون[2] **قال** : حدثنى محمد بن أبى هارون قال : سمعت جعفر بن أحمد بن سام[3] عن أحمد بن حنبل قال : قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حولت القبلة إلى البيت : فكيف بصلاتنا التى صلينا إليها فأنزل الله عز وجل : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾[4] .فسمعت أحمد بن حنبل يقول : فجعل صلاتهم إيمانا؟فالصلاة من الإيمان .

٨ - وأخبرنا أبو بكر المروذى قال : سمعت أبا عبد الله يقول : قال الله عز وجل : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى

(١) السنة للخلال (ق : ٩٣/أ) .

(٢) قال عنه الخطيب : حدث عن إسحاق بن إبراهيم البغوى وعنه الطبرانى ت/ بغداد ٣٧٧/١١ .

(٣) قال عنه الدارقطنى : ثقة مأمون . ت/ بغداد :١٨٢/٧ .

(٤) سورة البقرة/١٤٣ ، وذكر هذا التفسير البخارى :٩٥/١ح :٤٠، ٥٠٢/١ ح: ٣٩٩ ، ١٧١/٨ ح: ٤٤٨٦ ، ١٧٤/٨ ح: ٤٤٩٢ ، ٢٣٢/١٢ ح: ٧٢٥٢ ، والطبرى في التفسير : ١٧/٢ من حديث البراء بن مال، وأبو داود ح: ٤٦٨٠، والترمذى ح: ٢٩٦٤، وقال: حسن صحيح والحاكم ٢٦٩/٢ وصححه وأقره الذهبى من حديث ابن عباس .

الدين ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾[2] وقال : هذا من الإيمان . ثم قال أبو عبد الله : فالإيمان قول وعمل[3] .

وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانىء :

٩ – سمعت أبا عبد الله يتأول هذه الآيات فى الإيمان : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ﴾[4][5] .

وبهذه الآية احتج أيضا لما سأله رجل من خراسان فقال: إن عندنا قوما يقولون الإيمان قول بغير عمل فقال : ما يقرؤون من كتاب الله . فذكر الآية[6] . وكذا احتج بها فى كتابه إلى أبى عبد الرحيم الجوزجانى .

١٠ – واحتج أيضا بقوله تعالى : ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾[7][8] .

وقال أبو بكر الخلال :

١١ – أخبرنا محمد بن المنذر بن عبد العزيز[9] :ثنا أحمد بن الحسن الترمذى قال : أملى علينا أبو عبد الله :...أما ما ذكرت من قول من يقول : إنما الإيمان قول ، هذا قول أهل الإرجاء قول محدث لم يكن عليه سلفنا ومن يقتدى به وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ما يقوى أن الإيمان قول وعمل . ثم ذكر حديث ابن عباس فى وفد عبد القيس .

---

(١) سورة التوبة/١١ .

(٢) جاءت هذه الآية فى سورة البقرة/٤٣ ، ٨٣ ، ١١٠ ، والنساء/٧٧ ، والنور /٥٦ ، والمزمل/٢٠ .

(٣) السنة (ق : ٩٨/ب – ٩٩/أ) وانظر الإبانة الكبرى لابن بطة :٧٣٨/٢ .

(٤) سورة البينة/٤ .

(٥) مسائل ابن هانئ ١٦٣/٢ .

(٦) السنة للخلال (ق ٩٩/أ) .

(٧) سورة/الحجرات آية :١٥ .

(٨) السنة للخلال (ق ١٠٨/ب) .

(٩) لعله محمد بن المنذر البغدادى . انظر تاريخ بغداد :٣٠٠/٣ .

* وبهذا الحديث احتج أيضا لما سئل عن الإيمان كما فى رواية أبى بكر المروذى[1] .

١٢ –وبه وبغيره احتج الإمام أحمد – فى كتابه إلى أبى عبد الرحيم الجوزجانى – على أن الأعمال من الإيمان فقال : « وقد سأل وفد عبد القيس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال : «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن يعطوا الخمس من المغنم »[2] فجعل ذلك كله من الإيمان .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم :«والحياء شعبة من الإيمان »[3] وقال : « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا »[4] . وقال : « إن البذاذة من الإيمان »[5].

---

(١) السنة لأبى بكر الخلال : (ق : ١٠٦/ب – ١٠٧/أ) .

(٢) أخرجه أحمد :٢٣/٣ ، ١٣٠/٤ ، والبخارى :١٢٩/١ح : ٥٣ ، ٥٤٠/٦ح :٣٥١٠ ، ٨٤/٨ – ٨٥ح : ٤٣٦٨ ، ٥٦٢/١٠ ح : ٦١٧٦ ومسلم : ٤٦/١ح : ٢٣ ، ٤٧/١ ح :٢٤ ، ٤٨/١ح : ٢٥ ، وأبو داود ٩٤/٤ .

(٣) أخرجه أحمد :٤١٤/٢ ، ٤٤٢ ، والترمذى : ١٠/٥ وقال حديث حسن صحيح ، وابن ماجه فى المقدمة ٢٢/١ . من حديث أبى هريرة . وأخرج أحمد ٥٦/٢ والبخارى : ٧٤/١ ومسلم : ٦٣/١ وأبو داود : ١٤٧/٥ ، والنسائى ح : ٢٦١٥ وابن ماجه ح : ٥٨ والترمذى : ح : ٢٦١٥ عن ابن عمر أن رجلا من الأنصار كان يعظ أخاه فى الحياء فقال ﷺ :« دعه فإن الحياء من الإيمان » . قال الإمام أحمد : هذا الحديث شديد على المرجئة وحجة عليهم . انظر : السنة للخلال : (ق : ١١٠/ب) .

(٤) أخرجه أحمد :٢٥٠/٢ ، ٤٧٢ وأبو داود : ٦٠/٥ والترمذى : ٤٦٦/٣ وزاد : « وخياركم خياركم لنسائهم خلقا» . وقال حسن صحيح وابن أبى شيبة فى الإيمان ص : ٨ والحاكم ٣/١ . من حديث أبى هريرة .

(٥) أخرجه أحمد فى الزهد ص :٧ وأبو داود : ٣٩٤/٢ وابن ماجه : ١٣٧٩/١ ح :٤١١٨ والطبرانى فى المعجم الكبير ٢٧١/١ ح ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ والحاكم : ٩/١ – وقال : احتج مسلم بصالح ابن أبى صالح السمان ووافقه الذهبى – من حديث أبى أمامة الحارثى ، وأخرجه العدنى فى الإيمان ص: ١٢، والحميدى ١٧٣/١ عن غيره. قال المناوى: «قال الحافظ العراقى فى أماليه: حديث حسن » . وقال الديلمى هو صحيح وقال ابن حجر فى الفتح بعد عزوه : حديث صحيح » . فيض القدير : ٢١٧/٣ .

وقال: «الإيمان بضع وسبعون بابا ادناها إماطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا إله إلا الله »[(1)] . مع أشياء كثيرة[(2)] ».

التعليق :

كما قدمت فى نهاية المبحث السابق أن الإمام أحمد يركزفى رده على المرجئة على القاسم المشترك بينهم وهو : إنكارهم أن يكون العمل من الإيمان ، وهو هنا يحتج عليهم ببعض الآيات والأحاديث الدالة صراحة على ما ذهب إليه أهل السنة من دخول الأعمال فى الإيمان وما نقلناه عن الإمام أحمد ما هو إلا غيض من فيض مما يحتج به عليهم من دخول الأعمال فى الإيمان .

يقول الآجرى : إنكم إن تدبرتم القرآن كما أمركم الله عز وجل ، وعلمتم أن الله عز وجل أوجب على المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله العمل ، وأنه عز وجل لم يثن على المؤمنين بأنه قد رضى عنهم وأنهم قد رضوا عنه ، وأثابهم على ذلك الدخول إلى الجنة والنجاة من النار إلا بالإيمان والعمل الصالح وقرن مع الإيمان العمل الصالح ، لم يدخلهم الجنة بالإيمان وحده ، حتى ضم إليه العمل الصالح الذى قد وفقهم إليه فصار الإيمان لا يتم لأحد حتى يكون مصدقا بقلبه وناطقا بلسانه وعاملا بجوارحه لايخفى على من تدبر القرآن وتصفحه وجده كما ذكرت واعلموا - رحمنا الله وإياكم - أنى قد تصفحت القرآن فوجدت فيه ما ذكرته فى ستة وخمسين موضعا من كتاب الله عز وجل .اهـ. وقد ذكر رحمه الله تلك المواضع جميعها [(3)] .

وحديث وفد عبد القيس من الأدلة القوية التى ذهب إليها الإمام أحمد فقد نقل عنه احتجاجه بهذا الحديث فى عدة روايات .

---

(1) أخرجه أحمد : ٤١٤/٢ ، ٤٤٥ والبخارى : ٥١/١ ومسلم : ٦٣/١ والترمذى : ١٠/٥ وأبو داود : ٥٥/٥ . من حديث أبى هريرة بألفاظ متقاربة .

(2) انظر كتابه إلى أبى عبد الرحيم وما جاء فيه فى السنة للخلال : (ق : ١٠٨/ب) .

(3) انظر : الشريعة من ص :١٢٢ - ١٣٢ .

قال شارح الطحاوية بعد ذكره لهذا الحديث : « ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيمانا بالله بدون إيمان القلب ، لما قد أخبر فى مواضع أنه لابد من إيمان القلب فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان . وأى دليل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان فوق هذا الدليل فإنه فسر الإيمان بالأعمال ولم يذكر التصديق ، للعلم بأن هذه الأعمال لا تفيد مع الجحود »[1] .

وحديث شعب الإيمان من الأدلة القوية التى ذهب إليها أيضا . ذكر ابن مندة عن محمد بن نصر المروزى[2] : « وقد جاء الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : **الإيمان بضع وسبعون أو ستون شعبة أفضلها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان** فجعل الإيمان شعبا بعضها باللسان والشفتين وبعضها بالقلب وبعضها بسائر الجوارح فشهادة أن لا إله إلا الله فعل اللسان تقول : شهدت أشهد شهادة والشهادة فعله بالقلب واللسان لا اختلاف بين المسلمين فى ذلك ، والحياء فى القلب ، وإماطة الأذى عن الطريق فعل سائر الجوارح »[3] .

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٣٨٩ .
(٢) ثقة حافظ إمام مصنف توفى سنة ٣٩٤هـ. تقريب : ٢١٣/٢ .
(٣) الإيمان : ٣٣١/١ - ٣٣٢ .

قول الإمام أحمد فيما احتجت به المرجئة من الأحاديث

قال أبو بكر الخلال :

١٣ – أخبرنى محمد بن على قال : ثنا أبو بكر الأثرم أنه قال لأبى عبد الله فى الحديث الذى يروى : « أعتقها فإنها مؤمنة»[١]. قال : ليس كل أحد يقول فيه « إنها مؤمنة » يقولون : « أعتقها » قال :ومالك سمعه من هذا الشيخ هلال ابن على[٢] **لا يقول «فإنها مؤمنة» قال: وقد قال بعضهم: «فإنها مؤمنة». فهى** حين تقر بذلك فحكمها حكم المؤمنة .هذا معناه .

وهكذا أجاب لما سأله إبراهيم بن الحارث العبادى[٣][٤] .

---

(١) أخرجه مسلم :٣٨١/١ح : ٣٣ وأبو داود : ٥٧٢/١ح ٩٣٠ وأحمد : ٤٤٧/٥ ، ٤٤٨، ٤٤٩ من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه . ورواه أحمد أيضا من حديث أبى هريرة : ٢٩١/٢ ولفظ مسلم : قال – أى معاوية بن الحكم – وكانت لى جارية ترعى غنماً قبل أحد والجوانية فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها ، وأنا رجل من بنى آدم آسف كما يأسفون . لكنى صككتها صكة . فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك على ، قلت يا رسول الله! أفلا أعتقها قال : « ائتنى بها » فأتيته بها . فقال لها : أين الله ؟ قالت : فى السماء . قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله . قال : « أعتقها فإنها مؤمنة » .

(٢) هو : هلال بن على بن أسامة العامرى مولاهم ، ينسب إلى جده ، ثقة توفى سنة بضع عشرة ومئة . تقريب : ٣٢٤/٢. وحديث مالك فى الموطأ ص :٤٨٥ ح : ٨ وفى إسناده : هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار عن عمر بن الحكم قال : أتيت رسول الله ﷺ ... قال الزرقانى : كذا قال مالك ، وهو وهم عند جميع علماء الحديث ، وليس فى الصحابة عمر بن الحكم ، وإنما معاوية بن الحكم . كما قال كل من روى هذا الحديث عن هلال أو غيره . ومعاوية بن الحكم معروف فى الصحابة وحديثه هذا معروف . وأما عمر بن الحكم فتابعى أنصارى مدنى معروف . يعنى فلا يصح أنه قال : أتيت رسول الله ﷺ ، فقلت : إن لى جارية . شرح الموطأ ٨٤/٤ .

(٣) هو : إبراهيم بن الحارث بن مصعب بن الوليد بن عبادة بن الصامت . قال عنه أبو بكر الخلال : كان من كبار أصحاب أبى عبد الله وكان أحمد يعظمه ويرفع قدره وعنده عن أبى عبد الله أربعة أجزاء مسائل . طبقات الحنابلة : ٩٤/٢ .

(٤) السنة (ق ٩٥/ب) ورواية الأثرم ذكرها ابن تيمية في الإيمان ص : ٢٤٣ نقلا من كتاب السنة للأثرم .

١٤ - أخبرنى عبد الملك بن عبد الحميد الميمونى قال : سمعت أحمد بن حنبل يوما.وذكر هذا الحديث يعنى حديث الجارية التى أتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هم يحتجون به يعنى المرجئة وهو حجة عليهم يعنى المرجئة . يقولون : الإيمان قول : النبى صلى الله عليه وسلم لم يرض منها حتى قال : تؤمنين بكذا تؤمنين بكذا .

١٥ - كتب إلىَّ يوسف بن عبد الله[١] : أن الحسن بن على بن الحسين[٢] حدثهم أن أبا عبد الله قال فى الحديث : « أعتقها فإنها مؤمنة » قال :مالك لا يقول « فإنها مؤمنة » قال أبو عبد الله : يمكن أن يكون هذا قبل أن تنزل الفرائض[٣] .

التعليق :

بعد أن أوردت بعض ما احتج به الإمام أحمد على المرجئة المنكرين دخول الأعمال فى الإيمان أتبعته ببعض الأحاديث التى تعلق بها المرجئة مدعين أنها تدل على أن الأعمال ليست من الإيمان . ومن هذه الأحاديث حديث الجارية المتقدم . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : وأما احتجاجهم بحديث الجارية فهو من حججهم المشهورة وبه احتج ابن كلاب[٤] اهـ.

وقد أجاب الإمام أحمد - كما تقدم آنفا - بأجوبة ثلاث حول معنى الحديث :

---

(١) هو الإسكافى . كما جاء فى غير موضع من هذا الكتاب وغيره من كتب الخلال . ولم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه من المصادر .

(٢) هو : الحسن بن على بن الحسين ابن الاسكافى ، أبو على ، ذكره الخلال فقال : جليل القدر عنده عن أبى عبد الله مسائل صالحة حسان كبار أغرب فيها على أصحابه . طبقات الحنابلة : ١٣٦/١ .

(٣) السنة : (ق ٩٥/ب) .

(٤) مجموع الفتاوى :٢٠٩/٧ .

الجواب الأول : أن حكمها حكم المؤمنة . ومقصود الإمام أحمد إعطاؤها حكم أهل الإيمان المترتب عليه إجراء الأحكام الدنيوية وهو ما ذهب إليه الخطابى وابن تيمية حيث يقول الخطابى : « وأما قول النبى صلى الله عليه وسلم :« أعتقها فإنها مؤمنة » ولم يكن ظهر له من إيمانها أكثر من قوله حين سألها أين الله ؟ فقالت : فى السماء . وسألها من أنا ؟ فقالت : رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن هذا السؤال عن أمارة الإيمان وسمة أهله ، وليس بسؤال عن أصل الإيمان وصفته وحقيقته[1] ....

ويقول ابن تيمية : «...وهذا لا حجة فيه ، لأن الإيمان الظاهر الذى تجرى عليه الأحكام فى الدنيا لا يستلزم الإيمان فى الباطن الذى يكون صاحبه من أهل السعادة الآخرة »[2] .

الجواب الثانى : أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يرض منها حتى قال : « تؤمنين بكذا وكذا » يشير بذلك إلى ما رواه بسنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن رجل من الأنصار وفيه : « أتشهدين أن لا إله إلا الله ؟ قالت : نعم . قال أتشهدين أنى رسول الله ؟ قالت : نعم . قال أتؤمنين بالبعث ؟ قالت : نعم . قال « أعتقها »[3] .

الجواب الثالث : أن تكون هذه الحادثة قبل أن تنزل الفرائض .

وبهذا التفسير يتضح أنه لا حجة لهم فيه بل قد يكون حجة عليهم كما ذكر الإمام أحمد .

(١) معالم السنن مع سنن أبى داود : ٥٧٣/١ .
(٢) مجموع الفتاوى : ٢٠٩/٧ – ٢١٠ .
(٣) المسند : ٤٥١/٣ .

قول الإمام أحمد فى زيادة الإيمان ونقصانه

قال إسحاق بن إبراهيم بن هانىء :

١٦ – سمعت أبا عبد الله يقول : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص[(١)] .

* وروى مثله عن أحمد : أبو بكر المروذى وعبد الملك الميمونى وأبو داود السجستانى وحرب الكرمانى[(٢)] ويوسف بن موسى[(٣)] ومحمد بن أحمد بن واصل[(٤)] والحسن بن محمد[(٥)] وأبو الحارث الصائغ[(٦)] والفضل بن زياد[(٧)] وحنبل ابن إسحاق[(٨)] ومحمد بن حبيب الأندرانى[(٩)] .وغيرهم .

التعليق :

ما ذهب إليه الإمام أحمد من القول بزيادة الإيمان ونقصه هو مذهب أئمة السلف[(١٠)] وذلك تبعا لقولهم إن الأعمال من الإيمان فالإيمان يزيد بالطاعات

---

(١) مسائل ابن هانىء ٢/١٦٢ وأخرجه الخلال فى السنة : (ق ٩٢/ أ) وذكره أبو يعلى ابن الفراء في كتابه الإيمان (ق ٨/ب) .

(٢) هو : حرب بن خلف الحنظلي الكرمانى قال عنه أبو بكر الخلال : رجل جليل حثنى أبو بكر المروذى على الخروج إليه.. وكان رجلاً كبيرا نقل عن أبى عبد الله مسائل كثيرة . طبقات الحنابلة : ١/١٤٥ .

(٣) هو : يوسف بن موسى بن راشد القطان ، صدوق . تقريب : ٢/٣٨٣ .

(٤) هو : المقرىء ، قيل اسمه أحمد بن محمد قال عنه أبو بكر الخلال : عنده عن أبى عبد الله مسائل حسان . توفى سنة ثلاث وسبعين ومئتين . تاريخ بغداد : ١/٣٦٧ ، طبقات الحنابلة : ١/٢٦٣.

(٥) هناك أكثر من واحد نقل عن أحمد وهو بهذا الاسم ، ولم يبينه الخلال هنا. انظر طبقات الحنابلة: ١/١٣٨ .

(٦) روايات هؤلاء فى السنة للخلال : (ق٩٧/أ) .

(٧) انظر : طبقات الحنابلة : ١/٢٥٣ .

(٨) انظر شرح اعتقاد الإمام أحمد لابن شكر ص : ١٣ .

(٩) انظر : طبقات الحنابلة : ١/٢٩٥ .

(١٠) روى الإمام أحمد عن أبى هريرة وأبى الدرداء هذا القول . (انظر : السنة للخلال : (ق : ١٠٩/أ) . وكذلك رواه الآجرى عن بعض الصحابة . (انظر : الشريعة ص :١١) .

وينقص بالمعاصى والزيادة والنقص كما تكون فى أعمال الجوارح كذلك تكون فى أعمال القلوب[(١)] .

قال الإمام البخارى : لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف فى أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص[(٢)] .

قول الإمام أحمد فى معنى الزيادة والنقصان فى الإيمان

قال أبو بكر الخلال :

١٧ - أخبرنا محمد بن على : قال ثنا صالح[(٣)] قال : سألت أبى ما زيادته ونقصانه ؟ قال : زيادته العمل ، ونقصانه ترك العمل مثل تركه الصلاة والزكاة والحج وأداء الفرائض فهذا ينقص ويزيد بالعمل وقال : إن كان قبل زيادته تاما فكيف يزيد التام فكما يزيد كذا ينقص وقد كان وكيع قال : ترى إيمان الحجاج مثل إيمان أبى بكر وعمر رحمهما الله [(٤)]

نحو هذا روى عنه :

١٨ - أبو داود قال : سمعت أحمد يقول ... « الصلاة والزكاة والحج » والبر كله من الإيمان والمعاصى تنقص من الإيمان[(٥)] .

١٩ - ابنه عبد الله قال : سمعت أبى ... « إذا زنى وشرب الخمر نقص إيمانه »[(٦)] .

---

(١) كما سيأتى إيضاحه عند الكلام على معنى الزيادة والنقص فى المبحث التالى .

(٢) فتح البارى : ٤٧/١ وانظر فى هذا المعنى : شرح السنة للبغوى : ٣٨/١ - ٣٩ والتمهيد لابن عبد البر ٢٣٨/٩ ومسلم بشرح النووى : ١٤٦/١ .

(٣) هو : صالح بن أحمد بن حنبل . انظر ترجمته ص : ٢٤م .

(٤) السنة للخلال : (ق : ٩٨/ب) .

(٥) مسائل أبى داود (ق : ٢٥٥/م) وفى المطبوع ص : ٢٧٢ .

(٦) السنة لعبد الله (ق ٣٦/أ ،ظ) وفى المطبوع ص : ٨١ .

٢٠ - الفضل بن زياد أنه سمع أبا عبد الله يقول ... «إنما الزيادة والنقصان فى العمل كيف يكون حاله إذا قتل النفس أليس قد أوجب له النار كيف يكون حاله إذا ارتكب الموبقات »[(١)] .

٢١ - وقال أيضا : سمعت أبا عبد الله يقول ... « سمعت وكيعا يقول الإيمان يزيد وينقص »[(٢)] .

٢٢ - أحمد ابن القاسم قال : قلت : « يا أبا عبد الله تقول الإيمان يزيد وينقص ؟ قال : نعم . قلت : فيكون ذاك من هذا المعنى أن يكون الرجل إذا أتى هذه الأشياء التى نهى عنها يكون أنقص ممن لم يفعلها ويكون هذا أكثر إيمانا منه ؟ قال : نعم يكون الإيمان بعضه أكثر من بعض هكذا هو »[(٣)] .

٢٣ - أبو بكر المروذى قال : سمعت أبا عبد الله يقول : « الزيادة فى العمل - وذكر - النقصان إذا سرق وإذا زنى »[(٤)] .

٢٤ - محمد بن موسى أنه سمع أبا عبد الله يقول : « إذا عملت الخير زاد وإذا ضيعت نقص »[(٥)] .

٢٥ - محمد بن عوف الطائى قال : « أملى علىّ أحمد بن حنبل : والإيمان .. ينقص بقلة العمل ويزيد بكثرة العمل »[(٦)] .

٢٦ - الحسن بن إسماعيل الربعى قال : « قال أحمد : والإيمان .. يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية »[(٧)] .

---

(١) السنة للخلال : (ق ٩٨/ب) .
(٢) أخرجها ابن بطة في الإبانة الكبرى :٧٣٨/٢ .
(٣) السنة للخلال : (ق ٩٩/ب) .
(٤) المصدر السابق . .
(٥) المصدر نفسه .
(٦) طبقات الحنابلة : ٣١٣/١ .
(٧) المصدر السابق ١٣٠/١ .

٢٧ - حنبل بن إسحاق قال : قلت لأبى عبد الله إذا أصاب الرجل ذنبا من زنا أو سرقة يزايله إيمانه ؟ قال : هو ناقص الإيمان فخلع منه كما يخلع الرجل من قميصه فإذا تاب وراجع عاد إليه إيمانه »[١] .

التعليق :

مما سبق من روايات يتضح أن الإمام أحمد أرجع الزيادة والنقص إلى العمل ذاته . وهذا الأمر متفق عليه بين السلف، والزيادة والنقص كما هى بالنسبة للعمل كذلك تكون بالنسبة للتصديق والمعرفة وهذا ما سيأتى بيانه عند: (قول الإمام أحمد فى المعرفة هل تزيد وتنقص)[٢] ومعنى الزيادة والنقص فى الإيمان واضح فكما قدمت أن الإيمان قول واعتقاد وعمل . فالأعمال من الإيمان ومن المسلم به عدم تساوى الناس فى الالتزام بأداء ما أمروا به والانتهاء عما نهوا عنه والناس بالنسبة لذلك على ثلاثة أقسام : ملتزم ومقصر ومفرط ؛ فالملتزم هو أكمل إيمانا من المقصر ؛ والمقصر أكمل إيمانا من المفرط وبالتالى يكون المقصر والمفرط أنقص إيمانا من الملتزم وهكذا ... فليس من المعقول أن يكون الملتزم التزاما كاملا بالأمر والنهى متساويا فى الإيمان مع المقصر والمفرط فى الأوامر والواجبات المنتهك للحرمات .

هذا بالنسبة للأمر والنهى وأقصد بالأمر الفرائض والواجبات التى إن أخل بها المكلف أثم وبالنهى عن المحرمات التى إن قارفها أثم أيضا . وقد يوصف بالفسق ونقص الإيمان . هذا فى الدنيا أما فى الآخرة إذا لم يتب فأمره إلى الله عز وجل إن شاء عفا عنه ابتداءا وإن شاء عذبه .

أما بالنسبة لبقية الطاعات والنوافل فهى أيضا تزيد فى الإيمان .

فكما أن العمل من الإيمان فكذلك هى من كمال الإيمان فمن أتى بها على الوجه المشروع فهو أكمل إيمانا ممن فرط فيها[٣] . والله تعالى أعلم .

---

(١) السنة للخلال : (ق : ١٠٣/أ) .
(٢) انظر ص : ١٠٤ .
(٣) وراجع ص : ٥٠ .

اختلاف عبارات السلف فى الزيادة والنقصان
وقول الإمام أحمد فى ذلك

قال إسحاق بن إبراهيم بن هانىء :

٢٨ – سمعت أبا عبد الله سأل ابن أبى رزمة[١] ما كان أبوك[٢] يقول عن عبد الله بن المبارك[٣] فى الإيمان ؟ قال : كان يقول : الإيمان يتفاضل . قال أبو عبد الله : يا عجباه إن قال لكم : يزيد وينقص رجمتموه وإن قال يتفاضل تركتموه وهل شىء يتفاضل إلا وفيه الزيادة والنقصان[٤] .

٢٩ – وفى رواية أبى بكر المروذى قيل له[٥]: كان ابن المبارك يقول يزيد وينقص ؟ فقال : كان يقول : الإيمان يتفاضل[٦] .

التعليق :

توقف بعض السلف عن التصريح بلفظ الزيادة والنقص ، والعدول إلى لفظ التفاضل مثلا لا يعنى – كما هو واضح – اختلافا بينهم فى أن الإيمان يزيد وينقص . والخلاف إنما هو فى اللفظ فقط وإلا فإن التفاضل يعنى الزيادة والنقص كما هو معروف من لغة العرب .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ولهذا كان أهل السنة والحديث على أنه يتفاضل وجمهورهم يقولون : يزيد وينقص ... وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان

---

(١) هو : محمد بن عبد العزيز ، المرزوى ، ثقة توفى سنة مئتين واحدى وأربعين . تقريب : ١٨٦/٢ .

(٢) أبوه عبد العزيز بن أبى رزمة ، ثقة ،توفى سنة ست ومئتين . تقريب :٥٠٩/٢ .

(٣) المروزى : مولى بنى حنظلة ، ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد . توفى سنة إحدى وثمانين ومئة . تقريب ٤٤٥/١ .

(٤) مسائل ابن هانىء : (١٢٧/٢) .

(٥) أى الإمام أحمد .

(٦) السنة للخلال : (ق ٩٧/ب) .

منه عن الصحابة ولم يعرف فيه مخالف من الصحابة[1] . ويقول أيضا : وبعضهم عدل عن لفظ الزيادة والنقصان إلى لفظ التفاضل فقال : أقول الإيمان يتفاضل ويتفاوت ، ويروى عن ابن المبارك وكان مقصوده الإعراض عن لفظ وقع فيه النزاع إلى معنى لا ريب فى ثبوته[2] .

بعض ما احتج به الإمام أحمد على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة

٣٠ – فى كتابه إلى أبى عبد الرحيم الجوزجانى قال : ثم ما وصف الله تبارك وتعالى فى كتابه من زيادة الإيمان فى غير موضع مثل قوله : ﴿ هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾[3] وقال : ﴿ ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ﴾[4] وقال : ﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾[5] وقال : فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم وهم يستبشرون ﴾[6] .

ثم قال : فإن زعموا أنهم لا يقبلون زيادة الإيمان من أجل أنهم لا يدرون ما زيادته ، وأنها غير محدودة ، فما يقولون فى أنبياء الله وكتبه ورسله ؟ هل يقرون بهم فى الجملة ويزعمون أنه من الإيمان؟ فإن قالوا : نعم . قيل لهم : هل تجدونهم أو تعرفوا[7] عددهم أليس إنما يصيرون فى ذلك إلى الإقرار بهم فى الجملة ثم يكفوا[8] عن عددهم وكذلك زيادة الإيمان[9] .

---

(١) مجموع الفتاوى : ٢٢٤/٧ .

(٢) مجموع الفتاوى : ٥٠٦/٧ – ٥٠٧ .

(٣) سورة الفتح/٤ . وقد نقل ابن هانئ احتجاجه بهذه الآية . انظر : مسائل ابن هانئ : ١٦٣/٢ .

(٤) سورة المدثر/ ٣١ .

(٥) سورة الأنفال/ ٢ .

(٦) سورة التوبة/ ١٢٤ .

(٧) في كتاب الإيمان لابن تيمية ص : ٣٩١ « هل تجدونهم وتعرفون » .

(٨) في كتاب الإيمان لابن تيمية ص : ٣٩١ « يكفون » .

(٩) السنة للخلال : (ق ١٠٨/ب – ١٠٩/أ) .

قال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ

٣١ – سألته عن الإيمان ما نقصانه قال : نقصانه قول النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن »[١][٢] .

وقال أبو بكر الخلال :-

٣٢ – أخبرنى عبد الملك بن عبد الحميد أنه : سمع أبا عبد الله ذكر الكتاب فى الحياء وذكر قول جرير[٣] وذكر النقصان « يخرج من النار من فى قلبه مثقال حبة » وقوله : « لايزنى الزانى » .

٣٣ – أخبرنى عبد الملك بن عبد الحميد قال : قال أبو عبد الله : جرير ابن عبد الله آخر من أسلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول : بايعت النبى صلى الله عليه وسلم على النصح فيكون النصح والحياء من الإيمان .

٣٤ – أخبرنا محمد بن على قال: ثنا أبو بكر الأثرم قال : قيل لأبى عبد الله (فقول)[٤] الإيمان يزيد وينقص فقال : حديث النبى صلى الله عليه وسلم يدل على ذلك قوله: «أخرجوا من كان فى قلبه كذا »[٥] فهذا يدل على ذاك[٦] .

---

(١) أخرجه البخارى :١١٩/٥/ح : ٣٤٧٥ ، ٣٠/١٠ ح : ٥٥٧٨ و٥٨/١٢ ح: ٦٧٧٢ و١١٤/١٢ ح :٦٨١) ومسلم ٨٦/١ ح :١٠١ و٧٧/١ ح :١٠٤ ، ١٠٥ ، وأحمد :٣٧٦/٢ ، ٣٨٦ ، ٤٧٩ ، ٣٤٦/٣ ، ١٣٩/٦ ، من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

(٢) مسائل ابن هانئ : ١٦٤/٤ .

(٣) حديث جرير أخرجه البخارى : ١٩٣/١٣ح : ٧٢٠٤ ومسلم ٧٥/١ . بايعت النبى ﷺ على السمع والطاعة فلقننى : « فيما استطعت والنصح لكل مسلم »وعند أحمد : بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والسمع والطاعة والنصح لكل مسلم. ونحوه عند مسلم أيضا : ٧٥/١ .

(٤) هكذا فى الأصل والأوفق « فالقول » .

(٥) سيأتى فى التعليق ذكر هذه الأحاديث .

(٦) السنة للخلال : (ق : ٩٩) . والرواية الأخيرة ذكرها ابن تيمية فى الإيمان ص : ٢٤٢ نقلا من كتاب السنة للأثرم .

التعليق :

الإمام أحمد يحتج على زيادة الإيمان ونقصانه بالكتاب والسنة[1] كما مر آنفا . والآيات القرآنية الدالة صراحة على زيادة الإيمان كثيرة . تقدم احتجاج الإمام أحمد ببعضها ، والإمام البخارى ذكر فى صحيحه بعض هذه الآيات فمما ذكره زيادة على ما تقدم ما بدأ به فى كتاب الإيمان حيث يقول : وهو قول وفعل يزيد وينقص قال تعالى : ﴿ وزدناهم هدى ﴾[2] ﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴾[3] ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾[4] وقوله جل ذكره : ﴿ فاخشوهم فزادهم إيمانا ﴾[5] وقوله تعالى : ﴿ وما زادهم إلا إيمانا وتسليما ﴾[6] .اهـ .

فهل يسوغ لأحد أن ينكر الزيادة فى الإيمان بعد هذه الأدلة الصريحة ثم إن السلف الصالح كما استدلوا بهذه الآيات على الزيادة فقد رأوا أنها تفيد النقص أيضا كما سيأتى بيانه عند « قول الإمام أحمد فيمن قال : يزيد ولا ينقص »[7] .

وأما الأدلة من السنة على الزيادة والنقص فهى صريحة أيضا ومن الكثرة بمكان وقد ذكرت استشهاد الإمام أحمد ببعضها هنا وعند الكلام على : دخول الأعمال فى الإيمان [8] كحديث شعب الإيمان . وهو من أشهر الأدلة ، وفى حديث الشفاعة ما يروى الغليل .

---

(١) انظر : رسالة الإمام أحمد إلى أبى عبد الرحيم الجوزجانى حيث احتج بأحاديث أخر . (السنة للخلال : ق : ١٠٨/ب) .
(٢) سورة الكهف/ ١٣ .
(٣) سورة مريم/٧٦ .
(٤) سورة محمد/١٧ .
(٥) سورة آل عمران ١٧٣ .
(٦) سورة الأحزاب/٢٢ .
(٧) انظر ص : ٩٨ .
(٨) انظر ص : ٨١ .

فقد روى البخارى[1] ، ومسلم[2] عن أنس بن مالك فى حديث الشفاعة : « ... فأقول أمتى فيقال لى : انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها فأنطلق فأفعل ثم أعود إلى ربى فأحمده تلك المحامد ثم أخر له ساجدا ، فيقال لى : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول : يا رب أمتى أمتى فيقال لى انطلق فمن كان فى قلبه أدنى أدنى من مثقال حبةمن خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل » هذا لفظ مسلم .

وروى البخارى[3]، ومسلم[4] من حديث أبى سعيد الخدرى يرويه عن النبى صلى الله عليه وسلم : «... فيقول الله تعالى : اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ويحرم الله صورهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غاب فى النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون فيقول : اذهبوا فما وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون ، فيقول : اذهبوا فما وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون من عرفوا » . هذا لفظ البخارى .

ومما احتج به حديث : « لا يزنى الزانى » : يقول النووى تعليقا عليه فى باب نقصان الإيمان بالمعاصى[5] « هذا الحديث مما اختلف العلماء فى معناه فالقول الصحيح الذى قاله المحققون أن معناه لا يفعل هذه المعاصى وهو كامل الإيمان وهذا من الألفاظ التى تطلق على نفى الشىء ويراد نفى كماله ومختاره[6] .اهـ .

---

(١) فى الصحيح ١٣/٤٧٤ ح :٧٥١٠ .
(٢) فى الصحيح ١/١٨٢ .
(٣) فى الصحيح ١٣/٤٢١ح : ٤٧٣٩ .
(٤) فى الصحيح ١/١٦٩ - ١٧٠ح : ٣٠٢ .
(٥) فى شرح صحيح مسلم : ٢/٤١ .
(٦) انظر : قول الإمام أحمد - وغيره - فى معنى الحديث عند بعض ما احتج به الإمام أحمد على تفريقه بين الإسلام والإيمان ص : ١٠٩ .

والمنكرون للزيادة والنقص احتجوا بأمور ومنها قولهم : إن النوافل لا غاية لها فلو كانت من الإيمان لم يوصف كل واحد بأنه كامل الإيمان حتى الأنبياء صلوات الله عليهم ولوجب وصف الكل بأنهم ناقصو الإيمان وهذا مستنكر عند المسلمين .

وقد أجاب القاضى أبو يعلى على هذا القول بعد إيراده فقال :الجواب إن ترك النوافل التى ليست براتبة مع الفرائض لا يوجب نقصان إيمانه ولا نصفه بنقصان الإيمان[1] . لأن النقصان يفيد الذم وليس لذلك مدخل فى الذم وإذا كان كذلك لم يصح ما قالوه من أنه يفضى إلى نفى كمال الاسم فى حق الجماعة لأنه إنمايننتفى بما يفيد الذم وذلك يحصل فى أشياء محصورة : الواجبات والمسنونات الراتبة إذا داوم على تركها وفعل المنهيات صغيرها وكبيرها وقد ذكر أحمد – رحمة الله عليه– معنى هذا السؤال فى كتابه إلى أبى عبد الرحيم محمد بن أحمد ابن الجراح الجوزجانى وأجاب عنه[2] .

قول الإمام أحمد فيمن قال :يزيد ولا ينقص

قال إسحاق الكوسج :

٣٥ – سئل أحمد عن الإيمان . فقال : يزيد وينقص . قلت : ينقص ؟ قال : ينقص[3] .

٣٦ – وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ : وسمعته يقول أيش كان الإيمان أليس كان ناقصا فجعل يزيد[4] .

---

(١) كما أشرت سابقاً أن النوافل والطاعات من أتى بها فهو أكمل إيمانا ممن تركها وإن كان تاركها لايوصف بنقصان الإيمان .

(٢) الإيمان للقاضى أبى يعلى (ق ١٥/ب) .

(٣) مسائل الكوسج (٢/١٧٩ – ن ، المصرية) .

(٤) مسائل ابن هانئ ٢/١٦٢ . وانظر : رواية صالح السابقة .

وقال أبو بكر الخلال :

٣٧ - أخبرنى زكريا بن الفرج[١] عن أحمد بن القاسم قال : ...تذاكرنا[٢] من قال الإيمان يزيد وينقص . فعد غير واحد ثم قال : ومالك بن أنس يقول يزيد وينقص . فقلت له إن مالكا يحكون عنه أنه قال : يزيد ولا ينقص . فقال : بلى قد روى عنه يزيد وينقص . كان ابن نافع يحكيه عن مالك فقلت له : ابن نافع حكى عن مالك ؟ قال نعم[٣][٤] .

٣٨ - أخبرنى محمد بن أحمد بن واصل المقرىء أن : أبا عبد الله سئل عن من قال : الإيمان قول بلا عمل وهو يزيد ولا ينقص ؟ قال : هذا قول المرجئة .

٣٩ - أخبرنى يوسف بن موسى أن أبا عبد الله سئل ما المرجئة ؟ قال : الذى يقول الإيمان قول . قيل : فالذى يقول : يزيد ولا ينقص . قال : ما أدرى ما هذا . اهـ[٥] .

٤٠ - وفى رواية إسماعيل بن سعيد الشالنجى[٦] سألت أحمد عن من قال : الإيمان يزيد ولا ينقص قال : هذا برىء من الإرجاء .

---

(١) لم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه من المصادر .

(٢) أى : هو وأحمد بن حنبل .

(٣) سيأتى المروى عن الإمام مالك فى هذه المسأله فى التعليق .

(٤) السنة للخلال : (ق ٩٩ /ب) .

(٥) السنة للخلال : (ق ٩٤/أ) .

(٦) هو : أبو إسحاق الشالنجى . قال عنه أبو بكر الخلال : عنده مسائل كثيرة ما أحسب أن أحدا من أصحاب أبي عبد الله روى عنه أحسن مما روى هذا ولا أشبع ولا أكثر مسائل منه . طبقات الحنابلة : ١٠٤/١ ، تاريخ جرجان ص ١٠٤ ، اللباب : ١٧٦/٢ . والرواية فى السنة للخلال : (ق ٩٧/أ) . إلا أن فى الطريق إلى الشالنجى من لم أجد له ترجمة فيما نظرته من المصادر . وانظر : السند بأكمله ص : ١٢٦ .

التعليق :

تقدم ذكر الآيات الدالة صراحة على زيادة الإيمان وكذا جملة من الأحاديث الدالة على الزيادة والنقص . ومن توقف عن القول بالنقص بحجة أنه لم يذكر فى القرآن فقد أخطأ فى اجتهاده . فالزيادة المذكورة تفيد النقص فكل ما هو قابل للزيادة فهو قابل للنقص ضرورة ، ذكر هذا بعض المحققين ، وهو ما أشار إليه الإمام أحمد فى رواية صالح إذ يقول : إذا كان قبل زيادته تاما فكيف يزيد التام فكما يزيد كذا ينقص . وقد توقف الإمام أحمد فى إطلاق صفة الإرجاء - فى إحدى الروايات عنه - على من يقول بهذا وتفيد رواية أخرى إطلاق هذه الصفة فعندما سئل : من قال الإيمان يزيدولاينقص فقال هذا برىء من الإرجاء .وهو ما تفيده مجموعة الروايات عنه .

أما ما نقل عن الإمام مالك فى هذه المسألة :

فقد روى عبد الله بن أحمد عن أبيه : حدثنا سريج بن النعمان ، حدثنا عبد الله بن نافع قال: كان مالك يقول الإيمان قول وعمل يزيد وينقص[1] وهذا إسناد صحيح . وأخرجه أبو بكر الخلال من طريق الميمونى[2] ، ثنا سريج به .

وهذا إسناد صحيح أيضا .

وأخرجه الخلال أيضا من طريق الميمونى قال : سمعت الزنبرى أبا عثمان صاحب مالك قال : كان مالك يقول[3] . فذكره . والزنبرى : هو سعيد بن داود بن أبى زنبر قال عنه ابن حجر : صدوق له مناكير عن مالك ، ويقال اختلط عليه بعض حديثه . وكذبه عبد الله بن نافع فى دعواه أنه سمع من لفظ مالك . توفى فى حدود العشرين ومئتين[4] .

---

(١) السنة لعبد الله بن أحمد ص : ٨٥ .
(٢) السنة للخلال (ق ١٠٣/أ) .
(٣) المصدر السابق (ق ٩٧/أ) .
(٤) تقريب :١/٢٩٤ .

ذكر ابن عبد البر أن عبد الرحمن بن القاسم روى عن مالك أنه قال : يزيد وتوقف فى النقصان ، والرواية الأخرى رواية عبد الرازق ومعمر بن عيسى وابن نافع وابن وهب أنه يزيد وينقص[1] .

وقد تأول ابن بطال توقف مالك فى إطلاق النقص بالنسبة للتصديق وقال : « إذ لايجوز نقصان التصديق لأنه إذا نقص صار شكا » .

ثم ذكر وجهاً آخر حيث قال : وقال بعضهم إنما توقف مالك عن القول بنقصان الإيمان خشية أن يتأول عليه موافقة الخوارج الذين يكفرون أهل المعاصى من المؤمنين بالذنوب[2] .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية تعليل آخر حيث يقول :
وكان بعض الفقهاء من أتباع التابعين لم يوافقوا فى إطلاق النقصان عليه لأنهم وجدوا ذكر الزيادة فى القرآن ، ولم يجدوا ذكر النقص ، وهذه إحدى الروايتين عن مالك ، والرواية الأخرى عنه ، وهو المشهور عند أصحابه كقول سائرهم : أنه يزيد وينقص[3] .

قال النووى وقد قال مالك بنقصان الإيمان مثل جماعة أهل السنة .

قال عبد الرازق سمعت من أدركت من شيوخنا وأصحابنا سفيان الثورى ومالك بن أنس وعبيد الله بن عمر والأوزاعى ومعمر بن راشد وابن جريج وسفيان ابن عيينة يقولون : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وهذا قول ابن مسعود وحذيفة والنخعى والحسن البصرى وعطاء وطاووس ومجاهد وعبد الله بن المبارك[4] .

وفى ختام الكلام حول زيادة الإيمان ونقصه أعرض بإيجاز أقوال بعض الفرق فى الزيادة والنقص .

---

(١) التمهيد : ٢٥٢/٩ .
(٢) مسلم بشرح النووى : ١٤٦/١ .
(٣) مجموع الفتاوى : ٥٠٦/٧ .
(٤) مسلم بشرح النووى :١٤٦/١ .

وأبدا بموقف الإمام أبى حنيفة: الذى يرى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص إذ يقول: «ثم الإيمان لا يزيد ولا ينقص لأنه لا يتصور زيادة الإيمان إلا بنقصان الكفر ولا يتصور نقصان الإيمان إلا بزيادة الكفر فكيف يجوز أن يكون الشخص الواحد فى حالة واحدة مؤمنا وكافرا والمؤمن مؤمن حقا وليس فى إيمان المؤمن شك كما أنه ليس فى كفر الكافر شك »[1] .ويقول أيضا : « وإيمان أهل السماء والأرض لا يزيد ولا ينقص ، والمؤمنون مستوون فى الإيمان والتوحيد »[2]. هـ . إن ثبت هذا عنه .

فكل ما ذكره – رحمه الله – مردود شرعا وعقلا ، وقد تقدمت أدلة صريحة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة . كما أن تصور الزيادة والنقص فى الإيمان واضح جلى ، هذا من جهة الشرع ومن جهة العقل لا يمكن وبحال تصور إيمان الملائكة والرسل مساويا لإيمان بقية البشر .

مذهب المعتزلة : المعتزلة يقولون بزيادة الإيمان ونقصه . لكن الزيادة والنقص لهامفهوم آخر عندهم مخالف لمفهوم أهل السنة . فهم يرون أن الإيمان يزيد وينقص من ناحية التكاليف فقط . فالناس متفاوتون من حيث التكليف ، وقد يقام التكليف على أحدهم ويسقط عن الآخر، فالفقير مثلاً يسقط عنه تكليف الزكاة لأنه لا يجد حد النصاب حتى يزكى بعكس الغنى؛ لذا يرون أن الغنى أكمل إيمانا بالنظر إلى زيادة التكليف فى حقه على الفقير ، فهم ينظرون إلى الزيادة والنقص التى أقروها من هذا الجانب ولا يدخلون العمل والتصديق فيها ، لأنهم يعتقدون أن تصديق القلب شيء يجب أن يكون على جميع المكلفين بمستوى واحد أيضا فهو لايزيد ولا ينقص وإنما الزيادة والنقص تكون بالنسبة لفوارق التكليف وكذلك العمل فإن نظروا إليه فإنما ينظرون إليه من الناحية التكليفية كما قدمنا ، أما أن يكون العمل وسيلة لزيادة الإيمان، والمعصية وسيلة لنقص الإيمان فهذا ما ينكرونه بالجملة ، لأن من المقرر فى قواعدهم أن مرتكب المعصية خرج من الإيمان ولم يدخل فى الكفر وهو ما يعبرون عنه بالمنزلة بين المنزلتين[3] .

---

(١) شرح الفقه الأكبر ص :٧١ .
(٢) شرح الفقه الأكبر ص :٧٠ .
(٣) انظر : متشابه القرآن للقاضى عبد الجبار : ٣١٢/١ – ٣١٣ .

مذهب الأشاعرة : للأشاعرة قولان رئيسان فى زيادة الإيمان ونقصه أذكرهما بإيجاز مع ملاحظة أن الإيمان عندهم عبارة عن التصديق القلبى :

الأول : أنه لا يزيد ولا ينقص لأنه إذا قبل الزيادة والنقص صار شكا .

الثانى : أنه يزيد وينقص تبعا « لكثرة النظر ووضوح الأدلة »[1] .

وكما أسلفت عند الكلام على عقيدة أبى الحسن الأشعرى[2]: موافقته لأهل السنة فى مسائل العقيدة فهو لا يقول بهذا ولا يرتضيه بل قد صرح فى كتابه الأخير الإبانة بالقول بزيادة الإيمان ونقصه على مذهب السلف[3] .

وكل المنكرين للزيادة والنقص إنما ارتكزوا على القاعدة المعروفة عندهم : أن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : وأما قول القائل : إن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله . فهذا ممنوع ، وهذا هو الأصل الذى تفرعت منه البدع فى الإيمان فإنهم ظنوا أنه متى ذهب بعضه ذهب كله لم يبق منه شىء.ثم قالت « الخوارج والمعتزلة » : هو مجموع ما أمر الله به ورسوله ، وهو الإيمان المطلق كما قاله أهل الحديث ، قالوا فإذا ذهب شىء منه لم يبق مع صاحبه من الإيمان شىء فيخلد فى النار وقالت « المرجئة » على اختلاف فرقهم : لا تذهب الكبائر وترك الواجبات الظاهرة شيئا من الإيمان إذ لو ذهب شىء منه لم يبق منه شىء فيكون شيئا واحدا يستوى فيه البر والفاجر ، ونصوص الرسول وأصحابه تدل على ذهاب بعضه وبقاء بعضه ، كقوله : « يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان[4] » .

---

(١) انظر : المواقف في علم الكلام ص : ٣٨٨ ، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٥١ ، أصول الدين للبغدادى ص ٢٥٢ .

(٢) انظر ص : ٧٤ .

(٣) انظر : الإبانة عن أصول الديانة ص :١٠ .

(٤) مجموع الفتاوى : ٢٢٣/٧ .

قول الإمام أحمد فى المعرفة هل تزيد وتنقص

قال أبو بكر الخلال :

٤١ – أخبرنا أبو بكر المروذى قال :قلت لأبى عبد الله فى معرفة الله عز وجل فى القلب يتفاضل فيه ؟ قال نعم . قلت : ويزيد ؟ قال :نعم[١] .

٤٢ – أخبرنا أبو بكر محمد بن على أن يعقوب بن بختان[٢] حدثهم قال : سألت أبا عبد الله عن المعرفة والقول تزيد وتنقص ؟ قال : لا قد جئنا بالقول والمعرفة وبقى العمل[٣] .

* ونحوه نقل ابن هانىء وصالح بن أحمد بن حنبل فيما يتعلق بالقول[٤] .

التعليق :

كما قدمت فى معنى الزيادة والنقص فى الإيمان أن مذهب السلف رضوان الله عليهم أن الزيادة والنقص تشمل العمل والتصديق وأوردت هناك بعض الروايات عن الإمام أحمد التى تدل على شمول الزيادة والنقص للعمل ، وأتكلم هنا عن موقف الإمام أحمد بالنسبة للزيادة والنقص فى التصديق والمعرفة . والروايات عن الإمام أحمد فى هذه المسألة، البعض يشير إلى أن المعرفة تزيد وتنقص، والبعض الآخر ظاهره عدم الزيادة والنقص بالنسبة للمعرفة، وقد أشار القاضى أبو يعلى ابن الفراء فى كتابه الروايتين والوجهين[٥] إلى هذا حيث يقول :

---

(١) السنة (ق : ٩٦/ب) .

(٢) هو : يعقوب بن إسحاق بن بختان أبو يوسف ، كان أحد الصالحين الثقات قال عنه أبو بكر الخلال : كان جار أبى عبد الله وصديقه وروى عن أبى عبد الله مسائل صالحة كثيرة . تاريخ بغداد : ٢٨٠/١٤ ، طبقات الحنابلة : ٤١٥/١ .

(٣) السنة (ق : ٩٧/أ) .

(٤) انظر : رواية ابن هانىء فى (السنة للخلال ق : ٩٣/أ) ورواية صالح فى المصدر نفسه (ق : ٩٧/أ) .

(٥) انظر : (ق : ٢٥١/ب) .

« مسألة فى المعرفة هل تزيد أو تنقص، نقل يعقوب بن بختان أنها لا تزيد ولا تنقص، ونقل المروذى : تتفاضل وتزيد وتنقص. وعندى أن المسألة ليست على روايتين وإنما هى على اختلاف حالين فالموضع الذى قال لا تزيد ولا تنقص يعنى به نفس المعرفة لأن المعرفة هى معرفة المعلوم على ما هو به وذلك لا يختلف بحال والموضع الذى قال : تزيد وتنقص يعنى بالزيادة فى معرفة الأدلة وذلك قد يزيد وينقص فمنهم من يعرف الشيء من جهة واحدة ومنهم من يعرفه من جهات كثيرة » اهـ .

ويقول فى كتابه مختصر المعتمد[1] : « والمعرفة تزيد وتنقص قال أحمد رحمه الله فى رواية المروذى فى معرفة القلب يتفاضل ويزيد: «والوجه فيه أن من الناس من يعرف مخبرات الله تعالى مفصلة ومنهم من يعرفها مجملة فمن عرفها مجملة ، فإذا عرف تفصليها ازداد علمه وتصديقه » .اهـ .

فالمعرفة بوجود الله عز وجل مثلا أصل ثابت. فهذا ونحوه هو ما عناه- والله أعلم - الإمام أحمد بقوله إن المعرفة لاتزيد ولا تنقص. أما ما ينتج عن المعرفة فيزيد وينقص وهو أمر محسوس مسلم به معلوم بالضرورة وهو ما عناه الإمام أحمد بالزيادة والنقص يوضح ذلك ما جاء فى رواية المروذى قيل له الحجاج ابن يوسف نقول إيمانه مثل إيمان النبى صلى الله عليه وسلم فقال : لا ، قيل : فيكون إيمانه مثل إيمان أبى بكر ، قال : لا وفى رواية صالح المتقدمة نقل قول وكيع على وجه الإقرار فقال : وقد كان وكيع قال : ترى إيمان الحجاج مثل إيمان أبى بكر وعمر رحمهما الله .

يقول الحافظ ابن مندة : « والعباد يتفاضلون فى الإيمان على قدر تعظيم الله فى القلوب والإجلال له والمراقبة لله فى السر والعلانية »[2] .اهـ .

وينقل ابن حجر عن الشيخ محيى الدين النووى قوله : « والأظهر المختار أن التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة ولهذا كان إيمان الصديق

---

(١) انظر : ص ٣٠ .

(٢) الإيمان : ٣٠٠/١

أقوى من إيمان غيره ، بحيث لا تعتريه الشبهة ، قال : ويؤيده أن كل أحد يعلم أن ما فى قلبه يتفاضل حتى أنه يكون فى بعض الأحيان أعظم يقينا وإخلاصا وتوكلا منه فى بعضها وكذلك فى التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها[1] » .اهـ.

قلت : وهذا التفاوت فى التصديق ينتج عن أمور منها ما ذكره ابن مندة والنووى وكذلك الانقياد لأوامر الله عز وجل والانتهاء عن نواهيه فمن شأن هذا زيادة الإيمان والتصديق فى القلوب . كما أن اقتراف المعاصى والإعراض عن الله عز وجل يورث فى القلوب نقص الإيمان ، وقد جاء فى رواية محمد بن موسى عن الإمام أحمد ما يفيد ذلك حيث يقول : « الإيمان يزيد وينقص إذا عملت الخير زاد وإذا ضيعت نقص[2] » .اهـ .

وبعد هذا العرض الموجز يتضح موافقة الإمام أحمد لبقية السلف فى أن الزيادة والنقص تشمل العمل والتصديق – وأن الرواية التى جاءت عنه فى أن المعرفة لاتزيد ولا تنقص إنما هو عائد لما ذكر .

هذا وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية فى معنى الزيادة والنقص ثمانية أوجه أذكر بعضها :

فمنها : أن العلم والتصديق نفسه يكون بعضه أقوى من بعض وأثبت وأبعد عن الشك ، وهذا أمر يشهده كل أحد من نفسه كما أن الحس الظاهر بالشيء الواحد مثل رؤية الناس للهلال ، وإن اشتركوا فى رؤيته فبعضهم تكون رؤيته أتم من بعض وكذلك سماع الصوت الواحد وشم الرائحة الواحدة فكذلك معرفة القلب وتصديقه ، يتفاضل أعظم من ذلك من وجوه متعددة والمعانى التى يؤمن بها من معانى أسماء الرب وكلامه يتفاضل الناس فى معرفتها ، أعظم من تفاضلهم فى معرفة غيرها .

---

(١) فتح البارى : ٤٦/١

(٢) انظر السنة للخلال (ق : ٩٧/أ)

ومنها : أن التصديق المستلزم لعمل القلب أكمل من التصديق الذى لا يستلزم عمله ، فالعلم الذى يعمل به صاحبه ، أكمل من العلم الذى لا يعمل به ، وإذا كان شخصان يعلمان أن الله حق ، ورسوله حق ، والجنة حق ، والنار حق ، وهذا علمه أوجب له محبة الله وخشيته والرغبة فى الجنة ، والهرب من النار ، والآخر علمه لم يوجب ذلك ، فعلم الأول أكمل ، فإن قوة المسبب دالة على قوة السبب ، وهذه الأمور نشأت عن العلم ، فالعلم بالمحبوب يستلزم طلبه ، والعلم بالمخوف ، يستلزم الهرب منه ، فإذا لم يحصل اللازم ، دل على ضعف الملزوم ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ليس المخبر كالمعاين » فإن موسى لما أخبره ربه أن قومه عبدوا العجل ، لم يلق الألواح ، فلما رآهم قد عبدوه ، ألقاها[1] ، وليس ذلك لشك موسى فى خبر الله ،لكن المخبر وإن جزم بصدق المخبر ، فقد لا يتصور المخبر به فى نفسه ،كما يتصوره إذا عاينه ، بل يكون قلبه مشغولا عن تصور المخبر به ، وإن كان مصدقا به ، ومعلوم أن عند المعاينة ، يحصل له من تصور المخبر به ، ما لم يكن عند الخبر ، فهذا التصديق أكمل من ذلك التصديق .

ومنها : أن أعمال القلوب مثل محبة الله ورسوله ، وخشية الله تعالى ورجائه ، ونحو ذلك ،هى كلها من الإيمان ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف ، وهذه يتفاضل الناس فيها تفاضلاً عظيماً .

ومنها : أن الأعمال الظاهرة مع الباطنة ، هى أيضا من الإيمان والناس يتفاضلون فيها .

ومنها : ذكر الإنسان بقلبه ما أمره الله به واستحضاره لذلك ، بحيث لا يكون غافلا عنه ، أكمل ممن صدق به وغفل عنه ، فإن الغفلة تضاد كمال العلم والتصديق والذكر ، والاستحضار يكمل العلم واليقين .اهـ

---

(١) رواه الإمام أحمد : ١/٢١٥ ، ٢٧١

هذه بعض الأوجه التى ذكرها شيخ الإسلام مع اختصار فى بعضها ولولا خوف الإطالة لذكرتها كاملة فهى من أجمع ما رأيت فى هذا الباب فمن أرادها فليراجع كتاب الإيمان[1] .

قول الإمام أحمد فى الإسلام والإيمان

قال صالح بن أحمد بن حنبل :

٤٣ – سئل أبى عن الإسلام والإيمان قال : قال ابن أبى ذئب[2] : الإسلام القول والإيمان العمل . فقيل له : ما تقول أنت ؟ قال : الإسلام غير الإيمان[3] .

كذا روى عنه :

٤٤ – حنبل بن إسحاق قال : سمعت أبا عبد الله يقول : قال الزهرى : فنرى أن الإسلام الكلمة والإيمان العمل . قلت لأبى عبد الله : ما تقول أنت ؟ قال الإسلام غير الإيمان[4] . وفى رواية أخرى : سمعت أبا عبد الله وسئل عن الإيمان والإسلام قال : الإيمان غيرالإسلام[5] .

٤٥ – عبد الملك الميمونى قال : قلت لأبى عبد الله : تفرق بين الإيمان والإسلام . قال : نعم[6] .

وروى عنه ما يفيد تفريقه بين الإسلام والإيمان :

٤٦ – أحمد بن القاسم قال : سمعت أبا عبد الله يقول: .. قال الزهرى : فنرى أن الإسلام الكلمة والإيمان العمل .فاستحسنه أبو عبد الله[7] .

---

(١) من ص :٢١٩ – ٢٢٤

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة ، ثقة فقيه فاضل ، توفى سنة ثمان وخمسين ومئة ، تقريب : ١٨٤/٢

(٣) مسائل صالح ص : ١٣ . وذكره ابن شكر فى شرح اعتقاد الإمام أحمد ص : ٣١

(٤) انظر السنة للخلال (ق ١٠٣/أ) .

(٥) المصدر نفسه : (ق ١٠٢/أ) .

(٦) السنة للخلال : (ق ١٠٢/أ) .

(٧) انظر :السنة للخلال : (ق ١٠٦/أ) .

٤٧ – **إسماعيل بن سعيد قال:**سألت أحمد عن الإسلام والإيمان ؟ فقال : الإيمان قول وعمل والإسلام الإقرار .قال : وسألت أحمد عمن قال : فى الذى قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم إذ سأله عن الإسلام ، فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم . فقال : نعم . فقال قائل : وإن لم يفعلوا الذى قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم فهو مسلم أيضا ؟ فقال : هذا معاند للحديث[1] .

بعض ما احتج به الإمام أحمد على تفريقه بين الإسلام والإيمان

قال أبو بكر الخلال :

٤٨ – أخبرنى عبد الملك بن عبد الحميد قال : قلت لأبى عبد الله : تفرق بين الإيمان والإسلام ؟ قال : نعم وأقول مسلم ولا استثنى قلت : بأى شيء تحتج ؟ قال : عامة الأحاديث تدل على هذا . ثم قال : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن[2] » . وقال الله عز وجل : ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾[3] .

قلت لأبى عبد الله: فنذهب إلى ظاهر الكتاب مع السنن؟ قال: نعم. قلت: فإذا كان المرجئة يقولون أن الإسلام هو القول ؟ قال : هم يصيرون هذا كله واحدا ويجعلونه مسلماً ومؤمناً شيئاً واحداًعلى إيمان جبريل ومستكمل الإيمان . قلت : فمن ههنا حجتنا عليهم . قال : نعم[4] .

٤٩ – قال صالح بن أحمد بن حنبل : سئل أبى عن الإسلام والإيمان.. قيل له ما تقول أنت .قال الإسلام غير الإيمان وذكر حديث عامر بن سعد قال

(١) المصدر نفسه : (ق ١٠٦/ب) .
(٢) تقدم تخريجه ص : ٩٥ .
(٣) سورة الحجرات/آية : ١٤ .
(٤) السنة للخلال : (١٠٣/ب) .

– أى أبوه سعد بن أبى وقاص – إنه مؤمن . فقال النبى عليه السلام : أومسلم[1][2] .

٥٠ – وحديث : « لا يزنى الزانى .. سأل أبو الحارث الصائغ أبا عبد الله عن معناه فقال : قد تأولوه فأما عطاء فقال: يتنحى عنه الإيمان، وقال طاووس إذا فعل ذلك زال عنه الإيمان[3] وروى عن الحسن قال : إن تراجع راجعه الإيمان وقد قيل : يخرج من الإيمان إلى الإسلام ولا يخرج من الإسلام .

٥١ – وفى رواية حنبل بن إسحاق : قلت لأبى عبد الله : إذا أصاب الرجل ذنبا من زنا أو سرقة يزايله إيمانه ؟ قال : هو ناقص الإيمان فخلع منه كما يخلع الرجل من قميصه فإذا تاب وراجع عاد إليه إيمانه .

٥٢ – وقال أيضا :سمعت أبا عبد الله وسئل عن قول النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » قال : هكذا يروى الحديث ويروى عن أبى جعفر[4] قال : «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » قال يخرج : من الإيمان إلى الإسلام، فالإيمان مقصور فى الإسلام فإذا زنى خرج من الإيمان إلى الإسلام[5] .

التعليق :

الإمام أحمد يفرق بين الإسلام والإيمان وهذا واضح مما تقدم من الروايات عنه . وقد استحسن قول الزهرى :أن الإسلام الكلمة والإيمان العمل . ومقصود الزهرى أن من أتى بالشهادتين استحق اسم المسلم أما الإيمان فيشترط فى إطلاقه المجىء بالعمل .

---

(١) الحديث انظره فى البخارى : ٧٩/١ ومسلم : ١٤٣/١ .
(٢) مسائل صالح ص : ٨٧ .
(٣) وقت وقوع الفعل لا أنه زال بالكلية .
(٤) هو : محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب . انظر : هذه الرواية عند الترمذى : ١٦/٥ .
(٥) انظر : السنة للخلال : (ق ١٠٣) . وانظر : هذه الأقوال وغيرها فى شرح النووى لصحيح مسلم : ٤١/٢ . وفتح البارى : ٥٩/١٢ .

وأنقل الآن نصوصا عن شيخ الإسلام ابن تيمية يتضح فيها - إن شاء الله - رأى الإمام أحمد فى هذه المسألة :-

يقول ابن تيمية : وأما ما ذكره أحمد فى الإسلام ،فاتبع فيه الزهرى حيث قال : فكانوا يرون الإسلام الكلمة ، والإيمان العمل ، فى حديث سعد بن أبى وقاص ، وهذا على وجهين ، فإنه قد يراد به الكلمة بتوابعها من الأعمال الظاهرة ، وهذا هو الإسلام الذى بينه النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت » . وقد يراد به الكلمة فقط من غير فعل الواجبات الظاهرة ، وليس هذا هو الذى جعله النبى صلى الله عليه وسلم الإسلام ، لكن قد يقال إسلام الأعراب كان من هذا ، فيقال : الأعراب وغيرهم كانوا إذا أسلموا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ألزموا بالأعمال الظاهرة : الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، ولم يكن أحد يترك بمجرد الكلمة ، بل كان من أظهر المعصية يعاقب عليها . وأحمد إن كان أراد فى هذه الرواية أن الإسلام هو الشهادتان فقط ، فكل من قالها فهو مسلم ، فهذه إحدى الروايات عنه ، والرواية الأخرى :لايكون مسلما حتى يأتى بها ويصلى ، فاذا لم يصل كان كافرا[1]. والثالثة أنه كافر بترك الزكاة أيضا . والرابعة : أنه يكفر بترك الزكاة إذا قاتل الإمام عليها دون ما إذا لم يقاتله . وعنه أنه لو قال :أنا أؤديها ولا أدفعها إلى الإمام ،لم يكن للإمام أن يقتله[2] . وكذلك عنه رواية أن يكفر بترك الصيام[3] والحج ، إذا عزم أنه لا يحج أبدا[4]ومعلوم أنه على كفر تارك المبانى يمتنع أن يكون الإسلام مجرد الكلمة ، بل المراد أنه إذا أتى بالكلمة دخل فى الإسلام ، وهذا صحيح ، فإنه يشهد له بالإسلام ولا يشهد له بالإيمان الذى فى القلب ، ولا يستثنى فى هذا الإسلام ، لأنه أمر مشهور ، لكن الإسلام الذى

---

(١) انظر : قول الإمام أحمد فى تارك الصلاة ص : ٣٤/٢ .
(٢) انظر : قول الإمام أحمد فى مانع الزكاة ص : ٤٦/٢ .
(٣) انظر : قول الإمام أحمد فى تارك الصيام ص : ٤٩/٢ .
(٤) انظر : قول الإمام أحمد فى تارك المبانى الخمسة ص : ٥٠/٢ .

هو أداء الخمس كما أمر به يقبل الاستثناء ، فالإسلام الذى لا يستثنى فيه الشهادتان باللسان فقط فإنها لا تزيد ولا تنقص فلا استثناء فيها[1] .

وفى موضع آخر يقول قال: أبو عبد الله بن حامد فى كتابه المصنف فى « أصول الدين » : قد ذكرنا أن الإيمان قول وعمل ، فأما الإسلام فكلام أحمد يحتمل روايتين : إحداهما : أنه كالإيمان، والثانية: أنه قول بلا عمل . وهو نصه فى رواية إسماعيل بن سعيد[2] ، قال : والصحيح أن المذهب رواية واحدة أنه قول وعمل ، ويحتمل قوله : إن الإسلام قول يريد به أنه لا يجب فيه ما يجب فى الإيمان من العمل المشروط فيه لأن الصلاة ليست من شرطه ، إذ النص عنه أنه لايكفر بتركه الصلاة . قال : وقد قضينا أن الإسلام والإيمان اسمان لمعنيين وذكرنا اختلاف الفقهاء ، وقد ذكر قبل ذلك أن الإسلام والإيمان اسمان لمعنيين مختلفين وبه قال مالك وشريك وحماد بن زيد بالتفرقة بين الإسلام والإيمان قال : وقال أصحاب الشافعى وأصحاب أبى حنيفة أنهما اسمان معناهما واحد قال : ويفيد هذا أن الإيمان قد تنتفى عنه تسميته مع بقاء الإسلام عليه ، وهو بإتيان الكبائر التى ذكرت فى الخبر ، فيخرج عن تسمية الإيمان ، إلا أنه مسلم ، فإذا تاب من ذلك عاد إلى ما كان عليه من الإيمان . ولا تنتفى عنه تسمية الإيمان بارتكاب الصغائر من الذنوب بل الاسم باق عليه . ثم ذكر أدلة ذلك . ولكن ما ذكره فيه أدلة كثيرة على من يقول : الإسلام مجرد الكلمة ، فإن الأدلة الكثيرة تدل على أن الأعمال من الإسلام ، بل النصوص كلها تدل على ذلك فمن قال : ان الأعمال الظاهرة المأمور بها ليست من الإسلام فقوله باطل ، بخلاف التصديق الذى فى القلب ، فإن هذا ليس فى النصوص ما يدل على أنه من الإسلام ، بل هو من الإيمان ، وإنما الإسلام الدين كما فسره النبى صلى الله عليه وسلم بأن يسلم وجهه وقلبه لله، فإخلاص الدين لله إسلام، وهذا غير التصديق، ذاك من جنس عمل القلب وهذا من جنس علم القلب .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى : ٢٥٨/٧ - ٢٥٩ .

(٢) تقدمت . انظر ص : ٦٦ .

وأحمد بن حنبل وإن كان قد قال فى هذا الموضع : إن الإسلام هو الكلمة ،فقد قال فى موضع آخر : إن الأعمال من الإسلام وهو اتبع هنا قول الزهرى – رحمه الله – فإن كان مراد من قال ذلك : أنه بالكلمة يدخل فى الإسلام و لم يأت بتمام الإسلام ، فهذا قريب . وإن كان مراده أنه أتى بجميع الإسلام وإن لم يعمل فهذا غلط قطعا ، بل قد أنكر أحمد هذا الجواب، وهو قول من قال : يطلق عليه الإسلام وإن لم يعمل ،متابعة لحديث جبريل ، فكان ينبغى أن يذكر قول أحمد جميعه[1] . قال إسماعيل بن سعيد : ...فقد جعل أحمد من جعله مسلما إذا لم يأت بالخمس معاندا للحديث مع قوله : إن الإسلام هو الإقرار ، فدل ذلك على أن ذاك أول الدخول فى الإسلام وأنه لايكون قائما بالإسلام الواجب حتى يأتى بالخمس ، وإطلاق الاسم مشروط بها ، فإنه ذم من لم يتبع حديث جبريل . وأيضا فهو فى أكثر أجوبته يكفر من لم يأت بالصلاة ، بل وغيرها من المبانى ، والكافر لايكون مسلما باتفاق المسلمين ، فعلم أنه لم يرد أن الإسلام هو مجرد القول بلا عمل ، وإن قدر أنه أراد ذلك ، فهذا يكون أنه لا يكفر بترك شيء من المبانى الأربعة، وأكثر الروايات عنه بخلاف ذلك. والذين لايكفرون من ترك هذه المبانى يجعلونها من الإسلام كالشافعى ومالك ، وأبى حنيفة ، وغيرهم ، فكيف لا يجعلها أحمد من الإسلام . وقوله فى دخولها فى الإسلام أقوى من قول غيره[2] . اهـ .

وبهذا البيان الشافى من شيخ الإسلام يتضح لنا مراد الإمام أحمد من تفريقه بين الإسلام والإيمان . وممن قال بالفرق بينهما ابن عباس والحسن البصرى وابن سيرين وعبد الرحمن بن مهدى إضافة إلى من تقدم فى قول ابن حامد [3] قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ولا علمت أحداً من المتقدمين خالف هؤلاء فجعل نفس الإسلام نفس الإيمان ،ولهذا كان عامة أهل السنة على هذا ».[4] اهـ .

(١) مراد شيخ الإسلام أن أبا عبد الله بن حامد عندما استشهد برواية إسماعيل بن سعيد ذكر الجزء الأول منها و لم يذكر كامل الرواية التى توضح مراد الإمام أحمد .

(٢) مجموع الفتاوى : ٣٦٩/٧ – ٣٧١

(٣) انظر : الإيمان لابن منلة : ٣١١ ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائى : ٨١٢/٤ ،مجموع الفتاوى : ٣٧٩/٧ .

(٤) مجموع الفتاوى : ٣٥٩/٧ .

وقد تقدم ما احتج به الإمام أحمد وهي أدلة من قال بالفرق بينهما[1] .
وممن قال بعدم الفرق بينهما :الإمام البخارى[2] ومحمد بن نصر المروزى[3] وابن مندة وغيرهم. وقد ساق ابن مندة الأدلة على هذا القول فى كتابه الإيمان إذ يقول: ذكر الأخبار الدالة والبيان الواضح من الكتاب أن الإيمان والإسلام اسمان لمعنى واحد وأن الإيمان الذى دعا الله العباد إليه وافترضه عليهم هو الإسلام ... فقال الله عز وجل : ﴿ ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾[4] وقال : فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾[5] وقال فى قصة لوط : ﴿ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾[6].[7]اهـ . هذه بعض الأدلة التى استدل بها من قال بالترادف .

وبالنظر إلى أدلة القائلين بالفرق نجد أن من أقواها قول الله تعالى :﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾ وحديث سعد ابن أبى وقاص قال سعد : والله إنى لأراه مؤمنا فقال عليه الصلاة والسلام : « أو مسلما » .

وقد أجاب القائلون بالترادف على الاستدلال بالآية : بأن الإسلام المقصود هنا ليس الإسلام الشرعى وإنما هو الاستسلام أو الخوف من القتل[8] . إلا أن هذا التفسير لم يرتضه من قال بالفرق بينهما .

يقول شارح الطحاوية : ويشهد للفرق بين الإسلام والإيمان قوله تعالى : ﴿ قالت لأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾[9] . وقد اعترض على

---

(١) انظر أيضا : الإيمان لابن مندة : ٣١١/١ – ٣١٨ ،شرح أصول اعتقاد أهل السنة : ٤/– ٨١٤ ، مجموع الفتاوى : ٤٧٢/٧ – ٤٧٨ .
(٢) انظر :فتح البارى : ٧٩/١ ، ١١٤ .
(٣) انظر : مجموع الفتاوى : ٣٥٨/٧–٣٥٩ ، ٣٦٨ .
(٤) سورة المائدة/ ٣ .
(٥) سورة الأنعام / ١٢٥ .
(٦) سورة الذاريات/٣٦ .
(٧) انظر : الإيمان : ٣٢١/١ .
(٨) انظر : فتح البارى : ٧٩/١ ، الإيمان لابن مندة : ٣٢٢/١ – ٣٢٣ .
(٩) سورة الحجرات /١٤ .

هذا بأن معنى الآية : ﴿ قولوا أسلمنا ﴾ انقدنا بظواهرنا ، فهم منافقون فى الحقيقة ، وهذا أحد قولى المفسرين فى هذه الآية الكريمة . وأجيب بالقول الآخر ورجح ، وهو أنهم ليسوا بمؤمنين كاملى الإيمان لا أنهم منافقون كما نفى الإيمان عن القاتل ، والزانى ، والسارق ، ومن لا أمانة له . يؤيد هذا سياق الآية ، فإن السورة من أولها إلى هنا فى النهى عن المعاصى ، وأحكام بعض العصاة ، ونحو ذلك ، وليس فيها ذكر المنافقين . ثم قال بعد ذلك : ﴿ وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا ﴾[1] ولو كانوا منافقين ما نفعتهم الطاعة ، ثم قال: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾[2] الآية، يعنى – والله أعلم – أن المؤمنين الكاملى الإيمان، هم هؤلاء، لا أنتم بل أنتم منتف عنكم الإيمان الكامل ، يؤيد هذا : أنه أمرهم ، أو أذن لهم أن يقولوا : أسلمنا ، والمنافق لا يقال له ذلك ، ولو كانوا منافقين لنفى عنهم الإسلام ، كما نفى عنهم الإيمان ، ونهاهم أن يمنوا باسلامهم فأثبت لهم إسلاما ونهاهم أن يمنوا به على رسوله ، ولو لم يكن إسلاما صحيحا لقال : لم تسلموا ، بل أنتم كاذبون ، كما كذبهم فى قولهم : ﴿ نشهد إنك لرسول الله ﴾[3] [4]. اهـ .

وهناك رأى ثالث فى المسألة وهو القول بالتلازم بينهما مع افتراقهما فمتى قرن الإسلام والإيمان كان المراد بالإسلام الأعمال الظاهرة والمراد بالإيمان أعمال القلب – وهذا يدل عليه حديث جبريل عليه السلام عندما سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « يا محمد أخبرنى عن الإسلام فقال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا . قال صدقت .قال فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال فأخبرنى عن الإيمان : قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال : صدقت ... الحديث[5] وإن ذكر أحدهما شمل الآخر .وهو ما يدل عليه حديث وفد عبد القيس حيث فسر الإيمان

---

(١) سورة الحجرات /١٤ .
(٢) الحجرات /١٥ . (٣) سورة المنافقون /١ .
(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٣٩٢ - ٣٩٣ .
(٥) رواه مسلم : ٣٦/١ - ٣٧ واللفظ له من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ورواه البخارى : ١١٤/١ ومسلم : ٣٩/١ من حدث أبى هريرة رضى الله عنه .

بما فسر به الإسلام فى حديث جبريل حيث قال عليه الصلاة والسلام لهم : « أتدرون ما الإيمان بالله وحده » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس ... »الحديث[1] .

والقول الأخير هو الراجح ،ومن عبارات السلف فى هذا المعنى قولهم « كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن » . ولكن لابد للمسلم من إيمان يصح به إسلامه حتى لا يكون منافقا .

والقول بالتلازم بين الإسلام والإيمان ارتضاه كثير من العلماء ورجحوه لما فيه من الجمع بين الأدلة[2] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر جملة من كلام محمد بن نصر المروزى – وهو من القائلين بالترادف كما مر معنا : « مقصود محمد بن نصر المروزى – رحمه الله –: أن المسلم الممدوح هو المؤمن الممدوح ، وأن المذموم ناقص الإسلام والإيمان ، وأن كل مؤمن فهو مسلم ، وكل مسلم لابد أن يكون معه إيمان ، وهذا صحيح ، وهو متفق عليه ، ومقصوده أيضا ، أن من أطلق عليه الإسلام أطلق عليه الإيمان ، وهذا فيه نزاع لفظى ، ومقصوده أن مسمى أحدهما هو مسمى الآخر ، وهذا لايعرف عن أحد من السلف وإن قيل هما متلازمان . فالمتلازمان لا يجب أن يكون مسمى هذا هو مسمى هذا ، وهو لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا أئمة الإسلام المشهورين أنه قال : مسمى الإسلام هو مسمى الإيمان كما نصر ... فإذا قيل إن الإسلام والإيمان التام متلازمان لم يلزم أن يكون أحدهما هو الآخر كالروح والبدن ، فلا يوجد عندنا روح إلا مع البدن ، ولا يوجد بدن حى إلا مع الروح وليس أحدهما الآخر ، فالإيمان كالروح ، فإنه قائم بالروح ومتصل بالبدن ، والإسلام كالبدن ولا يكون البدن حيا إلا مع الروح بمعنى أنهما متلازمان لا أن مسمى أحدهما هو مسمى الآخر[3] ». اهـ .

(١) رواه البخارى : ١٢٩/١ ومسلم : ٤٦/١ من حديث ابن عباس وهذا لفظ البخارى .
(٢) انظر : شرح السنة للبغوى : ١٠/١ – ١١، مسلم بشرح النووى : ١٤٧/١ – ١٤٨ .
(٣) مجموع الفتاوى : ٣٦٥/٧ – ٣٦٧ .

قول الإمام أحمد فى الاستثناء فى الإيمان

قال أبو بكر الخلال :

٥٣ – أخبرنى محمد بن الحسن بن هارون[(١)] قال : سألت أبا عبد الله عن الاستثناء فى الإيمان فقال : نعم الاستثناء على غير معنى الشك مخافة واحتياطا للعمل[(٢)]

وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ :

٥٤ – وسمعته يقول : أذهب إلى حديث ابن مسعود[(٣)] فى الاستثناء فى الإيمان لأن الإيمان قول والعمل الفعل فقد جئنا بالقول ونخشى أن نكون قد فرطنا فى العمل ، فيعجبنى أن نستثنى فى الإيمان نقول : أنا مؤمن إن شاء الله تعالى[(٤)] .

نقل عن الإمام أحمد روايات بهذا المعنى .

٥٥ – أبو داود قال : (سمعت) أحمد قال : أليس الإيمان قول وعمل ؟ فقال الرجل : بلى . قال : فجئنا بالقول . قال : نعم . قال : فجئنا بالعمل . قال : لا . قال فكيف تعيب أن نقول إن شاء الله ونستثنى[(٥)] .

---

(١) ابن بدينا ، أبو جعفر الموصلى ، سئل الدارقطنى عنه فقال : لا بأس به ما علمت إلا خيرا . ت/بغداد ١٩١/٢ .

(٢) السنة (ق : ١٠٠/أ) .

(٣) وهو قوله : « من شهد أنه مؤمن فليشهد أنه من أهل الجنة » . أخرجه عبد الله بن أحمد فى السنة ص : ٩٥ . بسند صحيح . وأخرج نحوه عن ابن مسعود : ابن أبى شيبة فى الإيمان ص : ٩ ،وأبو عبيد فى الإيمان ص : ١٧ بأسانيد صحيحة .

(٤) مسائل ابن هانئ : ١٦٢/٢ ، وأخرجه الخلال فى السنة (ق : ١٠١/ب).

(٥) مسائل أبى داود (ظ ،ص :٢٥١ وفى المطبوع ص :٢٧٣) .

٥٦ - ابن هانىء قال : سألت أبا عبد الله عن الاستثناء فى الإيمان فقال : الاستثناء فى العمل لعلنا أن نكون قد قصرنا والقول هو ذا يجىء به[١] .

٥٧ - حرب الكرمانى قال : سئل ما تقول فى الاستثناء قال : نحن نذهب إليه . قيل الرجل يقول : أنا مؤمن أنشاء الله ؟ قال : نعم[٢] .

٥٨ - حبيش بن سندى[٣] قال : قيل له : فيستثنى فى الإيمان ؟ قال : نعم أقول : أنا مؤمن إن شاء الله استثنى على اليقين لا على الشك[٤] .

٥٩ - أبو طالب[٥] قال : قال أحمد إذا قال أنا مؤمن فقد جاء بالقول . فإنما الاستثناء بالعمل لا بالقول[٦] .

٦٠ - عبد الملك الميمونى: أنه سأل أبا عبد الله عن الاستثناء فأجاب : أقول أنا مؤمن إن شاء الله ومؤمن أرجو لأنه لا يدرى كيف آداؤه للأعمال على ما افترض عليه أم لا .

٦١ - أبو بكر بن حماد المقرى[٧] قال : قال أبو عبد الله : لو كان القول كما تقول المرجئة إن الإيمان قول ثم استثنى بعد على القول لكان هذا قبيحا أن نقول : لا إله إلا الله إن شاء الله ولكن الاستثناء على العمل[٨] .

---

(١) مسائل ابن هانىء : ١٦١/٢ .

(٢) السنة للخلال (ق ١٠٠/أ) .

(٣) قال عنه أبو بكر الخلال : من كبار أصحاب أبى عبد الله . كان رجل جليل القدر جدا . وعنده عن أبى عبد الله جزآن مسائل مشبعة حسان جدا ، يغرب فيها على أصحاب أبى عبد الله وهو رجل كثير العلم . طبقات الحنابلة : ١٤٦/١ ، ت/بغداد : ٢٧٢/٨.

(٤) السنة للخلال (ق ١٠٠/ب) .

(٥) هو : أحمد بن حميد المشكانى ، المتخصص بصحبة أحمد روى عنه مسائل كثيرة وكان أحمد يكرمه ويعظمه ، توفى سنة أربع وأربعين ومئتين . انظر : تاريخ بغداد : ١٢٢/٤ ، طبقات الحنابلة : ٣٩/١ .

(٦) السنة للخلال (ق ١٠١/أ) .

(٧) هو : محمد بن حماد بن بكر بن حماد . قال عنه أبو بكر الخلال : كان عالما بالقرآن وأسبابه . وكان أحمد يصلى خلفه فى شهر رمضان وغيره نقل عن أبى عبد الله مسائل جماعة ، لم يجىء بها أحد غيره . طبقات الحنابلة : ٢٩١/١ .

(٨) السنة للخلال (ق ١٠١/ب).

٦٢ - أبو بكر الأثرم قال : سمعت أبا عبد الله يسأل عن الاستثناء فقال : إذا كان يقول إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص فاستثنى مخافة واحتياطا ليس كما يقولون على الشك إنما يستثنى للعمل . وقال : قلت لأبى عبد الله فأنت بأى شيء تقول . فقال : نحن نذهب إلى الاستثناء[1] .

التعليق :

من الروايات السابقة عن الإمام أحمد يتضح تأييده الشديد للاستثناء فى الإيمان وهو مذهب عامة السلف .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « فكلام أحمد يدل على أن الاستثناء لأجل العمل وأنه لغير شك فى الأصل »[2] . اهـ

وفى موضع آخر يقول : « إن الإيمان المطلق ، يتضمن فعل ما أمر الله به عبده كله ، وترك المحرمات كلها ، فإذا قال الرجل : أنا مؤمن بهذا الاعتبار فقد شهد لنفسه ، بأنه من الأبرار المتقين ، القائمين بفعل جميع ما أمروا به ، وترك كل ما نهوا عنه ، فيكون من أولياء الله ، وهذا من تزكية الإنسان لنفسه وشهادته لنفسه ، بما لا يعلم ، ولو كانت هذه الشهادة صحيحة ، لكان ينبغى له أن يشهد لنفسه بالجنة إن مات على هذه الحال ، ولا أحد يشهد لنفسه بالجنة ، فشهادته لنفسه بالإيمان كشهادته لنفسه بالجنة إذا مات على هذه الحال وهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون ، وإن جوزوا ترك الاستثناء بمعنى آخر[3] .اهـ

وقد ذكر الآجرى نحو ما تقدم ثم قال : « هذا طريق الصحابة رضى الله عنهم ، والتابعين لهم بإحسان . عندهم أن الاستثناء فى الأعمال لا يكون فى القول والتصديق بالقلب وإنما الاستثناء فى الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان ،

---

(١) أخرجها ابن بطة فى الإبانة الكبرى : ٧٦٠/٢ . ونقلها ابن تيمية من كتاب السنة للأثرم . انظر : الإيمان ص : ٢٤١/٢٤٠ .

(٢) مجموع الفتاوى : ٦٦٩/٧ . وانظر : الإيمان له ص : ٤٣٢،٤٣٠ .

(٣) مجموع الفتاوى : ٤٤٦/٧ .

والناس عندهم على الظاهر مؤمنون به يتوارثون وبه يتناكحون وبه تجرى أحكام ملة الإسلام لكن الاستثناء منهم على حسب ما بيناه لك وبينه العلماء قبلنا[1].اهـ

قول الإمام أحمد فيمن ترك الاستثناء فى الإيمان

قال أبو بكر الخلال :

٦٣ – أخبرنى محمد بن على قال : ثنا أبو بكر الأثرم قال : قلت : لأبى عبد الله يعنى لما قال الاستثناء مخافة واحتياطا – فقلت له : فكأنك لاترى بأسا أن لا يستثنى ؟ فقال : إذا كان ممن يقول :الإيمان قول وعمل يزيد وينقص فهو أسهل عندى ، ثم قال أبو عبد الله : إن قوما تضعف قلوبهم عن الاستثناء كالمتعجب منهم[2] .

ونقل عن الإمام أحمد روايات بهذا المعنى :

٦٤ – ابنه عبد الله قال : سألت أبى عن رجل يقول : الإيمان قول وعمل ولكن لا يستثنى أمرجىء ؟ قال : أرجو أن لا يكون مرجئا[3] .

٦٥ – حبيش بن سندى قال : دخل عليه شيخ فقال له : أقول مؤمن إن شاء الله ؟ قال : نعم . فقال له : إنهم يقولون لى إنك شاك قال : بئس ما قالوا : ثم خرج فقال : ردوه ، فقال أليس يقولون الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ؟ قال : نعم . قال : هؤلاء مستثنون قال كيف يا أبا عبد الله قال : قل لهم زعمتم أن الإيمان قول وعمل فالقول قد أتيتم به والعمل لم تأتوا به فهذا الاستثناء لهذا العمل[4] .

---

(١) الشريعة ص : ١٣٦ .
(٢) السنة للخلال (ق ١٠١/أ) وذكرها ابن تيمية فى الإيمان ص : ٢٤١ نقلاً من كتاب السنة للأثرم .
(٣) السنة له (ق ٣٦/أ) ظ وفى المطبوع ص : ٨١)
(٤) السنة للخلال (ق ١٠٠/ب) .

وقال أبو داود :

٦٦ – سمعت أحمد وقال له « رجل[١] » : أعليّ فى هذا شيء إن قلت أنا مؤمن فقال أحمد لا تقل أنا مؤمن حقا ولا البتة ولا عند الله[٢] .

*** ونقل عنه زوايات بهذا المعنى :**

٦٧ – **أبو داود أيضا قال** : سمعت أحمد قال له رجل قيل لى : أمؤمن أنت : فقلت : نعم ، هل عليّ فى ذلك شيء ؟ هل الناس إلا مؤمن وكافر ؟ فغضب أحمد وقال هذا كلام الإرجاء[٣] .

٦٨ – **أبو طالب قال:** سمعت أبا عبد الله يقول : لا نجد بدا من الاستثناء لأنه إذا قال أنا مؤمن فقد جاء بالقول فإنما الاستثناء بالعمل لا بالقول[٤] .

٦٩ – **زياد بن أيوب[٥]** قال : سمعت أحمد يقول : لا يعجبنا أن نقول حقا ولا نكفر من قاله[٦] .

٧٠ – **أحمد بن القاسم** : أنه قال لأبى عبد الله : يروى عن الأوزاعى أنه قال : الاستثناء وترك الاستثناء سواء كما قال الله عز وجل ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ﴾ فهذا ليس على شك فلم أره يعجبه ترك الاستثناء ورأيته أكثر عنده[٧] .

---

(١) فى الأصل : (قال له هذا الرجل) لعلاقته بكلام سابق .

(٢) مسائل أبى داود ظ، ص : ٢٥٧ وفى المطبوع ص :٢٧٤ .

(٣) المصدر نفسه ظ، ص : ٢٥٦ وفى المطبوع ص : ٢٧٣ .

(٤) السنة للخلال (ق ١٠١/أ) .

(٥) هو : زياد بن أيوب بن زياد البغدادى ، أبو هاشم الطوسى ، يلقب : دلويه ، ولقبه أحمد : شعبة الصغير ، ثقة حافظ ، توفى سنة اثنتين وخمسين ومئتين تاريخ بغداد : ٤٧٩/٨ ، طبقات الحنابلة : ١٥٦/١، تقريب : ٢٦٥/١ ، المنهج الأحمد : ١٩٧/١ .

(٦) السنة للخلال (ق ٩٤/أ) .

(٧) السنة للخلال (ق ١٠١/أ) .

٧١ - **الحسين بن منصور**[١] **قال** :قال لى أحمد بن حنبل : من قال من العلماء أنا مؤمن قلت : لا أعلم رجلاً أثق به ، قال : لم تقل شيئا لم يقله أحد من أهل العلم قبلنا[٢] .

٧٢ - **إسماعيل الشالنجي قال** : سألت أحمد : من قال : أنا مؤمن عند نفسي من طريق الأحكام والمواريث ولا أعلم ما أنا عند الله عز وجل قال : ليس هذا بمرجىء[٣] .

التعليق :

يتضح مما سقته من روايات عن الإمام أحمد استحبابه للاستثناء فى الإيمان وعدم تركه ، والمرجئة والجهمية ومن سار على منهجهم يحرمون الاستثناء فى الإيمان وينكرون على من استثنى ويتهمونه بالشك فى إيمانه . وتحريمهم للاستثناء جاء اعتمادا على رأيهم فى الإيمان وأنه شىء واحد لاتعدد فيه[٤] .

لذلك نجد الإمام أحمد يرد هذا القول ويبين أن الاستثناء لا يعود إلى أصل الإيمان وإنما هو عائد إلى فرعه الذى هو العمل ، ومن أجل هذا نجد أن السلف أجازوا ترك الاستثناء نسبة إلى أصل الإيمان . فاستثناؤهم إنما كان خوفا من تزكية النفس واحتياطا للعمل أما تركه على اعتبار ما يعلمه المسلم من نفسه بأنه غير كافر فهو جائز ومن يرى وجوب الاستثناء فى الإيمان فحجته : أن الإيمان هو ما يموت عليه صاحبه والكفر كذلك والإنسان لا يدرى على ماذا يموت[٥] .

---

(١) هو : الحسين بن منصور بن جعفر بن عبد الله السلمى ، أبو على النيسابورى ثقة فقيه ، توفى سنة ثمان وثلاثين ومئتين . تقريب : ١/١٨٠ .

(٢) السنة للخلال : (ق ٩٣/ب) .

(٣) نفس المصدر : (ق ٩٥/أ) .

(٤) انظر : أصول الدين للبغدادى ص ٢٥٣ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص : ٣٩٥ - ٣٩٨ ، مجموع الفتاوى : ٢٥٣/٧ ، ٤٢٩ - ٤٤٧ ، ٦٦٦ .

(٥) انظر : الإيمان لابن تيمية ص : ٤١٩ .

ذكر بعض ما احتج به الإمام أحمد فى الاستثناء فى الإيمان

قال أبو بكر الخلال :

٧٣ – أخبرنى محمد بن أبى هارون[١] أن حبيش بن سندى حدثهم فى هذه المسألة قال أبو عبد الله : قول النبى صلى الله عليه وسلم حين وقف على المقابر فقال وإنا إن شاء الله بكم لاحقون[٢] . وقد نعيت إليه نفسه أنه صائر إلى الموت. وفى قصة صاحب القبر: «عليه حييت وعليه تبعث إن شاء الله»[٣] وفى قول النبى صلى الله عليه وسلم : إنى اختبأت دعوتى وهى نائلة إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئا »[٤] وفى مسألة الرجل للنبى صلى الله عليه وسلم: أحدنا يصبح جنبا يصوم .. فقال: « والله إنى لأرجو أن أكون أخشاكم لله»[٥] وهذا كثير وأشباهه على اليقين ... ثم قال : قال الله عز وجل ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ﴾[٦] فقد علم تبارك وتعالى أنهم داخلون المسجد الحرام[٧] . اهـ .

٧٤ – ونقل استشهاده بهذه الآية أيضا : محمد بن الحسن بن هارون وحرب الكرمانى وقال فى رواية حرب : لأنه لابد داخلوه[٨] ونحو ما تقدم نقل عن أبى عبد الله أبو بكر الأثرم[٩] والفضل بن زياد[١٠] .

---

(١) هو محمد بن موسى تقدم ، انظر ص : ١٥ .

(٢) أخرجه مسلم : ٦٦٩/٢ح ٩٧٤ من حديث عائشة رضى الله عنها، وأخرجه أيضا من حديث أبى هريرة : ٢١٨/١ح : ٢٤٩ ، وكذا أحمد ١٨٠/٦ ، والنسائى ٩٤/١ ، وأخرجه مسلم : ٦٧١/٢ح : ٩٧٥ ، والنسائى ٩٤/٤ من حديث بريدة بن الحصيب .

(٣) أخرجه ابن ماجه ١٤٢٦/٢ – وغيره – من حديث أبى هريرة .

(٤) أخرجه مسلم : ١٨٨/١ح : ٣٣٤ ، و١٨٩/١ح : ٣٣٥ من حديث أبى هريرة .

(٥) أخرجه مسلم ٧٨١/٢ من حديث عائشة رضى الله عنها .

(٦) سورة الفتح /آية ٢٧ .

(٧) السنة للخلال (ق ١٠٠) .

(٨) السنة للخلال (ق ١٠٠) .

(٩) نقلها ابن تيمية فى الإيمان ص : ٢٤١ من كتاب السنة للأثرم .

(١٠) انظر : الإبانة الكبرى لابن بطة : ٧٥٩/٢ .

٧٥ – وفى رواية أخرى قال أبو بكر الأثرم : ثنا أبو عبد الله بحديث عائشة : إنى لأرجو ... فقال هذا أيضا أى هو حجة فى الاستثناء فى الإيمان أى أنه قد قال : « أرجو » وهو أخشاهم[١] .

٧٦ – ونقل حرب عن أحمد فى الحديث السابق « وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » قال أحمد : هذا حجة الاستثناء فى الإيمان[٢] .

٧٧ – وقال عبد الله بن أحمد : سمعت أبى يقول : الحجة على من لايستثنى .. فذكر الحديث الآنف الذكر[٣][*] .

قول الإمام أحمد فيمن يسأل أمؤمن أنت

قال أبو بكر الخلال :-

٧٨ – أخبرنى أحمد بن أصرم المزنى [٤] أن أبا عبدالله قيل له: إذا سألنى الرجل أمؤمن أنت قال : سؤاله إياك بدعة لا يشك فى إيمانك أو قال لا نشك فى إيماننا وقال المزنى : وحفظى أن أبا عبد الله قال : أقول كما قال طاووس[٥]: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله[٦] .

* **بنحو هذا أجاب فى رواية :**

٧٩ – **يوسف بن موسى قال** : سئل عن الرجل يقال له أمؤمن أنت قال : سؤاله إياك بدعة يقول : إن شاء الله .

---

(١) السنة للخلال (ق ١٠٠) .
(٢) نفس المصدر .
(٣) السنة لعبد الله بن أحمد (ق ٣٦ ، ظ . وفى المطبوع ص : ٨٢) .
(*) الإمام أحمد استدل بالكتاب والسنة على جواز الاستثناء فى الإيمان وبين وجه الدلالة على ما استشهد به من الآيات والأحاديث ، وبالله التوفيق .
(٤) قال عنه أبو بكر الخلال : ثقة . تاريخ بغداد ٤/٤٤ .
(٥) هو : طاووس بن كيسان اليمانى ، ثقة ، فقيه فاضل ، توفى سنة ست ومئة ، تقريب : ١/٣٧٧ .
(٦) السنة (ق ١٠٢/أ) . ورواه الإمام أحمد بسنده عن طاووس . انظر : السنة لعبد الله بن أحمد ص : ٨٨ .

٨٠ - **أحمد بن الحسن** : أنه سأل أبا عبد الله يقول لى :أنت مؤمن فقال سؤاله إياك بدعة، وقال أنا مؤمن أرجو. قلت أقول إن شاء الله ؟ قال: إن قلت إن شاء الله أرجو .

٨١ - **إسماعيل بن إسحاق**[١] : أن أبا عبد الله سئل عن الرجل يسألنى مؤمن أنت . قال : تقول : نعم إن شاء الله[٢] .

٨٢ - **حنبل بن إسحاق قال** : قيل له : فإذا قال الرجل : أمؤمن أنت ؟ قال : هذا بدعة . قيل فما يرد عليه ؟ قال : يقول مؤمن إن شاء الله[٣] .

التعليق :

أكتفى بما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية حول هذه المسألة إذ يقول : « وقد كان أحمد وغيره من السلف مع هذا يكرهون سؤال الرجل لغيره أمؤمن أنت ، ويكرهون الجواب لأن هذه بدعة أحدثها المرجئة ليحتجوا بها لقولهم فإن الرجل يعلم من نفسه أنه ليس بكافر ، بل يجد قلبه مصدقا بما جاء به الرسول فيقول : أنا مؤمن فيثبت أن الإيمان هو التصديق لأنك تجزم بأنك مؤمن ، ولا تجزم بأنك فعلت كل ما أمرت به ، فلما علم السلف مقصدهم ، صاروا يكرهون الجواب ، أو يفصلون فى الجواب ، وهذا لأن لفظ « الإيمان » فيه إطلاق وتقييد ، فكانوا يجيبون بالإيمان المقيد الذى لا يستلزم أنه شاهد فيه لنفسه بالكمال ، ولهذا كان الصحيح أنه يجوز أن يقال :أنا مؤمن إذا أراد ذلك لكن ينبغى أن يقرن كلامه بما يبين أنه لم يرد الإيمان المطلق الكامل ، ولهذا كان أحمد يكره أن يجيب على المطلق بلا استثناء يقدمه »[٤] .

---

(١) هو إسماعيل بن إسحاق الثقفى . كان له اختصاص بأحمد . قال عنه الدارقطنى : ثقة ، تاريخ بغداد : ٢٩٣/٦ ، طبقات الحنابلة : ١٠٣/١ .

(٢) انظر السنة للخلال (ق ١٠٢/أ) .

(٣) شرح اعتقاد الإمام أحمد لابن شكر ص : ١٣ .

(٤) مجموع الفتاوى : ٤٤٨/٧ - ٤٤٩ .

قول الإمام أحمد فى الفاسق الملى

قال أبو بكر الخلال :

٨٣ – أخبرنى موسى بن سهل[١] قال : ثنا محمد بن أحمد الأسدى[٢] قال : ثنا إبراهيم بن يعقوب[٣] عن إسماعيل بن سعيد[٤] قال : سألت أحمد عن قول النبى صلى الله عليه وسلم : « من غشنا فليس منا »[٥] قال : على التأكيد والتشديد ولا أكفر أحدا إلا بترك الصلاة[٦] .

*** ونقل نحو هذا عن أحمد :**

٨٤ – أبو داود قال : سمعت أحمد يقول : « إذا قال الرجل لا أصلى فهو كافر »[٧] .

٨٥ – ابن هانىء قال : « حضرت رجلا عند أبى عبد الله ، وهو يسأله فجعل الرجل يقول : وأن لا يكفر أحد بذنب ؟ قال أبو عبد الله : اسكت من ترك الصلاة فقد كفر »[٨] .

---

(١)،(٢) لم أتمكن من تحديدهما .

(٣) هو : إبراهيم بن يعقوب الجوزجانى ، ثقه حافظ رُمى بالنصب . قال أبو بكر الخلال : كان أحمد يكاتبه ويكرمه وعنده عن أبى عبد الله مسائل .
طبقات الحنابلة : ٩٨/١ ، تقريب : ٤٦/١ .

(٤) هو : الشالنجى .

(٥) رواه مسلم : ٩٩/١ وأبو داود : ٧٣٢/٣ والترمذى : ٦٠٦/٣ وابن ماجه : ٧٤٩/٢ من حديث أبى هريرة . ورواه أحمد : ٥٠/٢ ، ٤١٧ ، ٤٦٦ من حديث أبى هريرة وغيره .

(٦) السنة (ق ٩٦/ب) .

(٧) مسائل أبى داود (ظ ص : ٢٥٥ وفى المطبوع ص : ٢٧٢) .

(٨) مسائل ابن هانىء : ١٥٦/٢ .

٨٦ - حنبل بن إسحاق قال : قال أبو عبد الله : « لم نسمع فى شيء من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة »[(١)] .

٨٧ - عبدوس بن مالك قال : سمعت أحمد يقول : « ومن ترك الصلاة فقد كفر ، وليس من الأعمال شيء تركه كفر إلا الصلاة » . وفى موضع آخر : « ... ومن لقيه مصرا غير تائب من الذنوب التى قد استوجب بها العقوبة فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له »[(٢)] .

٨٨ - مسدد بن مسرهد : كتب له أحمد : ويخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام ولا يخرجه من الإسلام شيء إلا الشرك بالله العظيم أو يرد فريضة من فرائض الله عز وجل جاحدا بها فإن تركها تكاسلا أو تهاونا كان فى مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه[(٣)] .

٨٩ - محمد بن عوف الطائى قال : أملى عليَّ أحمد : ومن لقيه مصرا غير تائب من الذنوب التى قد استوجب بها العقوبة، فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ، إذا توفى على الإسلام والسنة[(٤)] .

٩٠ - الحسن بن إسماعيل الربعى قال : قال لى أحمد : وأن لا نكفر أحدا من أهل التوحيد وإن عملوا الكبائر[(٥)] .

٩١ - محمد بن حبيب الأندرانى قال : سمعت أحمد يقول : صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة ... ولم يكفر أحدا من أهل التوحيد بذنب وإرجاء ما غاب عنه من الأمور إلى الله عز وجل وفوض أمره إلى الله تعالى ولم يقطع بالذنوب العصمة من عند الله[(٦)] .

---

(١) أحكام أهل الملل للخلال ص : ٢٠٩ .
(٢) انظر : رسالة عبدوس بن مالك عن الإمام أحمد ق ٤ ، ٥ ، طبقات الحنابلة : ١/٢٤٣ ، ٢٤٥ .
(٣) رسالة مسدد بن مسرهد ، طبقات الحنابلة : ١/٣٤٣ .
(٤) طبقات الحنابلة : ١/٣١١ .
(٥) طبقات الحنابلة : ١/١٣٠-١٣١ .
(٦) المصدر السابق : ١/٢٩٤ .

٩٢ - أحمد بن جعفر الإصطخرى قال : قال أحمد : والكف عن أهل القبلة ولا نكفر أحدا منهم بذنب ولا نخرجهم عن الإسلام بعمل إلا أن يكون فى ذلك حديث فيروى الحديث كما جاء وكما روى نصدقه ونقبله ونعلم أنه كما روى نحو ترك الصلاة وشرب الخمر وما أشبه ذلك أو يبتدع بدعة ينسب صاحبها إلى الكفر والخروج عن الإسلام فاتبع الأثر فى ذلك ولا تجاوزه[(١)(*)] .

فهذه روايات صريحة عن الإمام أحمد توضح موقفه من الفاسق الملى،ونقل عنه ما يؤكد ما ذكرته عنه .

٩٣ - محمد بن حبيب قال : سمعت أحمد يقول : والإيمان بأن الموحدين يخرجون من النار بعدما امتحشوا كما جاءت الأحاديث فى هذه الأشياء عن النبى صلى الله عليه وسلم وفى موضع آخر ورجا لمحسن أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتخوف على مسيئهم . ولم ينزل أحدا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الجنة بالإحسان ولا النار بالذنب اكتسبه حتى يكون الله تعالى هو الذى ينزل خلقه حيث يشاء[(٢)] .

٩٤ - عبدوس بن مالك قال : سمعت أحمد يقول : وبقوم يخرجون من النار بعد ما احترقوا وصاروا فحما فيؤمر بهم إلى نهر على باب الجنة كما جاء الأثر كيف شاء وكما شاء . إنما هو الإيمان والتصديق . وفى موضع آخر : ولا نشهد على أحد من أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار ونرجو للصالح ونخاف عليه ونخاف على المسيء المذنب ونرجو له. ويقول أيضا: ومن مات من أهل القبلة موحدا يصلى عليه ويستغفر له ولا يحجب عنه الاستغفار ولاتترك الصلاة عليه لذنب أذنبه صغيرا كان أو كبيراً أمره إلى الله تعالى[(٣)] .

٩٥ - مسدد بن مسرهد : كتب أحمد : والصلاة على من مات من أهل القبلة وحسابهم على الله عز وجل[(٤)] .

---

(١) المصدر السابق : ٢٧/١ ، وانظر : كتاب السنة لأحمد ضمن شذرات البلاتين ص : ٤٦ .

(*) وانظر : قول الإمام أحمد فى تارك الصلاة ص : ٣٦/٢ .

(٢) طبقات الحنابلة : ٢٩٥/١ .

(٣) رسالة عبدوس ق ١ ، ٦ والطبقات : ٢٤٣/١ ، ٢٤٦ .

(٤) طبقات الحنابلة : ٣٤٤/١ .

٩٦ - الحسن بن إسماعيل الربعى قال : قال لى أحمد : والصلاة على من مات من أهل القبلة[١] .

٩٧ - محمد بن عوف الطائى قال : ولا تنزل أحدا من أهل القبلة جنة ولا ناراً إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] .

التعليق :

الإمام أحمد يرى أن الفاسق الملى مؤمن ناقص الإيمان ، فهو لا يسلبه الإيمان بالكلية ولايعطيه صفة الإيمان المطلق . وهذا واضح مما تقدم عنه من روايات كما أن الروايات السابقة عنه فى زيادة الإيمان ونقصانه تشير إلى هذا ففى : رواية المروذى - مثلا - يقول : الإيمان قول وعمل، الزيادة فى العمل (والنقصان) إذا سرق وزنى ، وفى رواية حنبل بن إسحاق : قلت لأبى عبد الله : إذا أصاب الرجل ذنبا من زنا أو سرقة يزايله إيمانه ؟ قال : هو ناقص الإيمان ... وفى رواية أحمد ابن القاسم قلت : يا أبا عبد الله تقول الإيمان يزيد وينقص قال : نعم . قلت : فيكون ذاك من هذا المعنى أن يكون الرجل إذا أتى هذه الأشياء التى نهى عنها يكون أنقص ممن لم يفعلها ويكون هذا أكثر إيمانا منه ؟ قال : نعم يكون الإيمان : بعضه أكثر من بعض هكذا هو[٣] .

ومن المعلوم أن نقصان الإيمان إنما هو نتيجة لترك الواجبات واقتراف المنهيات، والإمام أحمد وصف من هذا شأنه بنقص الإيمان ولم يسلبه اسم الإيمان بالكلية هذا بالنسبة إلى التسمية ، أما بالنسبة للحكم فى الآخرة فهو يرى أنه واقع تحت مشيئة الله عز وجل إن شاء غفر له ابتداءً وإن شاء عذبه . ثم لابد له من الخروج من النار - بعد أن يلبث فيها ما شاء الله - ويدخل الجنة[٤] .

---

(١) طبقات الحنابلة : ١٣٠/١ .
(٢) المصدر نفسه : ٣١٢/١ .
(٣) انظر : هذه الروايات ص : ٤٠ .
(٤) تقدم من الأحاديث ما يدل على ذلك ص : ٤٩ .وانظر : قول الإمام أحمد فى الشفاعة ص : ٧١١ ، وقول الإمام أحمد فى خروج الموحدين من النار ص : ٧١٥ .

وهذا هو مذهب السلف فى التسمية والحكم . وهذا ما كان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن ظهر الخوارج وأظهروا معهم معتقداتهم الفاسدة التى منها تكفير مرتكب الكبيرة[1]– وهو قول جمهورهم – ومنهم من يكفر بالذنوب عامة صغيرها وكبيرها[2] مع الإصرار عليها وعلى النقيض من ذلك ما قاله غلاة المرجئة من أنه لايضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة فأسبغوا على الفاسق المنحرف اسم الإيمان المطلق .

ونتيجة لهذا الوضع المتناقض ظهر المعتزلة ولم يذهبوا بعيدا عن الخوارج فى مرتكب الكبيرة، فوافقوهم فى الحكم وخالفوهم فى التسمية فقالوا: هو فى منزلة بين المنزلتين بين الكفر والإيمان لامؤمن ولا كافر وكان هدفهم من وراء ذلك معاملتهم فى الدنيا معاملة المسلمين فى النكاح والميراث ونحو هذا بخلاف الخوارج الذين كفروه كفرا ينقله عن الملة وجعله معظمهم مباح الدم والمال والعرض .

والسلف رحمهم الله وفقهم الله عز وجل إلى الصواب – فى هذه القضية العقدية الخطيرة – فكان قولهم وسطا بين المرجئة من جهة والخوارج والمعتزلة من جهة أخرى فهم لم يصفوا الفاسق بالإيمان المطلق ، لأن هذا الوصف يترتب عليه دخول صاحبه الجنة ونجاته من النار ، والفاسق مستحق للوعد بما معه من إيمان وللوعيد لما اقترفه من المعاصى أولما ترك من الواجبات قال جل ذكره ﴿ إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾[3] والفاسق يخاطب باسم الإيمان أو الإسلام ويعامل معاملة المسلمين . لذلك قالوا : هو من حيث التسمية مؤمن ناقص الإيمان وبعضهم يقول : مؤمن بإيمانه فاسق

---

(١) يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : وقد اتفق المسلمون على أنه من لم يأت بالشهادتين فهو كافر وأما الأعمال الأربعة فاختلفوا فى تكفير تاركها ، ونحن إذا قلنا أهل السنة متفقون على أنه لا يكفر بالذنب ، فإنما نريد المعاصى كالزنا والشرب ، وأما هذه المبانى ففى تكفير تاركها نزاع مشهور . اهـ . الإيمان ص : ٣٨٧ . وقد ساق ابن تيمية بعض الروايات عن أحمد فى ذلك وسأذكرها جميعها عند الكلام عن قول الإمام أحمد فى تارك الصلاة والزكاة والصيام والحج ص : ٢/٣٤ – ٥٢ .

(٢) انظر : الخلاف فى ضابط الكبيرة والصغيرة : مسلم بشرح النووى : ٢/٨٤ – ٨٧ ، شرح العقيدة الطحاوية ص : ٤١٦ – ٤١٩ . مجموع الفتاوى لابن تيمية : ١١/٦٥٠ – ٦٦٠ .

(٣) سورة النساء /٤٨ ، ١١٦ .

بكبيرته ونحو هذا من العبارات المتحدة المدلول . أما من حيث الحكم فى الآخرة فهم لم يتجرؤوا على الله عز وجل كما يفعل غيرهم ، وإنما فوضوا أمره إلى الله عز وجل إن شاء غفرله ابتداءً وإن شاء عذبه وإن عُذبَ فلابد له من الخروج من النار ودخول الجنة[1]. وكما مر بنا فى رواية محمد بن حبيب الأندرانى عن الإمام أحمد والتى فيها : ... ولم ينزل أحدا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الجنة بالإحسان ولا النار بالذنب اكتسبه حتى يكون الله تعالى هو الذى ينزل خلقه حيث يشاء . بقى أن نعرف أن موقف أهل السنة هذا مبنى على الأسس المتينة والأدلة الشاملة لجميع زوايا الموضوع[2] فهم لم يأخذوا جوانب ويغفلوا أخرى كما فعل طرفا النقيض : المرجئة ، والخوارج والمعتزلة .

فالمرجئة نظروا إلى النصوص التى تخاطب الفساق باسم الإيمان أو الإسلام فأعطوهم صفة الإيمان المطلق . وقالوا إن المعاصى مهما كانت لا تؤثر فى إيمانه ولا تنقصه وهو من أهل الجنة . ولا يخفى الخطر العظيم والفساد الكبير الذى ينشأ عن هذا الاعتقاد الظاهر البطلان والذى يفتح الباب على مصرعيه لانتهاك حرمات الله عز وجل والانغماس فى الرذائل واقتراف المعاصى والموبقات .

وآيات الوعيد التى جاءت فى العصاة كثيرة جدا ومعروفة لا يجهلها أحد من تلك الآيات قول الله جل وعلا ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ﴾[3] .

وروى البخارى[4] من حديث عبادة بن الصامت : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه « بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا فى معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب

---

(١) انظر : عقيدة السلف لأبى عثمان الصابونى ١٢٤/١ ، والفتاوى لابن تيمية : ٤٨١/٧ – ٤٨٢ ، ٦٧٠ .

(٢) فتح البارى : ٦٤/١ ، ٧٢ ، ٨٤ – ٨٥ ، ومسلم بشرح النووى : ٤١/٢ .

(٣) سورة النساء /١٠ .

(٤) فى الصحيح : ٦٤/١ .

من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه » فبايعناه على ذلك .

أما الخوارج والمعتزلة فقالوا : إن الله سبحانه وتعالى وصف المؤمن بالطاعة والاستقامة فمن لم تتحقق فيه هذه الصفة فهو خارج عن الإيمان بالكلية ، ولا يخفى فساد هذا المذهب أيضا وبعده عن الحق كسابقه فكلاهما فيه تجرؤ على الله عز وجل، والخوارج والمعتزلة بقولهم هذا أقفلوا باب الرجاء وسعة رحمة الله فى وجه العصاة والمذنبين مما ينتج عنه اليأس والقنوط من رحمة الله وعفوه ومغفرته .

والله سبحانه وتعالى فى آيات كثيرة خاطب الفساق والمذنبين باسم الإسلام أو الإيمان فقال جل وعلا ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ﴾ [1] الآية . وقد نزلت هذه الآية فى شأن حاطب بن بلتعة لما حاول إخبار قريش بخروج النبى صلى الله عليه وسلم إليهم[2] . وقال جل ذكره ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ [3] الآية . فسماهم مؤمنين مع اقتتالهم .

مما تقدم يتضح ما سبق ذكره من أن أهل السنة أخذوا بجميع جوانب الموضوع ونظروا إلى النصوص مجتمعة ، وبنوا عليها حكمهم وهو الحق والصواب . والله تعالى أعلم .

مسألة فى أحاديث الوعيد :

تقدم فى رواية إسماعيل بن سعيد أنه سأل أحمد عن قول النبى صلى الله عليه وسلم « من غشنا فليس منا » فقال أحمد على التأكيد والتشديد . وسئل فى رواية حرب الكرمانى عن معنى الحديث فلم يجب فيه فقيل له إن قوما قالوا : من غشنا فليس مثلنا . فأنكره . وذكر عن عبد الرحمن بن مهدى

---

(١) سورة الممتحنة /١ .
(٢) انظر : تفسير ابن كثير : ٣٦٧/٤ .
(٣) سورة الحجرات /٩ .

قوله « لو أن رجلا عمل بكل حسنة أكان يكون مثل النبى صلى الله عليه وسلم »[1] .

وفى رواية محمد بن الحكم الأحول قال – لما سئل عن الحديث : لا أدرى إلا على ما روى وذكر قول عبد الرحمن السابق[2]. ونحو ما تقدم فى رواية حرب والأحول نقل أبو طالب عنه[3] . ومجمل الروايات عن أحمد تفيد توقفه عن التفسير وهو ما درج عليه بعض السلف فى أحاديث الوعيد .

يقول ابن حجر : والأولى عند كثير من السلف إطلاق لفظ الخبر من غير تعرض لتأويله ليكون أبلغ فى الزجر[4] . اهـ .

وإن كان البعض منهم قد تكلم فى معناها . يقول أبو عبيد : وكذلك الأحاديث التى فيها البراءة فهى مثل قوله : من فعل كذا وكذا فليس منا لا نرى شيئا منها يكون معناه التبرؤ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من ملته ، وإنما مذهبه عندنا أنه ليس من المطيعين لنا ، ولا من المقتدين بنا ولا من المحافظين على شرائعنا[5] . اهـ . ونحو ذلك ذكر الخطابى[6] .

---

(١) السنة للخلال (ق : ٩٥/ب) وانظر : نفس المصدر(ق : ٩٦/أ) .
(٢) المصدر السابق (ق : ٩٦/ب) .
(٣) نفس المصدر (ق : ٩٦/أ) .
(٤) فتح البارى : ١/٢٤ .
(٥) الإيمان ص : ٩٢ –٩٣ .
(٦) انظر : معالم السنن مع سنن أبى داود : ٣/٧٣٢ .

٢ – مسائل القدر

قول الإمام أحمد فى القدر

قال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ :

٩٨ - سئل عن القدر فقال : القدر قدرة الله على العباد[١] .

التعليق :

القدر : مصدر قدر يقدر قدرا . وقد تسكن داله[٢] . والآيات المثبتة له كثيرة منها قول الله تعالى ﴿ وكل شيئا أحصيناه فى إمام مبين ﴾ [٣] وقوله عز وجل ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ [٤] وقوله جل ذكره ﴿ ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ﴾ [٥] وقوله جل وعلا ﴿ وكان أمر الله قدرا مقدورا ﴾ [٦] وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديرا﴾[٧] وقوله تبارك وتعالى ﴿ما أصاب من مصيبة إلاَّ بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ [٨] .

وما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الصحيحة فى إثبات القدر من الكثرة بمكان نذكر منها :

١ - ما أخرجه مسلم[٩] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » .

---

(١) مسائل ابن هانئ : ١٥٥/٢ .
(٢) النهاية لابن الأثير : ٢٢/٤ .
(٣) سورة يس /١٢ .
(٤) سورة القمر /٤٩ .
(٥) سورة الحديد /٢٢ .
(٦) سورة الأحزاب /٣٨ .
(٧) سورة الفرقان /٢ .
(٨) سورة التغابن /١١ .
(٩) فى الصحيح : ٢٠٤٤/٤ .

٢ – ما أخرجه البخارى[١] ومسلم[٢] من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق : إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه بالروح ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فوالذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » . واللفظ لمسلم .

٣ – ما أخرجه مسلم[٣] عن طاوس أنه قال : « أدركت ناسا من أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم يقولون : كل شىء بقدر » . قال : وسمعت عبد الله بن عمر يقول : قال رسول صلى الله عليه وسلم : « كل شىء بقدر حتى العجز والكيس . أوالكيس والعجز » .

٤ – ما أخرجه البخارى[٤] ومسلم[٥] من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : « كنا جلوسا مع النبى صلى الله عليه وسلم ومعه عود ينكث به فى الأرض فنكس وقال : ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة . فقال رجل من القوم : ألا نتكل يا رسول الله . قال : لا . اعملوا فكل ميسر[٦] ، ثم قرأ : ﴿ فأما من أعطى واتقى ﴾ .

٥ – ما أخرجه الحاكم[٧] من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمى رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله عز وجل

---

(١) فى الصحيح : ٣٠٣/٦ ح : ٣٢٠٨ .
(٢) فى الصحيح : ٢٠٣٦/٤ .
(٣) فى الصحيح : ٢٠٤٥/٤ .
(٤) فى الصحيح : ٤٩٤/١١ ح : ٦٦٠٥ .
(٥) فى الصحيح : ٢٠٤٠/٤ .
(٦) استشهد به رواية حنبل بن إسحاق . انظر : السنة للخلال (ق : ٨٨/ب) .
(٧) فى المستدرك : ٣١/١ .

خلق آدم ثم خلق الخلق من ظهره وقال : هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وهؤلاء فى النار ولا أبالى . فقال قائل : يا رسول الله فعلى ماذا نعمل . قال : على مواقع القدر » .

قال الحاكم : صحيح قد اتفقا على الاحتجاج بروانه عن آخرهم إلى الصحابة ، وعبد الرحمن من الصحابة ، وأقره الذهبى .

وعزاه العراقى لأحمد وابن حبان . وقال : قال ابن عبد البر فى الاستيعاب : إنه مضطرب الإسناد[1] . اهـ .

قلت : وأخرج نحوه أحمد[2] عن معاذ بن جبل، والترمذى[3] عن عبد الله ابن عمرو بن العاص يرفعانه . قال الترمذى : حسن غريب صحيح .

ونظائر ما أوردت كثير . ومن أراد الاستزادة فليراجع كتب الحديث ، أبواب القدر وكتب العقائد .

قال النووى بعد ذكره لبعض هذه الأحاديث وغيرها : « وفى هذه الأحاديث كلها دلالات ظاهرة لمذهب أهل السنة فى إثبات القدر ، وأن جميع الواقعات بقضاء الله وقدره ، خيرها وشرها نفعها وضرها »[4] .

يقول ابن القيم رحمه الله : « وقال الإمام أحمد : القدر قدرة الله واستحسن ابن عقيل هذا الكلام جدا و قال : هذا يدل على دقة علم أحمد وتبحره فى معرفة أصول الدين وهو كما قال أبو الوفاء : فإن إنكار القدر إنكار لقدرة الرب على خلق الأعمال وكتابها وتقديرها »[5] . اهـ .

وروى الإمام أحمد بسنده عن قتادة قال : سألت ابن المسيب عن القدر فقال : ما قدر الله فهو قدر[6] .

---

(١) تخريج الإحياء : ٤٧/٣ .
(٢) فى المسند : ٢٣٩/٥ .
(٣) فى السنن : ٣٠٤/٣ .
(٤) مسلم بشرح النووى : ١٩٥/١٦ – ١٩٦ .
(٥) شفاء العليل ص : ٢٨ .
(٦) السنة لعبد الله بن أحمد ص : ١٣٣ .

وقال الخطابى : القدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر[1] . اهـ . وكذا ذكر البيهقى[2] .

وقال النووى : القدر معناه : أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء فى القدم وعلم سبحانه أنها ستقع فى أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهى تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى[3] .

قال الطحاوى : وأصل القدر سر الله تعالى فى خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبى مرسل[4] .

ما أثر عن الإمام أحمد من وجوب الإيمان بالقدر

٩٩ - وقال[5] : حضرت رجلا عند أبى عبد الله وهو يسأله ، فجعل الرجل يقول : يا أبا عبد الله ، رأس الأمر وإجماع المسلمين على أن الإيمان بالقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، والتسليم لأمره ، والرضا بقضائه ؟ فقال أبوعبد الله : نعم[6] .

• نقل عن الإمام أحمد روايات بهذا المعنى :

١٠٠ - حنبل بن إسحاق قال : سألت أبا عبد الله عن الإيمان بالقدر ؟ قال : نؤمن به ونعلم أن ما أصابنا لم يكن يخطئنا وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا[7] .

---

(١) انظر : معالم السنن مع سنن أبى داود : ٥/٧٧ .
(٢) انظر : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص : ٨٣ .
(٣) مسلم بشرح النووى : ١/١٥٤ ، وانظر : أيضاً فتح البارى : ١١/٤٧٧ .
(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٢٧٦ .
(٥) ابن هانىء .
(٦) مسائل ابن هانىء : ٢/١٥٦ .
(٧) السنة للخلال (ق : ٨٧ /أ) .

١٠١ - وفى رواية أخرى : فمن لم يؤمن بالقدر ورده فقد ضاد الله عز وجل فى أمره ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به وجحد القرآن وما أنزل الله عز وجل[١] .

وفى أخرى أيضاً قال : ليس شيء أشد على القدرية من قول الله عز وجل ﴿ وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ وقوله : ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ وفى القران فى غير موضع إثبات القدر لمن تفهمه وتدبره[٢] .

١٠٢ - **مسدد بن مسرهد** : كتب له أحمد : ونؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره وحلوه ومره[٣] .

١٠٣ - **عبدوس بن مالك قال** : سمعت أحمد يقول : الإيمان بالقدر خيره وشره والتصديق بالأحاديث فيه والإيمان بها لا يقال : لم ولا كيف إنما هو التصديق والإيمان بها[٤] .

١٠٤ - **الحسن بن إسماعيل الربعى قال** : قال لى أحمد : الرضا بقضاء الله عز وجل والتسليم لأمره والصبر على حكمه والإيمان بالقدر خيره وشره[٥] .

١٠٥ - **محمد بن حبيب الأندرانى قال** : سمعت أحمد يقول : وعلم أن كل شيء بقضاء الله وقدره والخير والشر جميعا[٦] .

١٠٦ - **أحمد بن جعفر الإصطخرى قال** : قال لى أحمد: والقدر خيره وشره وقليله وكثيره وظاهره وباطنه وحلوه ومره ومحبوبه ومكروهه وحسنه وسيئه وأوله وآخره من الله قضاءً قضاه وقدراً قدره عليهم لا يعدو واحد منهم مشيئة الله عز وجل ولا يجاوز قضاءه بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له واقعون فيما قدر عليهم لا محالة وهو عدل منه عز ربنا وجل[٧] .

---

(١) نفس المصدر (ق : ٨٨ /ب) .
(٢) نفس المصدر (ق : ٨٦/ب) .
(٣) طبقات الحنابلة : ٣٤٣/١ .
(٤) رسالة عبدوس (ق : ١/ب) والطبقات : ٢٤١/١ .
(٥) طبقات الحنابلة : ١٣٠/١ .
(٦) المصدر السابق : ٢٩٤/١ .
(٧) المصدر السابق : ٢٥/١ ،وانظر : كتاب السنة لأحمد ضمن شذرات البلاتين ص : ٤٤ .

١٠٧ - **محمد بن عوف الطائى قال** : أملى علىَّ أحمد : والإيمان بالقدر خيره وشره[١] .

التعليق :

الإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان التى لايتحقق إيمان عبد إلا بها . روى مسلم[٢] عن يحيى بن يعمر قال : انطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميرى حاجين أو معتمرين فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء فى القدر . فوفق لنا عبد الله ابن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبى ، أحدنا عن يمينه وأحدنا عن شماله . فظننت أن صاحبى سيكل الكلام إلىَّ . فقلت : أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم - وذكر من شأنهم - وأنهم يزعمون أن لا قدر ، وأن الأمر أنف . قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى برىء منهم وأنهم براء منى . والذى يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر . ثم قال : حدثنى أبى عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لايرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرنى عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : .... قال : فأخبرنى عن الإيمان . قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » قال : صدقت.... ثم قال لى : « يا عمر أتدرى من السائل » قلت الله ورسوله أعلم . قال : « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » .اهـ .وفى الإيمان بالقدر سعادة فى الدنيا والآخرة فمتى علم العبد أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه اطمأن قلبه وتعلق بربه وصرف أمره إليه . هذا مع ما فى الإيمان بالقدر من تحقيق العبودية لله تعالى واستشعار عظمته وقدرته جل وعلا .

---

(١) طبقات الحنابلة : ٣١٣/١ .

(٢) فى الصحيح : ٣٦/١ .

قول الإمام أحمد فى ذكر أول من تكلم فى القدر

قال أبو بكر الخلال :

١٠٨ – أخبرنى أحمد بن محمد أبو حامد الوراق الطرسوسى[١] : قال : ثنا محمد بن حاتم بن نعيم المروزى[٢] قال : ثنا على بن سعيد[٣] قال : سمعت أحمد يقول : أول من تكلم فى القدر بالبصرة معبد الجهنى[٤] وسسلوا[٥] رجل من الأساورة[٦] .

---

(١) لم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه من المصادر .

(٢) ثقة ، تقريب : ١٥٢/٢ .

(٣) ابن جرير ، النسائى ، صدوق ، صاحب حديث ، توفى سنة بضع وخمسين ومئتين . تقريب : ٣٧/٢ .

(٤) معبد بن خالد الجهنى القدرى ، أول من أظهر القدر بالبصرة ، مبتدع ضال مضل . خرج مع ابن الأشعث على الحجاج فقتل سنة ثمانين . الجرح والتعديل : ٢٨٠/٨ ، ميزان الاعتدال : ١٤١/٤ ، تقريب : ٢٦٢/٢ .

(٥) هكذا جاء فى الأصل . وفى رواية عبد الله بن أحمد بن حنبل ذكر أحمد بسنده عن عبد العزيز بن مهران البصرى قال : ولا أعلم أحداً يومئذ يتكلم فى القدر غير معبد ورجل من الأساورة يقال له سسويه . السنة لعبد الله ص ١٢٣ .
وقال ابن عون : أدركت الناس وما يتكلمون إلا فى على وعثمان حتى نشأ ههنا حقير يقال له سنسويه البقال . فكان أول من تكلم فى القدر .
وقال الأوزاعى :أول من نطق فى القدر : رجل من أهل العراق يقال له : سوسن كان نصرانياً فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهنى وأخذ غيلان عن معبد .
وقال يونس بن عبيد : أدركت البصرة وما بها قدرى إلا سنسويه ومعبد الجهنى وآخر ملعون فى بنى عوافة . انظر : شرح السنة للالكائى : ٧٤٩/٤ – ٧٥٠ .
قال الذهبى : سسويه : زوج والدة موسى الأسوارى ، مجهول . هكذا فى ميزان الاعتدال : ٢٥٤/٢ وفى لسان الميزان ٣٣٥/٦ قال ابن حجر : اسمه يونس الأسوارى أول من تكلم بالقدر وكان بالبصرة فأخذ عنه معبد الجهنى ، ذكره الكعبى فى طبقات المعتزلة وذكر أنه كان يلقب سسويه. اهـ .
ومما تقدم يتضح لنا أن أول من ابتدأ هذه البدعة هو : سسويه وأخذ معبد عنه ونشرها وأخذ غيلان عن معبد وهذا هو المشهور . وغيلان هو ابن أبى غيلان الدمشقى قال الساجى : كان قدرياً داعية دعا عليه عمر بن العزيز فقتل وصلب وكان غير ثقة ولامأمون ، وناظره الأوزاعى وأفتى بقتله . فصلب بعد الخمسين ومئة . انظر : ميزان الاعتدال : ٣٣٨/٣ ، لسان الميزان : ٤٢٤/٤ .

(٦) السنة (ق : ٨٥/أ) .

التعليق :

بدعة القدر تتلخص فى اتجاهين :
الأول : إنكار علم الله السابق للوقائع[1] .
الثانى : إيجاد العبد لفعله من غير أن يكون لله مشيئة وإرادة فيه[2] .

وقد بدأت هذه البدعة تطل برأسها فى أواخر عهد الصحابة رضوان الله عليهم ، لذلك نجدهم قاوموا هذه البدعة وأنكروها لما فيها من خطر عظيم على عقيدة المسلم وهدم لركن أساسى من أركان الإيمان .

قال عبد القاهر بن طاهر البغدادى : « ثم حدث فى زمان المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية فى القدر والاستطاعة من معبد الجهنى وغيلان الدمشقى ، والجعد بن درهم . وتبرأ منهم المتأخرون من الصحابة كعبد الله ابن عمر وجابر بن عبد الله وأبى هريرة وابن عباس وأنس بن مالك وعبد الله بن أبى أوفى وعقبة بن عامر الجهنى وأقرانهم وأوصوا أخلافهم بأن لايسلموا على القدرية ولا يصلوا على جنائزهم ولا يعودوا مرضاهم[3] .

قول الإمام أحمد فيمن جحد العلم من القدرية

قال أبو بكر الخلال :

١٠٩ - أخبرنى محمد بن يحيى الكحال[4] أن أبا عبد الله قال : القدرى الذى يقول إن الله لم يعلم الشيء حتى يكون هذا كافر[5] .

---

(١) سيأتى « قول الإمام أحمد فيمن جحد العلم من القدرية » والتعليق عليه .
(٢) سيأتى « قول الإمام أحمد فى أفعال العباد » والتعليق عليه .
(٣) الفرق بين الفرق ص : ١٤ .
(٤) هو : محمد بن يحيى الكحال ، أبو جعفر البغدادى المتطبب . قال أبو بكر الخلال :« كانت عنده عن أبى عبد الله مسائل كثيرة حسان مشبعة وكان من كبار أصحاب أبى عبد الله وكان يقدمه ويكرمه ». طبقات الحنابلة : ٣٢٨/١ .
(٥) السنة (ق : ٨٥/أ) .

• نقل عن الإمام أحمد روايات بهذ المعنى :

١١٠ - أبو بكر المروذى قال : سألت أبا عبد الله عن عمرو بن عبيد[١] . قال : كان لا يقر بالعلم؛ وهذا الكفر بالله عز وجل .

١١١ - وفى رواية أخرى قال المروذى : سألت أبا عبد الله عن القدرى فلم يكفره إذا أقر بالعلم . وقال أيضا : قلت لأبى عبد الله الرجل يكون له قرابة قدرى قال : القدر لا يخرجه من الإسلام .

قلت : أولئك لم يكونوا يدعون إلى القدر فأما من كان عالما وجحد العلم؟ قال : إذا جحد كفر .

١١٢ - حنبل بن إسحاق : أن أبا عبد الله قال : ولم يزل الله عالما . قلت لأبى عبد الله : آدم عليه السلام خلقه الله عز وجل للأرض قال : نعم خلقه عز وجل للأرض وعلم ما هو كائن منه قبل أن يكون قال الله عز وجل ﴿ إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾[٢] هذا قبل أن يخلق آدم قد علم الله ما هو كائن منه قبل أن يكون . وسمعت أبا عبد الله يقول : علم الله عز وجل أن آدم سيأكل من الشجرة التى نهاه عنها قبل أن يخلقه[٣] .

١١٣ - أحمد بن جعفر الإصطخرى قال : قال أحمد.. وعلم الله عز وجل ماض فى خلقه بمشيئة منه قد علم من إبليس ومن غيره ممن عصاه من لدن أن عصى تبارك وتعالى إلى أن تقوم الساعة المعصية وخلقهم لها وعلم الطاعة من أهل الطاعة وخلقهم لها . وكل يعمل لما خلق له[٤] .

قال أبو بكر الخلال :

١١٤ - أخبرنى أبو بكر[٥] قال : سمعت أبا عبد الله يقول : إذا جحد

---

(١) هو عمرو بن عبيد المعتزلى المشهور ، كان داعية إلى بدعة . توفى سنة ثلاث وأربعين ومئة أو قبلها . تقريب : ٧٤/٢ .

(٢) سورة البقرة /٣٠ .

(٣) السنة للخلال (ق : ٨٥) .

(٤) طبقات الحنابلة : ٢٥/١ ، انظر : السنة لأحمد ضمن شذرات البلاتين ص : ٤٥ .

(٥) المروذى .

العلم .قال : إن الله عز وجل لا يعلم الشيء حتى يكون استتيب فإن تاب وإلا قتل[1] .

• **نقل عن الإمام أحمد روايات بهذا المعنى :**

١١٥ – أبو بكر المروذي قال : سألت أبا عبد الله عمن قال : إن لمن الأشياء لم يخلقها الله يكون مشركا ؟ قال : لم يخلقها الله !! إذا جحد العلم يستتاب فإن تاب وإلا قتل[2] .

١١٦ – وفي رواية أخرى : سمعت أبا عبد الله يُسأل عمن قال : إن من الأشياء شيئاً لم يخلق الله ، هذا يكون مشركا ؟ قال : إذا جحد العلم فهو مشرك يستتاب فإن تاب وإلا قتل إذا قال : إن الله عز وجل لا يعلم الشيء حتى يكون[3] .

١١٧ – جعفر بن محمد النسائي[4] قال : سمعت أبا العباس صاحب أبي عبيد وسأل أبا عبد الله : عمن جحد العلم . قال : يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه[5] .

١١٨ – محمد بن الحكم[6] : أنه سأل أبا عبد الله عن القدري يستتاب وقلت : إن مالكاً وعمر بن عبد العزيز يرون أن يستتيبوه فإن تاب وإلا ضربت عنقه . قال : أرى أن أستتيبه إذا جحد علم الله . قلت وكيف يجحد

---

(١) السنة (ق : ٨٥/ب) .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه (ق : ٩١/ب) .
(٤) هو : جعفر بن محمد النسائي ، الشقراني . قال عنه أبو بكر الخلال : « رفيع القدر ثقه جليل ورع ، أمار بالمعروف نهاء عن المنكر . كان أبو عبد الله يكرمه روى عن أبي عبد الله أجزاء صالحة ومسائل كثيرة » طبقات الحنابلة : ١/١٢٤ ، المنهج الأحمد : ١/٣٨٢ .
(٥) السنة للخلال (ق : ٨٥/ب) .
(٦) هو : محمد بن الحكم المروزي الأحول بن أبي طالب ، صاحب أحمد، ثقة فاضل ، توفي سنة ثلاث وعشرين ومئتين . تقريب : ٢/١٥٥ وقال عنه أبو بكر الخلال : « مات قبل موت أبي عبد الله بثمان عشرة سنة » . طبقات الحنابلة : ١/٢٩٥ .

علم الله ؟ قال : إذا قال : لم يكن هذا فى علم الله . أستتيبه فإن تاب وإلا ضربت عنقه . قال : إن منهم من يقول كان فى علم ولكن لم يأمرك بالمعصية[1] .

التعليق :

تقدم أن بدعة القدر تتلخص فى اتجاهين :

الأول : إنكار علم الله السابق للوقائع . وهو ما أنا بصدد الكلام عنه . والمنكرون علم الله السابق للأشياء قبل وقوعها هم غلاة القدرية[2] ، ولا يخفى ما يترتب على هذا الاعتقاد من أمور منزه عنها الله جل وعلا ، لذلك أنكر السلف على هؤلاء إنكاراً شديداً وكفروهم وأفتوا بقتلهم إن لم يرجعوا[3] ونتيجة لهذا الإنكار الشديد من جانب السلف ولقباحة ورداءة هذا المعتقد أيضا تراجعا سريعا حتى لم يعد له وجود . ويرى ابن تيمية أنه : « لما اشتهر الكلام فى القدر ودخل فيه كثير من أهل النظر والعباد ، صار جمهور القدرية يقرون بتقدم العلم ، وإنما ينكرون عموم المشيئة والخلق »[4] .

يقول ابن حجر : وقد حكى المصنفون فى المقالات عن طوائف القدرية إنكار كون البارىء عالما بشىء من أعمال العباد قبل وقوعها منهم ، وإنما يعلمها بعد كونها .

قال القرطبى وغيره : قد انقرض هذا المذهب . ولا نعرف أحداً ينسب إليه من المتأخرين قال : والقدرية اليوم مطبقون على أن الله عالم بأفعال العباد قبل وقوعها[5] ، وإنما خالفوا السلف فى زعمهم بأن أفعال العباد مقدورة لهم

(١) السنة للخلال (ق : ٨٥/ب - ٦/أ) .
(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص : ٣٠٢ ، ٣٠٥ .
(٣) تقدم فيما سقته من روايات عن الإمام أحمد تكفيره لهؤلاء وإباحة دمائهم إن لم يرجعوا وانظر : شرح السنة للالكائى : ٧٠٦/٤ - ٧٢٥ حيث ساق أقوال السلف فى تكفير هؤلاء وإباحة دمائهم .
(٤) الإيمان ص : ٣٦٩ .
(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية :« وقول أولئك كفرهم عليه مالك والشافعى وأحمد وغيرهم وأما هؤلاء فهم مبتدعون ضالون ، لكنهم ليسوا بمنزلة أولئك ، وفى هؤلاء خلق كثير من العلماء والعباد كتب =

وواقعة منهم على جهة الاستقلال، وهو مع كونه مذهبا باطلا . أخف من المذهب الأول »[1] .اهـ .

والإيمان بالقدر لا يتم إلا بتحقيق مراتبه الأربع :

وأولى هذه المراتب : **مرتبة العلم** : ومقتضاها الإيمان بأن الله عز وجل عالم بكل شيء بما كان وما سيكون جملة وتفصيلا أزلا وأبداً ﴿ لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ﴾[2] والعلم صفة له عز وجل وهى من صفات الذات[3] قال تعالى : ﴿ يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ﴾[4] ، وقال عز وجل : ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾[5] ، وقال جل شأنه ﴿ وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ﴾[6] ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾[7] ، وقال سبحانه وتعالى ﴿ أو ليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين ﴾[8] . وغير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على شمول علمه عز وجل لجميع الكليات والجزئيات سواء منها ما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده .

= عنهم العلم و أخرج البخارى ومسلم لجماعة منهم ، لكن من كان داعية إليه لم يخرجوا له ، وهذا مذهب فقهاء أهل الحديث كأحمد وغيره » . اهـ . الإيمان ص : ٣٦٩ .
قلت :« وهم من عناهم أحمد عندما قيل له : الرجل يكون له قرابة قدرى قال : القدر لا يخرجه من الإسلام » . السنة للخلال (ق : ٨٦/أ) .

(١) فتح البارى : ١١٩/١ .
(٢) سورة سبأ /٣ .
(٣) وسيأتى مزيد من التفصيل حول هذه الصفة عند الكلام عن « قول الإمام أحمد فى صفة العلم » ص : ٢٨٣ .
(٤) سورة سبأ /٢ ، والحديد /٤ .
(٥) سورة الحديد /٣ .
(٦) سورة الأنعام /٥٩ .
(٧) سورة الطلاق /١٢ .
(٨) سورة العنكبوت /١٠ .

قال شارح الطحاوية : « وقد ضل فى هذا الموضع خلائق من المشركين والصابئين والفلاسفة وغيرهم ممن ينكر علمه بالجزئيات أو بغير ذلك ، فإن ذلك كله مما يدخل فى التكذيب بالقدر »[1] . اهـ .

وثانيها : **مرتبة الكتابة** : ومقتضاها الإيمان بأن الله عز وجل قد كتب مقادير كل شىء . كما أخبر جل وعلا فى غير موضع من القرآن الكريم . حيث يقرن العلم والكتاب ويذكر الكتاب وحده أحيانا .

وسيأتى مزيد من الإيضاح حول هذه المرتبة عند الكلام عن الإيمان باللوح المحفوظ والقلم[2] وكذا تفصيل المرتبتين المتبقيتين وهما : **الخلق والمشيئة** عند الكلام عن « أفعال العباد » .

قول الإمام أحمد فى أفعال العباد

قال أبو بكر الخلال :

١١٩ - أخبرنى عصمة بن عصام[3] قال : ثنا حنبل قال : سمعت أبا عبد الله قال : أفاعيل العباد مخلوقة وأفاعيل العباد بقضاء وقدر[4] .

١٢٠ - (وقال) حنبل[5] : قال أبو عبد الله : الاستطاعة لله والقوة ما شاء الله كان من ذلك وما لم يشأ لم يكن ليس كما يقول هؤلاء - يعنى المعتزلة - الاستطاعة إليهم[6] .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٣٠٥ .

(٢) انظره ص : ١٦٢ .

(٣) روى عنه الخلال جملة كبيرة من المسائل - عن أصحاب الإمام أحمد -فى كتابه هذا وكتبه الأخرى . وقد ذكره الخطيب فى تاريخه ٢٨٨/١٢ مبينا أنه يروى عن حنبل وعنه الخلال ولم يذكر فيه جرحاً ولاتعديلاً .

(٤) السنة (ق : ٨٨/ب) .

(٥) بالإسناد السابق .

(٦) السنة (ق ٩١/ب ، ق : ٩٢/أ) وأخرجه ابن أبى يعلى فى طبقات الحنابلة : ١٤٥/١ من طريق آخر عن حنبل وفيه : ليس كما يقول المعتزلة .

١٢١ - وفى رواية أخرى قال حنبل أيضا : سألت أبا عبد الله قلت : أفاعيل العباد مخلوقة . قال : نعم مقدرة عليهم بالشقاء والسعادة[١].

١٢٢ - ونقل يوسف بن موسى قال : سئل عن أعمال الخلق مقدرة عليهم من الطاعة والمعصية قال : نعم[٢].

١٢٣ - فى رواية جعفر بن محمد النسائى قال : ذكر عنده أن رجلا محدثا قال : ما شاء الله يفعل وما لم يشأ لم يفعل فقال رجل عنده : ما شاء الله أو لا يشاء الله يفعل . فاستعظم ذلك أى - الإمام أحمد - قلت : يستتاب ؟ قال : أيش يستتاب هذا الكفر[٣].

١٢٤ - وفى رسالة أحمد بن جعفر الإصطخرى قال أحمد : والقدرية هم الذين يزعمون أن إليهم الاستطاعة والمشيئة والقدرة وأنهم يملكون لأنفسهم الخير والشر والضر والنفع والطاعة والمعصية والهدى والضلال وأن العباد يعملون بدءاً من غير أن يكون قد سبق لهم ذلك من الله عز وجل أو فى علمه ...ومن زعم أن الله شاء لعباده الذين عصوه الخير والطاعة وأن العباد شاءوا لأنفسهم الشر والمعصية فعملوا على مشيئتهم فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب من مشيئة الله فأى افتراء أكثر على الله عز وجل من هذا[٤].

١٢٥ - أخبرنا أبو بكر المروذى قال : قال رجل لأبى عبد الله : إن عندنا قوما يقولون : إن الله خلق الخير ولم يخلق الشر ويقولون القرآن محدث . فقال : هذا كفر هؤلاء قدرية جهمية . الخير والشر مقدر على العباد . قيل له : الله خلق الخير والشر . قال : نعم الله قدره[٥].

---

(١) السنة للخلال (ق : ٨٦/ب) .
وانظر : الروايات فى الشقاء والسعادة ص : ١٦٧ .
(٢) السنة للخلال (ق : ٩١/ب) .
(٣) المصدر السابق .
(٤) طبقات الحنابلة : ١/٢٥ ، ٣٢ وانظر السنة لأحمد ضمن شذرات البلاتين ص : ٤٥ ، ٥٠ .
(٥) السنة (ق : ٨٨/ب) .

نقل عن الإمام أحمد روايات بهذا المعنى :

١٢٦ - أحمد بن الحسين بن حسان[١] **قال** : سئل عن القدر ؟ فقال : الخير والشر مقدران[٢] .

١٢٧ - يوسف بن موسى قال : سئل عن القدر ؟ فقال : خيره وشره كتبه الله عز وجل على العباد . قيل له من الله ؟ قال : فمن من !! وأظنه قال : نعم فمن من[٣] .

١٢٨ - أبو الحارث الصائغ قال : سئل عن القدر ؟ فقال : الخير والشر بقدر والزنا والسرقة وشرب الخمر كله بقدر[٤] .

١٢٩ - أبو داود السجستانى قال : سمعت أبا عبد الله قال له رجل : يلجئنى القدرى إلى أن أقول : الزنا بقدر والسرقة بقدر . فقال : الخير والشر من الله[٥] .

١٣٠ - حنبل بن إسحاق قال : سمعت أحمد قال : الخير والشر مكتوبان على العباد . وفى موضع آخر قلت : الخير والشر مكتوبان على العباد ؟ قال : المعاصى بقدر[٦] .

١٣١ - وفى رواية أخرى قال : قال أحمد : الزنا بقدر والعجز والكيس بقدر قدر الله ذلك على العباد فمن أتى من ذلك شيئاً فأمره إلى الله عز وجل إن شاء عذبه وإن شاء غفر له وهن قدر الله[٧] .

---

(١) ذكره أبو بكر الخلال فقال : « رجل جليل روى عن أبى عبد الله مسائل حسان جداً » وقال الخطيب : « ثقة مشهور » . ت/بغداد ٨٠/٢ ، طبقات الحنابلة : ٣٩/١ .
(٢) السنة للخلال (ق : ٨٩/أ) .
(٣) نفس المصدر .
(٤) نفس المصدر (ق : ٨٨/ب) .
(٥) مسائل أبى داود (٨ ص : ٢٥٥ وفى المطبوع ص : ٢٧٢) .
(٦) السنة للخلال (ق : ٨٨/ب) .
(٧) نفس المصدر (ق : ٨٩/أ) .

١٣٢ - أبو بكر المروذى قال : سئل أبا عبد الله عن الزنا بقدر فقال : الخير والشر بقدر ثم قال : الزنا والسرقة . وذكر عن سالم وابن عباس أنهم قالوا : الزنا والسرقة بقدر .ثم قال : أبو عبد الله : كان ابن مهدى قد سألوه عن ذا فقال : الخير والشر بقدر ففحشوا عليه فقالوا له : الزنا والسحاق بقدر فكأنه أنكر هذا وقال : قد أجابهم إلى أن الخير والشر بقدر فجعلوا يذكرون له مثل هذه الأقدار[١] .

١٣٣ - أبو الحارث الصائغ قال : سمعت أبا عبد الله وسئل عن القدر قيل له : إنهم يقولون إن الله عز وجل لايضل أحدا هو أعدل من أن يضل أحدا ثم يعذبه على ذلك فقال أليس قال الله عز وجل ﴿ يضل من يشاء ويهدى من يشاء ﴾ [٢] فالله عز وجل قدر الطاعة والمعاصى وقدر الخير والشر[٣] .

١٣٤ - ابن هانىء قال : سئل إن زنى فبقدر الله وإن سرق فبقدر الله ؟ قال : نعم الله عز وجل قدره عليه[٤] .

١٣٥ - أحمد بن جعفر الإصطخرى قال : قال أحمد : والزنا والسرقة وشرب الخمر وقتل النفس وأكل المال الحرام والذنوب والمعاصى كلها بقضاء وقدر من غير أن يكون لأحد من الخلق على الله حجة بل لله الحجة البالغة على خلقه ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ [٥][٦] .

التعليق :

ذكرت آنفا أن بدعة القدر تتلخص فى اتجاهين . وتكلمت عن **الاتجاه الأول** وهو : إنكار علم الله السابق للوقائع وسنتحدث الآن عن **الاتجاه**

(١) المصدر نفسه (ق : ٨٨/أ) .
(٢) سورة النحل /٩٣ ، فاطر /٨ .
(٣) السنة للخلال (ق : ٨٧/أ) .
(٤) مسائل ابن هانىء : ١٥٥/٢ .
(٥) سورة الأنبياء /الآية ٢٣ .
(٦) طبقات الحنابلة : ٢٥/١ .
وانظر : السنة لأحمد ضمن شذرات البلاتين ص : ٤٤ - ٤٥ .

- **الثانى** : وهو الادعاء بأن العبد هو الموجد لفعله من غير أن يكون لله تقدير و مشيئة ، وهو الذى عليه جمهور القدرية . والإمام أحمد رد على الاتجاهين وبين خطأهما وابتعادهما عن الحق والصواب .

وأصحاب الاتجاه الثاني هذا ينكرون عموم المشيئة والخلق ويقولون إن الخير من الله والشر من الشيطان وإن العبد يملك الاستطاعة التامة على الفعل وعدمه وينكرون أن يكون لله جلا وعلا مشيئة وإرادة فيما يفعله العباد .

يقول شارح الطحاوية فى معرض كلامة عن المعتزلة وأصولهم الخمسة : « فأما العدل فستروا تحته نفى القدر وقالوا : إن الله لا يخلق الشر ولا يقضي به ، إذ لو خلقه ثم يعذبهم عليه يكون ذلك جوراً والله تعالى عادل لا يجور[1] ويلزم على هذا الأصل الفاسد أن الله تعالى يكون فى ملكه ما لا يريده فيريد الشيء ولا يكون، ولازمه وصفه بالعجز !! تعالى الله عن ذلك[2] » .اهـ .

قلت : وهذا خلاف مذهب أهل السنة والجماعة الذين يرون أن أفعال العباد كلها من طاعات ومعاصٍ مخلوقة لله عز وجل مقدرة على العباد مقضية عليهم قبل وقوعها منهم[3] . وهذا لايعنى أن العبد مسلوب المشيئة والإرادة ، كما يدعى الجبرية – لكن أهل السنة يرون أن العبد فاعل حقيقة وله مشيئة وقدرة غير خارجة عن مشيئة الله وتقديره بل هى تابعة لمشيئة الرب جل وعلا ، يقول ابن تيمية : « ومما ينبغى أن يعلم أن مذهب سلف الأمة – مع قولهم : الله خالق كل شيء وربه ومليكه وأنه ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن – أن العبد فاعل حقيقة وله مشيئة وقدرة قال تعالى : ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ إن هذه تذكرة فمن شاء

---

(١) يقول الشارح أيضاً فى موضع آخر : « وتفصيل حكمة الله عز وجل فى خلقه وأمره ، يعجز عن معرفته عقول البشر ، والقدرية دخلوا فى التعليل على طريقة فاسدة مثلوا الله فيها بخلقه ، ولم يثبتوا حكمة تعود اليه » . شرح الطحاوية ص ١١٩ .

(٢) نفس المصدر ص ٥٨٩ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية : ٦٣/٨ – ٦٤ .

(٤) سورة التكوير /٢٨ ، ٢٩ .

اتخذ إلى ربه سبيلا وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ كلا إنه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾[2] [3] .اهـ .

ويحسن الآن أن نذكر ما تبقى من مراتب الإيمان بالقدر حيث ذكرت مرتبة العلم والكتابة وأتكلم الآن عن : **مرتبة المشيئة** :

وهى المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر ومقتضاها الإيمان بأن لله عز وجل المشيئة التامة والقدرة الشاملة ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . قال جل شأنه ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾[4] وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ﴾[5] وقال عز وجل : ﴿ ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ﴾[6] وقال جل وعلا : ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾[7] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ما ذكر . ولكن هذا لا يعنى أن الله عز وجل يرضى عن ما يقع من العباد من الكفر والمعاصى .

يقول شارح الطحاوية : ومنشأ الضلال من التسوية بين المشيئة والإرادة وبين المحبة والرضى ، فسوى بينهما الجبرية والقدرية ، ثم اختلفوا : فقالت الجبرية : الكون كله بقضائه وقدره ، فيكون محبوبا مرضيا . وقالت القدرية النفاة : ليست المعاصى محبوبة لله ولا مرضية له ، فليست مقدرة ولا مقضية فهى خارجة عن مشيئته وخلقه وقد دل على الفرق بين المشيئة والمحبة الكتاب والسنة والفطرة الصحيحة[8]......

(١) سورة الإنسان /٢٩ ، ٣٠ .
(٢) سورة المدثر /٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ .
(٣) مجموع الفتاوى ١١٧/٨ – ١١٨ .
(٤) سورة يس /٨٢ .
(٥) سورة هود /١١٨ .
(٦) سورة يونس /٩٩ .
(٧) سورة السجدة /١٣ .
(٨) فى موضع آخر يقول :« أما أهل السنة فيقولون : إن الله وإن كان يريد المعاصى قدرا فهو لا يحبها =

فإن قيل كيف يريد الله أمرا ولا يرضاه ولا يحبه ؟ وكيف يشاؤه ويكونه ؟ وكيف يجمع إرادته له وبغضه وكراهته ؟ .

قيل : هذا السؤال هو الذى افترق الناس لأجله فرقاً ، وتباينت طرقهم وأقوالهم فاعلم أن المراد نوعان : مراد لنفسه ، ومراد لغيره . فالمراد لنفسه مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد . والمراد لغيره ، قد لا يكون مقصوداً لما يريد ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته ، وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده ، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته ، مراد له من حيث قضاؤه وإيصاله إلى مراده . فيجتمع الأمران : بغضه وإرادته ، ولا يتنافيان ، لاختلاف متعلقهما . وهذا كالدواء الكريه ، إذا علم المتناول له أن فيه شفاءه ، وقطع العضو المتآكل ، إذا علم أن فى قطعه بقاء جسده ، وكقطع المسافه الشاقة إذا علم أنها توصل إلى مراده ومحبوبه . بل العاقل يكتفى فى إيثار هذا المكروه وإرادته بالظن الغالب ، وإن خفيت عنه عاقبته فكيف ممن لا يخفى عليه خافية فهو سبحانه يكره الشىء ولا ينافى ذلك إرادته لأجل غيره ، وكونه سبباً إلى أمر هو أحب إليه من فوقه . من ذلك : أنه خلق إبليس الذى هو مادة لفساد الأديان والأعمال والاعتقادات والإرادات ، وهو سبب لشقاوة كثير من العباد وعملهم بما يغضب الرب سبحانه تبارك وتعالى ، وهو الساعى فى وقوع خلاف ما يحبه الله ويرضاه . ومع هذا فهو وسيله إلى محاب كثيرة للرب تعالى ترتبت على خلقه ، ووجودها أحب إليه من عدمها :

منها : أنه يظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات ، فخلق هذه الذات ، التى هى أخبث الذوات وشرها وهى سبب كل شر ، فى

= ولا يرضاها ولا يأمر بها بل يبغضها ويسخطها ويكرهها وينهى عنها » . وهذا قول السلف قاطبة ... والمحققون من أهل السنة يقولون :« الإرادة فى كتاب الله نوعان : إرادة قدرية كونية خلقية وإرادة دينية أمرية شرعية ، فالإرادة الشرعية هى المتضمنة للمحبة والرضى ، والكونية هى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات » . اهـ . شرح العقيدة الطحاوية ص: ١١٦ . وانظر : أدلة القسمين ص : ١١٤، ٢٧٧- ٢٧٨ ، ٥٠٥ - ٥٠٦ .

ولمزيد من التفصيل حول نوعى الإرادة انظر : كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص : ١٢١ - ١٢٦ ، مجموع الفتاوى له : ٨/٤٤٠ - ٤٤١ .

مقابلة ذات جبريل ، التى هى من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها ، وهى مادة كل خير ، فتبارك خالق هذا وهذا . كما ظهرت قدرته فى خلق الليل والنهار ، والدواء والداء ، والحياة والموت ، والحسن والقبيح والخير والشر . وذلك من أدل دليل على كمال قدرته وعزته وملكه وسلطانه فإنه خلق هذه المتضادات ، وقابلها بعضها ببعض ، وجعلها محال تصرفه وتدبيره فخلو الوجود عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته وكمال تصرفه وتدبير ملكه .

ومنها : ظهور آثار أسمائه القهرية مثل القهار والمنتقم والعدل والضار والشديد العقاب والسريع العقاب وذى البطش الشديد والخافض والمذل فإن هذه الأسماء والأفعال كمال لابد من وجود متعلقها ، ولو كان الجن والإنس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء .

ومنها : ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن حقه وعتقه لمن شاء من عبيده ، فلولا خلق ما يكرهه من الأسباب المفضية إلى ظهور آثار هذه الأسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد وقد أشار النبى صلى الله عليه وسلم إلى هذا بقوله : « لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر الله لهم »[1] .

ومنها : ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة فإنه الحكيم الخبير ، الذى يضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها اللائقة بها فلا يضع الشىء فى غير موضعه ولا ينزله فى غير منزلته التى يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته .[2] . اهـ .

ولابن القيم كلام بديع أيضا حول هذا الموضوع ولولا خشية الإطالة لنقلته[3] .

الاحتجاج بالقدر : لقد ضل البعض فى هذا الموضوع وأخذ ينغمس فى فعل المعاصى ويقترف الموبقات ثم يحتج على ذلك بالقدر وأنه لا حيلة له فيما

---

(١) أخرجه مسلم : ٢١٠٦/٤ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ونحوه من حديث أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص: ٢٨٠ - ٢٨٢ .

(٣) انظره فى شفاء العليل ص: ١٢٥ - ١٢٨ ، وراجع مجموع الفتاوى لابن تيمية : ١١٥/٦ - ١١٦ .

قدر عليه . وهذا فى غاية البطلان فالعبد له مشيئة وقدرة على الاختيار – كما تقدم – وهو فاعل حقيقة قال تعالى ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ [1] ، وقال جل شأنه ﴿ وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾[2] وقال جل شأنه ﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ﴾ [3] . ولو صح الاحتجاج بالقدر لما حدت الحدود وفرضت الفرائض وخلقت الجنة والنار والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ [4] . وهذا لا ينافى القول بأن الله سبحانه وتعالى خلق أفعال العباد كلها وقدرها عليهم . ولقد تطرق شارح الطحاوية لهذه المسألة الدقيقة فى معرض رده على المعتزلة الذين زعموا : أن القول بأن العبد محدث لفعله من غير أن يكون لله مشيئة أمر لابد منه – ومما قاله : إنه لا منافاة بين كون العبد محدثا لفعله وكون هذا الإحداث وجب وجوده بمشيئة الله تعالى كما قال تعالى : ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ﴾ فقوله ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾ إثبات للقدر بقوله ﴿ فألهمها ﴾ وإثبات لفعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إلى نفسه ، ليعلم أنها هى الفاجرة والمتقية وقوله بعد ذلك : ﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ إثبات أيضاً لفعل العبد ، ونظائر ذلك كثيرة .

وهذه شبهة أخرى من شبه القوم التى فرقتهم ... وهى أنهم قالوا : كيف يستقيم الحكم على قولكم بأن الله يعذب المكلفين على ذنوبهم وهو خلقها فيهم ؟ فأين العدل فى تعذيبهم على ما هو خالقه وفاعله فيهم ، وهذا السؤال لم يزل مطروقا فى العالم على ألسنة الناس وكل منهم يتكلم فى جوابه بحسب علمه ومعرفته وعنه تفرقت بهم الطرق :

فطائفة أخرجت أفعالهم عن قدرة الله تعالى .

وطائفة أنكرت الحكم والتعليل وسدت باب السؤال .

وطائفة أثبتت كسبا لا يعقل جعلت الثواب والعقاب عليه .

---

(١) سورة البقرة /١٩٧ .

(٢) سورة الحج /٧٧ .

(٣) سورة غافر /١٧ .

(٤) سورة النساء /١٦٥ .

وطائفة التزمت لأجله وقوع مقدور بين قادرين ومفعول بين فاعلين .
وطائفة التزمت الجبر وأن الله يعذبهم على ما لايقدرون عليه ! .

وهذا السؤال هو الذى أوجب التفرق والاختلاف .

والجواب الصحيح عنه أن يقال : إن ما يبتلى به العبد من الذنوب الوجودية وإن كانت خلقا لله تعالى فهى عقوبة له على ذنوب قبلها؛ فالذنب يكسب الذنب ومن عقاب السيئة السيئة بعدها .

يبقى أن يقال : فالكلام فى الذنب الأول الجالب لما بعده من الذنوب ؟

يقال هو عقوبة أيضاً على عدم فعل ما خلق له وفطر عليه فإن الله سبحانه خلقه لعبادته ... فلما لم يفعل ما خلق له وفطر عليه ... عوقب على ذلك بأن زين له الشيطان ما يفعله من الشرك والمعاصى فإنه صادف قلبا خالياً قابلاً للخير والشر ولو كان فيه الخير الذى يمنع ضده لم يتمكن منه الشر... فيكون جعله مذنبا مسيئا فى هذه الحالة عقوبة له على عدم هذا الإخلاص وهى محض العدل ... وإذا ثبت كون العبد فاعلاً فأفعاله نوعان : نوع يكون منه من غير اقتران قدرته وإرادته فيكون صفة له ولا يكون فعلا كحركات المرتعش . ونوع يكون منه مقارنا لايجاد قدرته واختياره ، فيوصف بكونه صفة وفعلاً وكسباً للعبد كالحركات الاختيارية والله تعالى هو الذى جعل العبد فاعلاً مختارا وهو الذى يقدر على ذلك وحده لا شريك له ، ولهذا أنكر السلف الجبر ، فإن الجبر لا يكون إلا من عاجز ، فلا يكون إلا مع الإكراه ، يقال للأب إجبار البكر الصغيرة على النكاح وليس له إجبار الثيب البالغ ، أى ليس له أن يزوجها مكرهة . والله تعالى لا يوصف بالإجبار بهذا الاعتبار ، لأنه سبحانه خالق الإرادة والمراد ، قادر على أن يجعله مختاراً بخلاف غيره..

فالحاصل : أن فعل العبد فعل له حقيقة ولكنه مخلوق لله تعالى ومفعول لله تعالى ، وليس هو نفس فعل الله . ففرق بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق[1] . اهـ .

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص : ٤٩٦ - ٥٠٢ ، وراجع الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص : ١١٤ ومابعدها ، ومجموع الفتاوى : ٢٦٢/٨ - ٢٦٨ ، ٢٣٧ - ٢٣٨ لابن تيمية .

هذا بعض ما ذكره الشارح حول هذه المسألة وأود أن أذكر بما أشرت له سابقاً نقلاً عن الطحاوى : « القدر سر الله عز وجل » . اهـ .فليس من الضرورى أن تعلم لنا جميع جزئياته فيجب الإيمان والتسليم بما جاء حول هذا الركن العظيم .

بقى أن أذكر ــ وبإيجاز – المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر وهى : **مرتبة الخلق** : ومقتضاها الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله جل وعلا قال تعالى ﴿ الله خالق كل شىء ﴾ . وأفعال العباد كما مر بنا داخلة فى عموم خلق الله ، وبهذا سلط بعض الضوء على مراتب الإيمان بالقدر : العلم ، الكتابة ، المشيئة ، الخلق[1] .

قول الإمام أحمد فى الجبرية

قال أبو بكر الخلال :

١٣٦ – أخبرنا أبو بكر المروذى قال : قلت لأبى عبد الله : رجل يقول : إن الله جبر العباد . فقال : هكذا لا تقول وأنكر هذا وقال : يضل من يشاء ويهدى من يشاء[2] .

• نقل عن الإمام أحمد روايات بهذا المعنى :

١٣٧ – عبد الملك الميمونى قال : سمعت أبا عبد الله يناظر خالد بن خداش[3] – يعنى فى القدر – فذكروا رجلا فقال أبو عبد الله : إنما كره من هذا (أنه) يقول : جبر الله عز وجل[4] .

---

(١) ولمزيد من التفصيل حول هذه المراتب، راجع شفاء العليل لابن القيم ص : ٢٩ – ٦٤ ، ومجموع الفتاوى : ١٤٨/٣ – ١٥٠ .

(٢) السنة (ق : ٩٠/أ) قال تعالى : ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ﴾ سورة النحل /الآية ٩٣.

(٣) هو : خالد بن خداش ، أبو الهيثم المهلبى قال عنه الذهبى : الإمام الحافظ الصدوق . سير أعلام النبلاء : ٤٨٨/١٠ ، وفى التقريب : ٢١٢/١ قال ابن حجر : صدوق يخطىء .

(٤) السنة للخلال (ق : ٩٠/أ) .

١٣٨ - إسحاق بن إبراهيم بن هانى قال : كنت يوما عند أبى عبد الله فجاء رجل فقال : إن فلاناً قال : إن الله عز وجل جبر العباد على الطاعة . فقال : بئس ما قال . ولم يقل شيئا غير هذا[١] .

١٣٩ - وفى رواية المروذى أنكر الإمام أحمد على من قال : لم يجبر وعلى من رد عليه بالجبر فقد روى الخلال عن المروذى قال : قال رجل قدرى : إن الله لم يجبر العباد على المعاصى . فرد عليه أحمد بن رجاء : إن الله جبر العباد . أراد بذلك إثبات القدر . فوضع أحمد بن على كتابا يحتج فيه . فأدخلته على أبى عبد الله فأخبرته بالقصة فقال : ويضع كتابا . وأنكر أبو عبد الله عليهما جميعا على ابن رجاء حين قال : جبر العباد وعلى القدرى الذى قال : لم يجبر العباد . وأنكر على أحمد بن على وضعه الكتاب واحتجاجه وأمر بهجرانه لوضعه الكتاب . وقال لى : يجب على ابن رجاء أن يستغفر ربه لما قال : جبر العباد . فقلت لأبى عبد الله : فما الجواب فى هذه المسألة قال : ﴿ يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ﴾[٢] .

وفى موضع آخر قال المروذى : فما كان بأسرع من أن قدم أحمد بن على من عكبرا ومعه (مشيخة) وكتاب من أهل عكبرا فأدخلت أحمد بن على على أبى عبد الله فقال له : يا أبا عبد الله هو ذا الكتاب ادفعه إلى أبى بكر حتى يقطعه وأنا أقوم على منبر عكبرا وأستغفر الله عز وجل فقال أبو عبد الله لى : ينبغى أن تقبلوا منه وترجعوا له[٣] .

التعليق :

تقدم الكلام عن القدرية بصنفيها ، وتسميتهم بالقدرية يعود إلى زعمهم بأن العبد هو الموجد لفعله . وإن كانوا ينكرون هذه التسمية ويتبرؤون منها ، ويدعون أن من أثبت القدر هو الأولى بها على حد زعمهم .

---

(١) مسائل ابن هانىء : ٢/١٥٤ - ١٥٥ .
(٢) سورة المدثر /الآية ٣١ .
(٣) السنة للخلال (ق : ٩٠/ب) .

يقول النووى : وقد حكى أبو محمد بن قتيبة فى كتابه غريب الحديث وأبو المعالى إمام الحرمين فى كتابه : الإرشاد فى أصول الدين أن بعض القدرية قال : لسنا بقدرية بل أنتم القدرية لاعتقادكم إثبات القدر . قال ابن قتيبة والإمام هذا تمويه من هؤلاء الجهلة ومباهتة وتواقح فإن أهل الحق يضيفون القدر و الأفعال إلى الله سبحانه وتعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونه إلى أنفسهم ومدعى الشيء لنفسه ومضيفه إليها أولى بأن ينسب إليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه »[1] . اهـ .

وبعد هذا أعود إلى ما أنا بصدد الكلام عنهم وهم الجبرية أتباع زعيم المعطلة الجهم بن صفوان الترمذى ومذهبهم فى القدر على النقيض من مذهب القدرية السابق ، وملخصه : أن العبد مجبور على ما يصدر منه من أفعال مسلوب الإرادة والاختيار تماما . وصدور الفعل منه ونسبته إليه مجاز والله هو الفاعل حقيقة[2] .

ولو رجعنا إلى آيات القرآن الكريم لوجدناها تنقض هذا الزعم وتقتلعه من أساسه فالله سبحانه وتعالى أثبت المشيئة والإرادة للعبد فى غير آية قال تعالى ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها ﴾[3] ، وقال عز وجل ﴿ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ﴾[4] ، والله سبحانه و تعالى أضاف العمل إلى العبد فى غير آية قال جل شأنه ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾[5] ، وقال تبارك وتعالى ﴿ وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾[6] ، وقال جل شأنه ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾[7] .

---

(١) مسلم بشرح النووى : ١٥٤/١ .

(٢) قال شارح الطحاوية :« وقدتسمى الجبرية قدرية لأنهم غلوا فى إثبات القدر » . شرح العقيدة الطحاوية ص : ٥٩٢ .
وفى موضع آخر قال :« وسموا قدرية لإنكارهم القدر ، وكذلك تسمى الجبرية المحتجون بالقدر قدرية أيضاً ، والتسمية على الطائفة الأولى أغلب » .
المصدر السابق ص : ١١٥ ، وانظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية : ١٠٥/٨ .

(٣) سورة الكهف /٢٩ .

(٤) سورة فصلت /٤٦ .

(٥) سورة المدثر /٣٨ .

(٦) سورة الحج /٧٧ .

(٧) سورة البقرة /١٩٧ .

فهذه الآيات وغيرها توضح أن العباد مختارون وأن أعمالهم واقعة بمشيئتهم ، وإن كانت هذه المشيئة غير خارجة عن مشيئة الله جل وعلا كما سبق إيضاحه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فى معرض كلامه عن القدرية والجبرية : « قسم يجعلون أنفسهم هى الخالقة المحدثة للحسنات والسيئات ، وأن نعمة الله الدينية على المؤمن والكافر سواء وأنه لم يعط العبد إلا قدرة واحدة تصلح للضدين وليس بيد الله هداية خص بها المؤمن ، أو تطلب منه بقول العبد ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ [1] وأنه لا يقدر على هداية ضال ، ولا إضلال مهتد ، فهؤلاء القدرية المجوسية .

وقسم : يسلبون العبد اختياره وقدرته ، ويجعلونه مجبورا على حركاته من جنس حركة الجمادات ، ويجعلون أفعاله الاختيارية والاضطرارية من نمط واحد يقول أحدهم : إن جميع ما أمر الله به ورسوله فإنما هو أمر بما لا يقدر عليه ، ولا يطيقه ، فيسلبونه القدرة مطلقا ، إذ لا يثبتون له إلا قدرة واحدة مقارنة بالفعل ولا يجعلون للعاصى قدرة أصلا .

فهذه المقالات وأمثالها من مقالات الجبرية والقدرية الذين أنكر قولهم — كما أنكروا قولهم الأولون— أئمة الهدى مثل عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى ، وسفيان ابن سعيد الثورى ، ومحمد بن الوليد الزبيدى ، وعبد الرحمن بن مهدى وأحمد ابن محمد بن حنبل وغيرهم فإن ضموا إلى ذلك إقامة العذر للعصاة بالقدر وقالوا : إنهم معذورون لذلك لا يستحقون اللوم والعذاب ، أو جعلوا عقوبتهم ظلما، فهؤلاء كفار، كما أن من أنكر علم الله القديم من غلاة القدرية فهو كافر.

وإن جعلوا ثبوت القدر موجبا لسقوط الأمر والنهى والوعد والوعيد كفعل المباحية ، فهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من جنس المشركين الذين قالوا : ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ، قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم

(١) سورة الفاتحة /٦ .

أجمعين ﴾[1] فإن هذا القول يستلزم طى بساط كل أمر ونهى وهذا مما يعلم بالاضطرار من العقل والدين أنه يوجب الفساد فى أمر الدنيا والمعاد .

وأما القسم الرابع : فهو شر الأقسام كما قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى قال : أنت عند الطاعة قدرى ، وأنت عند المعصية جبرى . أى مذهب وافق هواك تمذهبت به فهؤلاء شر أتباع الشيطان، وليس هو مذهبا لطائفة معروفة ولكن هو حال عامة المحلولين عن الأمر والنهى ، إن فعل طاعة أخذ يضيفها إلى نفسه ويعجب حتى يحبط عمله ، وإن عمل معصية أخذ يعتذر بالقدر ويحتج بالقضاء ، وتلك حجة داحضة ، وعذر غير مقبول .

وتراه إذا أصابته مصيبة بفعل العباد أو غيرهم لا يستسلم للقدر وتراه إذا ظلم نفسه أو غيره احتج بالقدر ... وإن ظلمه غيره ظلماً دون ذلك أو توهم أنه ظلمه أحد ، سعى فى الانتقام من ذلك بأضعاف ذلك ولا يعذر غيره بمثل ما عذر به نفسه من القدر وهما سواء »[2] . اهـ .

وأختم الكلام عن القدرية والجبرية بما ذكره شارح الطحاوية حيث يقول : فكل دليل صحيح يقيمه الجبرى ، فإنما يدل على أن الله خالق كل شيء ، وأنه على كل شيء قدير ، وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته ، وأنه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل فى الحقيقة ولا مريد ولا مختار ، وأن حركاته الاختيارية بمنزلة حركة المرتعش وهبوب الرياح وحركات الأشجار . وكل دليل صحيح يقيمه القدرى فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة ، وأنه مريد له مختار له حقيقة وأن إضافته ونسبته إليه حق ولا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته ، فإذا ضممت ما مع كل طائفة منهما من الحق إلى حق الأخرى فإنما يدل على ما دل عليه القرآن من عموم قدرة الله ومشيئتة لجميع ما فى الكون من الأعيان والأفعال وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم»[3] .

---

(١) سورة الأنعام /١٤٨ ، ١٤٩ .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية : ٤٤٤/٨ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٤٩٤ .

ما أثر عن الإمام أحمد من وجوب الإيمان باللوح المحفوظ والقلم

قال أبو بكر الخلال :

١٤٠ – أخبرنى عصمة بن عصام قال : ثنا حنبل قال : سألت أبا عبد الله عن الإيمان بالقدر . قال : تؤمن به ونعلم أن ما أصابنا لم يكن يخطئنا وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا وأن الله عز وجل قدر كل شىء من الخير والشر فهو سابق فى اللوح المحفوظ والشقاء والسعادة مكتوبان على ابن آدم قبل أن يخلق . ونحن فى أصلاب الآباء[١] .

١٤١ – وفى رواية أخرى بنفس الإسناد قال حنبل : قلت له الشقاء والسعادة مكتوبان على العبد . قال : نعم . سابق فى علم الله وهما فى اللوح المحفوظ[٢] .

١٤٢ – وفى رسالة أحمد بن جعفر الإصطخرى قال : واللوح المحفوظ تستنسخ منه أعمال العباد لما سبق فيه من المقادير والقضاء . والقلم حق كتب الله به مقادير كل شىء وأحصاه فى الذكر تبارك وتعالى[٣] .

التعليق :

تقدم عند ذكر مراتب القدر الكلام عن مرتبة الكتابة باختصار[٤] ولارتباط هذه المرتبة بذكر اللوح المحفوظ والقلم آثرت تفصيلها هنا . فأقول وبالله التوفيق : إن عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بأن الله جلت قدرته قد كتب

---

(١) السنة (ق : ٨٧/أ) .
(٢) انظر : طبقات الحنابلة : ٢٧/١ وكتاب السنة لأحمد ضمن شذرات البلاتين ص : ٤٧ .
(٣) انظر : ص ١٢٠ .
(٤) انظر : ص ١٢٠ من هذا البحث .

مقادير كل شيء فى اللوح المحفوظ . وقد دل القرآن الكريم والسنة المطهرة على ذلك يقول جل شأنه فى محكم التنزيل : ﴿ بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ ﴾[1] ويقول تبارك وتعالى فى قصة موسى عليه السلام مع فرعون : ﴿ فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى ﴾[2] ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض إن ذلك فى كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾[3] ويقول عز وجل : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ﴾[4] وقال جل شأنه : ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾[5]، وقال جل ذكره : ﴿ وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين ﴾[6] وقال تباركت أسماؤه : ﴿ وكل شيء أحصيناه فى إمام مبين ﴾[7] وهو اللوح المحفوظ وهو أم الكتاب وهو الذكر قال تعالى : ﴿ حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم ﴾[8] وقال جلت قدرته : ﴿ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ﴾[9] هذه آيات الكتاب العزيز تدل على ما ذكرنا ونذكر الآن شيئا مما ورد عنه صلى الله عليه وسلم ، روى مسلم[10] من حديث عبد الله بن عمرو

---

(١) سورة البروج /٢١ - ٢٢ .
(٢) سورة طه /٥١ - ٥٢ .
(٣) سورة الحج /٧٠ .
(٤) سورة الأنعام /٥٩ .
(٥) سورة فاطر /١١ .
(٦) سورة يونس /٦١ .
(٧) سورة يس /١٢ .
(٨) سورة الزخرف /١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .
(٩) سورة الأنبياء /١٠٥ .
(١٠) فى الصحيح : ٢٠٤٤/٤ .

ابن العاص رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » .

وروى البخارى[1] ومسلم[2] عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : كنا جلوسا مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عود ينكت به فى الأرض فنكس وقال : « ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو الجنة فقال رجل من القوم : ألا نتكل يا رسول الله . قال : لا ، اعملوا فكل ميسر ثم قرأ : ﴿ فأما من أعطى واتقى ﴾ » .

وروى البخارى[3] من حديث عمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كان الله ولم يكن شىء غيره وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شىء وخلق السموات والأرض » . والأحاديث الصحيحة فى هذا المعنى كثيرة .

قال ابن القيم : وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب فى أم الكتاب وقد دل القرآن على أن الرب تعالى كتب فى أم الكتاب ما يفعله وما يقوله فكتب فى اللوح أفعاله وكلامه[4] . اهـ .

ثم إن من عقيدة أهل السنة الإيمان بالقلم ، روى أبو داود[5] أن عبادة ابن الصامت قال لابنه : يا بنى إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أول ما خلق الله القلم فقال : اكتب ، قال : رب وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شىء حتى تقوم الساعة » يا بنى إنى سمعت رسول الله يقول : « من مات على غير هذا فليس منى »[6] .

---

(١) فى الصحيح : ٤٩٤/١١ .
(٢) فى الصحيح : ٢٠٤٠/٤ .
(٣) فى الصحيح : ٢٨٦/٦ .
(٤) شفاء العليل ص : ٤١ .
(٥) فى السنن : ٧٦/٥ .
(٦) حديث صحيح . انظر : السنة لابن أبى عاصم : ٤٨/١ .

وروى ابن أبي عاصم[1] والآجرى[2] عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أول ما خلق الله تعالى القلم ، فأخذه بيمينه وكلتا يديه يمين قال : فكتب الدنيا وما يكون فيها من عمل معمول بر وفاجر رطب أو يابس ، فأحصاه عنده فى الذكر . فقال : اقرأوا إن شئتم : ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ، إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾[3] فهل تكون النسخة إلا من شيء قد فرغ منه »[4] .

وروى ابن أبي عاصم[5] عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أول شيء خلقه الله تعالى القلم فأمره فكتب كل شيء يكون »[6] وقد ساق ابن أبي عاصم عدة أحاديث فى ذكر القلم[7] .

يقول شارح الطحاوية بعد أن ذكر بعض ما تقدم من الأحاديث : « وقد جاءت الأقلام فى هذه الأحاديث وغيرها مجموعة ، فدل ذلك على أن للمقادير أقلاما غير القلم الأول الذى تقدم ذكره مع اللوح المحفوظ والذى دلت عليه السنة أن الأقلام أربعة وهذا التقسيم غير التقسيم المقدم ذكره[8] :

القلم الأول : العام الشامل لجميع المخلوقات وهو الذى تقدم ذكره مع اللوح.

القلم الثانى : خبر خلق آدم وهو قلم عام أيضا، لكن لبنى آدم، وورد فى

---

(١) فى السنة : ٤٩/١ – ٥٠ .

(٢) فى الشريعة ص : ١٧٥ .

(٣) سورة الجاثية/٢٩ .

(٤) حديث صحيح .انظر : السنة لابن أبي عاصم : ٥٠/١ .

(٥) فى السنة : ٥٠/١ .

(٦) حديث صحيح . انظر : المصدر السابق .

(٧) انظر : السنة له ص : ٤٨ – ٥٠ .

(٨) حيث قال : وفى اللفظ الآخر « لما خلق الله القلم قال له اكتب » فهذا القلم أول الأقلام وأفضلها وأجلها . وقد قال غير واحد من أهل التفسير : « إنه القلم الذى أقسم الله به فى قوله تعالى : ﴿ ن والقلم ومايسطرون ﴾ سورة القلم /١ – ٢ . والقلم الثانى : قلم الوحى : وهو الذى يكتب به وحى الله إلى أنبيائه ورسله . وقد رفع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام ، فهذه الأقلام هى التى تكتب ما يوحيه الله تبارك وتعالى من الأمور التى يدبرها » .اهـ . شرح العقيدة الطحاوية ص : ٢٩٦ .

هذا آيات تدل على أن الله قدر أعمال بنى آدم وأرزاقهم وآجالهم وسعادتهم عقيب خلق أبيهم

القلم الثالث : حين يرسل الملك إلى الجنين فى بطن أمه ، فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه وأجله وعمله ، وشقى أو سعيد كما ورد ذلك فى الأحاديث الصحيحة .

القلم الرابع : الموضوع على العبد عند بلوغه ، الذى بأيدى الكرام ، الذين يكتبون ما يفعله بنو آدم . كما ورد ذلك فى الكتاب والسنة[1] . اهـ .

وأختم الكلام بأن ما أوردته فى ثنايا مباحث القدر من أحاديث تدل على سبق المقادير بالشقاء والسعادة والجنة والنار لايقتضى ترك الأعمال بل يقتضى الاجتهاد والحرص كما قال ابن القيم وقد علق – رحمه الله – على حديث على ابن أبى طالب رضى الله عنه المتقدم[2] وغيره مما هو مشابه له فقال : « فاتفقت هذه الأحاديث ونظائرها على أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه بل يوجب الجد والاجتهاد ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال : ما كنت أشد اجتهادا منى الآن . وهذا مما يدل على جلالة فقه الصحابة ودقة أفهامهم وصحة علومهم فإن النبى صلى الله عليه وسلم أخبرهم بالقدر السابق وجريانه على الخليقة بالأسباب فإن العبد ينال ما قدر له بالسبب الذى أقدر عليه ومكن منه وهيىء له فإذا أتى بالسبب أوصله إلى القدر الذى سبق له فى أم الكتاب وكلما زاد اجتهادا فى تحصيل السبب كان حصول المقدور أدنى إليه... فمن عطل العمل اتكالا على القدر السابق فهو بمنزلة من عطل الأكل والشرب والحركة فى المعاش وسائر أسبابه اتكالا على ما قدر له[3] .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٢٩٧ .

(٢) فى ص : ١٦٤ .

(٣) شفاء العليل ص : ٢٥ ، ٢٦ .وانظر ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى : ٨/ ٢٧٢ – ٢٩٤ والخطابى فى معالم السنن مع سنن أبى داود : ٦٨/٥ – ٦٩ حول هذا الموضوع .

ما أثر عن الإمام أحمد فى الصلاة خلف القدرية ومجادلتهم .

١٤٣ – قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سمعت أبى رحمه الله يقول : لا يصلى خلف القدرية والمعتزلة والجهمية . سألت أبى مرة أخرى عن الصلاة خلف القدرية . فقال : إن كان ممن يخاصم فيه ويدعو إليه لا نصلى خلفه[١] .

١٤٤ – وقال أبو داود السجستانى : سمعت أحمد سئل عن القدرى يجادل؟ قال: ما يعجبنى، قال: لا يدعنى، قال: ذلك أحرى أن لا تكلمه إذا كان صاحب جدال[٢] .

١٤٥ – وقال الإمام أحمد فى رسالة عبدوس بن مالك : وأن لا يخاصم أحدا ولا يناظر ولا يتعلم الجدال ، فإن الكلام فى القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه منهى عنه ، لايكون صاحبه – إن أصاب بكلامه السنة – من أهل السنة حتى يدع الجدال ويؤمن بالآثار .
وفى موضع آخر قال : ...وما كان مثله فى القدر ومثل أحاديث الرؤيا كلها . وإن نبت عن الأسماع واستوحش منها المستمع فإنما عليه الإيمان بها لا يرد منها حرفاً واحدا وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات[٣] .

التعليق :

أتكلم الآن – وباختصار – عن مسألتين مهمتين وهما : الصلاة خلف القدرية والجدال فى القدر فأقول وبالله التوفيق : إنه من الواضح من الروايات العديدة عن الإمام أحمد سواء فى هذا الباب أو فى غيره : ترك الصلاة خلف دعاة المبتدعة[٤].

---

(١) السنة (ظ : ق : ٥٠/أ) .

(٢) مسائل أبى داود (ظ ، ص : ٢٥٥ وفى المطبوع ص : ٢٧٢) .

(٣) انظر : رسالة عبدوس بن مالك (ق : ١/ب) .

(٤) وسيأتى مزيد من التفصيل حول هذه المسألة عند : « قول الإمام فى حكم المبتدعة وما أثر عنه فى الصلاة خلف الفساق » ص : ٩٣٥ ، ٩٤٠ .

وهذا أيضا يشمل الرواية عنهم ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فى معرض كلامه عن القدرية : وأخرج البخارى ومسلم لجماعة منهم لكن من كان داعية إليه لم يخرجوا له . وهذا مذهب فقهاء الحديث كأحمد وغيره أن من كان داعية إلى بدعة ، فإنه يستحق العقوبة لدفع ضرره عن الناس[1] .

وقد عقد الحافظ اللالكائى فى كتابه شرح أصول أهل السنة فصلا بعنوان « سياق ما روى فى منع الصلاة خلف القدرية والتزويج إليهم وأكل ذبائحهم ورد شهادتهم » ذكر فيه جملة كبيرة من أقول التابعين[2] كما ساق اللالكائى جملة كبيرة من أقوال الصحابة والتابعين فى مجانبة أهل القدر وسائر أهل الأهواء[3] .

أما الجدال فى القدر فهو منهى عنه وذلك لما يؤدى من نتائج سلبية؛ فالقدر سر الله عز وجل . روى الإمام أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : لقد جلست أنا وأخى مجلسا ما أحب أن لى به حمر النعم أقبلت أنا وأخى وإذا مشيخة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس عند باب من أبوابه فكرهنا أن نفرق بينهم فجلسنا حجرة إذ ذكروا آية من القرآن فتماروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا قد احمر وجهه يرميهم بالتراب ويقول : « مهلا يا قوم بهذا أهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتب بعضها ببعض إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا بل يصدق بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه »[4] .

وقد كان السلف يكرهون الجدال فى القدر ويذمونه . وقد تقدم فى رواية المروذى إنكار أحمد على من قال : جبر العباد وعلى القدرى الذى قال : لم يجبر فلما سأله المروذى عن الجواب فى هذه المسألة أجابه بقول الله تعالى : ﴿ يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ﴾[5] .

---

(١) الإيمان ص : ٣٦٩ .

(٢) انظر : المصدر المشار إليه : ٧٣٠/٤ - ٧٣٦ .

(٣) انظر : المصدر المشار إليه : ٦٣٤/٤ - ٦٣٨ .

(٤) مسند أحمد : ١٨١/٢ ، وابن ماجه : ٣٣/١ ، واللالكائى فى شرح أصول السنة : ٦٢٧/٤ والحديث صحيح . انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص : ٢١٨ .

(٥) انظر ص : ١٥٧ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : وكان السلف قد أظهروا ذلك لما أظهرت القدرية أن أفعال العباد غير مخلوقة لله . وزعموا أن العبد يحدثها أو يخلقها دون الله ، فبين السلف والأئمة أن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها[1] . اهـ .

فالسلف رحمهم الله تعالى كرهوا الكلام فى القدر والقرآن ونحو ذلك لكن لما خاضت المبتدعة فى هذه الأمور وحادوا عن الصواب رأى سلفنا الصالح لزاما عليهم أن يبينوا للناس الحق والصواب فيما ضل فيه هؤلاء .

قال الطحاوى رحمه الله تعالى : وأصل القدر سر الله تعالى فى خلقه ، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبى مرسل ، والتعمق والنظر فى ذلك ذريعة الخذلان ، وسلم الحرمان ، ودرجة الطغيان ، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ، ونهاهم عن مرامه ، كما قال تعالى فى كتابه : ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾[2] فمن سأل : لم فعل ؟ فقد رد حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين[3] .

قال الشارح معلقا على قوله : فمن سأل ... إلخ : اعلم أن معنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله – على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة فى الأوامر والنواهى والشرائع . ولهذا لم يحك الله عن أمة نبى صدقت بنبيها وآمنت بما جاء به أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به ونهاها عنه وبلغها عن ربها ، ولو فعلت ذلك لما كانت مؤمنة بنبيها بل انقادت وسلمت وأذعنت ، وما عرفت من الحكمة عرفته وما خفى عنها لم تتوقف فى انقيادها وتسليمها على معرفته ولاجعلت ذلك من شأنها[4] . اهـ .

وفى الختام أقول : إن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان لا يتحقق إيمان عبد إلا به . وقد ذكرت ما وجدته عن الإمام أحمد من روايات فى مسائل القدر

---

(١) مجموع الفتاوى : ٨/٤٠٦ – ٤٠٧ .
(٢) سورة الأنبياء /٢٣ .
(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٢٧٦ .
(٤) نفس المصدر ص : ٢٩ .

وعلقت عليها بما يقتضيه الحال . ومن أراد الاستزادة فليراجع كتب السلف التى عنيت بهذه المسائل . والله تعالى أعلم .

قول الإمام أحمد فى : من مات من أطفال المسلمين

قال أبو بكر الخلال :

١٤٦ - أخبرنى منصور بن الوليد[١] أن جعفر بن محمد حدثهم قال : سمعت أبا عبد الله يُسأل عن أطفال المسلمين ؟ فقال : ليس فيهم اختلاف أنهم فى الجنة .

١٤٧ - أخبرنى عبد الله الميمونى أنهم ذاكروا أبا عبد الله فى أطفال المؤمنين وذكروا له حديث عائشة رضى الله عنها وأرضاها فى قصة الأنصارى وقول النبى صلى الله عليه وسلم فيه[٢] فسمعت أبا عبد الله يقول غير مرة وهذا حديث وذكر فيه رجلاً ضعفه : طلحة .

١٤٨ - وسمعته يقول غير مرة : واحد يشك أنهم فى الجنة ، ثم أملى علينا الأحاديث فيه .

١٤٩ - وسمعته غير مرة يقول : هو يرجى لأبويه كيف يشك .

١٥٠ - وقال أبو عبد الله : إنما اختلفوا فى أطفال المشركين[٣] .

---

(١) لم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه من المصادر .

(٢) أخرج مسلم : ٢٠٥٠/٤ وأبو داود : ٨٦/٥ ، النسائى ح : ١٩٤٩ وابن ماجه فى المقدمة ح : ٨٢ عن طلحة بن يحيى عن عمته عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت : دُعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبى من الأنصار فقلت : يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه. قال :« أوغير ذلك يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم . وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم » . وطلحة هو ابن يحيى بن طلحة بن عبيد التيمى المدنى ، صدوق يخطىء . تقريب : ٣٨٠/١ . وقال عنه الإمام أحمد : صالح الحديث . إنما أنكر عليه حديث «عصفور من عصافير الجنة» . تهذيب : ٢٧/٥ . وقد تابعه فضيل بن عمرو . كما عند مسلم : ٢٠٥٠/٤ بلفظ مقارب مما تقدم .

(٣) أحكام أهل الملل ص : ٣٦ .

التعليق :

إن ما ذهب إليه الإمام أحمد من أن أطفال المسلمين فى الجنة هو – والله أعلم – الصواب وهو ما يكاد يكون مجمعا عليه بين العلماء . والأدلة على ذلك كثيرة منها : ما أخرجه البخارى[1] عن أنس رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم » . وأخرج البخارى[2] ومسلم[3] عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النساء قلن للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما . فوعظهن وقال : « أيما أمرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا لها حجابا من النار » . قالت امرأة : واثنان ؟ قال : « واثنان » واللفظ للبخارى . وأخرج مسلم[4] عن أبى هريرة قال : أتت امرأة النبى صلى الله عليه وسلم بصبى لها . فقالت : يا نبى الله ادع الله له . فلقد دفنت ثلاثة . قال : « دفنت ثلاثة » ؟ قالت : نعم . قال : « لقد احتظرت بحظار شديد من النار » . والأحاديث الصحيحة فى هذا كثيرة .

قال ابن حجر : إن من يكون سببا فى حجب النار عن أبويه أولى بأن يحجب هو لأنه أصل الرحمة وسببها[5] . اهـ .

قلت : وهو ما أشار إليه أحمد بقوله السابق : هو يرجى لأبويه كيف يشك وقد جاء فى بعض الأحاديث التصريح بدخولهم الجنة منها : ما أخرجه مسلم[6] عن أبى حسان قال : قلت لأبى هريرة : إنه قد مات لى ابنان فما أنت محدثى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : قال : نعم « صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه ، – أو قال أبويه – ، فيأخذ بثوبه ، – أو قال بيده – ، كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا . فلا

(١) فى الصحيح : ٣/١١٨ .
(٢) فى الصحيح : ٣/١١٨ .
(٣) فى الصحيح : ٤/٢٠٢٨ .
(٤) فى الصحيح : ٤/٢٠٣٠ .
(٥) فتح البارى : ٣/٣٤٤ .
(٦) فى الصحيح : ٤/٢٠٢٩ .

يتناهى – أو قال : فلا ينتهى – حتى يدخله الله وأباه الجنة » قال مسلم : وفى رواية سويد قال : حدثنا أبوالسليل . وحدثنيه عبيد الله بن سعيد . حدثنا يحيى (يعنى ابن سعيد عن التيمى بهذا الإسناد) وقال : فهل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : نعم . وأخرج النسائى[1] عن معاوية بن قرة عن أبيه رضى الله عنه أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه ابن له فقال له : « أتحبه » فقال : أحبك الله كما أحبه . فمات ففقده فسأل عنه فقال : « ما يسرك أن لا تأتى بابا من أبواب الجنة إلاوجدته عنده يسعى يفتح لك » . قال ابن حجر : إسناده صحيح[2] . وأخرج ابن ماجه[3] عن حريز بن عثمان ، عن شرحبيل بن شفعة قال : لقينى عتبة بن عبد السلمى فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد ، لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية ، من أيها شاء دخل » . قال المحقق : فى الزوائد : فى إسناده شرحبيل بن شفعة ، ذكره ابن حبان فى الثقات . وقال أبو داود : شرحبيل وحريز ، كلهم ثقات . اهـ . وباقى رجال الإسناد على شرط البخارى . اهـ .

والحاصل أن الأحاديث الدالة على أنهم فى الجنة كثيرة[4] .

قال النووى : أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة لأنه ليس مكلفا وتوقف فيه بعض من لا يعتد به لحديث عائشة [5] وأجاب العلماء بأنه لعله نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع كما أنكر على سعد بن أبى وقاص فى قوله : أعطه إنى لأراه مؤمنا قال « أو مسلما » الحديث[6] . ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين فى الجنة فلما علم قال ذلك فى قوله

---

(١) فى السنن : ٢٣/٤ .
(٢) فتح البارى : ١٢١/٣ .
(٣) فى السنن : ٥١٢/٢ .
(٤) راجع فتح البارى : ١١٨/٣ – ١٢٤ ، ٢٤٤ – ٢٤٨ .
(٥) المتقدم ص : ١٧٠ .
(٦) تقدم ص : ١٠٩ .

صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم » . وغير ذلك من الأحاديث والله أعلم[1] .

ونقل عن المازرى قوله : أما أولاد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فالإجماع متحقق على أنهم فى الجنة وأما أطفال من سواهم من المؤمنين فجماهير العلماء على القطع لهم بالجنة ، ونقل جماعة الإجماع فى كونهم من أهل الجنة قطعا لقوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ﴾ وتوقف بعض المتكلمين فيها وأشار إلى أنه لايقطع لهم كالمكلفين ، والله أعلم[2] .

قال ابن حجر : قال القرطبى نفى بعضهم الخلاف فى ذلك ، وكأنه عنى ابن أبى زيد فإنه أطلق الإجماع فى ذلك ، ولعله أراد إجماع من يعتد به[3] .

وقال أيضا[4] : « وكون أولاد المسلمين فى الجنة قاله الجمهور ووقفت طائفة قليلة »[5] . اهـ .

قلت : وقول الإمام أحمد : « ليس فيهم اختلاف أنهم فى الجنة » محمول على إجماع الجمهور ممن يعتد بقولهم .

---

(١) مسلم بشرح النووى : ٢٠٧/١٦ .
(٢) مسلم بشرح النووى : ١٨٣/١٦ .
(٣) فتح البارى : ٢٤٥/٣ .
(٤) أى ابن حجر .
(٥) نفس المصدر : ١٢٤/٣ .

قول الإمام أحمد فى : من مات من أطفال المشركين

قال أبو بكر الخلال :

١٥١ – رأيت فى كتاب لهـارون المستملى[١] قال أبو عبد الله : إذا سأل الرجل عن أولاد المشركين مع آبائهم . فإنه أصل كل خصومة ولا يسأل عنه إلا رجل الله أعلم به .

قال : ونحن نمر هذه الأحاديث على ما جاءت ونسكت ولا نقول شيئاً[٢] .

١٥٢ – وفى رواية جعفر بن محمد : سمعت أبا عبد الله سُئل عن أطفال المشركين فلم يقل شيئا .

١٥٣ – وفى رواية حنبل بن إسحاق أنكر على السائل سؤاله .

١٥٤ – أخبرنى عبد الله بن محمد[٣] قال : حدثنا بكر بن محمد[٤] عن أبيه عن أبى عبد الله وسأله عن أولاد المشركين فقال : أذهب إلى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « الله أعلم بما كانوا عاملين »[٥] .

ونحو هذه الرواية نقل عنه أبو طالب[٦] .

---

(١) هارون بن سفيان المستملى ، قال أبو بكر الخلال : رجل قديم مشهور معروف عنده عن أبى عبد الله مسائل كثيرة ، توفى سنة سبع وأربعين ومئتين . ت/بغداد : ٢٤/١٤ ، طبقات الحنابلة : ٣٩٥/١ – ٣٩٦ .

(٢) أحكام أهل الملل ص : ٣٧ .

(٣) ابن عبد الحميد القطان ، ثقة . ت/بغداد : ١٠٥/١٠ .

(٤) قال عنه أبو بكر الخلال : كان أبو عبد الله يقدمه ويكرمه وعنده مسائل كثيرة سمعها من أبى عبد الله . طبقات الحنابلة ١١٩/١ .

قلت : وهو هنا يروى عن أبيه عن عبد الله وأبوه هو: محمد بن الحكم تقدمت ترجمته ص : ١٤٤ .

(٥) أخرجه البخارى : ٢٤٥/٣ ح ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ومسلم ٢٠٤٩ من حديث أبى هريرة .

(٦) أحكام أهل الملل ص : ٣٧ .

التعليق :

هذا ما وجدته من روايات مسندة عن الإمام أحمد وسأورد الآن ما جاء حول هذا الموضوع فأقول وبالله التوفيق : جاء فى رواية أبى طالب : « أن أبا عبد الله سُئل عن أطفال المشركين فقال : كان ابن عباس يقول : فأبواه يهودانه وينصرانه حتى سمع : « الله أعلم بما كانوا عاملين » فترك قوله وهى صحاح ومخرجها كلها صحيح . اهـ .

وقول ابن عباس هذا رواه أحمد[1] عن عمار بن أبى عمار عن ابن عباس قال : أتى علىَّ زمان وأنا أقول : أولاد المسلمين مع المسلمين وأولاد المشركين مع المشركين حتى حدثنى فلان عن فلان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عنهم فقال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » . قال : فلقيت الرجل فأخبرنى فأمسكت عن قولى . اهـ .قال الألبانى : إسناده صحيح[2] .

والحديث فى الصحيحين عن ابن عباس قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال : « الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين »[3] .

وقد تقدم قول أبى عبد الله فى رواية جعفر بن محمد وعبد الملك الميمونى حيث قال فى أطفال المسلمين : ليس فيهم اختلاف أنهم فى الجنة ، إنما اختلفوا فى أطفال المشركين .

قلت : والخلاف فى مصير أولاد المشركين كبير والذى يظهر من إحدى الروايتين عن أحمد الإمساك .
وهذا عرض للأقوال واستعراض للأدلة وما رجحه العلماء :

قال الحافظ ابن حجر: اختلف العلماء قديما وحديثا فى هذه المسألة على أقوال :

---

(١) فى المسند : ٧٣/٥ .
(٢) انظر : السنة لابن أبى عاصم : ٩٦/١ .
(٣) انظر : فتح البارى : ٣٤٥/٣ ، وصحيح مسلم : ٢٠٤٩/٤ .

أحدها : أنهم فى مشيئة الله تعالى ، وهو منقول عن الحمادين وابن المبارك وإسحاق ونقله البيهقى فى الاعتقاد[1] عن الشافعى فى حق أولاد الكفار خاصة ، قال ابن عبد البر : وهو مقتضى صنيع مالك ، وليس عنده فى هذه المسألة شيء منصوص ، إلا أن أصحابه صرحوا بأن أطفال المسلمين فى الجنة وأطفال الكفار خاصة فى المشيئة ، والحجة فيه حديث : « الله أعلم بما كانوا عاملين »[2] .

ثانيها : أنهم تبع لآبائهم فأولاد المسلمين فى الجنة وأولاد الكفار فى النار وحكاه ابن حزم عن الأزارقة[3] من الخوارج واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ﴾[4] وتعقبه بأن المراد قوم نوح خاصة وإنما دعى بذلك لما أوحى الله إليه : ﴿ أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ﴾[5] وأما حديث : « هم من آبائهم أو منهم »[6] فذاك ورد فى حكم الحربى وروى أحمد من حديث عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ولدان المسلمين ، قال : « فى الجنة » . وعن أولاد المشركين ، قال : « فى النار » . فقلت : يا رسول الله لم يدركوا الأعمال ، قال : « ربك أعلم بما كانوا عاملين ، لو شئت لأسمعتك تضاغيهم فى النار »[7] . وهو حديث ضعيف جدا لأن فى إسناده أبا عقيل مولى بهية وهو متروك[8] .

ثالثها : أنهم يكونون فى برزخ بين الجنة والنار ، لأنهم لم يعملوا حسنات يدخلون بها الجنة ولا سيئات يدخلون بها النار[9] .

---

(١) انظر : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص : ١٠٧ - ١٠٨ .
(٢) انظر : تعليق ابن القيم على هذا القول فى طريق الهجرتين ص : ٣٩٤ .
(٣) انظر التعريف بهذة الفرقة ص : ١٧٨ ، ٣٤٨/٢ .
(٤) سورة نوح /٢٦ .
(٥) سورة هود /٣٦ .
(٦) أخرجه أحمد : ٣٨/٤ ، ٧١ ، والبخارى : ٣١/٤ ، ومسلم : ١٣٦٤/٣ من حديث الصعب بن جثامة رضى الله عنه .
(٧) انظر : المسند : ٢٠٨/٦ . والسنة لابن أبى عاصم ص: ٩٤ - ٩٥ .
(٨) انظر : تعليق ابن القيم على هذا القول فى طريق الهجرتين ص : ٣٩٤ - ٣٩٦ .
(٩) نفس المصدر ص : ٣٩٣ - ٣٩٤ .

رابعها : خدم أهل الجنة ، وفيه حديث عن أنس ضعيف[1] أخرجه أبو داود الطيالسى وأبو يعلى ، وللطبرانى والبزار من حديث سمرة مرفوعاً : « أولاد المشركين خدم أهل الجنة » وإسناده ضعيف[2] .

خامسها : أنهم يصيرون تراباً ، روى عن ثمامة بن أشرس[3] .

سادسها : هم فى النار حكاه عياض عن أحمد وغلطه ابن تيمية بأنه قول لبعض أصحابه ولا يحفظ عن الإمام أصلاً[4] .

سابعها : أنهم يمتحنون فى الآخرة بأن ترفع لهم نار ، فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ، ومن أبى عُذب . أخرجه البزار من حديث أنس وأبى سعيد وأخرجه الطبرانى من حديث معاذ بن جبل وقد صحت مسألة الامتحان فى حق المجنون ومن مات فى الفترة من طرق صحيحة ، وحكى البيهقى فى كتاب الاعتقاد أنه المذهب الصحيح[5] وتعقب بأن الآخرة ليست دار تكليف فلا عمل فيها ولا ابتلاء ، وأجيب بأن ذلك بعد أن يقع الاستقرار فى الجنة أو النار وأما فى عرصات القيامة فلا مانع من ذلك . وقد قال تعالى : ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون

---

(١) قال ابن القيم : واحتج هؤلاء بما رواه يعقوب بن عبد الرحمن القارى ، عن أبى حازم المدينى ، عن يزيد الرقاشى ، عن أنس .
قال الدارقطنى : ورواه عبد العزيز الماجشون عن ابن المنكدر عن يزيد عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سألت ربى للاهين من ذرية البشر أن لايعذبهم ، فأعطانيهم ، فهم خدام أهل الجنة » يعنى الصبيان فهذان طريقان ، وله طريق ثالث عن فضيل بن سليمان عن عبد الرحمن ابن إسحاق عن الزهرى عن أنس قال ابن قتيبة : اللاهون من لهيت عن الشىء إذا غفلت عنه وليس هو من لهوت ، وهذه الطرق ضعيفة ، فإن يزيد الرقاشى واه ، وفضيل بن سليمان متكلم فيه وعبد الرحمن بن إسحاق ضعيف . طريق الهجرتين ص : ٣٩٤ .

(٢) انظر : مجمع الزوائد : ٢١٩/٧ .

(٣) النميرى وإليه ينسب الثامية من فرق المعتزلة وذكر الشهرستانى عنه مثل هذا فى أطفال المؤمنين أيضاً .انظر : الملل والنحل بهامش الفصل : ٨٩/١ .

(٤) قال ابن القيم : وهذا قول جماعة من المتكلمين وأهل التفسير وأحد الوجهين لأصحاب أحمد ،وحكاه القاضى نصاً عن أحمد . طريق الهجرتين ص : ٣٨٩ . وانظر تعليقه على هذا القول من ص : ٣٨٩ - ٣٩١ .

(٥) راجع الكتاب المذكور ص : ١١١ - ١١٢ .

إلى السجود فلا يستطيعون ﴾[1] وفى الصحيحين أن الناس يؤمرون بالسجود فيصير ظهر المنافق طبقا فلا يستطيع أن يسجد[2] [3].

---

(١) سورة القلم /٤٢ .

(٢) أخرج البخارى : ١٣/٤٢٠ ومسلم : ١٦٨/١ من حديث أبى سعيد الخدرى يرويه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى أهوال ومشاهد يوم القيامة : « ... فيكشف عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا » . الحديث واللفظ للبخارى .

(٣) هذا القول ذكره ابن القيم على وجه آخر حيث قال فى عرضه للمذاهب المختلفة فى هذه المسألة : المذهب الثامن : أنهم يمتحنون فى عرصات القيامة ويرسل إليهم هناك رسول وإلى كل من لم تبلغه الدعوة فمن أطاع الرسول دخل الجنة ومن عصاه أدخله النار . وعلى هذا يكون بعضهم فى الجنة وبعضهم فى النار . وبهذا يتألف شمل الأدلة كلها وتتوافق الأحاديث ويكون معلوم الله الذى أحال عليه النبى صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « الله أعلم بما كانوا عاملين » يظهر حينئذ ويقع الثواب والعقاب عليه حال كونه معلوما علما خارجياً لأعلما مجرداً ، ويكون النبى صلى الله عليه وسلم قد رد جوابهم إلى علم الله فيهم ، والله يرد ثوابهم وعقابهم إلى معلومه منهم ، فالخبر عنهم مردود إلى علمه ،ومصيرهم مردود إلى معلومه.وقد جاءت بذلك آثار كثيرة يؤيد بعضها بعضاً .. » ثم ساق ما يراه مؤيداً لقوله ورد على ما يرد من اعتراضات . راجع طريق الهجرتين ص : ٣٩٦ - ٤٠١ . وقد أيد شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية هذا القول إذ يقول : « ولهذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يموت من أطفال المشركين وهو صغير قال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » أى الله يعلم من يؤمن منهم ومن يكفر لو بلغوا . ثم إنه قد جاء فى حديث إسناده مقارب عن أبى هريرة رضى الله عنه : عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كان يوم القيامة فإن الله يمتحنهم ويبعث إليهم رسولا فى عرصة القيامة ، فمن أجابه أدخله الجنة ومن عصاه أدخله النار » فهنالك يظهر فيهم ما علمه الله سبحانه و يجزيهم على ما ظهر من العلم وهو إيمانهم وكفرهم ، لا على مجرد العلم . وهذا أجود ما قيل فى أطفال المشركين وعليه تتنزل جميع الأحاديث . مجموع الفتاوى : ٢٤٦/٤ - ٢٤٧ . وفى موضع آخر قال : وأما أطفال المشركين فأصح الأجوبة فيهم جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أعلم بما كانوا عاملين » فلا يحكم على معين منهم بجنة ولا بنار ويروى « أنهم يوم القيامة يمتحنون فى عرصات القيامة ، فمن أطاع حينئذ دخل الجنة ومن عصى دخل النار. ودلت الأحاديث الصحيحة أن بعضهم فى الجنة وبعضهم فى النار » . مجموع الفتاوى : ٣١٢/٤ . قلت : « قد لايكون الفرق جوهرياً بين من قال : « يرسل إليهم رسولاً وبين من قال : ترفع لهم نار . فالحاصل من القولين أنهم يمتحنون فى الآخرة وقد ساق البيهقى فى الاعتقاد ص : ١١١ - ١١٢ وابن القيم فى المصدر السابق ما جاء فى هذا الباب من آثار فراجعهما .

ثامنها : أنهم فى الجنة . قال النووى[1]: وهو المذهب الصحيح المختار الذى صار إليه المحققون لقوله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ وإذا كان لا يعذب العاقل لكونه لم تبلغه الدعوة فلأن لا يعذب غير العاقل من باب الأولى ، ولحديث سمرة[2] المذكور فى هذا الباب ، ولحديث عمة خنساء[3] المتقدم ، ولحديث عائشة[4] الآتى قريباً .

تاسعها : الوقف[5] .

عاشرها : الإمساك[6] وفى الفرق بينهما دقة[7] .

قال ابن القيم : وقد نقل عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية والقاسم بن محمد وغيرهم أنهم كرهوا الكلام فى هذه المسألة جملة[8] .

---

(١) انظر : مسلم بشرح النووى : ٢٠٧/١٦ - ١٧٧ .

(٢) يرفعه : « أولاد المشركين خدم أهل الجنة » وقد تقدم ص : ١٧٩ .

(٣) قلت يا رسول الله من فى الجنة ؟ قال : « النبى فى الجنة ، والشهيد فى الجنة ، والمولود فى الجنة » . قال ابن حجر : رواه أحمد : ٥٨/١ ، ٤٠٩ وإسناده حسن .

(٤) قال ابن حجر : وروى عبد الرزاق : من طريق أبى معاذ ، عن الزهرى ، عن عروة عن عائشة قالت : « سألت خديجة النبى صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال : هم مع آبائهم ، ثم سألته بعد ذلك فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين ، ثم سألته بعد ما استحكم الإسلام فنزل : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ قال : هم على الفطرة أو قال : « فى الجنة » . وأبو معاذ هو سليمان بن أرقم وهو ضعيف ، ولو صح هذا لكان قاطعاً للنزاع رافعاً لكثير من الإشكال المتقدم . فتح البارى : ٢٤٧/٣ .

وقد علق ابن القيم على هذا القول وساق ما احتج به أصحابه ثم قال : وهذه حجج كما ترى قوة وكثرة ولاسبيل إلى دفعها . وسيأتى إن شاء الله فصل النزاع فى هذه المسألة والقول بموجب هذه الحجج الصحيحة كلها . طريق الهجرتين ص : ٣٩١ - ٣٩٣. قلت يشير بقوله الأخير هذا إلى ما قدمناه من ترجيحه لامتحانهم فى الآخرة .

(٥) انظر : تعليق ابن القيم على هذا فى طريق الهجرتين ص : ٣٨٧ - ٣٨٩ .

(٦) انظر : رواية هارون المستملى وجعفر بن محمد عن أحمد ص : ١٥٧ فظاهرهما الإمساك والله أعلم .

(٧) فتح البارى : ٢٤٦/٣ - ٢٤٧ . وللمزيد : انظر : ما ذكره ابن حزم فى كتابه الفصل فى الملل والأهواء والنحل : ٧٢/٤ - ٧٩ .

(٨) طريق الهجرتين ص : ٤٠١ - ٤٠٢ .

وفى موضع آخر قال : وفى صحيح أبى حاتم ابن حبان من حديث جرير ابن حازم قال : سمعت أبا رجاء يقول وهو على المنبر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال أمر هذه الأمة قواما[1] – أو مقاربا – ما لم يتكلموا فى الولدان والقدر »[2] .

قال : أبو حاتم : والولدان أراد به أطفال المشركين .

قال ابن القيم معلقا : وأما حديث أبى رجاء العطاردى عن ابن عباس ، ففى القلب من رفعه شئ ، وإن أخرجه ابن حبان فى صحيحه[3] . وهو يدل على ذم من تكلم فيهم بغير علم . أو ضرب النصوص بعضها ببعض فيهم . كما ذم من تكلم فى القدر بمثل ذلك ، وأما من تكلم فيهم بعلم وحق فلا[4] .

---

(١) فى صحيح ابن حبان « مؤاتيا » .

(٢) انظره فى صحيح ابن حبان : ٨/٢٥٥ – ٢٥٦ عن أبى رجاء العطاردى قال : سمعت ابن عباس وهو يقول على المنبر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكره . وذكره الهيثمى فى موارد الظمآن ص : ٤٥١ .

(٣) الحديث ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد : ٧/٢٠٢ وقال : رواه البزار والطبرانى فى الكبير والأوسط ورجال البزار رجال الصحيح . اهـ .
وذكر الحديث الهيثمى أيضاً فى كشف الأستار عن زوائد البزار : ٣/٣٥ – ٣٦ ، وقال : قال البزار : قد رواه جماعة فوقفوه على ابن عباس .

(٤) طريق الهجرتين ص : ٣٨٧ ، ٣٨٩ .

قول الإمام أحمد فى معنى حديث :
« كل مولود يولد على الفطرة »

قال أبو بكر الخلال :

١٥٥ – أخبرنى محمد بن يحيى الكحال أنه قال لأبى عبد الله : « كل مولود يولد على الفطرة »[١] ما تفسيرها ؟ قال : هى الفطرة التى فطر الله عز وجل الناس عليها شقى أو سعيد[٢] .

• نقل مثل هذا عن أحمد الفضل بن زياد وحنبل بن إسحاق وأبو الحارث الصائغ وعلى بن سعيد[٣] والحسن بن ثواب[٤] وعنده قال :

١٥٦ – كل مولود من أطفال المشركين على الفطرة . فولد على الفطرة التى خلقه عليها من الشقاء والسعادة التى سبقت فى الكتاب . ارجع فى ذلك إلى الأصل[٥] .

١٥٧ – وفى رواية عبد الملك الميمونى ... قال – أى أحمد – والذى نقول : كل مولود يولد على الفطرة الأولى التى فطر الله الناس عليها قلت : فما الفطرة الأولى هى الدين . قال لى : نعم ...[٦] .

---

(١) أخرجه البخارى : ٢٤٥/٣ ومسلم: ٢٠٤٧/٤ من حديث أبى هريرة قال : « قال النبى صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أوينصرانه أويمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء » واللفظ للبخارى ولفظ مسلم : « كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » .

(٢) السنة (ق ٨٦/أ) ونقله ابن أبى يعلى فى طبقات الحنابلة : ٣٢٨/١ .

(٣) أحكام أهل الملل للخلال ص : ٣٨ .

(٤) قال عنه أبو بكر الخلال : « كان شيخاً جليل القدر وكان له بأبى عبد الله أنس شديد » . اهـ . وقال الدارقطنى « ثقة » . ت/بغداد : ٢٩٢/٧ ، طبقات الحنابلة : ١٣١/١ .

(٥) أحكام أهل الملل ص : ٣٨ .

(٦) انظر الرواية بأكملها فى المصدر السابق .

١٥٨ - وأجاب فى رواية يوسف بن موسى : الفطرة التى فطر الله العباد عليها[١] .

١٥٩ - وفى رواية أحمد بن الحسين بن حسان : الفطرة التى فطر الله عز وجل التى فطر الناس عليها[٢] .

١٦٠ - وفى الشقاء والسعادة : نقل عنه حنبل بن إسحاق أنه قال : والشقوة والسعادة مكتوبان على العبد واحتج بحديث النبى صلى الله عليه وسلم : « فمنهم من يولد مؤمنا ويحيا مؤمنا ويموت كافراً ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت مؤمناً » . قال : هذا من كتب الله عليه الشقاء والسعادة .

١٦١ - وفى موضع آخر قال : قلت له : الشقاء والسعادة مكتوبان على العبد . قال : نعم سابق فى علم الله وهما فى اللوح المحفوظ قبل أن يخلقه والشقاء والسعادة من الله عز وجل .... الشقى من شقى فى بطن أمه .

١٦٢ - وفى رواية أخرى : الشقاء والسعادة مكتوبان على ابن آدم قبل أن يخلق ونحن فى أصلاب الآباء[٣] .

١٦٣ - وفى رواية الفضل بن زياد : قيل له الشقى من شقى فى بطن أمه . قال : نعم . الشقى من شقى فى بطن أمه[٤] .

١٦٤ - وفى رواية يوسف بن موسى قيل له : الشقاء والسعادة مقدران على العباد . قال : نعم . قيل له : والناس يصيرون إلى مشيئة الله من حسن أو شيء . قال : نعم[٥] .

١٦٥ - وفى رواية أبى الحارث الصائغ : من كتب سعيدا فهو سعيد ومن كتب شقيا فهو شقى[٦] .

---

(١) نفس المصدر .
(٢) السنة للخلال (ق ٨٦/ب) .
(٣) نفس المصدر .
(٤) نفس المصدر .
(٥) المصدر السابق (ق ٩١/ب) ونقله ابن أبى يعلى فى طبقات الحنابلة ٢/ ١٤ .
(٦) السنة للخلال (ق ٨٧ / أ)وانظر قول الإمام أحمد فى أفعال العباد ص : ١٤٧ .

التعليق :

المشهور عن الإمام أحمدفى تفسير قول النبى صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة »[1] أى على ما كتب له من شقاوة وسعادة[2] وقد نقل هذا التفسير أيضاً عن جملة من العلماء منهم عبد الله بن المبارك .

يقول الحافظ ابن حجر : اختلف السلف فى المراد بالفطرة فى هذا الحديث على أقوال كثيرة ، وحكى أبو عبيد أنه سأل محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة عن ذلك فقال : كان هذا فى أول الإسلام قبل أن تنزل الفرائض ، وقبل الأمر بالجهاد . قال أبو عبيد : كأنه عنى أنه لو كان يولد على الإسلام فمات قبل أن يهوده أبواه مثلا لم يرثاه ، والواقع فى الحكم أنهما يرثاه فدل على تغير الحكم وقد تعقبه ابن عبد البر وغيره . وسبب الاشتباه أنه حمله على أحكام الدنيا . فلذلك ادعى فيه النسخ . والحق أنه إخبار من النبى صلى الله عليه وسلم بما وقع فى نفس الأمر ، ولم يرد به إثبات أحكام الدنيا وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام . قال ابن عبد البر : وهو المعروف عند عامة السلف[3] . وأجمع أهل العلم بالتأويل المراد بقوله تعالى : ﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها ﴾[4] الإسلام واحتجوا بقول أبى هريرة فى آخر الحديث اقرؤوا إن شئتم ﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها ﴾ وبحديث عياض بن حمار عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه : « إنى خلقت عبادى حنفاء كلهم ،

---

(١) قال الخطابى: « أصل الفطرة ابتداء الخلق ومنه قول الله سبحانه : ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض ﴾ أى مبتديها . معالم السنن مع سنن أبى داود : ٥/٨٨ .

(٢) وهذه إحدى الروايتين عنه وهى المشهورة والأخرى تفسيره لها بالإسلام كما مر فى رواية الميمونى . وكما سيذكره ابن حجر فى ثنايا كلامه هذا .

(٣) قال ابن تيمية : فالصواب أنها فطرة الله التى فطر الناس عليها ، وهى فطرة الإسلام ، وهى الفطرة التى فطرهم عليها يوم قال ﴿ ألست بربكم قالوا بلى ﴾ وهى السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة ... ولا يلزم من كونهم مولودين على الفطرة أن يكونوا حين الولادة معتقدين للإسلام بالفعل فإن الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لانعلم شيئاً ولكن سلامة القلب وقبوله وإرادته للحق الذى هو الإسلام بحيث لو ترك من غير مغير لما كان إلا مسلماً » . مجموع الفتاوى : ٤/٢٤٥ - ٢٤٧. وانظر : فتح البارى : ٨/٥١٢ فقد جزم البخارى بأن الفطرة هى الإسلام .

(٤) سورة الروم /٣٠ .

فاجتالتهم الشياطين عن دينهم »[1] الحديث . وقد رواه غيره فزاد فيه : « حنفاء مسلمين » ورجحه بعض المتأخرين بقوله تعالى : ﴿ فطرة الله ﴾ لأنها إضافة مدح ، وقد أمر نبيه بلزومها فعلم أنها الإسلام .

وقد قال أحمد : من مات أبواه وهما كافران حكم بإسلامه[2] واستدل بحديث الباب فدل على أنه فسر الفطرة بالإسلام . وتعقبه بعضهم بأن كان يلزم أن لايصح استرقاقه . ولايحكم بإسلامه إذا أسلم أحد أبويه . والحق أن الحديث سيق لبيان ما هو فى نفس الأمر ،لالبيان الأحكام فى الدنيا . وحكى محمد بن نصر أن آخر قولى أحمد أن المراد بالفطرة الإسلام . قال ابن القيم : وقد جاء عن أحمد أجوبة كثيرة يحتج فيها بهذا الحديث على أن الطفل إنما يحكم بكفره بأبويه ، فإذا لم يكن بين أبوين كافرين فهو مسلم . وروى أبو داود عن حماد ابن سلمة أنه قال : المراد أن ذلك حيث أخذ الله عليهم العهد حيث قال : ﴿ ألست بربكم قالوا بلى ﴾[3] ونقله ابن عبد البر عن الأوزاعى وعن سحنون . ونقله أبو يعلى ابن الفراء فى إحدى الروايتين عن أحمد وهو ما حكاه الميمونى عنه وذكره ابن بطة[4] . اهـ .

والحاصل أن الراجح تفسير الفطرة بالإسلام وهو مذهب كثير من العلماء وهو إحدى الروايتين عن أحمد كما عند الميمونى . والرواية الأخرى تفيد تفسيره لها بالشقاء والسعادة وهى المشهورة عنه .

---

(١) أخرجه مسلم : ٢١٩٧/٤ .

(٢) قال ابن تيمية معلقاً على الحديث السابق : « إنى خلقت عبادى حنفاء ... ولهذا ذهب الإمام أحمد رضى الله عنه فى المشهور عنه إلى أن الطفل متى مات أحد أبويه الكافرين حكم بإسلامه لزوال الموجب للتغيير عن أصل الفطرة . وقد روى عنه وعن ابن المبارك، وعنهما : أنهم قالوا : يولد على ما فطر عليه من شقاوة و سعادة » . وهذا القول لاينافى الأول . فإن الطفل يولد سليماً وقد علم الله أنه سيكفر فلابد أن يصير إلى ما سبق له فى أم الكتاب كما تولد البهيمة جمعاء وقد علم الله أنها ستجدع . مجموع الفتاوى : ٢٤٦/٤ ، وانظر : الروايتين والوجهين لأبى يعلى : ٣٧٠/٢ حيث ذكر الروايات عن أحمد فى من مات أبواه أو أحدهما وهما كافران هل نحكم بإسلامهم . وقد ذكر ابن تيمية وابن حجر الرواية المشهورة .

(٣) سورة الأعراف /١٧٢ .

(٤) فتح البارى : ٣٤٨/٣ - ٣٤٩ وقد ذكر أقوالاً أخر . وراجع معالم السنن للخطابى مع سنن أبى داود /٨٦ - ٨٨ ومسلم بشرح النووى : ٢٠٨/١٦ .

قال ابن القيم : سبب اختلاف العلماء فى معنى الفطرة فى هذا الحديث أن القدرية كانوا يحتجون به على أن الكفر والمعصية ليس بقضاء الله بل مما ابتدأ الناس إحداثه ، فحاول جماعة من العلماء مخالفتهم بتأويل الفطرة على غير معنى الإسلام ولا حاجة لذلك . لأن الآثار المنقولة عن السلف تدل على أنهم لم يفهموا من لفظ الفطرة إلا الإسلام ، ولا يلزم من حملها على ذلك موافقة مذهب القدرية ، لأن قوله : « فأبواه يهودانه» إلخ. محمول على أن ذلك يقع بتقدير الله تعالى ومن ثم احتج عليهم مالك[1] بقوله فى آخر الحديث : الله أعلم بما كانواعاملين[2] .

وقال ابن حجر : ... فقال مالك : احتج عليهم بآخره « الله أعلم بما كانوا عاملين » .

ووجه ذلك أن أهل القدر استدلوا على أن الله فطر العباد على الإسلام وأنه لا يضل أحدا وإنما يضل الكافر أبواه . فأشار مالك إلى الرد عليهم بقوله : « الله أعلم » فهو دال على أنه يعلم بما يصيرون إليه بعد إيجادهم على الفطرة ، فهو دليل على تقدم العلم الذى ينكره غلاتهم ، ومن ثم قال الشافعى : أهل القدر إن أثبتوا العلم خصموا[3] .

---

(١) أخرجه أبو داود عن عبد الله بن وهب قال : سمعت مالكاً قيل له : إن أهل الأهواء يحتجون علينا بهذا الحديث قال مالك : احتج عليهم بآخره ، قالوا أرأيت من يموت وهو صغير قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » . سنن أبى داود : ٨٩/٥ .
قلت : يشير بذلك إلى رواية همام وغيره عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها » . قالوا : يارسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » . أخرجه البخارى : ٤٩٣/١١ ، ومسلم : ٢٠٤٨/٤ .

(٢) انظر : فتح البارى : ٢٥٠/٣ .

(٣) فتح البارى : ٢٤٧/٣ .

مسائل القرآن الكريم

قول الإمام أحمد فى القرآن الكريم

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل :

١٦٦ – سمعت أبى وسأله عبد الله بن عمر المعروف بمشكدانة[١] عن القرآن فقال : كلام الله عز وجل وليس بمخلوق[٢] .

• **نقل مثل هذا عن أحمد :**
ابن هانىء[٣] وحنبل بن إسحاق[٤] وسليمان بن الأشعث وأحمد بن الحسين ويوسف ابن موسى وإسماعيل بن إسحاق الثقفى[٥] وصالح بن أحمد بن حنبل والحارث بن إبراهيم[٦] والحسن البزار[٧] وأبو الحارث الصائغ[٨] ويعقوب بن إبراهيم الدورقى[٩]

---

(١) صدوق فيه تشيع ، توفى سنة تسع وثلاثين ومئتين . تقريب : ٤٣٥/١ .
(٢) السنة (ظ : ق ٦/أ) وفى المطبوع ص : ٢١ ونقله ابن أبى يعلى فى طبقات الحنابلة : ١٨٩/١ .
(٣) انظر : مسائل ابن هانىء ١٥٣/١ ، ١٥٦ ، ١٥٨ والسنة للخلال (ق : ١٥٥/أ) .
(٤) انظر : السنة للخلال (ق : ١٥٦/أ ، ١٥٧/أ ، ١٩٣/أ)، ومحنة الإمام أحمد لحنبل بن إسحاق ص : ٦٨ ، ص : ٦٧ .
(٥) انظر : السنة للخلال (ق : ١٥٤/ب) .
(٦) لم أجد له ترجمة فيما نظرته من المصادر .
(٧) هو : الحسن بن الهيثم البزار ذكره أبو بكر الخلال فقال أخبرنا الحسن بن الهيثم البزار قال :« قلت لأحمد بن حنبل : إنى أطلب العلم ، وإن أمى تمنعنى من ذلك تريد منى أن أشتغل بالتجارة قال لى :دارها وارضها ولا تدع طلب العلم » . اهـ . وذكره ابن الجوزى فيمن حدث عن أحمد . طبقات الحنابلة : ١٤٠/١ ، مناقب الإمام أحمد ص : ١٣١ ، والمنهج الأحمد : ٣٩٢/١.والروايات المتقدمة فى السنة للخلال (ق ١٥٥/أ) .
(٨) المصدر السابق (ق ١٥٢/أ ، ١٩٤/ب ، ١٩٦/أ) .
(٩) هو : يعقوب بن إبراهيم بن كثير الدورق ، ثقة ، توفى سنة اثنتين وخمسين ومئتين وكان من الحفاظ . تقريب : ٣٧٤/٢ . طبقات الحنابلة : ٤١٤/١ .
والرواية انظرها فى السنة للخلال (ق ١٨٨/ب) .

وهارون بن عبد الله البزاز[1] ومحمد بن سليمان الجوهرى[2] وأبو بكر المروذى[3] وأبو محمد فوران[4] وأبو طالب[5] ومحمد بن مسلم بن وارة[6] ومهنا بن يحيى[7] وأعين بن زيد الشوبى[8] وعلى بن الفرات الأصبهانى[9] ومحمود بن خالد الخانقينى[10]

---

(١) هو : أبو موسى الحمال ، ثقة . قال عنه أبو بكر الخلال : رجل كبير السن قديم السماع ، وكان أبو عبد الله يكرمه ويعرف حقه ، وكان عنده عن أبى عبد الله جزء كبير مسائل حسان جداً. وأخبرنا المروذى أنه قال : سألت أبا عبد الله عن هارون الحمال ، فقلت : أكتب عنه ؟ فقال : إى والله . توفى سنة ثلاث وأربعين ومئتين وقد ناهز الثمانين . ت/بغداد : ٢٢/١٤ ، طبقات الحنابلة : ٣٩٦/١ ، تقريب ٣١٢/٢ ، تهذيب : ٨/١١ .

(٢) السنة للخلال (ق ١٩٠/أ) .

(٣) المصدر السابق (ق ٢٩٢/أ) .

(٤) هو : عبد الله بن محمد بن المهاجر ، يعرف بفوران . قال الدارقطنى : فوران نبيل جليل ، كان أحمد يجله . اهـ. وذكره أبو بكر الخلال فقال : كان من أصحاب أبى عبد الله الذين يقدمهم ويأنس بهم ويخلو معهم ويستقرض منهم . توفى سنة ست وخمسين ومئتين ت/بغداد : ٧٩/٢ ، طبقات الحنابلة : ١٩٥/١ ، مناقب الإمام أحمد ص : ١٣٤ ، المنهج الأحمد :٢٠٢/١ ، وروايته فى السنة للخلال (ق ١٩٣/أ) .

(٥) نفس المصدر (١٩٣/ب) .

(٦) هو : محمد بن مسلم بن عثمان الرازى ، المعروف بابن وارة ، ثقة حافظ ، توفى سنة سبعين ومئتين وقيل قبلها . طبقات الحنابلة : ٣٢٤/١ ، تقريب : ٢٠٧/٢ والرواية فى السنة للخلال (ق ١٥١/أ) ونقلها ابن أبى يعلى فى طبقات الحنابلة : ٣٢٤/١ .

(٧) السنة للخلال (ق ١٥١/ب) .

(٨) قال عنه أبو حاتم : صدوق . وقال ابن أبى يعلى : أحد أصحاب الإمام أحمد . اهـ . وذكره ابن الجوزى فيمن حدث عن أحمد .
الجرح والتعديل : ٣٢٥/٢ ، طبقات الحنابلة : ١١٩/١ ، مناقب أحمد ص : ١٢٩، المنهج الأحمد : ٣٨١/١ . والرواية فى طبقات الحنابلة بالرقم السابق .

(٩) قال ابن أبى يعلى : نقل عن الإمام أحمد أشياء . اهـ . وذكره ابن الجوزى فيمن حدث عن أحمد . قال أبو حاتم : صدوق .
الجرح والتعديل : ٢٠١/٦ ، طبقات الحنابلة : ٢٢٩/١ ، مناقب الإمام أحمد ص : ١٣٧ ، المنهج الأحمد : ٤٣٠/١ . والرواية فى طبقات الحنابلة ٢٢٩/١ .

(١٠) ذكره ابن أبى يعلى وابن الجوزى فيمن حدثوا عن الإمام أحمد . قال أبو حاتم : كان صدوقاً .
الجرح والتعديل : ٢٩١/٨ ، طبقات الحنابلة : ٣٤٠/١ ، مناقب الإمام أحمد ص : ١٤٢ ، المنهج الأحمد : ٤٤٨/١ .
والرواية فى طبقات الحنابلة : ٢٤٠/١ .

وأحمد بن سعيد الدارمى[1] ومسدد بن مسرهد[2] وعبدوس بن مالك[3] ومحمد بن عوف الطائى[4] والحسن بن إسماعيل الربعى[5] ومحمد بن حبيب الأندرانى[6] وأحمد ابن جعفر الإصطخرى[7] والحسن بن[8] أيوب، وسلمة بن شبيب[9] .

التعليق :

لعل من المفيد قبل البدء فى تفاصيل مسائل القرآن الكريم من الناحية العقدية أن تُعطى نبذة مختصرة عن « فتنة خلق القرآن » ومتى حدثت ومن أحدثها وكيف انتشرت ومن كان وراء انتشارها . فأقول وبالله التوفيق : ان أول ظهور لهذه الفتنة - أو المحنة كما يسميها البعض - كان فى آواخر عهد بنى أمية على لسان الجعد ابن درهم[10] وأخذ هذه المقالة وغيرها عن الجهم بن صفوان[11] فنسبت إليه. وفى

(١) هو : أحمد بن سعيد بن صخر الدارمى ، أبو جعفر السرخسى ، ثقة حافظ ، توفى سنة مئتين وثلاث وخمسين . ت/بغداد : ١١٦/٤ ، طبقات الحنابلة : ٤٥/١ . والرواية فى المصدر الأخير .

(٢) طبقات الحنابلة : ٣٤٢/١ .

(٣) رسالة عبدوس (ق ١/ب) .

(٤) طبقات الحنابلة : ٣١٣/١ .

(٥) طبقات الحنابلة : ١٣٠/١ .

(٦) المصدر السابق : ٢٩٥/١ .

(٧) المصدر السابق : ٢٩/١ وانظر السنة لأحمد ضمن شذرات البلاتين ص : ٤٩ .

(٨) قال عنه الخطيب : حكى عن أبى عبد الله أحمد بن حنبل . اهـ . وذكره ابن أبى يعلى وابن الجوزى فيمن رووا عن الإمام أحمد .
ت/بغداد : ٢٨٧/٧ ،طبقات الحنابلة : ١٣١/١ ، مناقب الإمام أحمد ص :١٣١ ، المنهج الأحمد : ٣٨٧/١ .
والرواية فى شرح أصول السنة للالكائى : ٦٢٣/٢ .

(٩) هو : سلمة بن شبيب المسمعى النيسابورى ، نزيل مكة ، ثقة ، توفى سنة بضع و أربعين ومئتين .
تقريب : ٣١٦/١ ، طبقات الحنابلة : ١٦٨/١ .
والرواية فى مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص : ٢٠٥ .

(١٠) قال عنه الذهبى : مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا و لم يكلم موسى تكليما فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر نحو سنة ثمان عشرة ومئة . ميزان الاعتدال : ٣٩٩/١ . وانظر شرح السنة للالكائى : ٣٧٨/٣ - ٣٨٥ فقد عقد فصلا تحت عنوان : متى حدث القول بخلق القرآن فى الإسلام .

(١١) تقدمت ترجمته ص : ٧٣ .

العهد العباسى وبالتحديد فى بداية القرن الثالث أثار هذه المسألة بشر المريسى[1] وابن أبى دُواد[2] وظهورها فى هذه الفترة اختلف عن ظهورها فى أيام الجعد الذى كان مصيره القتل . ففى هذه الفترة استخدم المبتدعة السلطة – وهو ما عنيته بالاختلاف – وحاولوا بكل الطرق إيصال هذا المذهب إلى الناس وإجبارهم على اعتقاده ولا حاجة إلى تفصيل ذلك فقد أعطى من الشرح والتفصيل ما يفى بالغرض إلا أنى أشير إلى أن الخليفة العباسى الملقب بالمأمون[3] – والمشبع بأفكار المعتزلة المتحمس لترويجها وجعلها مذهبا لعامة المسلمين[4] – خاض معركة شرسة مع أئمة السنة لإجبارهم على القول بخلق القرآن وكان على رأسهم الإمام أحمد بن حنبل ، وقد استخدم معه بالذات كل السبل من حوار وتهديد وقهر إلا أنه رحمه الله كان صامداً ثابتاً على الحق ، ومات المأمون وخلفه أخوه المعتصم[5] وفعل ما فعله أخوه وزاد عليه

---

(١) هو : بشر بن غياث بن أبى كريمة مولى زيد بن الخطاب ، كان من أصحاب الرأى ، أخذ الفقه عن أبى يوسف إلا أنه اشتغل بعلم الكلام وجرد القول بخلق القرآن وحكى عنه أقوال شنيعة ومذاهب مستنكرة . توفى سنة ثمان عشرة ومئتين .

انظر : ت/بغداد: ٥٦/٧ ، ميزان الاعتدال : ٣٢٢/١ ، البداية والنهاية : ٢٨١/١٠ .

(٢) هو : أحمد بن أبى دُاود الإيادى ، الجهمى ، ولى القضاء فى عهد المعتصم والواثق ، كان من رؤوس القائلين بخلق القرآن وأفتى بقتل الإمام أحمد . توفى سنة مئتين وأربعين . انظر : ت/بغداد : ١٤١/٤ ، ميزان/٩٧ ، السير للذهبى : ١٦٩/١١ ، لسان الميزان : ١٧١/١ .

(٣) هو : الخليفة أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدى ، ابن أبى جعفر المنصور العباسى ، قال الذهبى : كان كلامه فى القرآن سنة اثنتى عشرة ومئتين فأنكر الناس ذلك ، واضطربوا ، و لم ينل مقصوده ففتر إلى وقت .

وقال فى موضع آخر : أما مسألة القرآن فما رجع عنها وصمم على امتحان العلماء فى سنة ثمانى عشرة وشدد عليهم فأخذه الله .

انظر سيرته فى ت/بغداد : ١٨٣/١٠ ، سير أعلام النبلاء : ٢٧٢/١٠ ، البداية والنهاية : ٢٤٤/١٠ ، تاريخ الخلفاء ص : ٣٠٦ .

(٤) قال الذهبى : وكان المأمون يجل أهل الكلام ويتناظرون فى مجلسه . السير : ٢٨٥/١٠ .

(٥) هو : الخليفة : أبو إسحاق محمد بن الرشيد هارون . قال الذهبى : امتحن الناس بخلق القرآن وكتب بذلك إلى الأمصار وأخذ بذلك المؤذنين وفقهاء المكاتب . وفى موضع آخر قال : وفى رمضان كانت محنة الإمام أحمد فى القرآن وضُرب بالسياط حتى زال عقله و لم يجب فأطلقوه . توفى المعتصم سنة سبع وعشرين ومئتين . انظر سيرته فى ت/بغداد : ٣٤٢/٣ ، السير للذهبى : ٢٩٠/١٠ ، البداية والنهاية : ٢٩٥/١٠ ، تاريخ الخلفاء ص : ٣٣٣ .

ومات المعتصم وخلفه ابنه الواثق[1] الذى سار على نهجهما أيضاً ، ومات الواثق وخلفه أخوه المتوكل[2] فألقى ما توارثه أبوه وأخوه عن المأمون وأنهى هذه الفتنة وقطع دابرها وأظهر السنة فلله الحمد والمنة[3] .

والقول بأن القرآن الكريم كلام الله عز وجل غير مخلوق هو مذهب السلف وقد ساق اللالكائى[4] جملة عظيمة عن التابعين وتابعيهم كلهم يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق .

يقول ابن تيمية : ومذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم ما دل عليه الكتاب والسنة ، وهو الذى يوافق الأدلة العقلية الصريحة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود[5] .

---

(١) هو : الخليفة أبو جعفر وأبو القاسم هارون بن المعتصم قال الخطيب : استولى أحمد بن أبى دواد على الواثق وحمله على التشدد فى المحنة والدعاء إلى خلق القرآن . توفى سنة اثنتين وثلاثين ومئتين . انظر سيرته فى ت/بغداد : ١٥/١٤ ، الكامل فى التاريخ : ٥٢٨/٦ ، فوات الوفيات : ٢٢٨/٤ ، تاريخ الخلفاء ص : ٣٦٧ .

(٢) ستأتى ترجمته .انظر ص : ١٩٩ .

(٣) انظر : ماذكره شيخ الإسلام ابن تيمية عن موقف الإمام أحمد من هذه الفتنة فى مجموع الفتاوى : ٤٣٩/١٢ وراجع ص: ١٨م .

(٤) فى كتابه شرح أصول أهل السنة : ٢٣٤/٢ - ٣١٢ .
وانظر أيضاً : الاختلاف فى اللفظ لابن قتيبة ص : ٢٤٥ ، ورد الدارمى على بشر المريسى ص : ١١٦ ضمن عقائد السلف ، وصريح السنة للطبرى ص : ١٩ ، والشريعة للآجرى ص : ٧٥ ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية : ٩٧/١٢ ، ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٥) مجموع الفتاوى : ٣٧/١٢ ، وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص : ١٧٩ .

معنى قول السلف منه بدا وإليه يعود

قال أبو بكر الخلال :

١٦٧ - سمعت عبد الله بن أحمد قال : ذكر أبو بكر الأعين[١] قال : سئل أحمد بن حنبل عن تفسير قوله : القرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود . فقال أحمد : منه خرج وهو المتكلم وإليه يعود[٢] .

• **هذا التعبيرنقله عن أحمد غير واحد :**

١٦٨ - فى رواية حنبل بن إسحاق قال : - أى أحمد - القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدا وإليه يعود[٣] .

١٦٩ - وفى رسالة محمد بن عوف الطائى قال: القرآن كلام الله غير مخلوق من حيثما سمع وتلى منه بدا وإليه يعود[٤] .

التعليق :

روى الدارمى عن سفيان بن عيينة قال : قال عمرو بن دينار ، أدركت أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فمن دونهم منذ سبعين سنة يقولون : الله خالق وما سواه مخلوق والقرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود[٥] وكذا روى عنه الطبرى وعنده : أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة يقولون : القرآن كلام الله منه بدا وإليه يعود[٦] . اهـ . وهم بهذا يردون على الجهمية . يقول ابن

---

(١) هو : محمد بن أبى عتاب البغدادى ، صدوق ، توفى سنة أربعين ومئتين . تقريب : ١٨٩/٢ .

(٢) السنة للخلال (ق ١٥٧/ب) وذكر مثله عن أحمد ابن تيمية .
انظر : مجموع الفتاوى : ٤٠/١٢ ، ٢٤٨ ، ٣٩٠ .

(٣) السنة للخلال (ق ١٥٧/أ).

(٤) طبقات الحنابلة : ٣١٣/١ .

(٥) انظر : الرد على الجهمية - ضمن عقائد السلف ص : ٣٤٠ ، والرد على المريسى ص : ١١٦ .

(٦) صريح السنة ص : ١٩ .

تيمية : قال أحمد بن حنبل رحمه الله : منه بدا أى هو المتكلم به ، فإن الذين قالوا إنه مخلوق قالوا خلقه فى غيره فبدأ من ذلك المخلوق فقال السلف : « منه بدا » أى هو المتكلم به لم يخلقه فى غيره فيكون كلاماً لذلك المحل الذى خلقه فيه[1] فإن الله تعالى إذا خلق صفة من الصفات فى محل كانت الصفة صفة لذلك المحل ولم تكن صفة لرب العالمين ، فإذا خلق طعماً أو لوناً فى محل كان ذلك المحل هو المتحرك المتلون به ، وكذلك إذا خلق حياة أو إرادة أو قدرة أو علماً أو كلاماً فى محل كان ذلك المحل هو المريد ، القادر ، العالم المتكلم بذلك الكلام ، ولم يكن ذلك المعنى المخلوق فى ذلك المحل صفة لرب العالمين ، وإنما يتصف الرب تعالى بما يقوم به من الصفات ، لا بما يخلقه فى غيره من المخلوقات ، فهو الحى ، العليم ، القدير ، السميع ، البصير ، الرحيم ، المتكلم بالقرآن وغيره من الكلام ، بحياته وعلمه وقدرته وكلامه القائم به لا بما يخلقه فى غيره من هذه المعانى[2] .

ويقول أيضاً : وليس معنى قول السلف والأئمة : إنه منه خرج ومنه بدأ أنه فارق ذاته وحل بغيره فإن كلام المخلوق إذا تكلم به لا يفارق ذاته ويحل بغيره فكيف يكون كلام الله ؟ قال تعالى : ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ﴾[3] فقد أخبر أن الكلمة تخرج من أفواههم ، ومع هذا فلم تفارق ذاتهم .

وأيضا : فالصفة لا تفارق الموصوف وتحل بغيره ، لا صفة الخالق ولا صفة المخلوق ...ولكن مقصود السلف الرد على هؤلاء الجهمية فإنهم زعموا أن القرآن خلقه الله فى غيره فيكون قد ابتدأ وخرج من ذلك المحل الذى خلق فيه لا من الله ، كما يقولون : « كلامه لموسى خرج من الشجرة »[4] فبين السلف والأئمة أن

---

(١) انظر : مزيداً من التوضيح لمقولة السلف هذه فى شرح العقيدة الطحاوية ص : ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩٤ – ١٩٥ .

(٢) مجموع الفتاوى : ١٢/٤٠ – ٤١ .
وانظر : ١٢/١٦٤ ، ٥٢٩ ، ٥٦٠ .

(٣) سورة الكهف /٥ .

(٤) انظر : فى هذا أيضاً شرح العقيدة الطحاوية ص : ١٨٦ – ١٨٧ .

القرآن من الله بدا وخرج وذكروا قوله : ﴿ ولكن حق القول منى ﴾[1] فأخبر أن القول منه لا من غيره من المخلوقات .

و « من » هى لابتداء الغاية ، فإن كان المجرور بها عينا يقوم بنفسه لم يكن صفة لله كقوله : ﴿ وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه ﴾[2] وقوله فى المسيح : ﴿ وروح منه ﴾[3] وكذلك ما يقوم بالأعيان كقوله : ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾[4] .

وأما إذا كان المجرور بها صفة ولم يذكر لها محل كان صفة لله كقوله : ﴿ ولكن حق القول منى ﴾[5] وكذلك قد أخبر فى غير موضع من القرآن أن القرآن نزل منه وإنه نزل به جبريل منه ردا على هذا المبتدع المفترى وأمثاله ممن يقول : أنه لم ينزل منه ، قال تعالى : ﴿ أفغير الله أبتغى حكما وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ﴾[6] وقال تعالى : ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾[7] وروح القدس هو جبريل كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك ﴾[8] وقال : ﴿ من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾[9] وقال هنا : ﴿ نزله روح القدس من ربك ﴾ فبين أن جبريل نزله من الله لا من هواء ولا من لوح ولا غير ذلك ... ثم استطرد رحمه الله وذكر جملة من الآيات الدالة على أن القرآن منزل من الله العزيز الحكيم . وأجاب عن بعض شبه المبتدعة وادعاءاتهم[10] .

---

(١) سورة السجدة /١٣ .
(٢) سورة الجاثية /١٢ .
(٣) سورة النساء /١٧١ .
(٤) سورة النحل /٥٣ .
(٥) سورة السجدة /١٣ .
(٦) سورة الأنعام /١١٤ .
(٧) سورة النحل /١٠٢ .
(٨) سورة الشعراء /١٩٣ .
(٩) سورة البقرة /١٩٧ .
(١٠) انظر : مجموع الفتاوى : ١٢/٥١٧ - ٥٢٢ .

وقال فى موضع آخر بعد أن ذكر بعض ما تقدم :

وفى قوله : ﴿ منزل من ربك ﴾ دلالة على أمور :

منها : بطلان قول من يقول إنه كلام مخلوق خلقه فى جسم من الأجسام المخلوقة كما هو قول الجهمية الذين يقولون بخلق القرآن من المعتزلة والنجارية[1] والضرارية[2] وغيرهم فإن السلف كانوا يسمون كل من نفى الصفات وقال إن القرآن مخلوق وإن الله لا يرى فى الآخرة جهمياً...

ومنها : أن قوله : ﴿ منزل من ربك ﴾ فيه بطلان قول من يجعله فاض على نفس النبى صلى الله عليه وسلم من العقل الفعال أو غيره ، كما يقول ذلك طوائف من الفلاسفة والصابئة ، وهذا القول أعظم كفراً وضلالاً من الذى قبله[3] . اهـ .

وقال شارح الطحاوية بعد أن أورد بعض الآيات الدالة على أن القرآن الكريم منزل من الله عز وجل: «وقد أورد على ذلك إن إنزال القرآن نظير إنزال المطر ، أو إنزال الحديد ، وإنزال ثمانية أزواج من الأنعام .

والجواب : أن إنزال القرآن فيه مذكور أنه إنزال من الله ... وإنزال المطر مقيد بأنه منزل من السماء قال تعالى : ﴿ أنزلنا من السماء ماء طهورا ﴾ والسماء العلو . وقد جاء فى مكان آخر أنه منزل من المعصرات وإنزال الحديد والأنعام فكيف يشبه هذا الإنزال بهذا الإنزال[4]... كما أن النزول المقيد بأنه من الله لم يرد إلا فى نزول القرآن وليس من الله شيء مخلوق[5] . اهـ .

---

(١) أصحاب الحسين بن محمد النجار . انظر :الملل والنحل للشهرستانى بهامش الفصل : ١/١١٢ - ١١٤ .

(٢) أصحاب ضرار بن عمرو وحفص الفرد. انظر : الملل والنحل للشهرستانى بهامش الفصل : ١/١١٤ - ١١٦ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى : ١٢/١١٨ - ١٢٠ .

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص : ١٩٥ - ١٩٦ ، وانظر أيضاً: مجموع الفتاوى لابن تيمية : ١٢/١١٨، ٥٢٠ .

(٥) انظر : الشريعة للآجرى ص : ٧٩ .

أما قولهم إليه يعود فقيل إن الله يسرى به حتى لا يبقى فى المصاحف منه حرف ولا فى القلوب منه آية[*] . وذكر بعض المحققين أن قولهم هذا يحتمل معنيين :

أحدهما : ما سبق الإشـارة إليه .

والآخر : « أنه تعود صفة الكلام بالقرآن إليه بمعنى أن أحداً لا يوصف بأنه تكلم به غير الله لأنه هو المتكلم به والكلام صفة للمتكلم »[١] .

أدلة الإمام أحمد على أن القرآن كلام الله غير مخلوق

قال أبوبكر الخلال :

١٧٠ – أخبرنا سليمان بن الأشعث أبو داود السجستانى قال : ثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقى[٢] قال : قلت لأحمد بن حنبل[٣] ... فقال : [٤] القرآن كلام الله غير مخلوق على كل جهة وعلى كل وجهٍ تصرف وعلى أى حال كان لا يكون مخلوقاً أبداً . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره

(*) قال الشوكانى: أخرج سعيد بن منصور وابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى الشعب عن ابن مسعود قال : إن هذا القرآن سيرفع قيل كيف يرفع وقد أثبته الله فى قلوبنا وأثبتناه فى المصاحف؟ قال : يسرى عليه فى ليلة واحدة فلا يترك منه آية فى قلب ولا مصحف إلا رفعت فتصبحون وليس فيكم منه شىء ثم قرأ ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك ﴾ وقد روى هذا عنه من طرق وأخرج ابن عدى عن أبى هريرة مرفوعاً مرفوعاً نحوه . وأخرج محمد بن نصر عن عبد الله بن عمرو نحوه موقوفاً وأخرج الديلمى فى مسند الفردوس عن معاذ بن جبل مرفوعاً نحوه أيضاً وأخرج ابن أبى حاتم والحاكم وصححه عن أبى هريرة موقوفا نحوه أيضاً وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه والديلمى عن حذيفة بن اليمان مرفوعاً كنحوه أيضاً وأخرج ابن مردويه عن جابر مرفوعاً نحوه أيضاً وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس وابن عمر مرفوعاً نحوه . فتح القدير : ٣/٢٥٨ – ٢٥٩ .

(١) انظر : العقيدة الواسطية ص : ٩٨ .

(٢) ثقة ، توفى سنة اثنتين وخمسين ومئتين ، وكان من الحفاظ . تقريب : ٢/٣٧٤ .

(٣) هذه الرواية ذكرها الخلال من طرق متعددة عن الدورقى واكتفينا هنا بطريق أبى داود . انظر : السنة (ق : ١٨٨/ب – ١٨٩/أ) .

(٤) أى الإمام أحمد وقد سأله الدورقى : ما تقول فيمن زعم أن لفظه بالقرآن مخلوق .

حتى يسمع كلام الله ﴾[1] وقول النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يصلح فى الصلاة شيء من كلام الناس »[2] وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « حتى أبلغ كلام ربى »[3] .
بمثل هذا احتج فى رواية عبد الله[4] وحنبل بن إسحاق[5] .

قال الخطابى - بعد ذكره لحديث ابن عباس والذى فيه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين : « أعيذكما بكلمات الله التامة.. » الحديث[6] - قال : كان أحمد بن حنبل يستدل بقوله : « بكلمات الله التامة » على أن القرآن غير مخلوق ، وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستعيذ بمخلوق[7] وما من كلام مخلوق إلا وفيه نقص والموصوف منه بالتمام هوغير المخلوق . وهو كلام الله سبحانه[8] . اهـ .

١٧١ - وفى رواية أبى طالب قال : - أى أحمد - ..إنما هو كلام الله على كل حال الحجة فيه حديث أبى بكر « ألم غلبت الروم ﴾[9] فقيل له : هذا مما جاء به صاحبك فقال : لا والله ولكنه كلام الله هذا وغيره إنما هو كلام الله[10][11] .

---

(١) سورة التوبة /٦ .
(٢) أخرجه مسلم : ٣٨١/١ ، وأحمد : ٤٤٧/٥ ،وأبو داود : ٥٧٠/١ ، والنسائى : ١٤/٣ من حديث معاوية بن الحكم السلمى « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن » .
(٣) أخرج أحمد : ٣٢٢/٣ وأبو داود : ١٠٣/٥ والترمذى : ١٨٤/٥ وابن ماجه : ٧٣/١ من حديث جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس فى الموقف ، فقال : « ألا رجل يحملنى إلى قومه فإن قريشاً قد منعونى أن أبلغ كلام ربى » .
(٤) انظر : السنة لعبد الله بن أحمد (ظ ق: ١٠/ب) وفى المطبوع ص : ٣٥ - ٣٦ .
(٥) السنة للخلال (ق : ١٨٩/ب) وراجع أيضاً محنة الإمام أحمد لحنبل بن إسحاق ص : ٥٢ فقد ذكر عنه بعض ما استدل به على أن القرآن العظيم كلام الله غير مخلوق .
(٦) أخرجه البخارى : ١٧٩/٤ ، وأحمد : ٢٣٦/١ ، والترمذى : ٣٩٦/٤ ، وابن ماجه : ١٦٤/٢ .
(٧) انظر فى هذا أيضاً : شرح العقيدة الطحاوية ص : ١٩١ .
(٨) معالم السنن مع سنن أبى داود : ١٠٥/٥ .
(٩) سورة الروم /١ ، ٢ .
(١٠) أخرجه البخارى فى خلق أفعال العباد ص : ٣١ ، وعبد الله بن أحمد فى السنة ص : ٢٧، والترمذى : ٣٤٤/٥ - ٣٤٥ ، وابن خزيمة فى التوحيد ص : ١٦٦ - ١٦٧ .
(١١) السنة للخلال (ق : ١٨٦/أ) .

١٧٢ - وفى رواية ابن هانىء قال : أرأيت جبريل عليه السلام حيث جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فتلا عليه تلاوة جبريل أكان مخلوقاً ما هو مخلوق[(١)] .

١٧٣ - وفى رواية أبى داود قال : لا يكون من الله شىء مخلوق[(٢)] ومثله نقل حنبل بن إسحاق[(٣)] وعبدوس بن مالك[(٤)] .

١٧٤ - وفى رواية أحمد بن الحسن الترمذى قال : سألت أحمد فقلت : يا أبا عبد الله قد وقع من أمر القرآن ما قد وقع فإذا سئلت عنه ماذا أقول ؟ فقال لى : ألست مخلوقاً . قلت:نعم . فقال : أليس كل شىء منك مخلوق . قلت : نعم . قال : فكلامك أليس هو منك وهو مخلوق . قلت : نعم . قال : فكلام الله عز وجل أليس هو منه . قلت : نعم . قال : فيكون من الله شىء مخلوق[(٥)] [(*)] .

---

(١) مسائل ابن هانىء : ١٥٣/٢ .
(٢) مسائل أبى داود (ظ : ص : ٢٤٧ ، وفى المطبوع ص : ٢٦٣) .
(٣) السنة للخلال (ق : ١٥٦/أ) .
(٤) رسالة عبدوس (ق : ٢/أ) ، وعنده أيضا : فإن كلام الله ليس بائن منه.
(٥) السنة للخلال (ق : ١٥٦/أ) ، وشرح السنة للا لكائى ٢٦٣/٢ .
(*) قال ابن تيمية معلقاً على هذه الرواية : بين أحمد للسائل أن الكلام من المتكلم وقائم به ، ولا يجوز أن يكون الكلام غير متصل بالمتكلم ولا قائم به ، بدليل أن كلامك أيها المخلوق منك لا من غيرك فإذا كنت أنت مخلوقاً وجب أن يكون كلامك أيضاً مخلوقاً ، وإذا كان الله تعالى غير مخلوق إمتنع أن يكون ما هو منه وبه مخلوقاً وقصده بذلك الرد على الجهمية الذين يزعمون بأن كلام الله ليس من الله ولا متصل به فبين أن هذا الكلام ليس هو معنى كون المتكلم متكلما ولا هو حقيقة ذلك ولا هو مراد الرسل والمؤمنين من الإخبار عن أن الله قال ويقول وتكلم بالقرآن ونادى وناجى ودعا ونحو ذلك مما أخبرت به عن الله رسله .

رسالة الإمام أحمد إلى الخليفة المتوكل فى أمر القرآن

١٧٥ – قال أبو عبد الرحمن[١] (ق : ٦/ب) : نحن كتبنا الصدر وقرأنا عليه .

قال أبو عبد الرحمن : وكان قال لنا الشيخ : اذهبوا بهذا الكتاب إلى أبى على بن يحيى بن خاقان[٢] وكان هو الرسول فأقرأوه عليه فإن أمركم أن تنقصوا منه شيئاً فانقصوا له وإن زاد شيئاً فردوه إلىَّ حتى أعرف ذلك فقرأته عليه فقال : يحتاج أن يزاد فيه دعاء للخليفة فإنه يسر بذلك فزدنا فيه هذا الدعاء :

كتب عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى أبى يخبره أن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه – يعنى المتوكل –[٣] أمرنى أن أكتب أسألك عن أمر القرآن لا مسألة امتحان ولكن مسألة معرفة وبصيرة .

وأملى علىَّ أبى :

إلى عبيد الله بن يحيى أحسن الله عاقبتك أبا الحسن فى الأمور كلها ودفع عنك مكاره الدنيا والآخرة برحمته فقد كتبت إليك رضى الله عنك بالذى سأل عنه أمير المؤمنين أيده الله من أمر القرآن بما حضرنى وإنى أسأل الله عز وجل

---

(١) هو : عبد الله بن أحمد بن حنبل .

(٢) هو : عبيد الله بن يحيى بن خاقان التركى ، قال الذهبى : وزر للمتوكل وللمعتمد وذكر ابن أبى يعلى أنه نقل عن الإمام أحمد أشياء توفى سنة ثلاث وستين ومئتين .انظر : طبقات الحنابلة : ٢٠٤/١ ، سير أعلام النبلاء : ٩/١٣ ، المنتظم : ٤٥/٥ .

(٣) الخليفة أبو الفضل جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد هارون بن المهدى بن المنصور القرشى العباسى ، بويع عند موت أخيه الواثق سنة اثنتين وثلاثين ومئتين . قال خليفة بن خياط : استخلف المتوكل فأظهر السنة . وقال الذهبى : أظهر المتوكل السنة وزجر عن القول بخلق القرآن وكتب بذلك إلى الأمصار ... وأطلق من تبقى فى الاعتقال ممن امتنع من القول بخلق القرآن ... والتمس المتوكل من أحمد بن حنبل أن يأتيه ، فذهب إلى سامرا ، ولم يجتمع به ، استعفى ، فأعفاه ، ودخل على ولده المعتز ، فدعا له . قتل المتوكل سنة سبع وأربعين ومئتين . انظر سيرته فى ت/بغداد : ١٦٥/٧ – ١٧٢ ، وفيات الأعيان : ٣٥٠/١ – ٣٥٦ ، سير أعلام النبلاء : ٣٠/١٢ – ٤١ ، البداية والنهاية : ٣١٠/١٠ ، تاريخ الخلفاء ص : ٣٤٦ – ٣٥٦ .

أن يديم توفيق أمير المؤمنين أعزه الله بتأييده فقد كان الناس فى خوض من الباطل واختلاف شديد ينغمسون فيه حتى أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين أيده الله عز وجل فنفى الله تعالى بأمير المؤمنين – أعزه الله – كل بدعة وانجلى عن الناس كل ما كانوا فيه من الذل وضيق المحابس فصرف الله عز وجل ذلك كله وذهب به بأمير المؤمنين فأسأل الله أن يستجيب فى أمير المؤمنين صالح الدعاء وأن يتم ذلك لأمير المؤمنين أدام الله عزه وأن يزيد فى نيته ويعينه على ما هو عليه .

فقال أبى : وقد ذكر عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال : لاتضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض فإن ذلك يوقع الشك فى قلوبكم(1) .

وقد ذكر عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن نفراً كانوا جلوساً بباب النبى صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم : ألم يقل الله عز وجل كذا . قال : فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج كأنما فقىء فى وجهه حب الرمان فقال : « أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض إنما ضلت الأمم قبلكم فى مثل هذا إنكم لستم مما ها هنا فى شيء انظروا الذى أمرتم به فاعملوا به وانظروا الذى نهيتم عنه فانتهوا عنه »(2) .

وروى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مراء فى القرآن كفر »(3) . وروى عن أبى جهم – رجل من أصحاب رسول الله صلى الله

---

(1) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف : ١٠ /٥٢٨ .

(2) سبق تخريجه انظر ص : ١٦٨ .

(3) أخرجه أحمد : ٢٨٦/٢ ، ٣٠٠ ، ٤٢٤ ، ٤٧٥ وأبو داود : ٩/٥ وصححه الحاكم و أقره الذهبى . المستدرك : ٢٢٣/٢ . قال الخطابى : اختلف الناس فى تأويله فقال بعضهم : معنى المراء هنا الشك فيه ، كقوله : ﴿ فلا تك فى مرية ﴾ أى فى شك ويقال : بل المراد هو الجدال المشكك فيه . وتأوله بعضهم على المراء فى قراءته دون تأويله ومعانيه ، مثل أن يقول قائل : هذا قرآن قد أنزله الله تبارك وتعالى ويقول الآخر : لم ينزل الله هكذا فيكفر به من أنكره ، وقد أنزل سبحانه كتابه على سبعة أحرف كلها شاف كاف ، فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن إنكار القراءة التى يسمع بعضهم بعضاً يقرؤها ، وتوعدهم بالكفر عليها لينتهوا عن المراء فيه والتكذيب به ، إذ كان القرآن منزلاً على سبعة أحرف ، وكلها قرآن منزل يجوز قراءته ويجب علينا الإيمان به . وقال بعضهم : إنما جاء هذا فى الجدال فى القرآن فى الآى التى فيها ذكر القدر والوعيد ، وما كان فى معناها على مذهب أهل الكلام =

عليه وسلم – عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تماروا فى القرآن فإن مراء فيه كفر »[(١)] .

وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنه : قدم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجل فجعل عمر يسأله عن الناس فقال : يا أمير المؤمنين قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا . قال ابن عباس : فقلت والله ما أحب أن يتسارعوا يومهم هذا فى القرآن هذه المسارعة .

قال : فزجرنى عمر رضى الله عنه ثم قال : مه . فانطلقت إلى منزلى مكتئباً حزيناً فبينا أنا كذلك إذ أتانى رجل فقال : أجب أمير المؤمنين . فخرجت فإذا هو بالباب ينتظرنى فأخذ بيدى فخلا بى فقال : ما الذى كرهت مما قال الرجل آنفا ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين متى يتسارعوا هذه المسارعة يحتقوا[(٢)] ومتى يحتقوا يختصموا ومتى يختصموا يختلفوا ومتى يختلفوا يقتتلوا . قال : لله أبوك إن كنت لأكتمها الناس حتى جئت بها .

قال أبى : وروى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول : « هل من رجل يحملنى إلى قومه فإن قريشاً قد منعونى أن أبلغ كلام ربى عز وجل »[(٣)] .

وروى عن جبير بن نفير رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنكم لن ترجعوا إلى الله عز وجل بشىء أفضل مما خرج منه »[(٤)] .

= و الجدل وعلى معنى ما يجرى من الخوض بينهم فيها دون ما كان منها فى الأحكام وأبواب التحليل والتحريم والحظر والإباحة ، فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تنازعوها فيما بينهم وتحاجوا بها عند اختلافهم فى الأحكام ولم يتحرجوا عن التناظر بها وفيها ، وقد قال سبحانه ﴿ فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله و الرسول ﴾ فعلم أن النهى منصرف إلى غير هذا الوجه ، والله أعلم . معالم السنن مع سنن أبى داود : ١٠/٥ .

(١) أخرجه أحمد : ١٧٠/٤ ، والطبرانى فى الكبير: ١٦٩/٥ .

(٢) قال ابن الأثير : أى يقول كل واحد منهم الحق بيدى . انظر : النهاية : ٤١٤/١ .

(٣) أخرجه أحمد : ٣٢٢/٣ ، وأبو داود : ١٠٣/٥ ، والترمذى : ١٨٤/٥ ، وابن ماجه : ٧٣/١ . قال الترمذى حديث : غريب صحيح .

(٤) أخرجه الترمذى : ١٧٧/٥ ، والحاكم : ٤٤١/٢ .

وروى عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما تقرب العباد إلى الله عز وجل بمثل ما خرج منه »[1] يعنى القرآن .

وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : جردوا القرآن ولا تكتبوا فيه شيئاً إلا كلام الله عز وجل[2].

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : إن هذا القرآن كلام الله عز وجل فضعوه على مواضعه[3] .

وقال رجل للحسن البصرى : يا أبا سعيد إنى إذا قرأت كتاب الله عز وجل وتدبرت ونظرت فى عملى كدت أن آيس وينقطع رجائى . قال : فقال له الحسن : إن القرآن كلام الله عز وجل وأعمال بنى آدم إلى الضعف والتقصير فاعمل وأبشر[4] .

وقال فروة بن نوفل الأشجعى : كنت جارا لخباب وهو من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فخرجت معه يوما من المسجد وهو آخذ بيدى فقال : يا هناه[5] تقرب إلى الله عز وجل بما استطعت فإنك لن تتقرب إلى الله عز وجل بشىء أحب إليه من كلامه[6] .

---

(١) أخرجه أحمد : ٢٦٨/٥ ، والترمذى : ١٧٦/٥ وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وبكر بن خنيس قد تكلم فيه ابن المبارك وتركه فى آخر أمره وقد روى هذا الحديث عن زيد بن أرطأة عن جبير بن نفير عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسل . قلت : وأخرج الحاكم : ٤٤١/٤ عن جبير بن نفير عن عقبة بن عامر الجهنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا ﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنكم لن ترجعوا إلى الله .... » الحديث قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبى .

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف : ٥٥٠/١٠ .

(٣) أخرج الدارمى فى الرد على الجهمية ص : ٣٣٠ – ضمن عقائد السلف – عن عمر رضى الله عنه نحوه .

(٤) أخرجه البيهقى فى كتابه الأسماء و الصفات ص : ٢٤٤ .

(٥) و يقال أيضاً هنتاه وهى لفظة نداء .

(٦) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف : ٥١٠/١٠ و الآجرى فى الشريعة ص : ٧٧ .

وقال رجل للحكم بن عتبة : ما حمل أهل الأهواء على هذا ؟ قال : الخصومات[1] .

وقال معاوية بن قرة – وكان أبوه ممن أتى النبى صلى الله عليه وسلم (ق ٧/ب) : إياكم وهذه الخصومات فإنها تحبط الأعمال[2] .

وقال أبو قلابة – وكان أدرك غير واحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تجالسوا أصحاب الأهواء – أو قال – أصحاب الخصومات فإنى لا آمن أن يغمسوكم فى ضلالتهم أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون[3] .

ودخل رجلان من أصحاب الأهواء على محمد بن سيرين فقالا : يا أبا بكر نحدثك بحديث . قال : لا . قالا : فنقرأ عليك آية من كتاب الله عز وجل . قال : لا . لتقومان عنى أو لأقومن . قال : فقام الرجلان فخرجا . فقال بعض القوم : يا أبا بكر ما كان عليك أن يقرأ آية من كتاب الله عز وجل . فقال محمد بن سيرين : إنى خشيت أن يقرأ آية على فيحرفانها فيقر ذلك فى قلبى . فقال محمد : لو أعلم أنى أكون مثل الساعة لتركتهما[4] .

وقال رجل من أهل البدع لأيوب السختيانى : يا أبا بكر أسألك عن كلمة فولى وهو يقول : ولا نصف كلمة[5] .

وقال ابن طاوس لابن له – وتكلم رجل من أهل البدع – يا بنى أدخل أصبعيك فى أذنيك حتى لا تسمع ما يقول . ثم قال : اشدد اشدد[6] .

وقال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل[7] .

---

(١) أخرجه الآجرى فى الشريعة ص : ٥٨ .
(٢) أخرجه اللالكائى فى شرح السنة : ١٢٩/١ .
(٣) أخرجه اللالكائى فى شرح السنة : ١٣٤/١ .
(٤) أخرجه الدارمى فى السنن : ١٠٩/١ ، واللالكائى فى شرح السنة : ١٣٣/١ .
(٥) أخرجه الدارمى فى السنن : ١٠٩/١ ، وأبو نعيم فى حلية الأولياء : ٩/٣ .
(٦) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف : ١٢٥/١١ ، واللالكائى فى شرح السنة : ١٣٥/١ .
(٧) أخرجه الآجرى فى الشريعة ص : ٥٦ ، واللالكائى فى شرح أصول أهل السنة : ١٢٨/١ .

وقال إبراهيم النخعى : إن القوم لم يدخر عنهم شيء خبيء لكم لفضل عندكم[1] .

وكان الحسن البصرى يقول : شر داء خالط قلباً يعنى الهوى[2] .

وقال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه - وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتقوا الله معشر القراء وخذوا طريق من قبلكم والله لئن استقمتم لقد سبقتم بعيدا ولئن تركتموه يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا - أو قال - مبينا[3] .

قال عبد الله : قال أبى رحمه الله : وإنما تركت ذكر الأسانيد لما تقدم من اليمين التى حلفت بها مما قد علمه أمير المؤمنين أيده الله تعالى لولا ذلك لذكرتها بأسانيدها .

وقال الله عز وجل : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾[4] وقال الله عز وجل : ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾[5] فأخبر تبارك وتعالى بالخلق ثم قال : ﴿ والأمر ﴾ فأخبر أن الأمر غير الخلق . وقال عز وجل : ﴿ الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان ﴾[6] فأخبر تبارك وتعالى أن القرآن من علمه . وقال عز وجل : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير ﴾[7] ، وقال عز وجل : ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من

---

(١) أورده ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله : ٢/١١٩ .

(٢) ذكره ابن بطة فى الإبانة الصغرى ص : ١٢٤ وقال محققه : أخرجه الهروى فى ذم الكلام . وللكتاب نسخة مصورة فى مكتبة عبد الرحيم صديق كما أشار المحقق .

(٣) أخرجه البخارى : ١٣/٢٥٠ ، واللالكائى فى شرح أصول أهل السنة : ١/٩٠ .

(٤) سورة التوبة /٦ .

(٥) سورة الأعراف /٥٤ .

(٦) سورة الرحمن /١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٧) سورة البقرة /١٢٠ .

العلم إنك إذا لمن الظالمين ﴾[1] . فالقرآن من علم الله عز وجل وفى هذه الآيات دليل على أن الذى جاءه صلى الله عليه وسلم من العلم هو القرآن لقوله عز وجل : ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ﴾ .

وقد روى عن غير واحد ممن مضى من سلفنا رحمهم الله أنهم كانوا يقولون : القرآن كلام الله عز وجل وليس[2] بمخلوق وهو الذى أذهب إليه ولست بصاحب كلام ولا أرى الكلام فى شىء من هذا إلا ما كان فى كتاب الله عز وجل ، أو فى حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أو عن أصحابه أو عن التابعين . فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود[3] .

---

(١) سورة البقرة /١٤٥ .

(٢) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائى : ٢/٢٢٧ - ٣١٢ فقد ساق جملة كبيرة من أقوالهم .

(٣) فى رواية عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : القرآن كلام الله عز وجل وليس بمخلوق ولا تخاصموا ولا تجالسوا من يخاصم . السنة لعبد الله ص : ٢١ .

وفى رواية حنبل بن إسحاق قال : القرآن كلام الله غير مخلوق ولا تخاصم فى هذا ولا تكلم فيه ولا أرى الجدال ولا المراء فيه . السنة للخلال (ق ١٥٦/أ) .

وفى رواية أخرى قال : سمعت أبا عبد الله يقول : قد نهيتم أن تماروا فى القرآن وأن تضربوا بعضه ببعض ما لكم وللجدل فى القرآن ، القرآن كلام الله غير مخلوق على كل جهة وعلى كل حال وحيث تصرف . المصدر السابق (ق : ١٩٣/ب) .

وفى أخرى : ولا أحبذ الخوض فى هذا ولا الكلام فيه . المصدر السابق (ق : ١٨٩/ب) وفى مناظرته فى المحنة قال : ولست صاحب مراء ولا كلام وإنما أنا صاحب آثار وأخبار . محنة أحمد لحنبل بن إسحاق ص : ٥٤ .

وقال أيضاً : وقد كنا نهاب الكلام فى هذا حتى أحدث هؤلاء ما أحدثوا وقالوا ما قالوا ودعوا الناس إلى ما دعوهم إليه . المصدر السابق (ق : ١٥٧/أ) .

ونقل الدارمى فى الرد على المريسى ص : ١١٠ عن أحمد قوله : كنا نرى السكوت عن هذا قبل أن يخوض فيه هؤلاء فلما أظهروه لم نجد بدا من مخالفتهم والرد عليهم .

قال الدارمى : إنما كره السلف الخوض فيه مخافة أن يتأول أهل البدع والضلال ، وأغمار الجهال ما تأولت ... فحين تأولتم فيه خلاف ما أراد الله وعطلتم صفات الله ، وجب على كل مسلم عنده بيان أن ينقض عليكم دعواكم فيه ، ولم يكره السلف الخوض فى القرآن جهالة بأن كلام الخالق غير مخلوق ، ولا جهالة أنه صفه من صفاته .... فكره القوم الخوض فيه إذ لم يكن يخاض فيه علانية ، وقد أصابوا فى ترك الخوض فيه إذ لم يعلن .

فلما أعلنوه بقوة السلطان ، ودعوا العامة إليه بالسياط والسيوف ، وادعوا أن كلام الله مخلوق أنكر عليهم ذلك من غبر من العلماء ومن بقى من الفقهاء فكذبوهم وكفروهم وحذروا الناس أمرهم

وإنى أسأل الله عز وجل أن يطيل بقاء أمير المؤمنين وأن يثبته وأن يمده منه بمعونة إنه على كل شيء قدير[1] .

وقال الإمام أحمد فى كتابه « الرد على الجهمية » ناقضا مزاعمهم :

١٧٦ – (ق : ١٢) : ففيما[2] يسأل عنه الجهمي يقال له : تجد فى كتاب الله آية تخبر عن القرآن أنه مخلوق ؟ فلا يجد . فيقال له : تجده فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : مخلوق ؟ فلا يجد . فيقال له : فلم قلت ؟ فيقول من قول الله : ﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا ﴾[3] وزعم أن كل مجعول مخلوق ، فادعى[4] كلمة من الكلام المتشابه يحتج بها من أراد أن يلحد فى تنزيلها ، ويبتغى الفتنة فى تأويلها ، وذلك أن « جعل » فى القرآن من المخلوقين على وجهين على معنى التسمية ، وعلى معنى فعل من أفعالهم . قوله[5] : ﴿ الذين جعلوا القرآن عضين ﴾[6] . قالوا : هو شعر وأساطير الأولين ، وأضغاث أحلام فهذا على معنى التسمية . وقال : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ﴾[7] يعنى أنهم سموهم إناثا ثم ذكر (جعل) على

= وفسروا مرادهم من ذلك . فكان هذا من الجهمية خوضاً فيما نهوا عنه ، ومن أصحابنا إنكارا للكفر المبين ، ومنافحة عن الله كيلا يسب ولا تعطل صفاته ، وذبا عن ضعفاء الناس كيلا يضلوا بمحنتهم هذه من غير أن يعرفوا ضدها من الحجج التى تنقض دعواهم وتبطل حججهم . المصدر السابق ص : ١٠٧ – ١٠٩ .

(١) السنة (ظ : ق ٦/ب ـ ٨/أ) وفى المطبوع ص : ٢١ – ٢٦ ورواها أبونعيم فى حلية الأولياء : ٢١٦/٩ – ٢١٩ والذهبى فى سير أعلام النبلاء ص : ٢٨١ – ٢٨٦ ورواها مختصرة ابن الجوزى فى مناقب الإمام أحمد ص : ٣٧٧ – ٣٧٩ .

(٢) فى المطبوع : فمما .

(٣) سورة الزخرف /١ .

(٤) فى الأصل : فالدعاء . والصواب ما أثبته .

(٥) فى المطبوع : وقوله .

(٦) سورة الحجر /٩١ .

(٧) سورة الزخرف /١٩ .

غير معنى تسميته[١] فقال : ﴿ يجعلون أصابعهم فى آذانهم ﴾[٢] . فهذا على معنى فعل من أفعالهم .

وقال : ﴿ حتى إذا جعله نارا ﴾[٣] هذا على معنى فعل ، فهذا جعل المخلوقين . ثم يذكر « جعل » من الله على معنى « خلق » و « جعل » على معنى غير « خلق » والذى قال الله تعالى « جعل » على معنى « خلق » لا يكون إلا خلقا[٤] ولا يقوم إلا مقام : خلق خلقا لايزول عنه المعنى . فإذا قال الله تعالى : « جعل » على معنى غير « خلق » لا يكون « خلقا »[٥] ولا يقوم مقام « خلق » ولا يزول عنه المعنى . فمما قال الله عز وجل : « جعل » على معنى « خلق » قوله تعالى : ﴿ الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ﴾[٦] وقال : ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ﴾[٧] يقول : وخلقنا الليل والنهار آيتين . وقال : ﴿ وجعل الشمس سراجا ﴾[٨] وقال : ﴿ هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ﴾[٩] يقول : وخلق منها زوجها من آدم وحواء . وقال : ﴿ وجعل لها رواسى ﴾[١٠] يقول : وخلق لها رواسى ، ومثله فى القرآن كثير . فهذا وما كان على مثاله لا يكون إلا على معنى خلق[١١] (ق ١٣/أ) وقوله : ﴿ ما جعل الله من بحيرة ﴾[١٢] (لا) يعنى[١٣] ما خلق من بحيرة[١٤] .

(١) فى المطبوع ب : التسمية .
(٢) سورة البقرة /١٩ .
(٣) سورة الكهف /١٨ .
(٤) فى المطبوع : إلا خلق .
(٥) فى المطبوع : خلق .
(٦) سورة الأنعام /١ .
(٧) سورة الإسراء /١٢ .
(٨) سورة نوح /١٦ .
(٩) سورة الأعراف /١٨٩ .
(١٠) سورة النحل /٦١ .
(١١) بعد هذا فى المطبوع : ثم ذكر « جعل » على غير معنى خلق قوله .. .
(١٢) سورة المائدة /١٠٣ .
(١٣) فى المخطوط : « يعنى » والصواب ما هو مثبت .
(١٤) قال الشوكانى : جعل هاهنا بمعنى سمى . فتح القدير : ٨٢/٢ .

وقال الله لإبراهيم : ﴿ إنى جاعلك للناس إماما ﴾[1] لايعنى أنى خالقك للناس إماما لأن خلق إبراهيم كان متقدما . وقال إبراهيم : ﴿ رب اجعل هذا البلد آمنا ﴾[2] وقال : ﴿ رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ﴾[3] لا يعنى اخلقنى مقيم الصلاة وقال : ﴿ يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة ﴾[4] لايعنى يريد الله أن لا يخلق لهم حظا فى الآخرة . وقال لأم موسى : ﴿ إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾[5] لايعنى وخالقوه من المرسلين لأن الله تعالى وعد أم موسى أن يرده إليها ثم يجعله من بعد ذلك مرسلا . ،قال : ﴿ ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم ﴾[6] لايعنى فيخلقه فى جهنم . وقال : ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾[7] وقال : ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ﴾[8] لايعنى خلقه دكا . ومثله فى القرآن كثير ، فهذا وما يكون على مثاله لايكون على معنى خلق ، فإذا قال الله « جعل » على معنى خلق ، وقال « جعل » على معنى غير خلق . فبأى حجة قال الجهمى : جعل على معنى الخلق[9] .

فإن رد الجهمى الجعل على المعنى الذى (ق ١٣/ب) وضعه[10] الله فيه وإلا كان من الذين يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون فلما قال الله عز وجل : ﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا ﴾[11] يقول : جعل جعلا على معنى فعل من أفعال الله على غير معنى الخلق[12] وقال : ﴿ بلسان عربى

---

(١) سورة البقرة /١٢٤ .
(٢) سورة إبراهيم /٣٥ .
(٣) سورة إبراهيم /٤٠ .
(٤) سورة آل عمران /١٧٦ .
(٥) سورة القصص /٧ .
(٦) سورة الأنفال /٣٧ .
(٧) سورة القصص /٥ .
(٨) سورة الأعراف /١٤٣ .
(٩) وانظر : محنة الإمام أحمد لحنبل بن إسحاق ص : ٥٣ .
(١٠) فى المطبوع : فإن رد الجهمى الجعل إلى المعنى الذى وصفه .
(١١) سورة الزخرف /٣ .
(١٢) بعد هذا جاء فى الأصل : « وقال فى سورة يوسف : ﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ =

مبين ﴾[1] وقال : ﴿ فإنما يسرناه بلسانك ﴾[2] فلما جعل الله القرآن عربيا ، ويسره بلسان نبيه : كان ذلك فعلا من أفعال الله ، جعل به القرآن عربيا ، وليس كما زعموا . معناه أنزلناه بلسان العرب وقيل : « بيناه » يعنى هذا بيان لمن أراد الله هداه[3] .

ثم إن الجهمى ادعى أمرا آخر وهو من المحال فقال : أخبرونا عن القرآن أهو الله تعالى ، أو غير الله ، فادعى فى القرآن أمرا يوهم الناس ، فإذا سأل الجاهل عن القرآن : أهو الله أو غير الله فلابد من أن يقول بأحد القولين . فإن قال : القرآن هو الله قال له الجهمى : كفرت . وإن قال له : غير الله ، قال له : صدقت ، فلم لا يكون غير الله مخلوقا ، فيقع فى نفس الجاهل من ذلك ما يميل به إلى قول الجهمى ، وهذه المسأله من الجهمى هى من المغاليط والجواب للجهمى عن هذا السؤال أن يقال : إن الله (ق ١٤/أ) لم يقل فى القرآن أن القرآن أنا ، ولا هو غيرى ، وقال : إن القرآن كلامى فسميناه باسم سماه الله به ، فقلنا : هو كلام الله تعالى ، فمن سمى القرآن بما سماه الله تعالى به كان من المهتدين ، ومن سماه باسم من عنده كان من الضالين ، وقد فصل الله بين قوله وبين خلقه ، ولم يسمه قولا فقال : ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾[4] ، فلما قال : ﴿ ألا له الخلق ﴾ فلم يبق شىء مخلوق إلا كان داخلا فى ذلك ، ثم ذكر

= والصواب أن هذه الآية فى سورة الزخرف /٣ والذى فى سورة يوسف ﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ آية /٢ .

(١) سورة الشعراء /١٩٥ .

(٢) سورة مريم /٩٧ ، سورة الدخان /٥٨ .

(٣) هذه الآية أى قوله تعالى ﴿ إنا جعلنه قرآنا عربيا ﴾ مما استند إليه الجهمية فى ادعائهم أن القرآن مخلوق وسيأتى مزيد من التفصيل حول حقيقة دعواهم ص : ٢٢٣ وما ذكره الإمام أحمد حول معنى الجعل بشقيه هو المفهوم الواضح من الآيات الكريمات . وهذا الذى ذكره الإمام أحمد هو ما فهمه وقرره السلف عامة .

راجع الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة ص : ٢٣٣ - ٢٣٤ والرد على الجهمية للدارمى ص : ٤٨٠ ضمن عقائد السلف ورده على المريسى ص : ١٢٣ وشرح العقيدة الطحاوية ص : ١٨٦ .

(٤) سورة الأعراف : ٥٤ ، وبهذه الآية احتج عند مناظرتهم له فى المحنة ، محنة أحمد لحنبل بن إسحاق ص : ٥٣ .

ما ليس بخلق فقال : ﴿ والأمر ﴾ ، وأمره هو قوله تبارك وتعالى فلا يكون قوله خلقا[1] ، وقال : ﴿ إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾[2] ، ثم قال : القرآن هو أمر من عندنا ، وقال تعالى : ﴿ لله الأمر من قبل ومن بعد ﴾[3] يقول : لله القول من قبل الخلق ومن بعد الخلق[4] والله يخلق ويأمر وقوله غير مخلوق[5] وقال : ﴿ ذلك أمر الله أنزله إليكم ﴾[6] و ﴿ حتى جاء أمر الله ﴾[7] و ﴿ جاء أمرنا ﴾[8] يقول قد جاء قولنا فى أمر القرآن وفار التنور .

وقال : وبيان ما فصل الله تعالى بين قوله وخلقه وذلك أن الله تعالى إذا سمى الشىء الواحد باسمين أو ثلاثة فهو مرسل غير مفصل مقيد وإذا سمى شيئين (ق ١٤/ب) مختلفين لا يدعهما مرسلا حتى يفصل بينهما من ذلك قوله عز وجل : ﴿ قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا ﴾[9] وقال : ﴿ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات ﴾[10] فهذا اسم شىء واحد فهو مرسل فلما ذكر شيئين مختلفين فصل بينهما فذلك قوله ﴿ ثيبات ﴾ ثم قال : ﴿ وأبكارا ﴾ فلما كانت البكر غير الثيب لم يدعه مرسلا حتى فصل بينهما فذلك قوله : ﴿ وأبكارا ﴾ ثم قال : ﴿ وما

---

(١) قال الشوكانى : الخلق المخلوق والأمر كلامه وهو كن فى قوله: ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾، أو المراد بالأمر ما يأمر به على التفصيل ، أو التصرف فى مخلوقاته . فتح القدير : ٢٢٢/٢ .

(٢) سورة الدخان /٤ .

(٣) سورة الروم /٤ .

(٤) راجع تفسير الطبرى : ١٥/٢١ ، ابن كثير : ٤٤٤/٣ ، والشوكانى : ٢١٤/٤ .

(٥) فى المطبوع : وقوله غير خلقه .

(٦) سورة الطلاق /٥ .

(٧) سورة الحديد /١٤ .

(٨) جزء من آيات جاءت فى سورة هود /٤٠ ، ٥٨ ، ٦٦ ، ٩٤ ، وسورة المؤمنين/٢٧ .

(٩) سورة يوسف /٧٨ جاء بعد هذه الآية فى المطبوع : فهذا شىء واحد سماه بثلاثة أسامى وهو مرسل ولم يقل أن له أبا وشيخاً وكبيراً .

(١٠) سورة التحريم /٥ .

يستوى الأعمى ﴾[1] ثم قال : ﴿ والبصير ﴾ فلما كان البصير غير الأعمى فصل بينهما ثم قال : ﴿ ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور ﴾[2] فلما كان كل واحد من هذا الشيء غير الآخر فصل بينهما .

ثم قال : ﴿ الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عمّا يشركون هو الله الخالق البارىء المصور ﴾[3] فهذا كله اسم شيء واحد فهو مرسل وليس بمنفصل وكذلك إذا قال : ألا له الخلق ثم قال : والأمر لأن الخلق غير الأمر فهو منفصل[4] .

باب ما أبطل الله تبارك وتعالى أن يكون القرآن إلا وحيا وليس بمخلوق

قال : قوله : ﴿ والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ﴾[5] وذلك أن قريشاً قالوا : إن القرآن شعر وقالوا (ق ١٥/أ) أساطير الأولين وقالوا أضغاث أحلام وقالوا : تقوله من تلقاء نفسه وقالوا : تعلمه من غيره فأقسم الله عز وجل بالنجم ﴿ إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ إلى قوله : ﴿ إن هو إلا وحى يوحى ﴾ يقول : إن محمدا لم يقله من تلقاء نفسه فقال : ﴿ إن هو ﴾ أى ماهو يعنى القرآن ﴿ إلا وحى يوحى ﴾ فأبطل الله أن يكون القرآن شيئا غير الوحى لقوله ﴿ إن هو ﴾ يقول : فما هو إلا وحى يوحى ثم قال : ﴿ علمه شديد القوى ﴾[6] يعنى علم

---

(١) سورة فاطر /١٩ .
(٢) سورة فاطر /٢١ .
(٣) سورة الحشر /٢٤ .
(٤) وانظر : جواب الدارمى على ادعاء الجهمى هذا فى الرد على بشر المريسى ص : ١١٢ – ١١٣ .
وانظر : الاعتقاد للبيهقى ص : ٥٧ .
(٥) سورة النجم /١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .
(٦) سورة النجم /٥ .

جبرائيل محمدا القرآن وهو شديد القوى ﴿ ذو مرة فاستوى ﴾[1] إلى أن قال : ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾[2] فسمى القرآن وحيا ولم يسمه خلقا .

قال ثم إن الجهمى ادعى شيئا آخر فقال : أخبرونا عن القرآن هو شيء . قلنا : نعم هو شيء . قال : إن الله خالق كل شيء فلم لا يكون القرآن مع الأشياء المخلوقة وقد أقررتم أنه شيء .

فلعمرى أنه ادعى أمرا أمكنه الدعوى فيه ولبس على الناس بما ادعى فقلنا إن الله لم يسم كلامه فى القرآن شيئا (إنما سماه الذى كان يقول)[3] ألم تسمع إلى قوله : ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾[4] فالشيء ليس هو قوله إنما الشيء الذى كان بقوله وقال فى آية أخرى : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا ﴾[5] فالشيء ليس هو أمره إنما الشيء الذى يأمره[6] .

ومن الأعلام والدلالات أنه لايعنى كلامه مع الأشياء المخلوقه قوله فى الريح التى أرسلها على عاد : ﴿ ما تذر من شيء أتت عليه ﴾[7] وقال : ﴿ تدمر كل شيء بأمر ربها ﴾[8] وقد أتت تلك الريح على أشياء لم تدمرها منازلهم ومساكنهم والجبال التى بحضرتهم قد أتت عليها تلك الريح ولم تدمرها وقال : ﴿ تدمر كل شيء بأمر ربها ﴾ فكذلك إذا قال : ﴿ الله خالق كل شيء ﴾[9] لايعنى نفسه ولا علمه ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة ، وقال لملكة سبأ : ﴿ وأوتيت من كل شيء ﴾[10] وقد كان ملك سليمان شيئا لم تؤته فكذلك إذا قال : ﴿ خالق كل شيء ﴾ لايعنى كلامه مع الأشياء المخلوقة وقال الله لموسى : ﴿ واصطنعتك

---

(١) سورة النجم /٦ .
(٢) سورة النجم /١٠ .
(٣) فى المطبوع : إنما سمى شيئاً الذى كان بقوله .
(٤) سورة النحل /٤٠ .
(٥) سورة يس /٨٢ .
(٦) فى المطبوع : الذى كان يأمره .
(٧) سورة الذاريات/٤٢ .
(٨) سورة الأحقاف /٢٥ .
(٩) سورة الرعد /١٦ ، وسورة الزمر /٦٢ .
(١٠) سورة النمل /٢٣ .

لنفسى ﴾[1] وقال : ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾[2] وقال : ﴿ كتب على نفسه الرحمة ﴾[3] وقال : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾[4] فقد عرف من عقل عن الله أنه لا يعنى نفسه مع الأنفس التى تذوق الموت وقد ذكر الله نفسه فكذلك إذا قال : ﴿ خالق كل شيء ﴾ لا يعنى نفسه ولا علمه ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة ففى ما مر دلالة لمن عقل عن الله تعالى[5] .

قال أحمد - رحمه الله -: من تفكر ورجع عن القول الذى يخالف الكتاب والسنة (ق ١٦/أ) ولم يقل على الله إلا الحق فإن الله تعالى أخذ ميثاق خلقه فقال تعالى : ﴿ ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لايقولوا على الله إلا الحق ﴾[6] وقال : ﴿ قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾[7] فقد حرم أن يقال عليه الكذب ثم قال : ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ﴾[8] أعاذنا الله وإياكم من فتن المضلين . وقد ذكر الله كلامه فى غير موضع من القرآن فسماه كلاما ولم يسمه خلقا . قوله : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾[9] وقال : ﴿ حتى يسمع كلام الله ﴾[10] وقال : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ﴾[11] وقال : ﴿ برسالاتى وبكلامى ﴾[12] وقال : ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾[13] وقال : ﴿ النبى الأمى

---

(١) سورة طه /٤١ .
(٢) سورة آل عمران /٢٨ .
(٣) سورة الأنعام /١٢ .
(٤) سورة آل عمران /١٨٥ .
(٥) وانظر : جواب شارح الطحاوية ص : ١٨٣ - ١٨٦ على ادعاء الجهمى هذا .
(٦) سورة الأعراف /١٦٩ .
(٧) سورة الأعراف /٣٣ .
(٨) سورة الزمر /٦٠ .
(٩) سورة البقرة /٣٧ .
(١٠) سورة التوبة /٦ .
(١١) سورة الأعراف /١٤٣ .
(١٢) سورة الأعراف /١٤٤ .
(١٣) سورة النساء /١٦٤ .

الذى يؤمن بالله وكلماته ﴾[1] فأخبر الله عز وجل أن النبى كان يؤمن بالله وبكلمات الله وقال : ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾[2] وقال : ﴿ لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ﴾[3] وقال : ﴿ حتى يسمع كلام الله ﴾ ولم يقل حتى يسمع خلق الله .

فهذا منصوص بلسان عربى مبين لا يحتاج إلى تفسير وهو مبين بحمد الله[4] قال أحمد رحمه الله : وقد سألت الجهمى (أليس)[5] إنما قـال الله : ﴿ قولوا آمنا بالله ﴾[6] ، ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾[7] ، ﴿ وقولـوا آمنـا بالـذى أنزل إلينا ﴾[8] ، ﴿ وقولوا قولا سديدا ﴾[9] ، و ﴿ فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾[10] وقال : ﴿ وقل الحق من ربكم ﴾[11] وقال : ﴿ وقل سلام فسوف يعلمون ﴾[12] ولم نسمع الله يقول قولـوا إن كلامـى خلقـى وقال : ﴿ ولا تقولوا ثلاثة ﴾[13] وقال : ﴿ ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا ﴾[14] ،قال : ﴿ لا تقـولوا راعنا ﴾[15] ، ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل فى

---

(١) سورة الأعراف /١٥٨ .
(٢) سورة الأعراف /٤٤ .
(٣) سورة الكهف /١٠٩ .
(٤) انظر : قول الإمام أحمد فى الجهمية ص : ٣٦٨/٢ فقد احتج عليهم من القرآن الكريم بمئة وسبع عشرة آية ترد مزاعمهم وبدعهم المختلفة ومن ضمنها إنكارهم أن القرآن كلام الله غير مخلوق .
(٥) ما بين القوسين ليست من الأصل وأثبتها من المطبوع وهو ما يقتضيه السياق .
(٦) سورة البقرة /١٣٦ .
(٧) سورة البقرة /٨٣ .
(٨) سورة العنكبوت /٤٦ .
(٩) سورة الأحزاب /٧٠ .
(١٠) سورة آل عمران /٦٤ .
(١١) سورة الكهف /٢٩ .
(١٢) سورة الزخرف /٨٩ .
(١٣) سورة النساء /١٧١ .
(١٤) سورة النساء /٩٤ .
(١٥) سورة البقرة /١٠٤ .

سبيل الله أموات ﴾[1] ، ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا ﴾[2] ، ﴿ فلا تقل لهما أف ﴾[3] ، ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾[4] ، ﴿ ولا تدع مع الله إلها آخر ﴾[5] ، ﴿ ولا تقتلوا أولادكم ﴾[6] ، ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ﴾[7] ، ﴿ ولا تقتلوا النفس ﴾[8] ، ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم ﴾[9] ، ﴿ ولا تمشى فى الأرض مرحا ﴾[10] ومثله فى القرآن كثير فهذا ما نهى الله عنه فى القرآن ولم يقل لنا لا تقولوا إن القرآن كلامى وقد سمت الملائكة كلام الله كلاما ولم تسمه خلقا قوله : ﴿ حتى إذ فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا : الحق ﴾[11] وذلك أن الملائكة لم يسمعوا أصوات الوحى بين عيسى ومحمد وبينهما السنون فلما أوحى الله إلى محمد سمع الملائكة صوت الوحى كوقع الحديد على الصفا و ظنوا أنه أمر من أمر الساعة ففزعوا وخروا (ق ١٧/أ) لوجوههم سجدا وذلك لقوله : ﴿ حتى إذا فزع عن قلوبهم ﴾ يقول إذا تجلى عن قلوبهم رفع الملائكة رؤسهم فيسألوا بعضهم بعضا فقالوا : ﴿ ماذا قال ربكم ﴾[12] و لم يقل ماذا خلق ربكم[13] ففى هذا بيان لمن أراد الله هداه .

---

(١) سورة البقرة /١٥٤ .
(٢) سورة الكهف /٢٣ .
(٣) سورة الإسراء /٢٣ .
(٤) سورة الإسراء /٣٦ .
(٥) سورة القصص /٨٨ .
(٦) سورة الأنعام /١٥١ .
(٧) سورة الإسراء /٢٩ .
(٨) سورة الأنعام /٦ ، وسورة الإسراء /٣٣ .
(٩) سورة الأنعام /١٥٢ .
(١٠) سورة لقمان /١٨ .
(١١) سورة سبأ /٢٣ .
(١٢) أخرجه البخارى : ٣٨٠/٦ ، ٤٥٣/١٣ ، والترمذى : ٣٦٢/٥ ، وابن ماجه : ٦٩/١ - ٧٠ من حديث أبى هريرة مرفوعاً : « إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم . قالوا : الحق وهو العلى الكبير » .
وأخرج نحوه أبو داود : ١٠٥/٥ - ١٠٦ من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعاً . وانظر : ما ورد فى تفسير الآية : تفسير الطبرى : ٨٩/٢٢ وابن كثير : ٥٦٠/٣ والشوكانى : ٣٢٨/٤ .
(١٣) كذا ذكر البخارى أيضاً . انظر : فتح البارى : ٤٥٢/١٣ .

باب آخر

قال أحمد رضى الله عنه : ثم إن الجهمى ادعى أمرا آخر فقال : أنا أجد آية فى كتاب الله تدل على أن القرآن مخلوق قوله : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾[1] فزعم أن الله تعالى قال : القرآن محدث وكل محدث مخلوق فلعمرى لقد شبه على الناس بهذا وهى آية من المتشابه فقلنا فى ذلك قولا واستعنا بالله ونظرنا فى كتاب الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قال أحمد رضى الله عنه : اعلم أن الشيئين إذا اجتمعا فى اسم واحد يجمعهما فكان أحدهما أعلى من الآخر ثم جرى عليهما اسم مدح كان أعلاهما أولى بالمدح وأغلب عليه وإن جرى عليهما اسم ذم فأدناهما أولى به . من ذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾[2] ، و ﴿ عينا يشرب بها عباد الله ﴾[3] يعنى الأبرار دون الفجار فإذا اجتمعوا فى اسم العباد واسم الإنسان فالمعنى به فى قول الله تعالى : ﴿ يشرب بها عباد الله ﴾[3] يعنى الأبرار دون الفجار لقوله إذا انفرد الأبرار ﴿ إن الأبرار لفى نعيم ﴾[4] وإذا انفرد (ق ١٧/ب) الكفار : ﴿ إن الفجار لفى جحيم ﴾[5] وقوله : ﴿ إن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾[6] فالمؤمن أولى به . وإن اجتمعا فى اسم الناس لأن المؤمن أعطى المدحة لقول الله تعالى : ﴿ إن الله بكم لرؤوف رحيم ﴾[7] ، ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾[8] وإذا انفرد الكفار جرى عليهم الذم فى

---

(١) سورة الأنبياء /٢ .
(٢) سورة الحج /١٣ .
(٣) سورة الإنسان /٦ .
(٤) سورة الانفطار /٦٥ .
(٥) سورة الانفطار /١٤ .
(٦) سورة البقرة /١٤٣ .
(٧) سورة الحديد /٩ .
(٨) سورة الأحزاب /٤٣ .

قوله : ﴿ ألا لعنة الله على الظالمين ﴾[1] وقوله : ﴿ أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ﴾[2] فهؤلاء لا يدخلون فى الرحمة وفى قوله : ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ﴾[3] فاجتمع الكفار والمؤمنون فى اسم العباد فالكفار أولى بالبغى من المؤمنين لأن المؤمنين انفردوا ومدحوا فيما بسط لهم من الرزق وهو قول الله : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ﴾[4] وقوله : ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾[5] وقد بسط الله لداود وسليمان عليهما السلام وذى القرنين وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ومن كان على مثالهم ممن يبسط الله له فلم يبغ . وإذا انفرد اسم الكافر وقع عليه اسم البغى فى قوله لقارون : ﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ﴾[6] . وعن النمرود بن كنعان حين آتاه الله الملك فحاج فى ربه وفرعون حين نال موسى : ﴿ ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ﴾[7] الآية فلما اجتمعوا فى اسم واحد فجرى عليهم اسم البغى كان الكافر أولى به كما كان المؤمن أولى بالمدحة فلما قال الله : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾[8] فجمع بين ذكرين ذكر الله و ذكر نبيه فأما ذكر الله إذا انفرد لم يجر عليه اسم الحدث أو لم تسمع إلى قوله : ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾[9] ، ﴿ وهذا ذكر مبارك أنزلناه ﴾[10] وإذا انفرد اسم النبى صلى الله عليه وسلم جرى عليه اسم الحدث ألم تسمع إلى قوله : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾[11] فذكر النبى صلى الله

---

(١) سورة هود /١٨ .
(٢) سورة المائدة /٨٠ .
(٣) سورة الشورى /٢٧ .
(٤) سورة الفرقان /٦٧ .
(٥) سورة البقرة /٢ .
(٦) سورة القصص /٧٦ .
(٧) سورة يونس /٨٨ .
(٨) سورة الأنبياء /٢ .
(٩) سورة العنكبوت /٤٥ .
(١٠) سورة الأنبياء /٥٠ .
(١١) سورة الصافات /٩٥ .

عليه وسلم له عمل والله له خالق ومحدث والدلالة على أنه جمع بين الذكرين هو قوله : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ فأوقع عليه الحدث عند إتيانه إيانا وأنت تعلم أنه لا يأتينا إلا بمبلغ ومذكر وقال : ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾[١] ، ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى ﴾[٢] ، و ﴿ إنما أنت مذكر ﴾[٣] فلما اجتمعوا فى اسم الذكرى جرى عليهم اسم الحدث وكان النبى إذا انفرد وقع عليه اسم الخلق وكان أولى بالحدث من ذكر الله عز وجل الذى انفرد ولم يقع عليه اسم خلق ولا حدث فوجدنا دلالة من قوله : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ إنما هو محدث إلى النبى صلى الله عليه وسلم لأن النبى كان لا يعلم فعلمه الله تعالى فلما علمه الله تعالى (ق ١٨/ب) كان ذلك محدثا إلى النبى صلى الله عليه وسلم[٤] .

قال ثم إن الجهمى ادعى أمرا آخر قال : أنا أجد آية فى كتاب الله تدل على أن القرآن مخلوق قول الله : ﴿ إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ﴾[٥] وعيسى مخلوق .

فقلنا : إن الله منعك الفهم فى القرآن إن عيسى تجرى عليه ألفاظ لا تجرى على القرآن لأنه يسميه مولودا وطفلا وصبيا وغلاما يأكل ويشرب وهو يخاطب بالأمر والنهى يجرى عليه اسم الخطاب والوعيد ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية إبراهيم فلا يحل لنا أن نقول فى القرآن ما نقول فى عيسى ، فهل سمعتم الله يقول فى القرآن ما قال فى عيسى ولكن المعنى فى قول الله ﴿ إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ﴾ فالكلمة التى ألقاها إلى مريم حين قال له كن فكان

---

(١) سورة الذاريات /٥٥ .

(٢) سورة الأعلى /٩ .

(٣) سورة الغاشية /٢١ .

(٤) قال ابن كثير : « محدث » أى جديد إنزاله كما قال ابن عباس : مالكم تسألون أهل الكتاب عما بأيديهم وقد حرفوه وبدلوه وزادوا فيه ونقصوا منه وكتابكم أحدث الكتب بالله تقرؤنه محضاً لم يشب . اهـ . تفسير ابن كثير : ١٨٢/٣ . ولن يشب لأن الله عز وجل تكفل بحفظه ولم يكل ذلك إلى خلقه . قال جل وعلا ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

(٥) سورة النساء /٧١ .

عيسى بكن وليس عيسى هو كن، فالكن من قول الله وليس كن مخلوقا ، وكذبت النصارى والجهمية على الله تعالى فى أمر عيسى وذلك أن الجهمية قالوا : روح الله وكلمته إلا أن كلمته مخلوقة وقالت النصارى : عيسى روح الله من ذات الله وكلمة الله من ذات الله كما يقال إن هذه الخرقة من هذا الثوب قلنا نحن : إن عيسى بالكلمة كان (ق ١٩/أ) وليس هو الكلمة وإنما الكلمة قول الله قوله : ﴿ وروح منه ﴾ يقول : من أمره كان الروح فيه كقوله : ﴿ وسخر لكم ما السموات وما فى الأرض جميعا منه ﴾[1] يقول : من أمره وتفسير روح الله إنما معناها روح بكلمة الله خلقها الله كما يقال : عبد الله وسماء الله وأرض الله[2] .

ثم إن الجهمى ادعى أمرا آخر قال : إن الله يقول : ﴿ خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ﴾[3] فزعم أن القرآن لا يخلو أن يكون فى السماء أو فى الأرض أو فيما بينهما فشبه على الناس ولبس عليهم .

فقلنا لهم : أليس إنما أوقع الله عز وجل الخلق على المخلوق ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما فقالوا : نعم . قلنا : فهل فوق السموات شئ مخلوق قالوا : نعم . قلنا : فإنه لم يجعل ما فوق[4] السموات من الأشياء المخلوقة وقد عرف أهل العلم أن فوق السموات السبع الكرسى والعرش واللوح المحفوظ والحجب وأشياء كثيرة ولم يسمها ولم يجعلها من الأشياء المخلوقة ، وإنما وقع الخبر من الله عز وجل على السموات والأرض وما بينهما . فقلنا : فيما الدعوى أن

---

(١) سورة الجاثية /١٣ .

(٢) فى قول الله تعالى : ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ دلالة عظيمة على أن القرآن كلام الله عز وجل وغير مخلوق فكن غير مخلوقه والكائن بها مخلوق انظر : رد الدارمى على بشر المريسى ص : ١٤٨ . يقول أبو الحسن الأشعرى رحمه الله تعالى : « فلو كان القرآن مخلوقاً لوجب أن يكون مقولا له كن فيكون ، ولو كان الله عز وجل قائلا للقول كن كان للقول قولا وهذا يوجب أحد أمرين : إما أن يؤول إلى أن قول الله غير مخلوق ، أو يكون كل قول واقع بقول لا إلى غاية وذلك محال ، وإذا استحال ذلك صح وثبت أن لله عز وجل قولا غير مخلوق .
الإبانة له ص : ١٩ - ٢٠ ونحوه ذكره البيهقى فى الاعتقاد ص : ٥٦ - ٥٧ .

(٣) سورة السجدة /٤ .

(٤) فى الأصل : « لم يجعل ما فى السموات » وما أثبته كما فى المطبوع وهو الصواب .

القرآن لا يخلو أن يكون فى السموات والأرض أو فيما بينهما فقلنا : (ق/١٩ب) إن الله يقول : ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ﴾[(١)] فالحق الذى خلق به السموات والأرض هو قوله : كن . ﴿ والله يقول الحق ﴾[(٢)] قال : ﴿ فالحق والحق أقول ﴾[(٣)] ، ﴿ ويوم يقول كن فيكون قوله الحق ﴾[(٤)] فالحق الذى خلق به السموات والأرض قد كان قبل خلق السموات والأرض والحق قوله وقوله ليس بمخلوق[(٥)] .

باب ما ادعت الجهمية أن القرآن مخلوق من هذه الأحاديث التى رويت

إن القرآن يجىء فى صورة الشاب الشاحب فيأتى صاحبه فيقول : تعرفنى فيقول : من أنت . فيقول : أنا القرآن الذى أظمأت نهارك وأسهرت ليلك . قال : فيأتى به الله فيقول : يا رب[(٦)] .

فادعوا أن القرآن مخلوق . فقلنا لهم : القرآن لا يجىء ، بمعنى[(٧)] : أنه قد جاء من قرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾[(٨)] (ق ٢٦/ب) فله كذا[(٩)] ألا ترون أنه

---

(١) سورة الحجر /٨٥ .
(٢) سورة الأحزاب /٤ .
(٣) سورة ص /٤٨ .
(٤) سورة الأنعام /٧٣ .
(٥) راجع ما قيل فى تفسير الآية الأولى : تفسير الطبرى : ٥٠/١٤ ، وابن كثير : ٦٠٢/٢ ، والشوكانى : ١٤٠/٣ .
(٦) أخرج أحمد : ٣٥٢/٥ ، وابن ماجة : ١٢٤٢/٢ وغيرهم من حديث عبد الله بن بريدة قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم : « يجىء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب فيقول : أنا الذى أسهرت ليلك وأظمأت نهارك »
قال محقق سنن ابن ماجه فى الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات .
(٧) فى المطبوع : إلا بمعنى .
(٨) سورة الإخلاص /١ .
(٩) انظر : ما جاء فى فضل سورة الإخلاص : فتح البارى : ٥٨/٩ - ٥٩ وصحيح مسلم : ٥٥٦/١ - ٥٥٧ وسنن الترمذى : ١٦٧/٥ - ١٧٠ .

من قرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ لا يجيئه بل يجيء ثوابه . لأنا نقرأ القرآن فنقول : كلام الله لا يجيء فلا يتغير من حال إلى حال[1] .

التعليق :

من خلال دراسة موقف الإمام أحمد من القرآن الكريم يتضح لنا مذهب سلف الأمة بأن القرآن الكريم كلام الله عز وجل غير مخلوق منه بدا وإليه يعود . وقد ساق رحمه الله من الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة ما يدل على صحة هذا الاعتقاد وسلامته ويدحض فى نفس الوقت شبه المبتدعة وادعاءاتهم .

ولا شك أن ما نقل عن الإمام أحمد يفى بالغرض فى كشف زيغ المبتدعة

---

(١) الكلام حول هذا الحديث وما شابهه وتفسير أحمد له سيأتى بصورة مفصلة عند قول الإمام أحمد فى : « الإتيان والمجىء » إلا أنى سأورد هنا ما يقتضيه الحال ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : وأيضا وقع النزاع بين أصحابه ، هل اختلف اجتهاده فى تأويل المجىء والإتيان والنزول ونحو ذلك لأن حنبلاً نقل عنه فى المحنة أنهم لما احتجوا عليه بقول النبى صلى الله عليه وسلم : تجىء البقرة وآل عمران كأنما غمامتان أو غيايتان ، أو فرقان من طير صواف ونحو ذلك من الحديث الذى فيه إتيان القرآن ومجيئه . وقالوا له : لا يوصف بالإتيان والمجىء إلا مخلوق فعارضهم أحمد بقوله[أ] ، وأحمد وغيره من أئمة السنة فسروا هذا الحديث بأن المراد به مجىء ثواب البقرة وآل عمران[ب] كما ذكر مثل ذلك عن مجىء الأعمال فى القبر والقيامة والمراد منه ثواب الأعمال، والنبى صلى الله عليه وسلم قال : « اقرؤوا البقرة وآل عمران ... » وهذا الحديث فى الصحيح[جـ] فلما أمر بقراءتهما وذكر مجيئهما يحاجان عن القارىء علم أنه أراد بذلك قراءة القارىء لهما وهو عمله وأخبر بمجىء عمله الذى هو التلاوة لهما فى الصورة ذكرها كما أخبر بمجىء غير ذلك من الأعمال ...

والمقصود هنا أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أخبر بمجىء القرآن فى هذه الصورة أراد به الإخبار عن قراءة القارىء التى هى عمله وذلك هو ثواب قارىء القرآن ليس المراد أن نفس كلامه الذى نفسه يتصور صورة غمامتين فلم يكن فى هذا حجة للجهمية على ما ادعوه[د]. مجموع الفتاوى : ٣٩٨/٥-٣٩٩ وسيأتى الكلام بالتفصيل حول رواية حنبل هذه عند قول الإمام أحمد فى صفة الإتيان والمجىء ص : ٣٥٤ ، وانظر : رد الدارمى على بشر المريسى ص : ١٢٤ .

(أ) سيأتى الكلام بالتفصيل حول رواية حنبل هذه عند « قول الإمام أحمد فى صفة الإتيان والمجىء ص : ٣٩٢ .

(ب) انظر : رد الدارمى على بشر المريسى ص : ١٢٤ .

(جـ) أخرجه مسلم ٥٥٣/١-٥٥٤ من حديث أبى أمامة الباهلى والنواس بن سمعان رضى الله عنهما .

(د) مجموع الفتاوى : ٣٩٨/٥-٣٩٩ .

فى هذه المسألة إلا أنى أريد تسليط مزيد من البحث حول الفرق المخالفة فأقول وبالله التوفيق :

إن الجعد بن درهم هو أول من نطق بهذه البدعة ثم تلقفها عنه الجهم بن صفوان فتولى إظهارها والدعوة إليها فنسبت إليه[1] وأصبح القول بخلق القرآن أشد التصاقا بالجهم وأتباعه ، ثم تولى أمر هذه البدعة المعتزلة وأرادوا إجبار الناس على اعتقادها مستخدمين السلطة كما قدمنا[2] .

وقد استدل هؤلاء بآيات زعموا أن فيها دلالة على صحة قولهم ومن تلك الآيات قول الله تعالى : ﴿ وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾[3] و قوله عز وجل : ﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا ﴾[4] [5] وقد أجاب الإمام أحمد على شبههم ونقض مزاعمهم[6] . والحقيقة أن أهل الكلام بصفة عامة احتكموا إلى العقول المجردة فى قضايا العقيدة ، وعرضوا القضايا العقدية عليها فما وافقها - بادعائهم - أخذوه وما خالفها رفضوه أو أولوه . لذلك نجد تخبطهم فى مسائل العقيدة . وذلك بخلاف أهل السنة والجماعة الذين اعتبروا الكتاب والسنة هما المصدران اللذان يجب الأخذ عنهما فى أمور العقيدة وغيرها . مع اعتقادى بأنه ليس هناك أى تعارض بين العقل والشرع إلا أن هنالك أمورا هى فوق قدرة العقل وإمكاناته ولا يمكن للعقل بحال تمييزها أو الوقوف على كنهها . فأهل السنة عندما قالوا إن القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق استندوا فى ذلك إلى الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة الدالة على ذلك وعلى أن الكلام صفة لله عز وجل وصفاته تبارك وتعالى غير مخلوقة ، وأيضا الآيات والأحاديث دلت على أن الله عز وجل

---

(١) انظر مجموع الفتاوى : ١١٩/١٢ .
(٢) انظر : ص : ١٩٠ .
(٣) سورة الأنبياء /٢ .
(٤) سورة الزخرف /٣ .
(٥) انظر : شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص : ٥٢٨ .
(٦) وسيأتى مزيد من النقض لهذه المزاعم عند الكلام عن :
قول الإمام أحمد فى صفة الكلام ص : ٢٨٧ .
قول الإمام أحمد فى مسألة الحرف والصوت : ٣٠٢ .

يتكلم بحرف وصوت لكن المبتدعة لم يسلموا بهذا لأنهم عرضوا هذا على عقولهم القاصرة فوجدوا أن الكلام لا يمكن أن يكون إلا عن طريق الجوارح فعطلوا هذه الصفة كما عطلوا غيرها . لأنهم لم يتصوروا الكيفية . وهذا مبدأ عظيم الخطر على صاحبه . لذلك نجد كثيرا منهم انتابهم الشك والريب أعاذنا الله من ذلك وثبتنا على الإيمان .

ومن المعلوم ارتباط هذه المسألة بصفة الكلام لله عز وجل . وعند عرض أقوال المخالفين فى مسألة الكلام يتضح قولهم فى القرآن .

قول الإمام أحمد فيمن قال : القرآن مخلوق

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل :

١٧٧ – سمعت أبى رحمه الله يقول : من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافر[١] .

• نقل مثل هذا عن أحمد : ابن هانىء[٢] وأبو داود[٣] وحرب الكرمانى وأبو بكر المروذى[٤] وأحمد بن الحسين ويوسف بن موسى وإسماعيل بن إسحاق الثقفى[٥] وصالح بن أحمد والحارث بن إبراهيم والحسن بن البزار[٦] وأبو الحارث[٧] وحنبل بن إسحاق[٨] وعبد الملك الميمونى[٩] والحسن بن أيوب[١٠]

---

(١) السنة (ظ : ق : ١/أ) ، وفى المطبوع ص : ٢٩ .
(٢) انظر : مسائل ابن هانىء : ١٥٣/٢ ، ١٥٤ ، ١٥٦ .
(٣) انظر : مسائل أبى داود (ظ : ص : ٢٤٦) وفى المطبوع ص : ٢٦٢ .
(٤) انظر : السنة للخلال (ق : ١٥٤/ب) .
(٥) انظر : المصدر السابق (ق : ١٥٤/ب) .
(٦) انظر : المصدر السابق (ق : ١٥٤/ب – ١٥٥/أ) .
(٧) انظر : المصدر السابق (ق : ١٩٦/أ) .
(٨) انظر : المصدر السابق (ق : ١٥٧/ب) .
(٩) انظر : المصدر السابق (ق : ١٥٥/ب) .
(١٠) انظر : شرح السنة للالكائى : ٢٦٣/٢ .

ومحمد بن إسماعيل السلمى[١] وإسحاق بن إبراهيم البغوى[٢] وإسحاق الكوسج[٣] والحسن بن ثواب[٤] والربيع بن نافع[٥] ويعقوب بن إبراهيم الدورق[٦] وشاهين بن السميذع[٧] ومحمود بن الخالد الخانقينى[٨] ويحيى بن زكريا[٩] وإسماعيل بن إسحاق السراج الثقفى[١٠] وسلمة بن شبيب[١١] .

التعليق :

بعد أن ذكرت موقف الإمام أحمد من القرآن الكريم ورده على الجهمية القائلين بخلق القرآن كان من الأنسب أن أتبعه بذكر موقفه أيضا ممن قال بخلق

---

(١) أبو إسماعيل الترمذى ، نزيل بغداد ، ثقه حافظ ، لم يتضح كلام ابن أبى حاتم فيه . قال أبو بكر الخلال كان عنده عن أبى عبد الله مسائل صالحة حسان وفيها ما أغرب به على أصحاب أبى عبد الله وهو رجل معروف كثير العلم . ت/بغداد : ٤٢/٢ ، طبقات الحنابلة : ٢٧٩/١ ، تقريب : ١٢٥/١ ، تهذيب : ٦٢/٩ ، شذرات الذهب : ١٧٦/٢ . والرواية فى شرح السنة للالكائى : ٣٥٤/٢ .

(٢) هو : أبو يعقوب ، لقبه لؤلؤ وقيل : بؤبؤ ، ثقة ، توفى سنة تسع وخمسين ومئتين . طبقات الحنابلة : ١٠٩/١ ، تقريب : ٥٤/١ ، تهذيب :٢١٤/١ . والرواية فى شرح السنة : ٢٦٣/٢ ، ومناقب أحمد :٢٠١ .

(٣) مناقب أحمد : ص : ٢٠٢ .

(٤) انظر : طبقات الحنابلة : ١٣٢/١ .

(٥) هو : أبو توبة الحلبى ، نزيل طرسوس ، ثقة ، حجة عابد ، مات سنة إحدى وأربعين ومئتين ، تقريب : ٢٤٦/١ ، تهذيب : ٢٥٠/٣ ، والرواية فى طبقات الحنابلة : ١٥٦/١ .

(٦) انظر : المصدر السابق : ٤١٤/١ .

(٧) انظر : المصدر السابق : ١٧٣/١ .

(٨) انظر : المصدر السابق : ٣٤٠/١ .

(٩) هو : يحيى بن زكريا المروذى صاحب إسحاق بن راهويه . قال أبو بكر الخلال : عنده عن أبى عبد الله مسائل حسان .وذكره ابن الجوزى فيمن حدث عن أحمد قال أبو حاتم : صدوق ، طبقات الحنابلة : ٤٠١/١ ، مناقب أحمد ص : ١٤٢ ، الجرح والتعديل : ١٤٥/٩ .
والرواية فى طبقات الحنابلة : ٤٠١/١ .

(١٠) انظر : المصدر السابق : ١٠٣/١ ، ومناقب أحمد ص : ٣٠٢ .

(١١) انظر : مناقب أحمد : ٢٠٢ .

القرآن وهو كما رأينا أطلق القول بكفر من قال بخلق القرآن الكريم وهو بهذا يوافق ما انعقد عليه إجماع سلف الأمة[1]

وسأذكر فى المبحث التالى بعض ما استدل به الإمام أحمد على كفر هؤلاء . ومما يجدر ذكره أن كثيراً من السلف لم يعد الجهمية من الفرق الثنتين والسبعين التى افترقت عليها الأمة[2] . وقد نقل عن ابن المبارك قوله : إنا نستجيز أن نحكى كلام اليهود والنصارى ولا نستجيز أن نحكى كلام الجهمية[3] .

أدلة الإمام أحمد على تكفير من قال بخلق القرآن

(قال ابن أبى يعلى فى ترجمة) : يعقوب بن إبراهيم الدورقى : جالس إمامنا وسأله عن أشياء رواها عنه[4] من ذلك ما قرأته فى كتاب أبى بكر الخلال قال :

١٧٨ - أخبرنى على بن هارون[5] قال : حدثنى محمد بن أبى هارون الوراق قال : سمعت يعقوب بن إبراهيم الدورقى قال : سألت أحمد بن حنبل عمن يقول : القرآن مخلوق ؟ فقال : كنت لا أكفرهم حتى قرأت آيات من القرآن : ﴿ ولئن اتبعت أهوائهم من بعد ما جاءك من العلم ﴾[6] وقوله : ﴿ بعد الذى جاءك من العلم ﴾[7] وقوله : ﴿ أنزله بعلمه ﴾[8] فالقرآن من علم الله ومن زعم أن علم الله مخلوق فهو كافر[9] .

(١) انظر : خلق أفعال العباد للبخارى ص : ١٤ ، والرد على الجهمية للدارمى ص : ٣٥٠ ، ورد الدارمى على المريسى ص : ٤٧٦ - ضمن عقائد السلف - والسنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل ص : ٩ ، وشرح أصول السنة للالكائى : ٢/٢٧٧ - ٣١٢ .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص : ٥٩١ ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية : ٢/٤٨٦ .

(٣) السنة لعبد الله بن أحمد ص : ١٣ ، ورد الدارمى على المريسى ص : ١٠٩ .

(٤) وقد تقدمت ترجمتة ص : ١٨٧ .

(٥) لعله الحنبلى ، حدث عن إسحاق بن إبراهيم البغوى وعنه الطبرانى . ت/بغداد : ١١/٣٧٧ .

(٦) سورة البقرة /١٢٠ .

(٧) سورة آل عمران /٦١ .

(٨) سورة النساء /١٦٦ .

(٩) طبقات الحنابلة : ١/٤١٤ ولم أجده فى كتاب السنة للخلال ولعله فى الأجزاء المطموسة التى لم أستطع قراءتها خاصة وأنها متعلقة بمسألة القرآن أو لعل ذلك فى كتاب آخر له .

١٧٩ - وهذه الرواية ذكرها اللالكائى[1] بسنده عن الحسن بن أيوب قال : سألت أحمد ما تقول فى القرآن قال : كلام الله غير مخلوق . قال : قلت : ما تقول فيمن قال : مخلوق . قال : كافر . قلت : بم كفرته . قال : بآيات من كتاب الله (فذكر الآية الأولى والثانية ثم قال) فالقرآن علم الله فمن زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر . اهـ .

١٨٠ - وقال الإمام أحمد لعبد الرحمن بن إسحاق فى حضرة المعتصم لما ناظره فى مسألة القرآن . سألنى عبد الرحمن فقال لى : ما تقول فى القرآن . فقلت له : ما تقول فى العلم . فسكت . فقلت : القرآن من علم الله ومن زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر بالله[2] .

ومثل هذا نقل عنه : عبد الله بن أحمد بن حنبل[3] وابن هانىء[4] ومحمد بن إبراهيم البوشنجى[5] وحبيش بن سندى وجعفر بن محمد[6] ومحمد بن إسماعيل السلمى[7] .

التعليق :

أشرت آنفا إلى أن الإمام أحمد وافق أئمة السلف فى تكفير من قال بخلق القرآن . ومن المعلوم أن للتكفير قواعد وضوابط . ولا شك أن الإمام أحمد وغيره من أئمة السلف هم أعلم بتلك القواعد والضوابط وعليها بنوا القول بتكفيرهم،

(١) شرح السنة : ٢٦٣/٢ .
(٢) محنة أحمد لحنبل بن إسحاق ص : ٤٥ .
(٣) السنة له ص : ٩ - ١٠ .
(٤) مسائل ابن هانىء : ١٥٣/٢ - ١٥٤ .
(٥) محمد بن إبراهيم البوشنجى ، أبو عبد الله ، ثقة حافظ فقيه . قال ابن أبى يعلى : ذكره أبو بكر الخلال فى جملة الأصحاب . نقل عن الإمام أحمد أشياء . اهـ . وذكره ابن الجوزى فيمن حدث عن أحمد. وجاء فى السنة للخلال : الواشجى وما أثبته هو الصواب ، تقريب : ١٤٠/٢ ،طبقات الحنابلة : ٦٤/١ ، مناقب أحمد ص : ١٣٩ .
(٦) رواياتهم فى السنة للخلال (ق : ١٥٨/أ - ب) .
(٧) شرح السنة للالكائى : ٣٥٤/٢ .

وما نقل الإمام أحمد – هنا – من أدلة على تكفير هؤلاء وما تقدم فى نقضه على الجهمية هو غاية فى الدقة والإلزام .

ومن أراد الاستزاده فليراجع الرد على الجهمية للدارمى فقد عقد فصلا عنون له ب : باب الاحتجاج فى إكفار الجهمية[1] لكن هل تكفير السلف لهؤلاء يعتبر ناقلا عن الملة أم لا .
للجواب عن مسألة التكفير بصفة عامة أكتفى بما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية – وفيه الغنية – إذ يقول رحمه الله : « ...إذا ظهرت هذه المقدمات فى اسم المؤمن والكافر ، والفاسق الملى وفى حكم الوعد والوعيد ، والفرق بين المطلق والمعين ، وما وقع فى ذلك من الاضطراب ، ف « مسألة تكفير أهل البدع والأهواء » متفرعة على هذا الأصل .

ونحن نبدأ بمذهب أئمة السنة فيها قبل التنبيه على الحجة فنقول : المشهور من مذهب الإمام أحمد ، وعامة أئمة السنة تكفير الجهمية وهم المعطلة لصفات الرحمن ، فإن قولهم صريح فى مناقضة ما جاءت به الرسل من الكتاب ، وحقيقة قولهم جحود الصانع ، ففيه جحود الرب . وجحود ما أخبر به عن نفسه على لسان رسله ... ولهذا كفروا من يقول القرآن مخلوق ، وأن الله لا يرى فى الآخرة وأن الله ليس على العرش ، وأن الله ليس له علم ولا قدرة ولا رحمة ولا غضب ونحو ذلك من صفاته[2] .

وأما المرجئة فلا تختلف نصوصه أنه لا يكفرهم ، فإن بدعتهم من جنس اختلاف الفقهاء فى الفروع ، وكثير من كلامهم يعود النزاع فيه إلى نزاع فى الألفاظ والأسماء، ولهذا يسمى الكلام فى مسائلهم « باب فى الأسماء » وهذا من نزاع الفقهاء، لكن يتعلق بأصل الدين ، فكان المنازع فيه مبتدعاً[3] .

---

(١) انظر : ذلك ضمن كتاب عقائد السلف ص : ٣٤٦ – ٣٥٦ . وراجع أيضاً : الشريعة للآجرى ص : ٧٥ – ٧٩ .
(٢) انظر : قول الإمام أحمد فى الجهمية ص : ٣٦٨/٢ .
(٣) انظر : قول الإمام أحمد فى المرجئة ص : ٣٦٢/٢ .

وكذلك « الشيعة » المفضلون لعلى على أبى بكر ، لا يختلف قوله أنهم لا يكفرون ، فإن ذلك قول طائفة من الفقهاء أيضا وإن كانوا يبدعون[1] .

وأما القدرية المقرون بالعلم والروافض الذين ليسوا من الغالية والجهمية والخوارج فيذكر عنه فى تكفيرهم روايتان هذا حقيقة قوله المطلق ، مع أن الغالب عليه التوقف عن تكفير القدرية المقرين بالعلم[2] ، والخوارج[3] ، مع قوله : ما أعلم قوما شرا من الخوارج .

ثم طائفة من أصحابه يحكون عنه فى تكفير أهل البدع مطلقا روايتين حتى يجعلوا المرجئة داخلين فى ذلك ، وليس الأمر كذلك ، وعنه فى تكفير من لا يكفر روايتان ، أصحهما لا يكفر . وربما جعل بعضهم الخلاف فى تكفير من لا يكفر مطلقا . وهو خطأ محض . والجهمية – عند كثير من السلف مثل : عبد الله بن المبارك ، ويوسف بن أسباط ، وطائفة من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم – ليسوا من الثنتين والسبعين فرقة ، التى افترقت عليها هذه الأمة، بل أصول هذه عند هؤلاء : هم الخوارج والشيعة ، والمرجئة ، والقدرية ، وهذا المأثور عن أحمد ، وهو المأثور عن عامة أئمة السنة ، والحديث أنهم كانوا يقولون : من قال : القرآن مخلوق فهو كافر ، ومن قال : إن الله لا يرى فى الآخرة فهو كافر ، ونحو ذلك .

ثم حكى أبو نصر السجزى عنهم فى هذا قولين :

أحدهما : أنه كفر ينقل عن الملة . قال : وهو قول الأكثرين .

والثانى : أنه كفر لاينقل[4] .

ولذلك قال الخطابى : إن هذا قالوه على سبيل التغليظ ، وكذلك تنازع المتأخرون من أصحابنا فى تخليد المكفر من هؤلاء ، فأطلق أكثرهم عليه التخليد،

---

(١) انظر : قول الإمام أحمد فى الرافضة ص : ٢/٣٥١ .

(٢) تقدم الكلام عنهم انظر : ص : ١١٤ ،وانظر أيضاً : قول الإمام أحمد فى المعتزلة ص: ٢/٣٦٥ .

(٣) انظر : قول الإمام أحمد فى الخوارج ص : ٢/٣٤٦ .

(٤) ذكر ذلك فى كتابه الرد على من أنكر الحرف والصوت (ق : ١٢) .

كما نقل عن ذلك عن طائفة من متقدمى علماء الحديث ، كأبى حاتم وأبى زرعة وغيرهم . وامتنع بعضهم من القول بالتخليد[1] .

وسبب هذا التنازع تعارض الأدلة ، فإنهم يرون أدلة توجب إلحاق أحكام الكفر بهم ، ثم إنهم يرون من الأعيان ، الذين قالوا تلك المقالات من قام به من الإيمان ما يمتنع أن يكون كافرا . فيتعارض عندهم الدليلان وحقيقة الأمر أنهم أصابهم فى ألفاظ العموم فى كلام الأئمة ما أصاب الأولين فى ألفاظ العموم فى نصوص الشارع . كلما رأوهم قالوا من قال كذا فهو كافر ، اعتقد المستمع أن هذا اللفظ شامل لكل من قاله ، ولم يتدبروا أن التكفير له شروط وموانع قد تنتفى فى حق المعين ، وإن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين ، إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع ، يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة : الذين أطلقوا هذه العمومات ، لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه . فإن الإمام أحمد – مثلا – قد باشر الجهمية الذين دعوه إلى خلق القرآن ، ونفى الصفات، وامتحنوه وسائر علماء وقته ، وفتنوا المؤمنين والمؤمنات الذين لم يوافقوهم على التجهم بالضرب والحبس والقتل والعزل عن الولايات وقطع الأرزاق ، ورد الشهادة وترك تخليصهم من أيدى العدو بحيث كان كثير من أولى الأمر إذ ذاك من الجهمية الولاة والقضاة وغيرهم : يكفرون كل من لم يكن جهمياً موافقا لهم على نفى الصفات، مثل القول بخلق القرآن، ويحكمون فيه بحكمهم فى الكافر، فلا يولونه ولاية ، ولا يفتكونه من عدو ، ولا يعطونه شيئا من بيت المال ، ولا يقبلون له شهادة ، ولا فتيا ، ولا رواية ويمتحنون الناس عند الولاية والشهادة، والافتكاك من الأسر وغير ذلك فمن أقر بخلق القرآن حكموا له بالإيمان ومن لم يقر به لم يحكموا له بحكم أهل الإيمان ، ومن كان داعيا إلى غير التجهم قتلوه أو ضربوه وحبسوه .

ومعلوم أن هذا من أغلظ التجهم ، فإن الدعاء إلى المقالة أعظم من قولها وإثابة قائلها وعقوبة تاركها أعظم من مجرد الدعاء إليها ، والعقوبة بالقتل لقائلها أعظم من العقوبة بالضرب .

(١) هناك كلام للشيخ موفق الدين ابن قدامة حول مسألة التخليد . انظره : فى ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب : ١٥٤/٤ – ١٥٧ . .

ثم إن الإمام أحمد دعا للخليفة وغيره، ممن ضربه وحبسه، واستغفر لهم وحللهم مما فعلوه به من الظلم والدعاء إلى القول الذى هو كفر، ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لم يجز الاستغفار لهم، فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع، وهذه الأقوال والأعمال منه ومن غيره من الأئمة صريحة فى أنهم لم يكفروا المعينين من الجهمية، الذين كانوا يقولون : القرآن مخلوق، وإن الله لا يرى فى الآخرة، وقد نقل عن أحمد ما يدل على أنه كفر به قوما معينين، فأما أن يذكر عنه فى المسألة روايتان ففيه نظر، أو يحمل الأمر على التفصيل فيقال : من كفر بعينه، فلقيام الدليل على أنه وجدت فيه شروط التكفير، وانتفت موانعه ومن لم يكفره بعينه، فلانتفاء ذلك فى حقه، هذا مع إطلاق قوله بالتكفير على سبيل العموم .

والدليل على هذا الأصل : الكتاب، والسنة، والإجماع، والاعتبار . ثم استدل رحمه الله لكل ذلك، ثم قال : فهذا الكلام يمهد أصلين عظيمين :

أحدهما : أن العلم والإيمان والهدى فيما جاء به الرسول، وأن خلاف ذلك كفر على الإطلاق، فنفى الصفات كفر، والتكذيب بأن الله يرى فى الآخرة، أو أنه على العرش أو أن القرآن كلامه، أو أنه كلم موسى، أو أنه اتخذ إبراهيم خليلا كفر، وكذلك ما كان فى معنى ذلك، وهذا معنى كلام أئمة السنة وأهل الحديث .

والأصل الثانى : أن التكفير العام – كالوعيد العام – يجب القول بإطلاقه وعمومه .

وأما الحكم على المعين بأنه كافر، أو مشهود له بالنار، فهذا يقف على الدليل المعين، فإن الحكم يقف على ثبوت شروطه وانتفاء موانعه .

ومما ينبغى أن يعلم فى هذا الموضع أن الشريعة قد تأمرنا بإقامة الحد على شخص فى الدنيا، إما بقتل أو جلد أو غير ذلك، ويكون فى الآخرة غير معذب، مثل قتال البغاة والمتأولين مع بقائهم على العدالة، ومثل إقامة الحد على من تاب بعد القدرة عليه توبة صحيحة فإنا نقيم الحد عليه مع ذلك كما أقامه النبى صلى

الله عليه وسلم على ماعز بن مالك وعلى الغامدية مع قوله : « لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له »[1] ومثل إقامة الحد على من شرب النبيذ المتنازع فيه متأولا، مع العلم بأنه باق على العدالة ...وكذلك نعلم أن خلقا لا يعاقبون فى الدنيا مع أنهم كفار فى الآخرة، مثل أهل الذمة المقرين بالجزية على كفرهم، ومثل المنافقين المظهرين الإسلام فإنهم تجرى عليهم أحكام الإسلام وهم فى الآخرة كافرون كما دل عليه القرآن فى آيات متعددة كقوله : ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا ﴾[2] الآية، وقوله : ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا، فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ﴾[3] الآية وهذا لأن الجزاء فى الحقيقة إنما هو فى الدار الآخرة، التى هى دار الثواب والعقاب . وأما الدنيا فإنما يشرع فيها من العقاب ما يدفع به الظلم والعدوان كما قال تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ﴾[4] وإذا كان الأمر كذلك فعقوبة الدنيا غير مستلزمة لعقوبة الآخرة ولا بالعكس . ولهذا أكثر السلف يأمرون بقتل الداعى إلى البدعة الذى يضل الناس لأجل فساده فى الدين سواء قالوا هو كافر أو ليس بكافر .

وإذا عرف هذا فتكفير المعين من هؤلاء الجهال وأمثالهم – بحيث يحكم عليه بأنه من الكفار – لا يجوز الإقدام عليه إلا بعد أن تقوم على أحدهم الحجة الرسالية، التى يتبين بها أنهم مخالفون للرسل، وإن كانت هذه المقالة لا ريب أنها كفر .

---

(١) انظر : خبر ماعز بن مالك وخبر الغامدية فى صحيح مسلم : ٣/١٣١٩ – ١٣٢٣ وانظر : فتح الباري : ١٢/١١٧ ، ١٢٠ – ١٢١ ، ١٣٥ – ١٣٦ .

(٢) سورة النساء /١٤٥ .

(٣) سورة الحديد /١٢ – ١٤ .

(٤) سورة الأنفال /٣٩ .

وهذا الكلام فى تكفير جميع « المعينين » مع أن هذه البدع أشد من بعض وبعض المبتدعة يكون فيه من الإيمان ما ليس فى بعض، فليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين، وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، ومن ثبت إيمانه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لايزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة »[1] . اهـ .

قول الإمام أحمد فيمن قال : لفظى بالقرآن مخلوق

١٨١ – قال أبو داود : كتبت رقعة وأرسلت بها إلى أبى عبد الله وهو يومئذ متوار فأخرج جوابه مكتوباً فيه : قلت : رجل يقول التلاوة مخلوقة[2] وألفاظنا بالقرآن مخلوقة والقرآن ليس بمخلوق وما ترى فى مجانبته وهل يسمى مبتدعاً وعلى ما يكون عقد القلب فى التلاوة والألفاظ وكيف الجواب فيه . قال :هذا يجانب وهو فوق المبتدع وما أراه إلا جهمياً وهذا كلام الجهمية القرآن ليس بمخلوق . قالت عائشة رضى الله عنها : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾[3] الآية. قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاحذروهم فإنهم هم الذين عنى الله »[4] . ومثلها نقل عنه ابنه عبد الله[5] .

---

(١) مجموع الفتاوى : ٤٨٤/١٢ – ٥٠١ . وانظر : نفس المصدر : ١٨٠/١٢ ، ٤٦٦ ، ٦١٨/٧ – ٦١٩ . وراجع الإيمان للمؤلف ص : ٢٠٥ فما بعدها ، وشرح العقيدة الطحاوية ص : ٣٥٥ – ٣٥٩ .

(٢) فى نسخة (ظ) مخلوق . وما أثبته من المطبوع وهو أوفق .
انظر : الرواية فى مسائل أبى داود ، (ظ) ص :٢٤٨ وفى المطبوع ص : ٢٦٥.

(٣) سورة آل عمران /٧ .

(٤) أخرجه البخارى ٢٠٩/٨ ومسلم ٢٠٥٣/٤ ، وأحمد ٤٨/٦ ، وأبو داود ٦/٥ ، والترمذى ٢٢٣/٥ .

(٥) انظر : السنة ص : ٣٥ .

* والروايات عن الإمام أحمد فى الإنكار على القائلين لفظى بالقرآن مخلوق وتبديعهم وتجهيمهم والتحذير منهم والاحتجاج عليهم كثيرة نقلها :

١٨٢ - ابنه عبد الله قال : سألت أبى رحمه الله قلت : إن قوماً يقولون لفظنا بالقرآن مخلوق فقال : هم جهمية وهم أشر ممن يقف هذا قول جهم .

١٨٣ - سمعت أبى يقول : كل من يقصد إلى القرآن بلفظ أو غير ذلك يريد به مخلوق فهو جهمى .

١٨٤ - سمعت أبى يقول : من قال لفظى بالقرآن مخلوق فهو جهمى .

١٨٥ - سمعت أبى وسئل عن اللفظية فقال : هم جهمية وهو قول جهم ثم قال : لاتجالسوهم .

١٨٦ - سمعت أبى يقول : من قال لفظى بالقرآن مخلوق هذا كلام سوء ردىء وهو كلام الجهمية .

١٨٧ - سئل أبى وأنا أسمع عن اللفظية والواقفة فقال : من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمى . قال مرة : هم شر من الجهمية وقال مرة أخرى : هم جهمية .

١٨٨ - سئل أبى وأنا أسمع عن اللفظية والواقفة فقال : من كان منهم جاهلاً فليسأل وليتعلم .

١٨٩ - وكان أبى يكره أن يتكلم فى اللفظ بشىء أو يقال مخلوق أو غير مخلوق .

١٩٠ - وسألته عمن قال : لفظى بالقرآن مخلوق فقال : قال الله عز وجل : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « حتى أبلغ كلام ربى عز وجل »[1] – وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن هذه الصلاة لايصح فيها شئ من كلام الناس »[2] [3] .

١٩١ – سألت أبى عن من قال : لفظى بالقرآن مخلوق ؟ قال : يقال لمن قال هذه المقالة : لا إله إلا الله هو مخلوق هو يلزمه فى مقالته هذه هذا[4] .

١٩٢ – يعقوب الدورق : أن أحمد بن حنبل قال له : إن اللفظية إنما يدورون على كلام جهم يزعمون أن جبريل إنما جاء بشىء مخلوق[5] .

١٩٣ – قلت لأحمد : ماتقول فيمن زعم أن لفظه بالقرآن مخلوق . قال : فاستوى أحمد لى جالسا ثم قال : هؤلاء عندى شر من الجهمية لاتكلم فى شىء من (هذا) القرآن كلام الله غير مخلوق على كل جهة وعلى كل وجه تصرف وعلى أى حال كان لايكون مخلوقاً أبداً[6] .

١٩٤ – أبو داود قال : سمعت أحمد يتكلم فى اللفظية وينكر عليهم كلامهم .

١٩٥ – هارون المستملى أنه قال لأحمد : يا أبا عبد الله هم جهمية . فجعل يقول هم وهم ولم يصرح بشىء ولم ينكر عليه ما قاله من قوله : هم جهمية[7] .

١٩٦ – أحمد بن إبراهيم الدورق[8] قال : سألت أحمد بن حنبل قلت : هؤلاء الذين يقولون إن ألفاظنا بالقرآن مخلوقة . قال : هم شر من قول

---

(١)،(٢) تقدم تخريجهما ص : ١٩٧ .

(٣) الروايات المتقدمة فى السنة لعبد الله ص : ٣٥ – ٣٦ .

(٤) السنة للخلال (ق ١٨٨/أ).

(٥) مسائل أبى داود (ظ) ص : ٢٥٤ وفى المطبوع ص ٢٧١ .

(٦) انظر : الرواية بأكملها فى السنة للخلال (ق ١٨٨/ب) .

(٧) انظر : الروايتين فى مسائل أبى داود (ظ) ص : ٢٤٨ وفى المطبوع ص : ٢٦٤ – ٢٦٥ ورواهما الخلال فى السنة (ق ١٨٩/أ) .

(٨) هو أحمد بن إبراهيم بن كثير الدورقى ثقة حافظ ، توفى سنة ست وأربعين ومئتين . تقريب ١/٩ ، تهذيب ١/١٠ ، طبقات الحنابلة ١/٢١ .

الجهمية . من زعم هذا فقد زعم أن جبريل جاء بمخلوق وأن النبى صلى الله عليه وسلم تكلم بمخلوق[1] .

١٩٧ - ابن هانىء قال : سمعت أبا عبد الله يقول : من زعم أن لفظى بالقرآن مخلوق فهو جهمى[2] .

١٩٨ - وسألته عن الذى يقول : لفظى بالقرآن مخلوق قال : هذا كلام جهم والجهمى كافر[3] .

١٩٩ - أبو طالب قال : قلت لأبى عبد الله كتب إلى من طرسوس أن الشراك يزعم أن القرآن كلام الله فإذا تلوته فتلاوته مخلوقة . قال : قاتله الله هذا كلام جهم بعينه . قلت : رجل قال : القرآن كلام الله وليس بمخلوق ولكن لفظى هذا به مخلوق قال : من قال هذا فقد جاء بالأمر كله إنما هو كلام الله على كل حال الحجة فيه حديث أبى بكر « ألم غلبت الروم » فقيل له هذا مما جاء به صاحبك فقال : لا والله ولكنه كلام الله هذا وغيره إنما هو كلام الله[4] - قلت : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ الحمد لله الذى خلق السمٰوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ هذا الذى قرأت الساعة كلام الله قال : أى والله هو كلام الله ومن قال : لفظى بالقرآن مخلوق فقد جاء بالأمر كله .

٢٠٠ - قلت : يا أبا عبد الله إنى احتججت عليهم بالقرآن والحديث وأحب أن أعرضه عليك - فذكر له من الآيات والأحاديث ماتقدم ذكره - قال أبو عبد الله : ما أحسن ما احتججت ... ثم أتيته بعد ذلك فقال - أى أحمد - قد وجدت فيه غير آية ﴿ وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس ﴾ وفى سورة الجمعة ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ﴾[5] .

---

(١) مسائل أبى داود (الرقم السابق) ونقله ابن أبى يعلى فى طبقات الحنابلة ٢١/١ .
(٢) مسائل ابن هانئ ١٥٢/١ وأخرجه الخلال فى السنة (ق ٧٩/ب) .
(٣) مسائل ابن هانئ ١٥٤/٢ .
(٤) تقدم تخريجه ص : ١٨٩ .
(٥) انظر : الرواية بأكملها فى السنة للخلال (ق ١٨٦/) .

٢٠١ – إسحاق بن حنبل عم الإمام أحمد قال :.. وأريت أبا عبد الله كتاباً جاءنى من طرسوس فى الشراك أنهم احتجوا عليه بقول الله عز وجل :﴿ بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ﴾ وفى حديث أبى أمامة : «هو أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم فى عقلها»[1] فقال أبو عبد الله : ما أحسن ما احتجوا فيه[2] .

٢٠٢ – أبو الحارث أنه قال لأبى عبد الله : إذا قال لفظى بالقرآن مخلوق فهو جهمى قال : فأيش بقى إذا قال : لفظى بالقرآن مخلوق[3] .

٢٠٣ – محمد بن الحسن بن هارون قال : قلت يا أبا عبد الله هذا القول عندك يرجع إلى قول جهم . قال : هذا كله من قول جهم[4] .

٢٠٤ – حنبل بن إسحاق أنه سمع أحمد يقول : وأى شىء بقى إذا قال : لفظه بالقرآن مخلوق وكيف تتم به الصلاة لاتتم بمخلوق[5] .

٢٠٥ – محمد بن مسلم بن واره : أنه سأل عن اللفظية . فقال أحمد قال الله عز وجل : ﴿ حتى يسمع كلام الله ﴾ وقال : ﴿ يسمعون كلام الله ثم يحرفونه ﴾ ممن كانوا يسمعون ..

٢٠٦ – وقال لى أحمد : القرآن حيث تصرف كلام الله واللفظية جهمية . قلت : هل علمت أن أحداً من الجهمية كان يقوله قال : بلغنى أن المريسى كان يقوله[6] .

---

(١) أخرجه البخارى ٧٩/٩ ، ومسلم ٥٤٤/١ من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعا . وأخرجاه كذلك من حديث أبى موسى الأشعرى ونحوه أخرجا من حديث عبد الله بن عمر .

(٢) انظر : الرواية بأكملها فى السنة للخلال (ق ١٨٧) .

(٣) المصدر السابق (ق ١٨٨/أ) .

(٤) المصدر السابق (ق ١٨٨/ب) .

(٥) المصدر السابق (ق ١٨٩/ب) .

(٦) المصدر السابق (ق ١٩٠/أ) .

٢٠٧ – سمعت أحمد يقول : من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي[١] .

٢٠٨ – هارون بن عبد الله البزار قال : قلت لأبي عبد الله : أنه قد ظهر قوم يتكلمون بكلام تشمئز منه القلوب وأحببت أن أزداد برأيك بصيرة : قوم يقولون لفظنا بالقرآن مخلوق . فقال قولا – بغضب – هذا كلام سوء خبيث . فقلت : أليس نقول : القرآن كلام الله غير مخلوق على كل حال وعلى كل جهة ؟ قال : نعم[٢] .

٢٠٩ – الحسين بن إسحاق التستري[٣] أن أبا عبد الله سئل عن هؤلاء اللفظية فقال : هم جهمية[٤] .

٢١٠ – إسماعيل بن إسحاق الثقفي وأحمد بن الحسين : سألو أحمد : من يقول لفظي بالقرآن مخلوق قال : هو جهمي . وزاد أحمد بن الحسين : لايشك فيه[٥] .

٢١١ – يعقوب بن بختان أنه سمعه قال : الذين قالوا لفظنا بالقرآن مخلوق . هذا كلام الجهمي[٦] .

---

(١) مناقب أحمد لابن الجوزي ص ٢٠٦ .

(٢) السنة للخلال (ق ١٩٠/أ) .

(٣) ذكره أبو بكر الخلال فقال : شيخ جليل وكان عنده عن أبي عبد الله جزء مسائل كبار . وكان رجلا مقدما . وذكره ابن الجوزي فيمن حدث عن الإمام أحمد .طبقات الحنابلة ١٤٢/١ ، مناقب الإمام أحمد ص : ١٣١ ، المنهج الأحمد ٣٩٣/١ .

(٤) السنة للخلال (ق ١٩٠/أ) وذكره ابن أبي يعلى في الطبقات ١٤٢/١ ، عن الحسن بن إسحاق الخرقي في ترجمته .

(٥) السنة للخلال (ق١٩٠/أ) ونقله ابن أبي يعلى في الطبقات ١٠٣/١ في ترجمة إسماعيل .

(٦) السنة للخلال (ق١٩٠/أ) .

٢١٢ – **محمود بن خداش**[١] أنه قال له : كيف قلت يا أبا عبد الله فى اللفظة قال : جهمية لا يشك فيهم[٢] .

٢١٣ – **جعفر بن محمد قال** : قلت لأبى عبد الله : أيش ترى أنا أقول من قال لفظه بالقرآن مخلوق كافر قال : هو كلام جهم هو كلام جهم هو كلام جهم ؛ والجهمية يكفرون[٣] .

٢١٤ – **خطاب بن بشر**[٤] **قال** : سئل عن هؤلاء الذين يقولون : لفظنا بالقرآن مخلوق فكره المسألة وأعرض عنه ثم قال : هؤلاء جهمية هؤلاء جهمية[٥] .

٢١٥ – **يعقوب بن بختان – أيضا – أنه سمع أبا عبد الله يقول** : في معرض كلامه عن اللفظية – قال الله عز وجل : ﴿ فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين ﴾ فقلت له : قول الله عز وجل : ﴿ وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ إنما سمعوا كلام الله عز وجل من النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم .

٢١٦ – قلت لأبى عبد الله : قال عبد الله الرازى : إذا قرأت القرآن فأردت منه الصلاة والثواب والأجرفهو مخلوق وإذا قرأت القرآن أريد الله به فهو غير مخلوق . فقال : لا فرج الله عن هذا . هذا كلام سوء[٦] .

---

(١) هو الطالقانى ، نزيل بغداد ، صدوق . توفى سنة خمسين ومئتين وله تسعون سنة . تقريب ٢/٢٣٣ ، ت/بغداد ١٣/٩٠ ، طبقات الحنابلة ٣٣٩ .

(٢) السنة للخلال (ق ١٩٠/ب) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) هو : أبو عمر المذكر ، البغدادى ، ذكره أبو بكر الخلال فقال : كان رجلا صالحا ... وكان عنده عن أبى عبد الله مسائل حسان صالحة . وذكره ابن الجوزى فيمن حدث عن الإمام أحمد . ت/بغداد ٨/٣٣٧ ، طبقات الحنابلة ١/١٥٢ ، المنهج الأحمد ١/٢٢٢ .

(٥) السنة للخلال (ق ١٩٠/ب) .

(٦) السنة للخلال (ق ١٩٠/ب – ١٩١/أ) .

٢١٧ - الحسن بن عبد الله[1] **قال** : سألت أبا بكر المروذى عن قصة هشام بن عمار[2] أيش أنكر عليه أبو عبد الله فقال : ورد كتاب من دمشق فيه : سل لنا أبا عبد الله فإن هشام بن عمار قال : لفظ جبريل ومحمد عليهما السلام بالقرآن مخلوق . فسألت أبا عبد الله عما كتبوا به فقال : قاتله الله الكرابيسى لم يجترىء أن يدخل جبريل ولا محمد صلى الله عليه وسلم هذا قد تجهم[3] .

٢١٨ - أبو إسماعيل الترمذى قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : اللفظية جهمية لقول الله جل اسمه : ﴿ حتى يسمع كلام ﴾ فممن يسمع . ثم قال - أى الترمذى - ثم سمعت جماعة من أصحابنا لاأحفظ أسماءهم يذكرون أنه كان يقول - أى أحمد - من قال لفظى بالقرآن مخلوق فهو جهمى[4] .

٢١٩ - محمد بن شداد الصفدى[5] قال : تذاكرنا أمر القرآن فقال - أى أحمد - هو من حيث تصرف غير مخلوق اللفظ بالقرآن من قال مخلوق فهذا من قول جهم والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : « منعونى أن أبلغ كلام ربى عز وجل » وقال الله : ﴿ حتى يسمع كلام الله ﴾[6] .

٢٢٠ - أحمد بن زنجويه[7] **قال : سمعت أحمد يقول :** اللفظية شر من الجهمية[8] .

---

(١) لم أعرفه .

(٢) هشام بن عمار ، حافظ صدوق مقرئ كبر فصار يتلقن والخبر أورده الذهبى وعلق عليه . انظر سير أعلام النبلاء ٤٣٢/١١ .

(٣) السنة للخلال (ق ١٩١/أ) .

(٤) صريح السنة للطبرى ص :٢٦ .

(٥) أبو جعفر : ذكره ابن أبى يعلى وابن الجوزى فيمن حدثوا عن الإمام أحمد طبقات الحنابلة ٢٩٩/١ ، مناقب الإمام أحمد ص ١٤٠ ،المنهج الأحمد ٣٣٦/١ .

(٦) طبقات الحنابلة /٢٩٩ .

(٧) هو أبو العباس القطان المخرمى ، قال الخطيب : كان ثقة . توفى سنة أربع وثلاث مئة ، ت/بغداد ١٦٤/٤ ، ٢٨٧ .

(٨) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص : ٢٥٠ .

٢٢١ - محمد بن سليمان الجوهرى قال :قال لى أبو عبد الله : وإياك ومن أحدث حدثا ثالثا فقال باللفظ الكلام فيه لايحل،القرآن كلام الله غير مخلوق من جميع الجهات[١] .

٢٢٢ - الحسن بن محمد أنه قال لأبى عبد الله : فمن قال هذه المقالة يحذر عنه ؟ قال : أشد التحذير[٢] .

٢٢٣ - عبدوس بن مالك قال : سمعت أحمد يقول : وإياك ومناظرة من أحدث فيه ومن قال بلفظ وغيره[٣] .

٢٢٤ - مسدد بن مسرهد : كتب إليه أحمد : فآمركم أن لاتؤثروا على القرآن شيئا فإنه كلام الله عز وجل وماتكلم به فليس بمخلوق وما أخبر به عن القرون الماضية فغير مخلوق ومافى اللوح المحفوظ وما فى المصاحف وتلاوة الناس وكيفما قرىء وكيفما يوصف فهو كلام الله غير مخلوق[٤] .

٢٢٥ - ونقل عنه شاهين بن السميذع تكفيرهم . وجدت ذلك فى طبقات الحنابلة[٥] إذ يقول مؤلفه ابن أبى يعلى في ترجمة شاهين : نقل عن إمامنا أشياء منها : ما قرأته بخط أبى حفص البرمكى[٦] قال : قرأت على أبى مردك[٧] : حدثك على بن سعيد الخفاف[٨] حدثنا شاهين بن السميذع[٩] قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول : من قال لفظى بالقرآن مخلوق فهو كافر اهـ . قلت : ومراده من قال هذا القول قاصدا الملفوظ به الذى هو كلام الله

---

(١) السنة للخلال (ق ١٩٠/أ) .
(٢) نفس المصدر (ق ١٩٠/ ب) .
(٣) رسالة عبدوس (ق ٢/أ) .
(٤) طبقات الحنابلة ٣٤٢/١ .
(٥) طبقات الحنابلة ١٧٢/١ .
(٦) هو : عمر بن أحمد بن إبراهيم . قال عنه الخطيب : كان ثقة صالحا دينا ت/بغداد ٢٦٨/١١ .
(٧) هو : على بن عبد العزيز أبو الحسن ، قال الخطيب كان ثقة. وقال الصيرمى : ابن مردك أحد الصالحين ، ترك الدنيا عن مقدرة واشتغل بالعبادة . ت/بغداد ٣٠/١٢ .
(٨) لم أجد له ترجمة .
(٩) ذكره ابن الجوزى وابن أبى يعلى فيمن نقل عن أحمد .انظر : ترجمته ص : ٦٢ .

عز وجل يوضح هذا ما رواه البيهقى فى الاعتقاد[1] عن أبى عمرو الأديب[2] يقول : سمعت أبا بكر الإسماعيلى[3] يقول : سمعت عبد الله بن محمد بن ناجية[4] يقول :

٢٢٦ – سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول : سمعت أبى يقول : من قال لفظى بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فهو كافر . اهـ (*) .

٢٢٧ – ونقل عنه روايات فى مجانبتهم ومنع الصلاة خلفهم : عبد الله ابن أحمد بن حنبل[5] وابن هانىء[6] وأبو طالب[7] ويعقوب بن بختان[8] وأبو بكر المروذى[9] وهارون الحمال[10] ومحمد بن الحسن بن هارون[11] ويعقوب الدورقى[12] وحنبل بن إسحاق[13] ومحمود بن خداش الطالقانى[14] وصالح بن أحمد بن حنبل[15] ومحمد بن شداد الصفدى[16] .

---

(١) ص : ٦٧ .

(٢) قال الذهبى عند ترجمة البيهقى : وسمع من محمد بن محمد بن أحمد بن الأديب. السير ١٦٤/١٨ . فلعله هو ولم أجد له ترجمة فيما نظرته من المصادر .

(٣) هو : أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجرجانى ، ثقة حافظ مصنف . توفى سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة . سير أعلام النبلاء ١٩٢/١٦ .

(٤) قال عنه الخطيب : كان ثقة ثبتا . توفى سنة إحدى وثلاث مئة . ت/بغداد ١٠٤/١٠ ، سير أعلام النبلاء ١٦٤/١٤ .

(*) لأنه فى هذه الحالة لا فرق بينه وبين من يقول : القرآن مخلوق وسيأتى تفصيل ذلك التعليق .

(٥) انظر : السنة له ص : ٢٦ .

(٦) انظر : مسائل ابن هانئ ٣٥٢/٢ ، ١٥٢/٢ ، ١٥٤ ، والسنة للخلال (ق : ١٩١/ب) ومناقب أحمد لابن الجوزى ص : ٢٠٧ .

(٧) انظر : السنة للخلال (ق : ١٨٦/أ) .

(٨) انظر : المصدر السابق (ق : ١٨٦/ب) .

(٩) انظر : المصدر السابق وانظر : أيضا : (ق : ١٨٧/أ) .

(١٠) انظر : المصدر السابق (ق : ١٨٧/ب) .

(١١) انظر : المصدر السابق (ق : ١٨٨/ب) .

(١٢) انظر : المصدر السابق (ق : ١٨٨/ب) (ق : ١٨٩/أ) .

(١٣) انظر : المصدر السابق (ق : ١٨٩/ب) (ق : ١٩١/ب) .

(١٤) انظر : المصدر السابق (ق : ١٩١/ب) (ق : ١٩٤/ ب) ومناقب أحمد لابن الجوزى ص : ٢٠٧ – ٢٠٨ .

(١٥) انظر : السنة للخلال (ق : ١٩١/ب) ، ومناقب أحمد لابن الجوزى ص : ٢٠٥ .

(١٦) انظر : طبقات الحنابلة ٢٩٩/١ .

التعليق :

بدعة اللفظية هذه ظهرت في زمن الإمام أحمد ، وأول من نطق بها أبو علي الكرابيسي[1] .

قال الإمام الطبري : «وأما القول فى ألفاظ العباد بالقرآن فلا أثر فيه نعلمه عن صحابى مضى ولاتابعى قضى ، إلا عمن فى قوله الغناء والشفاء رحمة الله عليه ورضوانه . وفى اتباعه الرشد والهدى ومن يقوم قوله لدينا مقام قول الأئمة الأولى ، أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضى الله عنه » اهـ.[2]

وقد اشتد إنكار الإمام أحمد على من قال هذه المقولة وعد اللفظية جهمية ، وهى قد تكون ذريعة يتستر خلفها من يعتقد أن القرآن مخلوق . حيث أنه لاداعى لهذه المقولة المبتدعة : ' فالقرآن الكريم كلام الله عز وجل غير مخلوق وفى كل موضع وبكل جهة وعلى كل حال فهو كلام الله عز وجل المتكلم به حقا لفظه ومعانيه[3] .

يقول ابن القيم : والذى قصده أحمد أن اللفظ يراد به أمران :
أحدهما : الملفوظ نفسه وهو غير مقدور للعبد ولافعل له .

---

(١) هو : الحسين بن على بن يزيد البغدادى ، صحب الشافعى وهو من كبار أصحابه . قال الخطيب : يعز وجود حديثه جدا لأن أحمد بن حنبل كان يتكلم فيه بسبب مسألة اللفظ . وكان هو أيضا يتكلم فى أحمد فتجنب الناس الأخذ عنه لهذا السبب . وقال ابن عبد البر: كان عالما مصنفا متقنا وكان نظارا جدليا وكان فيه كبر عظيم . توفى سنة ثمان وأربعين وقيل خمس وأربعين ومئتين .

قلت: انظر الروايات عن الإمام أحمد فى التحذير من الكرابيسى لأجل بدعته فى مسائل ابن هانئ ١٥٤/٢، وفى طبقات الحنابلة ٤١/١ من رواية أحمد بن أبى بكر المقرئ : ٧٥/١ من رواية أحمد ابن محمد الصائغ، ٢٣٣/١ من رواية على بن أبى خالد، ٢٨٨/١ من رواية محمد بن الحسن بن هارون، ٤١٤/١ من رواية يعقوب بن إبراهيم الدورق. وانظر: سيرة الكرابيسى فى ت/بغداد ٦٤/٨، وميزان الاعتدال ٥٤٤/١، وسير أعلام النبلاء ٧٩/١٢، والتهذيب ٣٩/٢، وطبقات الشافعية للسبكى ١١٧/٢ .

(٢) صريح السنة للطبرى ص: ٢٥-٢٦ .

(٣) انظر: تذكرة الحفاظ للذهبى ٧٤٨/٢، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٩٨/١٢، ٣٠٦-٣٠٨، ٣٧٣، ٥٦٧ .

والثانى : التلفظ به والأداء له فعل العبد .
فإطلاق الخلق على اللفظ قد يوهم المعنى الأول وهو خطأ وإطلاق نفى الخلق عليه قد يوهم المعنى الثانى وهو خطأ فمنع الإطلاقين .[1]

ويزيدنا شيخ الاسلام ابن تيمية إيضاحا للمسألة فيقول :

« ... وأيضا إذا قرأ الناس كلام الله فالكلام فى نفسه غير مخلوق إذا كان الله قد تكلم به ، وإذا قرأه المبلغ لم يخرج عن أن يكون كلام الله ، فإن الكلام كلام من قاله مبتدئا أمرا يأمر به ، أو خبرا يخبره ، ليس هو كلام المبلغ له عن غيره ، إذ ليس على الرسول إلا البلاغ المبين ، وإذا قرأه المبلغ فقد يشار إليه من حيث هو كلام الله فيقال هذا كلام الله مع قطع النظر عما بلغه به العباد من صفاتهم . وقد يشار إلى نفس صفة العبد كحركته وحياته وقد يشار إليهما فالمشار إليه الأول غير مخلوق ، والمشار إليه الثانى مخلوق ، والمشار إليه الثالث فمنه مخلوق ومنه غير مخلوق ، وما يوجد فى كلام الآدميين من نظير هذا هو نظير صفة العبد لانظير صفة الرب أبدا ...
وما ينبغى أن يعرف كلام المتكلم فى نفسه واحد ،وإذا بلغه المبلغون تختلف أصواتهم به ، فإذا أنشد المنشد قول لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

كان هذا الكلام كلام لبيد لفظه ومعناه ، مع أن أصوات المنشدين له تختلف ، وتلك الأصوات ليست صوت لبيد . وكذلك من روى حديث النبى صلى الله عليه وسلم بلفظه ، كقوله : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى[2] » . كان هذا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظه ومعناه ويقال لمن رواه : أدى الحديث بلفظه وإن كان صوت المبلغ ليس هو صوت الرسول فالقرآن أولى أن يكون كلام الله لفظه ومعناه وإذا قرأه القراء فإنما يقرؤونه بأصواتهم .

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ٢/٣١٠ .
(٢) رواه البخارى ١/٩، ومسلم ٣/١٥١٥ .

ولهذا كان الإمام أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة يقولون : من قال اللفظ بالقرآن أو لفظى بالقرآن مخلوق فهو جهمى ومن قال أنه غير مخلوق فهو مبتدع . وفى بعض الروايات عنه : من قال لفظى بالقرآن مخلوق يعنى به القرآن فهو جهمى لأن اللفظ يراد به مصدر لفظ يلفظ لفظا ومسمى هذا فعل العبد وفعل العبد مخلوق ويراد باللفظ القول الذى يلفظ به اللافظ وذلك كلام الله لا كلام القارىء فمن قال إنه مخلوق فقد قال إن الله لم يتكلم بهذا القرآن وإن هذا الذى يقرؤه المسلمون ليس هو كلام الله ومعلوم أن هذا مخالف لما علم بالاضطرار من دين الرسول . وأما صوت العبد فهو مخلوق وقد صرح أحمد وغيره بأن الصوت المسموع صوت العبد و لم يقل أحمد قط : من قال صوتى بالقرآن مخلوق فهو جهمى[1] وإنما قال :من قال لفظى بالقرآن ، والفرق بين لفظ الكلام وصوت المبلغ له فرق واضح ، فكل من بلغ كلام غيره بلفظ ذلك الرجل فإنما بلغ لفظ ذلك الغير لا لفظ نفسه ، وهو إنما بلغه بصوت نفسه لا بصوت ذلك الغير ، ونفس اللفظ والتلاوة والقراءة والكتابة ونحو ذلك لما كان يراد به المصدر الذى هو حركات العباد وما يحدث عنها من أصواتهم وشكل المداد ، ويراد به نفس الكلام الذى يقرأه التالى ويتلوه ويلفظ به ويكتبه ، منع أحمد وغيره من إطلاق النفى والإثبات ، الذى يقتضى جعل صفات الله مخلوقة ، أو جعل صفات العباد ومدادهم غير مخلوق .

وقال أحمد : نقول القرآن كلام الله غير مخلوق حيث تصرف : أى حيث تلى وكتب وقرىء مما هو فى نفس الأمر كلام الله ، فهو كلامه ، وكلامه غير مخلوق وما كان من صفات العباد وأفعالهم التى يقرؤون ويكتبون بها كلامه كأصواتهم ومدادهم فهو مخلوق ، ولهذا من لم يهتد إلى هذا الفرق يحار ، فإنه معلوم أن القرآن واحد ويقرأه خلق كثير ، والقرآن لايكثر ويحدث فى نفسه بكثرة قراءة القراء ، وإنما يكثر ما يقرؤن به القرآن ، فما يكثر ويحدث فى العباد فهو مخلوق ، والقرآن نفسه لفظه ومعناه الذى تكلم الله به ، وسمعه جبريل من الله ،

---

(١) وانظر أيضاً مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٦٧/١٢، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٤٤، ٢٦٥، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣٦٣، ٣٩٥، ٤٢١-٤٢٢، ٤٢٦-٤٢٧، ٥٦٧-٥٦٨ .

وسمعه محمد من جبريل وبلغه محمد إلى الناس وأنذر به الأمم لقوله تعالى : ﴿ لأنذركم به ومن بلغ ﴾[1] قرآن واحد ، وهو كلام الله ليس بمخلوق[2] .

ويقول أيضا : والإمام أحمد قد نص على رد المقالتين - (أى من قال : لفظى بالقرآن مخلوق ومن قال : لفظى بالقرآن غير مخلوق) - وهو وسائر أئمة السنة من المستقدمين والمستأخرين ، لكن كان رده على « اللفظية النافية » أكثر وأشهر وأغلظ لوجهين :

أحدهما : أن قولهم يفضى إلى زيادة التعطيل النفى ، وجانب النفى - أبدا - شر من جانب الإثبات ، فإن الرسل جاءوا بالإثبات المفصل فى صفات الله ، وبالنفى المجمل : فوصفوه بالعلم والرحمة والقدرة والحكمة والكلام والعلو وغير ذلك من الصفات، وفى النفى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾[3] ﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾[4] وأما الخارجون عن حقيقة الرسالة : من الصابئة والفلاسفة، والمشركين وغيرهم ، ومن تجهم من أتباع الأنبياء ، فطريقهم « النفى المفصل » ليس كذا ليس كذا ، وفى الإثبات أمر مجمل ولهذا يقال : المعطل أعمى والمشبه أعشى . فأهل التشبيه مع ضلالهم خير من أهل التعطيل .

الوجه الثانى : أن أحمد إنما ابتلى بالجهمية المعطلة فهم خصومه ، فكان همه منصرفا إلى رد مقالاتهم ، دون أهل الإثبات ، فإنه لم يكن فى ذلك الوقت والمكان من هو داع إلى زيادة فى الإثبات ، كما ظهر من كان يدعو إلى زيادة فى النفى . والإنكار يقع بحسب الحاجة . والبخارى لما « ابتلى باللفظية المثبتة » ظهر إنكاره عليهم كما فى تراجم آخر كتاب الصحيح وكما فى كتاب « خلق أفعال العباد » مع أنه كذب من نقل عنه أنه قال : لفظى بالقرآن مخلوق من جميع أهل الأمصار[5] وأظنه حلف على ذلك . وهو الصادق البار »[6] .

---

(١) سورة الأنعام: ١٩ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ١٢/٦١-٧٥، وانظر أيضا: ١٢/١٧٠-١٧٢، ٥٣٤-٥٤٣ المصدر السابق .

(٣) سورة الشورى: ١١ .

(٤) سورة الإخلاص : ٤ .

(٥) انظر : مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم: ٢/٣٠٦-٣١٣ .

(٦) مجموع الفتاوى : ١٢/٤٣٢-٤٣٣ .

قول الإمام أحمد فيمن قال : لفظى بالقرآن غير مخلوق

قال أبو بكر الخلال :

٢٢٨ – أخبرنى محمد بن على الوراق قال : ثنا صالح قال : تناهى إلىّ أن أبا طالب يحكى عن أبى أنه يقول : لفظى بالقرآن غير مخلوق فأخبرت أبى بذلك فقال : من أخبرك . قلت : فلان . قال : ابعث إلى أبى طالب فوجهت إليه فجاء وجاء فوران[1] فقال له أبى : أنا قلت لكم لفظى بالقرآن غير مخلوق وغضب وجعل يرعد . فقال قرأت عليك : « قل هو الله أحد » فقلت لى : هذا ليس بمخلوق . قال له : لم حكيت عنى أنى قلت لك لفظى بالقرآن غير مخلوق وبلغنى أنك وضعت ذلك فى كتابك وكتبت به إلى قوم فإن كان فى كتابك فامحه أشد المحو واكتب إلى القوم الذين كتبت إليهم أنى لم أقل لك هذا وغضب وأقبل عليه فقال : تحكى عنى ما لم أقل فجعل فوران يعتذر إليه وانصرف من عنده وهو مرعوب . فعاد أبو طالب فذكر أنه حك ذاك من كتابه وأنه كتب إلى القوم يخبرهم أنه وهم على أبى عبد الله فى الحكاية[2] .

وقصة أبى طالب مع الإمام أحمد هذه مشهورة ومعروفة رواها أيضا أبو بكر المروذى وفوران وحنبل بن إسحاق[3] . ورواها أيضا إبراهيم بن أبان الموصلى[4] .لكن باختصار[5] .

٢٩٩ – وحكاها أبو طالب نفسه على وجه آخر إذ يقول : فقال لى – أى أحمد – حكيت عنى أنى قلت لفظى بالقرآن غير مخلوق . قال : إنما حكيت عن نفسى : قال لا تحك عنى ولا عنك هذا . ما سمعت عالما قال هذا . وقال :

---

(١) هو : عبد الله بن محمد بن المهاجر . انظر ترجمته ص : ١٩٠ .

(٢) السنة (ق ١٩٢/ب) وأخرجها ابن الجوزى فى مناقب أحمد ص ٥٣ من طريق آخر عن صالح .

(٣) انظر : السنة للخلال (ق ١٩٢/ب-١٩٣/ب) .

(٤) قال ابن أبى يعلى: عنده عن الإمام أحمد مسائل وذكره ابن الجوزى فيمن حدث عن أحمد ، طبقات الحنابلة ٩٣/١ ، مناقب أحمد ص : ١٢٧ ، والمنهج الأحمد ٣٦٩/١ .

(٥) المصدر السابق .

القرآن كلام الله حيث تصرف وعلى كل جهة[1] .

٢٣٠ - وكذلك أنكر أبو عبد الله على حمدون بن شداد[2] كما جاء في رواية أبي بكر المروذي ... جاءنا حمدون بن شداد بالرقعة فيها مسائل . فأدخلتها على أبي عبد الله فنظر فرأى فيها أن لفظي بالقرآن غير مخلوق مع مسائل فيها فقال أبو عبد الله : فيها كلام ما تكلمت به فقام من الدهليز فدخل فأخرج المحبرة والقلم وضرب أبو عبد الله على موضع لفظي بالقرآن غير مخلوق . وكتب أبو عبد الله بخطه بين الشطرين : القرآن حيث تصرف غير مخلوق . وقال : ما سمعت أحدا ذكر هذا بشيء وأنكر على من قال : لفظي بالقرآن غير مخلوق[3] ونقل ذلك فوران أيضا[4] .

٢٣١ - وفي رواية أحمد بن الحسن بن علي البزوري[5] قال : - أي البزوري - سمعت أبا عبد الله حين سأله رجل عن اللفظ فقال له : يا أبا عبد الله حكوا عنك بالكرخ أنك قلت : لفظي بالقرآن غير مخلوق . فوقف غضبان وقال: ما أكثر الكذب عليَّ ما قلت في هذا شيئا . ولا أقول إنما بلغني هذا الكلام فقلت : هذا كلام سوء . الله المستعان ودخل إلى منزله مغضبا[6] .

٢٣٢ - وفي رواية أبي بكر بن زنجويه[7] قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : من قال لفظه بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال : لفظه بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع لا يكلم[8] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) لم أجد له ترجمة ، وقد ذكر ابن أبي يعلى في الطبقات ١٥١/١ : حمدويه بن شداد وقال : نقل عن أحمد أشياء.اهـ فلعله هو .

(٣) انظر : الرواية بأكملها في : السنة للخلال (ق ١٩٣/ب-١٩٤/أ) .

(٤) المصدر السابق (ق : ١٩٤/أ) والروايتين والوجهين لأبي يعلى (ق ٢٥٢/أ) .

(٥) هو : أبو بكر الطبري البزوري . قال الخطيب : روى ببغداد عن محمد بن حميد الرازي حديث مواقف القيامة . وحدث به عنه أبو عمرو بن السماك . ت/بغداد ٨٤/٥ .

(٦) السنة للخلال (ق ١٩٤/أ) .

(٧) هو : محمد بن عبد الملك بن زنجويه ، ثقة ، توفي سنة ثمان وخمسين ومئتين ت/بغداد : ٣٤٥/٢ ، طبقات الحنابلة : ٣٠٦/١ ، تقريب ١٨٦/٢ .

(٨) المصدر السابق (ق : ١٩٤/ب) ونقلها القاضي في الروايتين والوجهين (ق : ٢٥٢/أ) .

٢٣٣ – قال أبو إسماعيل الترمذى : سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم يذكرون عنه أنه كان يقول : من قال : لفظى بالقرآن مخلوق فهو جهمى ومن قال هو غير مخلوق فهو مبتدع[١] .

٢٣٤ – وقال جعفر بن محمد النسائىُّ : صح عندى فى حياة أبى عبد الله أنه نهى أن يقال : لفظى بالقرآن غير مخلوق[٢] .

التعليق :

تقدم موقف الإمام أحمد من « اللفظية النافية » كما يسميهم ابن تيمية ويطلق عليهم أيضا « اللفظية الخلقية »[٣] . وفى التعليق السابق تُطُرِقَ إلى « اللفظية المثبتة » لاقتضاء الحال وهم من قالوا : لفظنا بالقرآن غير مخلوق . واتضح أن الإمام أحمد أنكر على الطائفتين وإن كان إنكاره على اللفظية النافية كان أشد وقد بين ابن تيمية سبب ذلك .

ولكن كيف بدأت هذه البدعة وما سبب نشوئها.

والجواب : أن هذه البدعة كانت نتاجا للمقولة الأولى بمعنى أنه لما أظهر الكرابيسى القول بأن اللفظ بالقرآن مخلوق أراد البعض معارضة هذه البدعة فجاءوا ببدعة أخرى إذ قالوا : ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة .

يقول ابن تيمية : « ... فقابلهم قوم أرادوا تقويم السنة فوقعوا فى البدعة وردوا باطلا بباطل ، وقابلوا الفاسد بالفاسد ، فقالوا : تلاوتنا للقرآن غير مخلوقة وألفاظنا به غير مخلوقة ، لأن هذا هو القرآن والقرآن غير مخلوق ولم يفرقوا بين الاسم المطلق والاسم المقيد فى الدلالة ، وبين حال المسمى إذا كان مجردا وحاله إذا كان مقرونا مقيدا[٤] . فأنكر الإمام أحمد على من قال : إن تلاوة العباد وقراءتهم وألفاظهم وأصواتهم غير مخلوقة وأمر بهجران هؤلاء كما جهم الأولين

---

(١) انظر : صريح السنة لابن جرير الطبرى ص : ٢٦ .
(٢) السنة للخلال (ق : ١٩٤/أ) ونقلها القاضى أبو يعلى فى الروايتين والوجهين (ق : ٢٥٢/أ) .
(٣) انظر : مجموع الفتاوى ٣٧٣/١٢ ، ٣٧٥ .
(٤) ذكر ابن تيمية لهم شبهة أخرى وأجاب عنها . انظر : مجموع الفتاوى ٢٦٣/١٢ – ٢٦٤ .

وبدعهم ... وقد قام أخص أتباعه « أبو بكر المروذى[1] » بعد مماته فى ذلك ، وجمع كلامه وكلام الأئمة من أصحابه وغيرهم مثل : عبد الوهاب الوراق ، والأثرم ، وأبى داود السجستانى ، والفضل بن زياد ، ومثنى بن جامع الأنبارى ، ومحمد بن إسحاق الصنعانى، ومحمد بن سهل بن عسكر وغير هؤلاء من علماء الإسلام وبين بدعة هؤلاء الذين يقولون : إن تلاوة العباد وألفاظهم بالقرآن غير مخلوقة[2] ... ومع هذا فكل واحدة من الطائفتين الذين يقولون لفظنا بالقرآن غير مخلوق والذين يقولون لفظنا وتلاوتنا مخلوقة ينتحل أبا عبد الله وتحكى قولها عنه وتزعم أنه كان على مقالتها لأنه إمام مقبول عند الجميع[3] ، ولأن الحق الذى مع كل طائفة يقوله أحمد والباطل الذى تنكره كل طائفة على الأخرى يرده أحمد، فمحمد بن داود المصيصى أحد علماء الحديث وأحد شيوخ أبى داود وجماعة فى زمانه كأبى حاتم الرازى وغيره يقولون : لفظنا بالقرآن غير مخلوق[4] . وتبعهم طائفة على ذلك كأبى عبد الله بن حامد[5] وأبى نصر السجزى وأبى عبد الله بن مندة وشيخ الإسلام أبى إسماعيل الأنصارى ، وأبى العلاء الهمدانى وأبى الفرج المقدسى وغير هؤلاء يقولون : إن ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة ويروون ذلك عن أحمد ، وأنه رجع إلى ذلك . كما ذكره أبو نصر فى كتابه « الإبانة » وهى روايات ضعيفة بأسانيد مجهولة لاتعارض ما تواتر عنه عند خواص أصحابه وأهل بيته والعلماء الثقات لا سيما وقد علم أنه فى حياته خطأ أبا طالب فى النقل عنه حتى رده أحمد عن ذلك وغضب عليه غضبا شديدا[6] .

وقد رأيت بعض هؤلاء طعن فى تلك النقول الثابتة عنه . ومنهم من حرفها لفظا ، وأما تحريف معانيها فذهب إليه طوائف فأما الذين ثبتوا النقل عنه ووافقوه

---

(١) انظر أيضا : مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٣٨/١٢ ، ٢٨١ .

(٢) انظر الروايتين والوجهين لأبى يعلى (ق : ٢٥٢/ب) .

(٣) انظر أيضا : مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٦٤/١٢ ، ٣٩٥ .

(٤) انظر أيضا : المصدر السابق ٢٠٧/١٢ ، ٢٣٨ .

(٥) انظر الروايتين والوجهين (ق ٢٥٢/ب)إذ نقل عنه القاضى أبو يعلى قوله : « لا بأس بإطلاق هذا القول لأن أحمد قد قطع بتكفير الواقفة التى تقول فى القرآن بأنه مخلوق ولا غير مخلوق . وإنما كره أحمد إطلاق هذا القول لأن السلف من أهل عصره ومن قبله امتنعوا عن ذلك » .

(٦) انظر أيضا : مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٠٧/١٢ - ٢٠٨ .

على إنكاره الأمرين وهم جمهور أهل السنة[1] ومن انتسب إليهم من أهل الكلام كأبى الحسن الأشعرى وأمثاله فإنه ذكر فى مقالات أهل السنة والحديث أنهم ينكرون على من قال : لفظى بالقرآن مخلوق ومن قال : لفظى بالقرآن غير مخلوق وأنه يقول بذلك .

لكن من هؤلاء من تأول كلام أحمد وغيره فى ذلك بأنه منع أن يقال إن القران يلفظ به[2] . اهـ .

قال – أى ابن تيمية – فى موضع آخر يرد هذا التأويل إن الإمام أحمد وغيره من الأئمة لم ينكروا قول القائل : لفظى بالقرآن مخلوق أوغير مخلوق لكون اللفظ الطرح ، فانه لو كان كذلك لما أنكروا إلا لمجرد ما يتصرف من حروف لفظ يلفظ ، وليس كذلك ، بل أنكروا على من قال : التلاوة والقراءة مخلوقة وعلى من قال : تلاوتى وقراءتى غير مخلوقة ، مع جواز قول المسلمين : قرأت القرآن وتلوته ، وأيضا فإنه يجوز أن يقال : لفظت الكلام وتلفظت به كما قال تعالى : ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾[3] ولكن الإمام أحمد وغيره من أئمة السنة قالوا : من قال لفظى بالقرآن وتلاوتى أو قراءتى مخلوقة فهو جهمى . ومن قال : إنه غير مخلوق فهو مبتدع ، لأن اللفظ والتلاوة والقراءة يراد به مصدر لفظ يلفظ لفظا ، ومصدر قرأ يقرأ قراءة وتلا يتلو تلاوة ومسمى المصدر هو فعل العبد وحركاته ، ليس هو بقديم باتفاق سلف الأمة وأئمتها . حتى القدرية القائلون بأن أفعال العباد غير مخلوقة يقولون إن ذلك ليس بقديم ويقولون إنه مخلوق لله[4] .

---

(١) قال القاضى أبو يعلى بن الفراء : « وقد صح عندنا أن أبا عبد الله نهى عن ذلك وقد روى عن على بن شعيب صاحب شعيب بن حرب ومحمد بن عبد الله المخرمى الحافظ ، وأبو الفضل العباس بن محمد الدورقى وهارون بن سفيان المستملى وعلى بن الحسن الحرورى ومحمد بن هشام المروذى وأبو يوسف يعقوب الكرخى وأبو الحسن محمد وعلى أبناء داود القنطرى وغير ذلك مما يطول شرحه بكراهية ذلك ومنعه » . الروايتان والوجهان : (ق : ٢٥٢/ب) .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٥٩/١٢ – ٣٦٢ وانظر ما بعدها أيضا .

(٣) سورة : ق/١٨ .

(٤) مجموع الفتاوى ٢١٠/١٢ وانظر رد ابن القيم على هذا التأويل وغيره فى مختصر الصواعق المرسلة ٣٠٩/٢ وما بعدها .

وزيادة فى الإيضاح يقول : وأما المنصوص الصريح عن الإمام أحمد ، وأعيان أصحابه ، وسائر أئمة السنة والحديث فلا يقولون مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا يقولون التلاوة هى المتلو مطلقا ، ولا غير المتلو مطلقا ، كما لا يقولون : الاسم هو المسمى ، ولاغير المسمى . وذلك أن التلاوة والقراءة كاللفظ قد يراد به مصدر تلى يتلو تلاوة ، وقرأ يقرأ قراءة ، ولفظ يلفظ لفظاً ، ومسمى المصدر هو فعل العبد وحركاته ، وهذا المراد باسم التلاوة والقراءة واللفظ مخلوق ، وليس ذلك هو القول المسموع : الذى هو المتلو . وقد يراد باللفظ الملفوظ وبالتلاوة المتلو وبالقراءة المقروء . وهو القول المسموع وذلك هو المتلو، ومعلوم أن القرآن المتلو : الذى يتلوه العبد ، ويلفظ به غير مخلوق ، وقد يراد بذلك مجموع الأمرين ، فلا يجوز إطلاق الخلق على الجميع ولا نفى الخلق عن الجميع[1] . اهـ .

وقد بينا سابقاً أن أبا طالب المكى غلط فى فهم مراد الإمام أحمد لما قرأ عليه ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وسأله : هل هذا كلام الله ، وهل هو مخلوق فأجابه بأنه كلام الله وأنه غير مخلوق ، فنقل عنه أنه قال : لفظى بالقرآن غير مخلوق ، يقول ابن تيميةموضحا مراد الإمام أحمد – بعد ذكره لهذه القصة ـــ: وهذا الذى ذكره أحمد من أحسن الكلام وأدقه ، فإن الإشارة إذا أطلقت انصرفت إلى المقصود وهو كلام الله الذى تكلم به لا إلى ما وصل به إلينا من أفعال العباد وأصواتهم . فإذا قيل : لفظى ، جعل نفس الوسائط غير مخلوقة وهذا باطل[2] .اهـ.

مما تقدم يتضح لنا دقة المسألة ، لأجل هذا لم يطلق الإمام أحمد فى المشهور عنه تكفيرهم واكتفى بتجهيم اللفظية النافية وتبديع اللفظية المثبتة وتجهيم اللفظية النافية لا يعنى بالضرورة تكفيرهم .

يقول ابن تيمية : ... كما أن الأئمة – كأحمد وغيره – كانوا يقولون : افترقت الجهمية على ثلاث فرق : فرقة يقولون القرآن مخلوق وفرقة تقف ولا

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٧٣/١٢ – ٢٧٤ .
(٢) مجموع الفتاوى ٢٨١/١٢ – ٢٨٢ وانظر أيضا ٢٤٢/١٢ ، ٢٦١ – ٢٦٤ وللمؤلف أيضا انظر :مذهب السلف القويم ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ٥٨/٣ ، ٥٩ .

تقول مخلوق ولا غير مخلوق . وفرقة تقول : ألفاظنا بالقرآن مخلوقة . ومن المعلوم أنهم إنما أرادوا بذلك افتراقهم فى مسألة القرآن خاصة ، وإلا فكثير من هؤلاء يثبت الصفات والرؤية ، والاستواء على العرش وجعلوه من الجهمية فى بعض المسائل : أى أنه وافق الجهمية فيها ، ليتبين ضعف قوله ، لا أنه مثل الجهمية ولا أن حكمه حكمهم فإن هذا لا يقوله من يعرف ما يقول . ولهذا عامة كلام أحمد إنما هو يجهم اللفظية ، لا يكاد يطلق القول بتكفيرهم كما يطلقه بتكفير المخلوقية[1] .وقد نسب إلى هذا القول غير واحد من المعروفين بالسنة والحديث[2]

قول الإمام أحمد فى الواقفة

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل :

٢٣٥ - سمعت أبى رحمه الله يقول : من كان من أصحاب الحديث أو من أصحاب الكلام فأمسك عن أن يقول : القرآن ليس بمخلوق فهو جهمى[3] .

** - الروايات عن الإمام أحمد فى الإنكار على الواقفة وتبديعهم وتجهيمهم كثيرة نقلها :**

٢٣٦ - **أبو داود قال** : سمعت أحمد سئل : هل لهم رخصة أن يقول الرجل كلام الله ثم يسكت . قال : ولم يسكت لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت ولكن حيث تكلموا لأى شيء لا يتكلمون[4] .

٢٣٧ - سمعت أحمد قيل له : أن فلانا يعنى هذا الرجل روى عنك انك أمرته أن يقف قال : وأنا لم أثبته معرفة إلا بعد وأنه ربما سألنى الإنسان عن الشيء فأقف لا أقف إلا كراهية الكلام فيه[5] .

---

(١) الذين قالوا : القرآن مخلوق .

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/٢٠٦ .

(٣) السنة (ظ : ق ٩/أ) وفى المطبوع ص ٢٩ وأخرجه الخلال فى السنة (ق ١٥/أ) .

(٤) مسائل أبى داود ص : ٢٦٣ - ٢٦٤ وأخرجه الخلال فى السنة (ق ١٥١/ب) .

(٥) مسائل أبى داود ص ٢٦٤ .

٢٣٨ - وأخرج الخلال بسنده عن أبي داود قال : قلت لأحمد إن ابن أبي شيبة روى عنك أنك أمرته أن يقف وذكر هذا الكلام [(١)] . وانظر نحو هذا في رواية مهنا وأبي بكر الأثرم وإبراهيم بن الحارث العبادي [(٢)] .

٢٣٩ - **مهنا بن يحيى قال** :قلت لأحمد بن حنبل : أي شيء تقول في القرآن ؟ قال : كلام الله وهو غير مخلوق . قلت : إن بعض الناس يحدثني عنك أنك تقول : كلام الله وتسكت قال : من قال ذا فقد أبطل [(٣)] .

٢٤٠ - ابنه عبد الله قال : سمعت أبي رحمه الله سئل عن الواقفة فقال أبي : من كان يخاصم ويعرف بالكلام فهو جهمي ومن لم يعرف بالكلام يجانب حتى يرجع ومن لم يكن له علم يسأل يتعلم .

٢٤١ - سئل أبي وأنا أسمع عن اللفظية والواقفة فقال : من كان منهم جاهلا ليس بعالم فليسأل وليتعلم .

٢٤٢ - سمعت أبي وسئل عن اللفظية والواقفة فقال : من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي وقال مرة أخرى هم شر من الجهمية [(٤)] .

٢٤٣ - **محمد بن إسماعيل السلمي قال** : قال أبو عبد الله : الواقف الذي يبصر الكلام ويعرف هو جهمي والذي لايبصر ولا يعرف يبصر [(٥)] .

٢٤٤ - **أبو بكر المروذي قال** : سألت أبا عبد الله عن رجل من الواقفة (بياض في الأصل) - وقد تركت عدة روايات بسبب الطمس الكثير - ويتكلم قال : هذا داعية هذا جهمي ...

---

(١) السنة(ق ١٥١/ب) .
(٢) في المصدر السابق (ق ١٥٢ - ١٥٣) .
(٣) انظر : المصدر السابق (ق : ١٥١/ب) .
(٤) انظر : لما تقدم السنة لعبد الله ص : ٤١٣ والرواية الأولى والثالثة أخرجها الخلال في السنة (ق١٥١/أ) .
(٥) شرح أصول السنة ٣٥٤/٢ .

٢٤٥ – سألت أبا عبد الله عن (بياض فى الأصل) **يقول غير مخلوق** قال : أنا أقول كلام الله قال : يقال له : إن العلماء يقولون غير مخلوق فإن أبى **فهو** جهمى[١] .

٢٤٦ – **صالح بن على الحلبى**[٢] **أنه** : قال لأبى عبد الله ما تقول فيمن وقف قال : لا أقول خالق ولا مخلوق ؟ قال – أى أحمد – هو مثل من قال القرآن مخلوق (بياض فى الأصل) .

٢٤٧ – **محمد بن يحيى**[٣] **أنه قال** : لأبى عبد الله : الشكاك عندك بمنزلة الجهمية قال : من كان منهم يتكلم فهو جهمى .

٢٤٨ – **محمد بن مسلم بن وارة أن أبا عبد الله قيل له فالواقفة قال : أما من** كان لا يعقل فإنه يبصر وإن كان يعقل ويبصر الكلام فهو مثلهم .

٢٤٩ – **يعقوب بن بختان قال** : سألت أبا عبد الله عن الرجل يقف قال : هذا عندى شاك مرتاب[٤] .

٢٥٠ – **أبو الحارث الصائغ قال** : سألت أبا عبد الله قلت : إن بعض الناس يقول إن هؤلاء الواقفة هم شر من الجهمية . قال : هم أشد على الناس تربيتا من الجهمية هم يشككون الناس وذلك أن الجهمية قد بان أمرهم وهؤلاء قد استمالوا العامة إنما هذا يصير إلى قول الجهمية .

٢٥١ – قال وسمعته يسأل عمن قال : القرآن كلام الله **وأسكت قال**. لا ، هذا شاك ، لا حتى يقول غير مخلوق[٥] .

٢٥٢ – **شاهين بن السميذع قال** : سمعت أبا عبد الله يقول : الواقفة شر من الجهمية[٦] .

---

(١) السنة للخلال (ق ١٥١/أ) .
(٢) قال ابن أبى يعلى : نقل عن إمامنا أشياء ط/الحنابلة ١٧٧/١ .
(٣) لعله الكحال .
(٤) الروايات الأربع فى السنة للخلال (ق : ١٥١/أ) .
(٥) السنة للخلال (ق ١٥٢/أ) .
(٦) طبقات الحنابلة ١٧٢/١ .

٢٥٣ - أحمد بن محمد بن الليث[١] **قال** : سئل أحمد بن حنبل - وأنا حاضر - عن الواقفة فقال : الواقفة والجهمية واللفظية عندنا سواء[٢] .

٢٥٤ - ونقل عنه روايات فى مجانبتهم ومنع الصلاة خلفهم : أبو داود[٣] وابن هانىء[٤] وأبو طالب[٥] ويعقوب بن يوسف المطوعى[٦] وحنبل بن إسحاق[٧] وصالح بن أحمد بن حنبل[٨] وعبدوس بن مالك[٩] .

وكفرهم في رواية:

٢٥٥ - أبي طالب قال : (قال) أحمد : ومن وقف فهو كافر .

٢٥٦ - يعقوب بن يوسف المطوعى قال : (قال) أحمد : ومن شك فهو كافر[١٠] .

٢٥٧ - سلمة بن شبيب قال : (قال) أحمد : الواقفى لا تشكن فى كفره[١١] .

٢٥٨ - فى رواية أخرى : فقلت : ما تقول فيمن يقول القرآن كلام الله . فقال أحمد : من لم يقل القرآن كلام الله غير مخلوق فهو كافر . ثم قال :

---

(١) قال عنه الخطيب : حدث عن يعقوب الدورق ومحمود بن خداش . روى عنه عبد الله بن إبراهيم الجرجانى المعروف بالأبندونى . ت/بغداد ٨٤/٥ .
(٢) مناقب أحمد ص : ٢٠٥ .
(٣) انظر مسائل أبى داود ص : ٢٦٤ والسنة للخلال (ق ١٥٤/أ) .
(٤) انظر مسائل ابن هانئ ١٥٧/٢ .
(٥) انظر : السنة للخلال (ق ١٥١/أ - ١٥٢/ب) .
(٦) هو أبو بكر المطوعى . قال أبو بكر الخلال : كان له مسائل صالحة حسان . وقال الدارقطنى : ثقة فاضل مأمون . ت/بغداد ٢٨٩/١٤ ، طبقات الحنابلة ٤١٧/١ . والرواية فى السنة للخلال (ق : ١٥١/ب) .
(٧) المصدر السابق (ق ١٥١/ب - ١٥٢/أ) .
(٨) انظر : مناقب أحمد ص : ٢٠٧ - ٢٠٨ .
(٩) رسالة عبدوس (ق ٢/أ) .
(١٠) انظر : الروايتين فى السنة للخلال (ق ١٥١/ب) .
(١١) شرح أصول السنة للالكائى ٣٢٩/٢ .

لا تشكن فى كفرهم فإن لم يقل القرآن كلام الله غير مخلوق فهو يقول مخلوق ومن قال : هو مخلوق فهو كافر .

٢٥٩ – وفى أخرى : قلت لأحمد : الواقفة كفار ؟ فقال : كفار بالله عز وجل[١] .

التعليق :

الواقفة هم من وقفوا فى القرآن وأمسكوا فلم يقولوا بأنه غير مخلوق أو مخلوق . وهم أصناف :

فمنهم : من وقف مطلقا ولم يصرح بشيء مدعيا أن الأمر لم يتبين له . وهم من يسميهم السلف بالشاكة . وقد اشتد إنكار السلف عليهم . وعدهم الإمام أحمد جهمية بل إنه أطلق القول بتكفيرهم فى بعض الروايات عنه . وكذا فعل كثير من العلماء[٢] . لأن ادعاء عدم تبين الحق فى الغالب ذريعة يتستر خلفها من يعتقد بأن القرآن مخلوق . وهو – والله أعلم – ما عناه الإمام أحمد بقوله : الواقف الذى يبصر الكلام ويعرف فهو جهمي والذى لا يبصر ولا يعرف يبصر .

ومنهم من يقول : القرآن كلام الله فقط . وقد سبق أن بينا أن أئمة السلف كلهم يقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق . وهؤلاء اعتقدوا أن سلوكهم هذا أسلم . وقد سئل الإمام أحمد عن هؤلاء كما فى رواية أبى داود السابقة فقيل له : هل لهم رخصة أن يقول الرجل كلام الله ثم يسكت فقال : ولم يسكت لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت ولكن حيث تكلموا لأى شيء لا يتكلمون[٣] .

يقول ابن قتيبة رحمه الله : ليس فى غرائز الناس احتمال الإمساك عن أمر فى الدين قد انتشر هذا الانتشار وظهر هذا الظهور ، ولو أمسك عقلاؤهم ما

---

(١) مناقب الإمام أحمد ص : ٢٠٦ .
(٢) انظر : شرح أصول السنة للالكائى ٣٢٣/٢ – ٣٢٩ ، والشريعة للآجرى ص :٨٨ .
(٣) وانظر ما ذكره الدارمى فى الاحتجاج على الواقفة فى كتابه الرد على الجهمية ص : ٣٤٢ – ٣٤٥ ، ضمن عقائد السلف ورد الدارمى على المريسى ص : ١٠٨ .

أمسك جهلاؤهم ، ولو أمسكت الألسنة ما أمسكت القلوب ، وقد كان لهؤلاء أسوة فيمن تقدمهم من العلماء حين تكلم جهم ... فى القرآن و لم يكن دار بين الناس قبل ذلك ولا عرف ولا كان مما تكلم الناس فيه ، فلما فزع الناس إلى علمائهم لم يقولوا : هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها و لم يتكلفوها ، ولكنهم أزالوا الشك باليقين ، وجلوا الحيرة وكشفوا الغمة وأجمع رأيهم على أنه غير مخلوق فأفتوهم بذلك ، وأدلوا بالحجج والبراهين وناظروا ، وقاسوا واستنبطوا الشواهد من كتاب الله عز وجل ... وأما قولهم: هذه بدعة لم يتكلم الناس فيها فلا تتكلفوها فإنما يفزع الناس إلى العالم فى البدعة لا فيما جرت به السنة . وتكلم فيه الأوائل ولو كان هذا مما تكلم الناس فيه لاستغنى عنهم ، الكلام لا يعارض بالسكوت والشك لا يداوى بالوقوف ، والبدعة لا تدفع إلا بالسنة . وإنما يقوى الباطل أن تبصره وتمسك عنه[1] .

قول الإمام أحمد فى الإيمان هل هو مخلوق أم لا

قال إسحاق بن إبراهيم بن هانىء :

٢٦٠ – سألت أبا عبد الله عن الإيمان مخلوق هو ؟ قال أبو عبد الله – وقرأ : ﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم ﴾[2] – أمخلوق هذا . ما هو والله مخلوق[3] .

وقال ابن أبى يعلى فى ترجمة إبراهيم بن الحكم القصار[4] : نقل عن إمامنا أشياء منها .

---

(١) الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة – ضمن عقائد السلف – ص :٢٤٦ – ٢٤٧ .

(٢) سورة البقرة /٢٥٥ ، وسورة آل عمران /٢ .

(٣) مسائل ابن هانئ :١٦٢/٢ .

(٤) قال الخطيب : حدث عن عبيد الله بن عمر القواريرى وعنه محمد بن مخلد ، وسكت عنه . ت/بغداد ٥٦/٦ . وقال :« حكيم » بدل « الحكم » .

٢٦١ - قال : سئل أحمد بن محمد بن حنبل عن الإيمان : مخلوق أم لا ؟ قال : أما ماكان مسموعا فهو غير مخلوق . وأما ما كان من عمل الجوارح فهو مخلوق[١] .

٢٦٢ - ونقل أبو عبد الله بن حامد[٢] عن أبى طالب عن أبى عبد الله فى الإيمان : أن من قال مخلوق فهو جهمى ومن قال : أنه غير مخلوق فقد ابتدع ، وأنه يهجر حتى يرجع[٣] .

التعليق :

قبل الكلام عن الروايات المأثورة عن أحمد فى هل هو مخلوق أم لا يجدر التنبيه إلى أن هذه المسألة مرتبطة بمسألة اللفظ السابقة بل إنها نتيجة لتلك المقالة ، لذلك نجد فى رواية أبى طالب نهى الإمام أحمد عن كلا القولين ، كنهيه أن يقال لفظى بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق .

وهذا ما نصره أبو إسحاق بن شاقلا[٤] . يقول القاضى أبو يعلى بن الفراء : اعلم أنه لا يجوز إطلاق القول فى الإيمان أنه مخلوق أو غير مخلوق ، لأن من قال مطلقا أنه مخلوق أوهم أن كلام الله وأسماءه وصفاته مخلوقة ، ومن قال أنه غير مخلوق أوهم أن أفعال العباد قديمة غير مخلوقة ، وهذه طريقة أبى إسحاق بن شاقلا من أصحابنا[٥]

---

(١) طبقات الحنابلة ٩٣/١ - ٩٤ .
(٢) ستأتى ترجمته ص : ٢٦٠ .
(٣) المصدر السابق ١٧٦/٢ .
(٤) هو : إبراهيم بن أحمد بن بن عمر بن حمدان بن شاقلا . قال عنه الخطيب : أحد شيوخ الحنابلة قال لى أبو يعلى بن الفراء : كان رجلا جليل القدر حسن الهيئة كثير الرواية حسن الكلام فى الفقه . غير أنه لم يطل له العمر . توفى سنة تسع وستين وثلثمائة عن أربع وخمسين عاما . ت/بغداد ١٧/٦ ، طبقات الحنابلة ١٢٨/٢
(٥) مختصر المعتمد ص : ١٩١ .

ويقول أيضا : وقال أبو إسحاق بن شاقلا فيما وجدته معلقا بخطه مرات فى كتاب السنة جمع أبى بكر الخلال : أخبرنى محمد بن العباس[1] قال : سمعت أبا بكر بن صدقة[2] يقول : من قال الإيمان مخلوق فهو جهمى ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع . قال أبو إسحاق قلت أنا : فلا جائز أن يقال أنه مخلوق .. الصلاة من الإيمان وفيها القرآن فيكون قائل ذلك كافراً ولا جائز أن يقال : أنه غير مخلوق لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وأدناه إماطة الأذى عن الطريق[3] .ومن قال : إماطة الأذى عن الطريق غير مخلوق فقد زعم أن أفعال العباد غير مخلوقة وقائل ذلك كافر . فلا جائز أن يقال مخلوق ولا غير مخلوق ولأنه لم يقله أهل العلم قبلنا . فقد صرح بالقول بخلق الأفعال ونفى الخلق عن الأقوال إلا أنه توقف على إطلاق القول بالخلق فى الجملة والتفصيل[4] . اهـ .

وفى رواية إسحاق بن إبراهيم بن هانىء أنكر أن يكون مخلوقا وقرأ : ﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم ﴾ . لأن إطلاق القول بالخلق يقتضى أن يكون هذا مخلوقا وهذا كفر .

وفى رواية إبراهيم القصار فصّل الإمام أحمد المسألة حيث فرق بين ما يتعلق بكلام الله وصفاته وبين ما يتعلق بفعل العبد .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : وإذا قال الإيمان مخلوق أو غير مخلوق ؟ قيل له: ما تريد بالإيمان أتريد به شيئا من صفات الله وكلامه ، كقوله ﴿ لا إله إلا هو ﴾ وإيمانه الذى دل عليه اسم المؤمن فهو غير مخلوق ، أو تريد شيئا من أفعال العباد وصفاتهم فالعباد كلهم مخلقون وجميع أفعالهم وصفاتهم مخلوقة ، ولا يكون للعبد المحدث المخلوق صفة قديمة غير مخلوقة ولا يقول هذا من يتصور ما يقول ، فإذا حصل الاستفسار والتفصيل ظهر الهدى وبان السبيل ، وقد قيل

---

(١) لم أتمكن من تحديده .

(٢) هو :أحمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة ، الحافظ ، قال الدارقطنى : ثقة ثقة ، توفى سنة ثلاث وسبعين ومئتين . ت/بغداد ٥/٤٠ .

(٣) تقدم تخريجه انظر ص : ٨٤ .

(٤) الروايتان والوجهان (ق : ٢٥٣/أ) .

كثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء وأمثالها مما كثر فيه تنازع الناس بالنفى والإثبات ، إذا فصل فيها الخطاب ، ظهر الخطأ من الصواب[1] .

ما أثر عن الإمام أحمد فى حروف المعجم هل هى مخلوقة أم لا

قال القاضى أبو يعلى بن الفراء :

٢٦٣ - مسألة فى حروف المعجم التى يدور عليها كلام الآدميين هل هى مخلوقة أم لا . قال شيخنا أبو عبد الله[2] : المذهب أنها مخلوقة وقد قال أحمد : الآدمى وكلامه مخلوق وهذا كلام الآدمى فيجب أن تكون مخلوقة .

قال الشيخ أبو عبد الله : ورأيت طائفة تزعم أنها على المذهب قالوا : هى غير مخلوقة وركبوا فى الأسماء المحدثات مثل ذلك قال : وأصل هذا ما نقله أبو طالب عن أحمد وقد حكى له (قول) سرى السقطى[3] لما خلق الله الحروف سجدت له إلا الألف فقال : لاأسجد حتى أؤمر فقال : هذا كفر . فقد أنكر القول على الحروف .

ووجه هذا القائل : أن هذا الكلام كلام الله تعالى بقوله : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾[4] . وإذا كانت كلاما له لم تكن مخلوقة ومثل كلامه الذى هو القرآن .

---

(١) مجموع الفتاوى ٦٦٤/٧ .
وانظر : مسألة فى الإيمان من كلام أبى الحسن الأشعرى . وهى مخطوطة وتقع فى عدة ورقات لها صورة فى مكتبة فضيلة الشيخ حماد بن محمد الإنصارى وانظر أيضا : ما ذكره القاضى أبو يعلى حول هذه المسألة فى الروايتين والوجهين (ق : ٢٥٣) ، وفى مختصر المعتمد ص : ١٩١ فما بعدها .

(٢) هو : الحسن بن حامد بن على البغدادى المعروف بأبى عبد الله بن حامد قال عنه الذهبى : شيخ الحنابلة ومفتيهم ، مصنف كتاب « الجامع » فى عشرين مجلد فى الاختلاف . انظر ترجمته فى : ت/بغداد ٣٠٣/٧ ، طبقات الحنابلة ١٧١/٢ ، سير أعلام النبلاء ٢٠٣/١٧، البداية والنهاية ٣٤٩/١١ .

(٣) أبو الحسن البغدادى ، الصوفى ، توفى سنة إحدى أو ثلاث أو سبع وخمسين ومئتين . انظر ترجمته فى : ت/بغداد ١٨٧/٩ ،سير أعلام النبلاء ١٨٥/١٢ ، حلية الأولياء ١١٤/١٠ .

(٤) سورة البقرة /٣١ .

وهذا غلط لأن كلام الله تعالى ما كان وحيا أو من وراء حجاب كما أخبر . يعنى وليس بمعنى أن الله تعالى تكلم بذلك وقوله : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ ليس معنى أنه تكلم بها ويجوز أن يكون ألهمه تعليمها من غير قول[1] .

التعليق :

هذه المسألة بحثها باستفاضة شيخ الإسلام ابن تيمية وأبان مراد الإمام أحمد مما أثر عنه من روايات إذ يقول :

« ... فإن المنتسبين إلى السنة تكلموا فى حروف المعجم فى غير القرآن والكتب الإلهية ، وقال طوائف منهم : كابن حامد وأبى نصر السجزى والقاضى فى أشهر قوليه وابن عقيل وغيرهم : أنها مخلوقة ، وقالوا : الحروف حرفان . وقال طوائف وهم كثير من أهل الشام والعراق وخراسان: كالقاضى يعقوب البرزينى[2] ، والشريف أبى الفضائل الزيدى الحرانى[3] ويروى ذلك عن الشيخ أبى الحسين بن سمعون[4] وهو قول القاضى أبى الحسين[5] وحكاه عن أبيه[6] فى آخر قوليه وهو قول الشيخ أبى الفرج الأنصارى[7] والشيخ عبد القادر[8] وابن الزاغونى[9] وغيرهم : الحرف واحد ، وحروف المعجم غير مخلوقة حيث تصرفت لأنها من كلام الله وحقيقة الحرف واحدة لاتختلف .

وقد نقل عن الإمام أحمد رضى الله عنه الإنكار على من قال : بخلق الحروف ، وأنه لما حكى له : أن بعض الناس قال : لما خلق الله الحروف سجدت

---

(١) الروايتان والوجهان (ق : ٢٥٢/ب - ٢٥٣/أ) .
(٢) الحنبلى .تلميذ القاضى أبى يعلى . كان صاحب فنون . سير أعلام النبلاء ٩٣/١٩ .
(٣) لم أعرفه .
(٤) هو محمد بن أحمد . الواعظ المحدث . انظر السير ٥٠٥/١٦ .
(٥) ابن أبى يعلى . انظر ترجمته ص : ٣٢ .
(٦) انظر : ترجمته ص: ٤٦ .
(٧) الحنبلى ، عبد الواحد بن محمد . مصنف . انظر السير ٥١/١٩ .
(٨) الجيلى الصوفى . انظر : السير ٤٣٩/٢٠ .
(٩) انظر ترجمته ص : ٣٩٦ .

له إلا الألف . فقال الإمام أحمد : هذا كفر . وروى إنكار ذلك عن غيره من الأئمة . والأولون لا ينازعون فى هذا . فإنهم ينكرون على من يقول : إن الحروف مخلوقة فإنه إذا قال ذلك دخل فيه حروف كلام الله تعالى من القرآن وغيره وهم يخصون الكلام فى الحروف الموجودة فى كلام المخلوق ، دون الحروف الموجودة فى كلام الله ،ويقولون : حقيقة الحروف والاسم وإن كانت واحدة فذلك بمنزلة كلمات موجودة فى القرآن ، وقد تكلم بها بعض المخلوقين ، فالمتكلم تارة يقصد أن يتكلم بكلام غيره ، وإن وافقه فى لفظه بالنسبة إلينا ، وهذ لا يتأتى إلا فى الشيء اليسير ، وهو ما دون السورة القصيرة قال الأولون : فموافقة لفظ الكلام للفظ الكلام لايوجب أن يكون لأحدهما حكم الآخر فى النسبة إلى المتكلم المخلوق بحيث ينسب أحدهما إلى من ينسب إليه الآخر ، فكيف بالنسبة إلى الخالق ؟ بل لما كتب مسيلمة إلى النبى صلى الله عليه وسلم: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله رد عليه النبى صلى الله عليه وسلم « من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب » كان اللفظ برسول الله من المتكلمين سواء : من أحدهما صدق - ومن أعظم الصدق - ومن الآخر كذب ومن أقبح الكذب .

وقد ذكر الله عن الكفار مقالات سوء فى كتابه مثل قولهم ﴿ اتخذ الله ولدا ، ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ﴾[(١)] ، وقولهم ﴿ عزير ابن الله ﴾[(٢)] و ﴿ والمسيح ابن الله ﴾[(٣)] . وغير ذلك من الأقوال الباطلة ، وقد حكاها الله عنهم فإذا تكلمنا بما حكاه الله عنهم كنا متكلمين بكلام الله ولو حكيناه عنه ابتداء لكنا قد حكينا كلامهم الكذب المذموم ... وإذا كان كذلك فمن أدخل فى كلام له بعض لفظ أدخله غيره فى كلامه لم يوجب أن يكون هذا اللفظ من كلام ذلك المتكلم وإن كان أحد اللفظين شبيها بالآخر ، وهو بمنزلة من كتب حروفا تشبه حروف المصحف كتبها كلاما آخر لم يكن ذلك مما يوجب أن يكون من حروف المصحف، وقال الآخرون: مجرد الموافقة فى اللفظ لا يوجب أن يجعل حكم أحد اللفظين حكم الآخر ،

(١) سورة الكهف /٥ .
(٢) سورة التوبة /٣٠ .
(٣) سورة التوبة /٣٠ .

لكن إذا كان أحدهما أصلا سابقا إلى ذلك الكلام والآخر إنما احتذى فيه حذوه ومثاله : كان اللفظ والكلام منسوبا إلى الأول بمنزلة من تمثل بقول لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

أو بمثل من الأمثال السائرة كقوله : (... كل الصيد فى جوف الفراء) ونحو ذلك فهذا الكلام هو تكلم به فى المعنى الذى أراده ، لا على سبيل التبليغ عن غيره ، ومع هذا فهو منسوب إلى قائله الأول . فهكذا الحروف الموجودة فى كلام الله وإن أدخلها الناس فى كلامهم الذى هو كلامهم فأصلها مأخوذ من كلام الله .

قال الأولون هنا مقامان :

أحدهما : أن كل من أنطقه الله بهذه الحروف فإنما كان ذلك بطريق الاستفادة من كلام الله أو من استفادها من كلام الله . وهذه الدعوة العامة تحتاج إلى دليل فإن تعليم الله لآدم الأسماء أو إنزاله كتبه بهذه الحروف لا يوجب أن يكون لم ينطق غير آدم ممن لم يسمع الكتب المنزلة بهذه الحروف كما كانت العرب تنطق بهذه الحروف والأسماء قبل نزول القرآن ، والله تعالى أنزله بلسانهم الذى كانوا يتكلمون به قبل نزول القرآن .

المقام الثانى : أنه لو لم يكن أحد نطق بها إلا مستفيدا لها من كلام الله لكن إذا أنشأ بها كلاما لنفسه ولم يقصد بها قراءة كلام الله لم تكن فى هذه الحال من كلام الله كما لو فعل ذلك فى بعض الجمل المركبة وأولى ويدل على ذلك الأحكام الشرعية .

قال الآخرون – القائلون بأن حروف المعجم غير مخلوقة مطلقا – لنا فى الأسماء الموجودة فى غير القرآن قولان . منهم من يقول بأن جميع الأسماء غير مخلوقة كما يقول ذلك فى الحروف ، ومنهم من لا يقول ذلك ، وقد حكى القولين ابن حامد وغيره عمن ينتسب إلى مذهب الإمام أحمد وغيره من القائلين بأن حروف المعجم غير مخلوقة فمن عمم ذلك استدل بقوله تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ وهذه الحجة مبينة على مقدمتين :

إحداهما : أن مبدأ اللغات توقيفية وأن المراد بالتوقيف خطاب الله بها لاتعريفه بعلم ضرورى وهذا الموضع قد تنازع فيه الناس من أصحاب الإمام أحمد وسائر الفقهاء وأهل الحديث والأصول .

فقال قوم : إنها توقيفية وهو قول أبى بكر عبد العزيز[1] والشيخ أبى محمد المقدسى[2] وطوائف من أصحاب الإمام أحمد وهو قول الأشعرى[3] وابن فورك[4] وغيرهما .

وقال قوم : بعضها توقيفى وبعضها اصطلاحى وهذا قول طوائف منهم ابن عقيل[5] وغيره .

وقال قوم : يجوز فيها هذا وهذا ولا نجزم بشىء . وهذا قول القاضى أبى يعلى والقاضى أبى بكر بن الباقلانى[6] وغيرهما . ولم يقل : إنها كلها اصطلاحية إلا طوائف من المعتزلة ومن اتبعهم ورأس هذه المقالة أبو هاشم بن الجبائى[7] . والذين قالوا إنها توقيفية تنازعوا : هل التوقيف بالخطاب أو بتعريف ضرورى أو كليهما، فمن قال : إنها توقيفية والتوقيف بالخطاب فإنه ينبنى على ذلك أن يقال : إنها غير مخلوقة لأنها كلها من كلام الله تعالى ، لكن نعلم قطعا أن فى أسماء الأعلام ماهو مرتجل وضعه الناس ابتداء فيكون التردد فى أسماء الأجناس .

وأيضا فإن تعليم الله لآدم بالخطاب لا يوجب بقاء تلك الأسماء بألفاظها فى ذريته بل المأثور أن أهل سفينة نوح لما خرجوا من السفينة أعطى كل قوم لغة وتبلبلت ألسنتهم . وهذه المسألة فيهاتجاذب والنزاع فيها بين أصحابنا وسائر أهل السنة يعود إلى نزاع لفظى فيما يتحقق فيه النزاع وليس بينهم والحمد لله خلاف محقق معنوى . وذلك أن الذى قال الحرف حرف واحد وأن حروف

---

(١) غلام الخلال . تقدمت ترجمته ص: ٤٤ .

(٢) لعله : ابن قدامة .

(٣) سبقت ترجمته ص: ٧٤ .

(٤) المتكلم محمد بن الحسن انظر سير أعلام النبلاء ٢١٤/١٧ .

(٥) ستأتى ترجمته ص: ٣٥٥ .

(٦) سبقت ترجمته ص: ٥٣ .

(٧) عبد السلام بن محمد المعتزلى انظر سير أعلام النبلاء ٦٣/١٥ .

المعجم ليست مخلوقة إنما مقصودهم بذلك أنها داخلة فى كلام الله وأنها منتزعة من كلام الله وأنها مادة لفظ كلام الله وذلك غير مخلوقة، وهذا لا نزاع فيه، فأما حرف مجرد فلا يوجد فى لا القرآن ولا فى غيره ولا ينطق بالحرف إلا فى ضمن ما يأتلف من الأسماء والأفعال وحروف المعانى ، وأما الحروف التى ينطق بها مفردة مثل : ألف ، لام ، ميم ، ونحو ذلك فهذه فى الحقيقة أسماء الحروف ، وإنما سميت حروفا باسم مسماها كما يسمى ضرب فعل ماض باعتبار مسماه ، ولهذا لما سأل الخليل[1] أصحابه كيف تنطقون بالزاء من زيد قالوا: نقول : زا . قال جئتم بالاسم وإنما يقال : زه

وليس فى القرآن من حروف الهجاء-التى هى أسماء الحروف إلا نصفها وهى أربعة عشر حرفا ، وهى نصف أجناس الحروف : نصف المجهورة ، والمهموسة ، والمستعلية ، والمطبقة والشديدة والرخوة وغير ذلك من أجناس الحروف وهو أشرف النصفين ، والنصف الآخر لا يوجد فى القرآن إلا فى ضمن الأسماء أو الأفعال أو حروف المعانى – التى ليست باسم ولا فعل ، فلا يجوز أن نعتقد أن حروف المعجم بأسمائها جميعا موجودة فى القرآن ، لكن نفس حروف المعجم التى هى أبعاض الكلام موجودة فى القرآن ، بل قد اجتمعت فى آيتين إحداهما فى آل عمران والثانية فى سورة الفتح : ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم ﴾[2] الآية ، و ﴿ محمد رسول الله ﴾[3] الآية .

وإذا كان كذلك فمن تكلم بكلام آخر مؤلف من حروف الهجاء فلم ينطق بنفس الحروف التى فى لفظ القرآن ، وإنما نطق بمثلها وذلك الذى نطق به قد يكون هو أخذه ، وإذا ابتدأ من لفظ كلام الله تعالى وقد لا يكون حقيقة .

قيل : الحرف من حيث هو شيء واحد له الحقيقة المطلقة التى لا تأليف فيها لا توجد لا فى كلام الله تعالى ولا فى كلام عباده ، وإنما الموجود الحرف

---

(١) الخليل بن أحمد ، الأزدى الفراهيدى ، أبو عبد الرحمن البصرى ، اللغوى ، صاحب العروض ، والنحو ، صدوق ، عالم ، عابد ، مات بعد الستين ومئة وقيل سنة ١٧٠ وبعده ، تقريب ٢٨/١ .

(٢) سورة آل عمران /١٥٤ .

(٣) سورة الفتح /٢٩ .

الذى هو جزء من اللفظ أو اسمه إذا لم يوجد إلا حرف ، ولكن هذا المطلق بل الأعيان الموجودة فى الخارج قائمة بأنفسها ، كالإنسان لا يوجد مجردا عن الأعيان فى الأعيان ، لا يوجد مجردا عن الأعيان إلا فى الذهن، لافى الخارج، فكيف بالحرف الذى لا يوجد فى الخارج إلا مؤلفا ، فلو قدر أنه يوجد فى الخارج غير مؤلف متعدد الأعيان كما يوجد الإنسان لم تكن حقيقته مطلقةمن حيث هى هى موجودة إلا فى الأذهان لا فى الأعيان .

فتبين أن الحروف تختلف أحكامها باختلاف معانيها واختلاف المتكلم بها ، وهذا أوجب تعظيم حروف القرآن المنطوقة والمسطورة وكان لها من الأحكام الشرعية ما امتازت به عما سواها ، واختلاف الأحكام إنما كان لاختلاف صفاتها وأحوالها .

فتبين أن الواجب أن يقال ما قاله الأئمة كأحمد وغيره : أن كلام الإنسان كله مخلوق حروفه ومعانيه ، والقرآن غير مخلوق حروفه ومعانيه . وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله : أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته »[1] وقال الربيع بن أنس عن المسيح أنه قال : « عجبا لهم كيف يكفرون به وهم يتقلبون فى نعمائه ويتكلمون بأسمائه »[2] .

وذكر فى معظم حروف المعجم أنها مبانى أسماء الله الحسنى ، وكتبه المنزلة من السماء ، وهذا مما يحتج به من قال : ليست مخلوقة ، وليس بحجة ، فإن أسماء الله من كلامه وكلامه غير مخلوق ، وما اشتقه هو من أسمائه فتكلم به فكلامه به غير مخلوق وأما إذا اشتقوا اسما أحدثوه فذلك الاسم هم أحدثوه ولا يلزم إذا كان المشتق منه غير مخلوق، أن يكون المشتق كذلك . وما يروى عن المسيح فلا يعرف ثبوته عنه ، وبتقدير ثبوته فإذا كان قد ألهم عباده أن يتكلموا بالحروف التى هى مبانى أسمائه التى تكلم بها لم يلزم أن يكون ما أحدثوه هم غير مخلوق[3] .

---

(١) انظر : فتح البارى ٤١٧/١٠ ؛ وصحيح مسلم ١٩٨٠/٤ - ١٩٨١ .
(٢) وهذه الأخبار لايجوز الاعتماد عليها ، وهو ما سيبينه ابن تيمية .
(٣) مجموع الفتاوى ٤٤١/١٢ - ٤٥١ .

وقال رحمه الله فى موضع آخر :

ولما تكلموا فى « حروف المعجم » صاروا بين قولين طائفة فرقت بين المتماثلين فقالت الحرف حرفان هذا قديم وهذا مخلوق ... فأنكر ذلك عليهم الأكثرون وقالوا هذا مخالفة للحس والعقل فإن حقيقة هذا الحرف هى حقيقة هذا الحرف وقالوا الحرف حرف واحد ... وذكر القاضى يعقوب أن كلام أحمد يحتمل القولين . وهؤلاء تعلقوا بقول أحمد لما قيل له أن سريا السقطى قال : لما خلق الله الأحرف سجدت له إلا الألف فقالت لا أسجد حتى أومر فقال أحمد : هذا كفر .وهؤلاء تعلقوا من قول أحمد بقوله : كل شىء من المخلوقين على لسان المخلوقين فهو مخلوق ، وبقوله : لو كان كذلك لما تمت صلاته بالقرآن كما لا تتم بغيره من كلام الناس .
وبقول أحمد لأحمد بن الحسن الترمذى : ألست مخلوقا قال بلى . قال : أليس كل شىء منك مخلوقا ؟ قال : بلى . قال فكلامك منك وهو مخلوق[1] .

قلت : الذى قاله أحمد فى هذا الباب صواب يصدق بعضه بعضا وليس فى كلامه تناقض ، وهو أنكره على من قال : إن الله خلق الحروف ، فإن من قال إن الحروف مخلوقة كان مضمون قوله : إن الله لم يتكلم بقرآن عربى وأن القرآن العربى مخلوق ، ونص أحمد أيضا على أن كلام الآدميين مخلوق ، و لم يجعل منه شيئا غير مخلوق ، وكل هذا صحيح والسرى إنما ذكر ذلك عن بكر بن خنيس[2] العابد فكان مقصودهما بذلك : أن الذى لا يعبد الله إلا بأمره هو أكمل ممن يعبده برأيه من غير أمر من الله واستشهدا على ذلك بما بلغهما أنه لما خلق الله الحروف سجدت له إلا الألف ... وهذا الأثر لا يقوم بمثله حجة فى شىء ... وأحمد أنكر قول القائل إن الله لما خلق الحروف وروى عنه أنه قال : من قال أن حرفا من حروف المعجم مخلوق فهو جهمى ، لأنه سلك طريقا إلى البدعة ، ومن قال إن ذلك مخلوق فقد قال إن القرآن مخلوق[3] .

---

(١) انظر ص : ٢٠٠ .

(٢) صدوق له أغلاط أفرط فيه ابن حبان وفيه من الناحية الحديثية كلام كثير . تقريب ١/١٠٥ ، تهذيب ٨١/١ .

(٣) انظر :مجموع الفتاوى لابن تيمية ٨٣/١٢ - ٨٦ .

وقال أيضا[1] : ولا ريب أن من جعل نوع الحروف مخلوقا بائنا عن الله كائنا بعد أن لم يكن لزم عنده أن يكون كلام الله العربى والعبرى ونحوهما مخلوقا[2] .

ويقول فى موضع آخر : فمن قال أن حروف المعجم كلها مخلوقة وأن كلام الله تبارك وتعالى مخلوق فقد قال قولا مخالفا للمعقول الصريح والمنقول الصحيح . ومن قال : إن الحرف المعين أو الكلمة المعينة قديمة العين فقد ابتدع قولا باطلا فى الشرع والعقل . ومن قال : إن جنس الحروف التى تكلم الله بها بالقرآن وغيره ليست مخلوقة وإن الكلام العربى الذى تكلم به ليس مخلوقا والحروف المنتظمة منه جزء منه ولازمة له وقد تكلم الله بها فلا تكون مخلوقة فقد أصاب[3] .

---

(١) أى ابن تيمية .

(٢) المصدر السابق ١٢/١٦٠ .

(٣) المصدر السابق ١٢/٥٤ –٥٥ .وللمزيد انظر نفس المصدر ١٢/٣٧ – ٤١ ، ٥٣ –٧٣ ، ٧٦ ، ١٥٨ – ١٦٠ ، ٣٢٤ ، ٣٦٨ ، ٤١٣ ، ٥٧١ ، ومختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ٢/٣٠٤ وما بعدها .

مسائل الأسماء والصفات

قول الإمام أحمد فى : « أسماء الله عز وجل »

قال أبو داود :

٢٦٤ – سمعت أحمد ذكر له رجل أن رجلا قال : إن أسماء الله مخلوقة . قال أحمد : كفر بين[١] . اهـ .

٢٦٥ – وفى رواية عبد الملك الميمونى : أنه قال لأبى عبد الله : ما تقول فيمن قال إن أسماء الله عز وجل محدثة فقال : كافر ، ثم قال لى : « الله » من أسمائه ... فأعظم أمرهم عنده وجعل يكفرهم وقرأ علىَّ : ﴿ الله ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ وقرأ آية أخرى[٢] .

٢٦٦ – وفى رواية أحمد بن محمد بن جامع الرازى قال : ثنا أبو زرعة[٣] قال : ثنا أحمد بن حنبل قال : ثنا أبو أسامة ، عن مجالد ، عن أبى الوداك ، عن أبى سعيد (الخدرى) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لتغلبن مضر عباد الله حتى لا يبقى لله اسم يعبد أو ليغلبنهم عباد الله حتى لا يمنعوا ذنب تلعة[٤] .

قال أبو زرعة قال أحمد بن حنبل : أسماء الله غير مخلوقة . أما ترى أنه قال حتى لا يبقى لله اسم يعبد[٥] .

---

(١) مسائل أبى داود (ظ : ص : ٢٤٦ وفى المطبوع ص : ٢٦٢ وأخرجها الخلال فى السنة (ق ١٥٨/أ) وذكرها أبو يعلى بن الفراء فى إبطال التأويل .

(٢) السنة للخلال (ق : ١٥٥/ب) ونقلها القاضى أبو يعلى فى إبطال التأويل (ق : ٢٨٨/أ) .

(٣) هو : عبد الرحمن بن عمرو النصرى ، ثقة حافظ مصنف ، قال أبوبكر الخلال : كان عالما بأحمد وسمع منه كثيرا وسمع من أبى عبد الله مسائل مشبعة محكمة .طبقات الحنابلة ٢٠٥/١ ، تقريب ٤٩٣/١ .

(٤) المسند ٨٦/٣ – ٨٧ .

(٥) السنة للخلال (ق ١٥٨/ب) وانظر نفس المصدر (ق ١٥٧/أ–ب) والرد على الجهمية لأحمد (ق : ٢٥) .

٢٦٧ - وقد روى أن رجلا أراد الخروج إلى طرسوس فقال لأحمد رضى الله عنه : زودنى دعوة فإنى أريد الخروج إلى طرسوس فقال : قل : يا دليل الحيارى دلنى على طريق الصادقين ، واجعلنى من عبادك الصالحين[١] .

التعليق :

مذهب السلف على وجوب إثبات أسماء الله عز وجل إثباتا حقيقيا بألفاظها ومعانيها ما جاء منها فى القرآن الكريم أو السنة الصحيحة قال تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾[٢] وقال جلا وعلا : ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ماتدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾[٣] وقد أنكر الجهمية أسماء الله عز وجل ونفوها وزعموا أنه لا يجوز تسمية الله عز وجل باسم يصح إطلاقه على المخلوق . مدعين أن ذلك يقتضى التشبيه لأجل هذا أثبتوا بعض الأسماء التى رأوا أنها لا يجوز أن تكون مشتركة بين الخالق والمخلوق . كالمحيى والمميت والخالق والقادر ... مع أنهم يطلقون الأسماء كلها على الله عز وجل على جهة المجاز[٤] . وهو إطلاق لا يجدى مع نفيهم حقيقة الاسم . أما ما ادعوه من أن إثباتها يستلزم التشبيه فهو خطأٌ واضح .

يقول ابن خزيمة فى الرد عليهم : وليس فى تسميتنا بعض الخلق ببعض أسامى (الله) بموجب عند العقلاء الذين يعقلون عن الله خطابه . أن يقال : إنكم شبهتم الله بخلقه إذ أوقعتم بعض أسامى الله على بعض خلقه . وهل يمكن عند هؤلاء الجهال حل هذه الأسامى من المصاحف أو محوها من صدور أهل القرآن أو ترك تلاوتها ... أليس قد أعلمنا منزل القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم

(١) مختصر المعتمد ص : ٦٨ وذكرها ابن تيمية فى مجموع الفتاوى وسيأتى مناسبة لإيرادها والتى قبلها فى التعليق .
(٢) سورة الأعراف/١٨٠ .
(٣) سورة الإسراء/١١٠ .
(٤) انظر : الفرق بين الفرق للبغدادى ص :٢١٢ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص : ١٢١ .

أنه الملك ، وسمى بعض عبيده ملكا . وخبرنا أنه السلام وسمى تحية المؤمنين بينهم سلاما فى الدنيا وفى الجنة فقال : ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام ﴾[1] ونبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم قد كان يقول بعد فراغه من تسليم الصلاة : « اللهم أنت السلام ومنك السلام »[2] . وقال عز وجل : ﴿ ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا ﴾[3] . فثبت بخبر الله أن الله هو السلام كما فى قوله : ﴿ السلام المؤمن المهيمن ﴾[4] ، وأوقع هذا الاسم على غير الخالق البارىء. وأعلمنا عز وجل أنه المؤمن وسمى بعض عباده المؤمنين فقال : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾[5] وقال : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ﴾[6] ، وقال : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾[7] وقال : ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ﴾[8]...[9]اهـ .

أما إنكار أحمد على من زعم أن أسماء الله مخلوقة وتكفيره فلأن هذا القول هو امتداد للقول بخلق القرآن .

يقول ابن تيمية: « اختلف» فى الاسم والمسمى هل هو هو أو غيره أو لا يقال: هو هو ، ولا يقال : هو غيره . أو هو له ؟ أو يفصل فى ذلك ؟ فإن الناس قد تنازعوا فى ذلك والنزاع اشتهر فى ذلك بعد الأئمة، بعد أحمد وغيره، والذى كان معروفا عند أئمة السنة أحمد وغيره: الإنكار على الجهمية الذين يقولون: أسماء الله مخلوقة. فيقولون: الاسم غير المسمى. وأسماء الله غيره وما كان غيره فهو مخلوق وهؤلاء هم الذين ذمهم السلف وغلظوا فيهم القول، لأن أسماء

---

(١) سورة الأحزاب/٤٤ .

(٢) أخرجه مسلم ٤١٤/١ من حديث ثوبان وعائشة رضى الله عنهما .

(٣) سورة النساء/٩٤ .

(٤) سورة الحشر /٢٣ .

(٥) سورة الأنفال/٢ .

(٦) سورة الحجرات/١٥ .

(٧) سورة الحجرات/٢٩ .

(٨) سورة الأحزاب/٣٥ .

(٩) التوحيد ص :٢٨ وانظر ما بعدها إلى ص ٣٦ .

الله من كلامه وكلامه غير مخلوق بل هو المتكلم به، وهو المسمى لنفسه بما فيه من الأسماء . والجهمية: يقولون: كلامه مخلوق وأسماؤه مخلوقة وهو نفسه لم يتكلم بكلام يقوم بذاته ولا سمي نفسه باسم هو المتكلم به . بل قد يقولون: إنه تكلم به ، وسمى نفسه بهذه الأسماء بمعنى أنه خلقها فى غيره لا بمعنى أنه نفسه تكلم بها الكلام القائم به . فالقول فى أسمائه هو نوع من القول فى كلامه ... والمقصود هنا أن المعروف عن أئمة السنة إنكارهم على من قال أسماء الله مخلوقة ، وكان الذين يطلقون القول بأن الاسم غير المسمى هذا مرادهم اهـ[1] .

والمسألة الأخرى : هل أسماء الله عز وجل محصورة بعدد معين أم لا . وهل هي توقيفية أم أنه يجوز أن يشتق له اسم ما دام لا يتعارض مع العقل والسمع .

أما العدد فقد روى البخارى[2] ومسلم[3] عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا ، من أحصاها دخل الجنة » . وأكثر العلماء على أن العدد الذى جاء به الحديث لا يقتضى الحصر لأسماء الله عز وجل وقد خالف فى ذلك البعض ومنهم ابن حزم رحمه الله[4] فأخذ بظاهر الحديث .

يقول ابن تيمية : هذا القول وإن كان قد قاله طائفة من المتأخرين كأبى محمد بن حزم وغيره . فإن جمهور العلماء على خلافه ، وعلى ذلك مضى سلف الأمة وأئمتها وهو الصواب لوجوه[5] .. اهـ .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٨٥/٦ - ١٨٧ . وانظر ما بعدها إلى ص : ٢١٢ ففيه بحث نفيس لهذه المسألة - أى الاسم والمسمى - وانظر أيضا : مقالات الإسلاميين للأشعرى ٢٥٢/١ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص : ١٣١ .

وينظر فى الرد على من قال : أسماء الله مخلوقة . رد الدارمى عثمان بن سعيد على المريسى ص : ٧ - ١٣ .

(٢) فى الصحيح ٣٧٧/١٣ .

(٣) فى الصحيح ٢٠٦٣/٤ .

(٤) المحلى ٣٦/١ .

(٥) مجموع الفتاوى ٤٨٢/٢٢ وانظر تلك الأوجه إلى ص : ٤٨٦ .

قال ابن حجر بعد أن أورد كلام ابن حزم: وهذا الذى قاله ليس بحجة على ما تقدم لأن الحصر المذكور عندهم باعتبار الوعد الحاصل لمن أحصاها، فمن ادعى على أن الوعد وقع لمن أحصى زائدا على ذلك أخطأ ولا يلزم من ذلك أن لا يكون هناك اسم زائد[1] اهـ .

ومما يدل على عدم الحصر ما رواه أحمد[2] والحاكم[3] عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال : اللهم إنى عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو أنزلته فى كتابك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى ... الحديث .

يقول الخطابى : فهذا يدلك على أن لله أسماء لم ينزلها فى كتابه حجبها عن خلقه ولم يظهرها لهم[4] .

ويقول أيضا : «إن لله تسعة وتسعين اسما» فيه إثبات هذه الأسماء المحصورة بهذا العدد وليس فيه نفى ما عداها من الزيادة عليها ، وإنما وقع التخصيص بالذكر لهذه الأسماء لأنها أشهر الأسماء ، وأبينها معانى وأظهرها ، وجملة قوله : « إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة» قضية واحدة لا قضيتان ، ويكون تمام الفائدة فى خبر « إن » فى قوله : « من أحصاها دخل الجنة » لا فى قوله : « تسعة وتسعين اسما » . وإنما هو بمنزلة قولك : إن لزيد ألف درهم أعدها للصدقة وهذا لا يدل على أنه ليس عنده من الدراهم أكثر من ألف درهم . اهـ[5] .

ثم هل هذه الأسماء توقيفية أم أنه يجوز أن يشتق له اسم ما دام لا يتعارض مع العقل والسمع على قولين :

---

(١) فتح البارى ٢٢١/١١ .
(٢) فى المسند ٣٩١/١ ، ٤٥٣ .
(٣) فى المستدرك ٥٠٩/١ .
(٤) شأن الدعاء ص : ٢٥ .
(٥) المصدر السابق ص : ٢٣ - ٢٤ .

الأول : أنه لا يجوز أن يسمى الله جل وعلا إلا بما ورد فى الكتاب والسنة فكما أنها لا تثبت إلا عن هذا الطريق فكذلك لا يصح أن يسمى إلا بما ثبت عن هذا الطريق . وهذا هو الذى يفيده كلام أحمد عندما قال : لا يوصف الله تبارك وتعالى بأكثر مما وصف به نفسه[1] .

قال القاضى أبو يعلى : وظاهر هذا أنه لا يجوز تسميته إلا بما سمى به نفسه أو سماه رسوله نصا . وهذا محمول على أنه لا يجوز تسميته بغير ذلك مما لا يثبت له معناه فى اللغة ، وقد منع منه السمع . اهـ[2] .

الثانى : جواز ذلك إذا لم يتعارض مع العقل والسمع - .

يقول القاضى أبو يعلى : ويجوز أن يسمى الله تعالى بكل اسم ثبت له معناه فى اللغة ودل العقل والتوقيف عليه إلا أن يمنع من ذلك سمع وتوقيف ، ولا يقف جواز تسميته على نص كتاب أو سنة أو إجماع . لأن أحمد قد أجاز تسميته سبحانه دليلا ويدعى به ، وقد أجاز أحمد تسميته بذلك لأن معناه المرشد[3] .

ويقول ابن تيمية : ويفرق بين دعائه والإخبار عنه فلا يدعى إلا بالأسماء الحسنى . وأما الإخبار عنه فلا يكون باسم سيىء . لكن قد يكون باسم حسن أو باسم ليس بسيىء وإن لم يحكم بحسنه مثل اسم شيىء ، وذات ، وموجود ، إذا أريد به الثابت وأما إذا أريد به الموجود عند الشدائد فهو من الأسماء الحسنى وكذلك المريد والمتكلم ، فإن الإرادة والكلام تنقسم إلى محمود ومذموم ، فليس ذلك من الأسماء الحسنى بخلاف الحكيم والرحيم والصادق ونحو ذلك . فإن ذلك لا يكون إلا محمودا[4] .

---

(١) انظر قوله فى الصفات ص ٢٧٦ .
(٢) مختصر المعتمد ص : ٦٢ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) مجموع الفتاوى ١٤٢/٦ .

ويقول أيضا : وقد قال أحمد – رضى الله عنه – لرجل ودعه قل : يا دليل الحائرين دلنى على طريق الصادقين واجعلنى من عبادك الصالحين . اهـ[1] .

وهذا القول هو الأرجح خاصة إذا أخذ بالاعتبار تفريق ابن تيمية بين الدعاء والاخبار والله تعالى أعلم .

قول الإمام أحمد فى الصفات

(قال أبو بكر الخلال) :

٢٦٨ – حدثنا أبو بكر المروذى رحمه الله قال : سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التى تردها الجهمية فى الصفات والرؤية وقصة العرش فصححها أبو عبد الله وقال : قد تلقتها العلماء بالقبول . نسلم الأخبار كما جاءت قال : فقلت له أن رجلا اعترض فى بعض هذه الأخبار كما جاءت فقال : يجفى . وقال ما اعتراضه فى هذا الموضع يسلم الأخبار كما جاءت .اهـ[2] .

ونقل حنبل عنه رواية طويلة أخرجها أبو الخلال .

٢٦٩ – ...فهذه صفات الله سبحانه وتعالى وصف بها نفسه ولا ندفع ولا نرد[3] .

٢٧٠ – وعن حنبل – أيضا – قال : سمعت أبا عبد الله يقول : ولا يوصف الله بشىء أكثر مما وصف به نفسه عز وجل .[4]

---

(١) المصدر السابق ٤٨٤/٢٢ .

(٢) السنة (ق : ٣١/أ)وأخرجهما الآجرى فى الشريعة ص : ٣١٥ ، ونقلها أبو يعلى فى إبطال التأويلات (ق : ١٨٧/ب) وعنده ... قد تلقتها الأمة بالقبول وتمر الأخبار كما جاءت . وأخرجها ابنه كما فى الطبقات : ٥٦/١ ، كما فى إبطال التأويلات .

(٣) السنة (ق : ١٥٧/أ) .

(٤) ذكر محنة الإمام أحمد لحنبل بن إسحاق ص : ٦٨ ، ونقلها ابن القيم من كتاب السنة للخلال وزاد بلا حد ولا غاية .

٢٧١ - وقال أحمد : صفات الله له ومنه كما وصف نفسه لا تدركه الأبصار بحد ولا غاية وهو يدرك الأبصار.[١]

٢٧٢ - وهذه الرواية ذكرها عن حنبل ابن أبي يعلى[٢] واللفظ عنده : « نؤمن به ولا نرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال بل نؤمن بالله وبما جاء به الرسول قال الله عز وجل : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ .اهـ .

٢٧٣ - وفي رواية أبي طالب : أن أحمد قال : قلب العبد بين أصبعين وخلق آدم بيده وكلما جاء الحديث مثل ذلك قلنا به[٣] .

٢٧٤ - وفي رسالة عبدوس بن مالك قال : ...... فعليه الإيمان به والتسليم مثل أحاديث الرؤية كلها وإن نبت عن الأسماع واستوحش منها المستمع وإنما عليه الإيمان بها وأن لايرد منها حرفا واحدا . وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات[٤] .

٢٧٥ - وقال حنبل بن إسحاق في موضع آخر عن أحمد : ليس كمثله شيء في ذاته كما وصف نفسه قد أجمل الله الصفة فحد لنفسه صفة ليس يشبهه شيء وصفاته غير محدوده ولا معلومة إلا بما وصف به نفسه ، فهو سميع بصير بلا حد ولا قدر ولا يبلغ الواصفون صفته ، ولا يتعدى القرآن والحديث فنقول كما قال ونصفه بما وصف به نفسه ولا يتعدى ذلك ولا يبلغ صفته الواصفون نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ولا نزيل عنه صفة من صفاته بشناعة شنعت وما وصف به نفسه من كلام ونزول وخلوه بعبده يوم القيامة ووضعه كنفه عليه فهذا كله يدل على أن الله سبحانه يرى في الآخرة . والتحديد في هذا كله بدعة والتسليم فيه بغير صفة ولا حد إلا ما وصف به نفسه سميع بصير لم يزل متكلما عالما غفورا ، عالم الغيب والشهادة علام الغيوب ، فهذه صفات وصف بها نفسه

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ، ص : ٨٢ نقلا عن كتاب السنة لأبي بكر الخلال . من رواية حنبل .
(٢) في طبقات الحنابلة ١٤٤/١ .
(٣) إبطال التأويلات (ق ٢٦/أ) .
(٤) رسالة عبدوس (ق١/ب) .

لا ندفع ولا نرد وهو على العرش بلا حد كما قال تعالى : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ كيف شاء المشيئة إليه والاستطاعة إليه ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء تعالى عما يقول الجهمية والمشبهة[1] .

التعليق :

يتضح مما تقدم من روايات عن الإمام أحمد مذهبه فى الصفات بصورة عامة وهو مذهب السلف : وجوب إثبات ما أثبته الله عز وجل لنفسه من الصفات سواء منها : ما جاء فى القرآن الكريم أو فى السنة الصحيحة .

يقول ابن تيمية : قال الإمام أحمد رضى الله عنه : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث[2] .اهـ.

وقال الخطابى : إن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ونفى الكيفية والتشبيه عنها ، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله ، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا فى ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف وإنما القصد فى سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين ودين الله بين الغالى فيه والجافى والمقصر عنه .

والأصل فى هذا : إن الكلام فى الصفات فرع على الكلام فى الذات ويحتذى فى ذلك حذوه ومثاله . فإذا كان معلوما أن إثبات البارى سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية ، فكذا إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف[3] .

وقال ابن عبد البر : أهل السنة مجموعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها فى القرآن والسنة ، والإيمان بها ، وحملها على الحقيقة ، لا على المجاز ،

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ص : ٨٣ . نقلا من كتاب السنة للخلال .

(٢) مجموع الفتاوى ٥/٢٦ وذكر نحوه ابن قدامة فى لمعة الاعتقاد ص : ٩ . وروى عن أحمد هذا القول عدة من أصحابه كما تقدم ص : ٢٨٩ .

(٣) مجموع الفتاوى ٥/٥٨ .

إلا إنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ، ولا يحدون فيه صفة محصورة ، وأما أهل البدع : الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرونها ، ولا يحملون شيئا منها على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقر بها مشبه ، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون : بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهم أئمة الجماعة[1] .اهـ.

ويقول ابن تيمية : سئل مالك بن أنس ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾[2] كيف استوى ؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال : الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أراك إلا مبتدعا ، ثم أمر به فأخرج . وجميع أئمة الدين : كابن الماجشون ، والأوزاعى ، والليث بن سعد ، وحماد بن زيد والشافعى وأحمد بن حنبل وغيرهم : كلامهم يدل على ما دل عليه كلام مالك ، من أن العلم بكيفية الصفات ليس بحاصل لنا ، لأن العلم بكيفية الصفة فرع على العلم بكيفية الموصوف ، فإذا كان الموصوف ، لا تعلم كيفيته امتنع أن تعلم كيفية الصفة[3] .

ويقول فى موضع آخر : وجماع القول فى إثبات الصفات هو القول بما كان عليه سلف الأمة وأئمتها وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ويصان ذلك عن التحريف والتمثيل والتكييف والتعطيل ، فإن الله ليس كمثله شيء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ، فمن نفى صفاته كان معطلا ومن مثل صفاته بصفات مخلوقاته كان ممثلا ، والواجب إثبات الصفات ونفى مماثلتها لصفات المخلوقات ، إثباتا بلا تشبيه وتنزيها بلا تعطيل ، كما قال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ فهذا رد على الممثلة ، ﴿ وهو السميع البصير ﴾ رد على المعطلة فالممثل يعبد صنما والمعطل يعبد عدما[4] .اهـ.

ويقول أيضا : مذهب أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف : أن هذه الأحاديث تمر كما جاءت ويؤمن بها وتصدق .

---

(١) المصدر السابق ٨٧/٥ .

(٢) سورة طه /٥ .

(٣) مجموع الفتاوى ٣٩٨/٦ - ٣٩٩ .

(٤) المصدر السابق ٥١٥/٦ .

وتصان عن تأويل يفضى إلى تعطيل ، وتكييف يفضى إلى تمثيل[1] .اهـ

وبعد هذه المقدمة الموجزة فى الصفات ومذهب السلف فيها بصورة عامة يجدر هنا أن أشير إلى تقسيم السلف رحمهم الله للصفات ، ثم أتبعه بموقف الفرق من الصفات بشكل عام .

فالسلف جعلوا الصفات على قسمين :

١ – صفات ذاتية لا تنفك عن الذات ، بل هى لازمة لها أزلا وأبدا ولا تتعلق بها مشيئته وقدرته . منها ما هو عقلى ومنها ما هو خبرى .

٢ – صفات فعلية ، تتعلق بها مشيئته وقدرته كل وقت وآن وتحدث بمشيئته وقدرته منها ما هو عقلى ومنها ما هو خبرى .

والصفات الذاتية على قسمين :-

أ – **عقلية** : أى أن الاستدلال عليها يحصل بالعقل فيقترن فى معرفتها السمع والعقل : كصفة الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر ...

ب – **خبرية** : أى أن الاستدلال عليها وإثباتها لا يمكن إلا عن طريق النص كصفة اليدين .

والصفات الفعلية على قسمين أيضا :

أ – **عقلية** : كصفة الخلق والرزق ... فيشترك فى معرفتها السمع والعقل .

ب – **خبرية** : كالاستواء والنزول والإتيان والمجىء...

هذا تقسيم السلف للصفات .

أماالأشاعرة فيجعلون الصفات على أربعة أقسام :

نفسية ، وسلبية ، ومعان ، ومعنوية[2] .

وأختم حديثى – كما أشرت آنفا – بموقف الفرق من الصفات بصورة

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/٣٥٥ .

(٢) انظر : تعريفات هذه الأقسام الأربعة فى : شرح أم البراهين للسنوسى ص : ٢٥ ، وحاشية الدسوقى على أم البراهين ص : ٩٣ ، وحاشية البيجورى على متن السنوسية ص : ١٩ ، وحاشية الصاوى على شرح الخريدة البهية ص : ٥٩ .

عامة : يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : وجماع الأمر أن الأقسام الممكنة فى آيات الصفات وأحاديثها « ستة أقسام » كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة .

قسمان يقولان : تجرى على ظواهرها .

وقسمان يقولان : هى على خلاف ظاهرها .

وقسمان يسكتون .

إما الأولون فقسمان :

أحدهما : من يجريها على ظاهرها ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين فهؤلاء المشبة ومذهبهم باطل أنكره السلف .

الثانى : من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله ، كما يجرى ظاهر اسم العليم والقدير والرب والإله ... ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله ، فإن ظواهر هذه الصفات فى حق المخلوق إما جوهر محدث وإما عرض قائم به . فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك ، فى حق العبد أعراض ، والوجه واليد والعين فى حقه أجسام ، فإذا كان الله موصوفا عند عامة أهل الإثبات بأن له علما وقدرة وكلاما ومشيئة - وإن لم يكن ذلك عرضا ، يجوز عليه ما يجوز على صفات المخلوقين - جاز أن يكون وجه الله ويداه صفات ليست أجساما ، يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين .

وهذا هو المذهب الذى حكاه الخطابى وغيره عن السلف ، وعليه يدل كلام جمهورهم ، وكلام الباقين لا يخالفه ، وهو أمر واضح وأن الصفات كالذات فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات . فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات .

فمن قال : لا أعقل علما ويدا إلا من جنس العلم واليد المعهودين . قيل له : فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات المخلوقين . ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته ، فمن لم يفهم من صفات الرب - الذى ليس كمثله شيء - إلا ما يناسب المخلوق فقد ضل فى عقله ودينه .

وما أحسن ما قاله بعضهم : إذا قال لك الجهمى : كيف استوى أو كيف

ينزل إلى السماء الدنيا أو كيف يداه ونحو ذلك . فقل له : كيف هو ذاته ؟ فإذا قال لك لا يعلم ما هو إلا هو وكنه البارى تعالى غير معلوم للبشر . فقل له : فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف ، فكيف يمكن أن تعلم كيفية صفة لموصوف لم تعلم كيفيته . وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذى ينبغى لك ...

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها ، أعنى الذين يقولون : ليس لها فى الباطن مدلول هو صفة لله تعالى قط ، وإن الله لا صفة له ثبوتية ، بل صفاته إما سلبية وإما إضافية وإما مركبة منهما ، أو يثبتون بعض الصفات – وهى الصفات السبع أو الثمانية أو الخمسة عشر – أو يثبتون الأحوال دون الصفات ، ويقرون من الصفات الخبرية بما فى القرآن دون الحديث على ما قد عرف من مذاهب المتكلمين فهؤلاء قسمان :

قسم يتأولونها ويعنون المراد مثل قولهم : استوى بمعنى استولى ، أو بمعنى علو المكانة والقدر ، أو بمعنى ظهور نوره للعرش ، أو بمعنى انتهاء الخلق إليه إلى غير ذلك من معانى المتكلمين .

وقسم يقولون : الله أعلم بما أراد بها ، لكنا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية عما علمناه .

وأما القسمان الواقفان :

فقوم يقولون : يجوز أن يكون ظاهرها المراد اللائق بجلال الله ويجوز أن لا يكون المراد صفة الله ونحو ذلك . وهذه طريقة كثيرة من الفقهاء وغيرهم .وقوم يمسكون عن هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات .

فهذه الأقسام الستة لايمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها[1] .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ١١٣/٥ – ١١٧ .

قول الإمام أحمد فى صفة « العلم »

قال أبو بكر الخلال :-

٢٧٦ - أخبرنى عبد الملك أنه سأل أبا عبد الله عن من قال : إن الله كان ولا علم فتغير وجهه تغيرا شديدا . غيظة . ثم قال لى : كافر[١] .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل :-

٢٧٧ - سمعت أبى يقول : إذا قال الرجل العلم مخلوق فهو كافر لأنه يزعم أن الله لم يكن له علم حتى خلقه[٢] .

* نقل مثله عن أحمد : ابن هانىء[٣] ويعقوب بن إبراهيم الدورقى[٤] ومحمد ابن إسماعيل السلمى[٥] والحسن بن أيوب[٦] وإسماعيل بن عبد الله العجلى[٧] ، وغيرهم[٨] .

قال الإمام أحمد فى الرد على الجهمية ٢ (ق : ٢٤/ب) .

٢٧٨ - إذا أردت أن تعلم أن الجهمى لايقر بعلم فقل : إن الله تعالى يقول ﴿ ولا يحيطون بشىء من علمه ﴾[٩] وقال : ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه ﴾[١٠] . ﴿ فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ﴾[١١] ، قال ﴿ ما تخرج

---

(١) السنة : (ق ١٥٨/أ) .
(٢) السنة : (ق : ١/أ - وفى المطبوع ص : ٩) .
(٣) انظر : مسائل ابن هانئ ١٥٣/٢ ، ١٥٤ .
(٤) انظر : طبقات الحنابلة ٤١٤/١ .
(٥) انظر : شرح أصول السنة ٣٥٤/٢ .
(٦) انظر : المصدر السابق ٢٦٣/٢ .
(٧) أبو النضر ، مروزى الأصل ، سمع الإمام أحمد ونقل عنه مسائل كثيرة ، قال : النسائى : ليس به بأس . توفى سنة سبع ومئتين . ت/بغداد ٢٨٣/٦ ، ط/الحنابلة ١٠٥/١ ، المنهج الأحمد ٣٧٦/١ .
(٨) انظر : المصدر السابق (ق : ١٥٨) . ومحنة الإمام أحمد لحنبل بن إسحاق ص : ٤٢ ، والسنة لعبد الله بن أحمد ص : ١١٩ .
(٩) سورة البقرة /٢٥٥ .
(١٠) سورة النساء /١٦٦ .
(١١) سورة هود /١٤ .

من ثمرات من أكمامها ﴾[1] الآية . ويقال له تقر بعلم الله هذا الذى أوقفتك عليه بالأعلام والدلالات أم لا ؟ فإن قال ليس له علم كفر وإن قال لله علم محدث كفر حين يزعم أن الله قد كان فى وقت من الأوقات لايعلم حتى أحدث له علما فعلم . وإن قال : لله تعالى علم وليس بمخلوق ولا محدث رجع عن قوله وقال بقول أهل السنة .

وقال فى كتاب السنة له :

٢٧٩ – وهو يعلم ما فى السموات السبع والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى وما فى قعر البحار ومنبت كل شعرة وكل شجرة وكل زرع وكل نبات ومسقط كل ورقة . وعدد ذلك وعدد الحصى والرمل والتراب ومثاقيل الجبال وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ويعلم كل شىء . لايخفى عليه من ذلك شىء وهو على العرش فوق السماء السابعة[2] .

التعليق :

صفة العلم من صفات الذات العقلية ، والسلف رحمهم الله على : أن لله تعالى علما . وأن علمه أزلى بأزليته . وأنه عز وجل علم فى الأزل ما سيكون من دقيق وجليل . وهو عالم بمعلومات غير متناهية . وينفون أن يكون علم الله تعالى مخلوقا .

وقد جاء عن الإمام أحمد تكفير من زعم أنه مخلوق . وأوضح ما يترتب على هذا القول .

وسبق عند الكلام عن : « قول الإمام أحمد فيمن جحد العلم من القدرية » الحديث عن صفة العلم . وذكرت فى ذلك الموضع الأدلة المثبتة لهذه الصفة[3] .

---

(١) سورة فصلت /٤٧ وتمامها : ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائى قالوا أذناك ما منا من شهيد ﴾ .

(٢) شذرات البلاتين ص : ٤٨ ، وانظر : طبقات الحنابلة ٢٨/١ .

(٣) انظر : ص : ٢٨٥ .

وإن كان الأمر فى غاية الوضوح ولله الحمد . فالمعرفة بأن الله عز وجل عالم بكل شيء بما كان وما سيكون أمر فطرى . ولا ينكر هذا إلا زنديق حتى القدرية الأولى الذين جحدوا أن الله يعلم الأشياء قبل وقوعها سرعان ما اندثر قولهم إما لرجوعهم عنه لبطلانه ووقاحته أو لأجل وقوف الأمة على مختلف نزعاتها فى طريقهم والإنكار عليهم[1] .

يقول شارح الطحاوية : والدليل العقلى على علمه تعالى أنه يستحيل إيجاد الأشياء مع الجهل ، ولأن إيجاده الأشياء بإرادته . والإرادة تستلزم تصور المراد ، وتصور المراد : هو العلم بالمراد ، فكان الإيجاد مستلزماً للإرادة والإرادة مستلزمة للعلم ، فالإيجاد مستلزم للعلم ولأن المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان ما يستلزم علم الفاعل لها، لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير علم ، ولأن من المخلوقات ماهو عالم والعلم صفة كمال ويمتنع أن لا يكون الخالق عالما . وهذا له طريقان : أحدهما أن يقال : نحن نعلم بالضرورة أن الخالق أكمل من المخلوق ، وأن الواجب أكمل من الممكن ونعلم ضرورة أنا لو فرضنا شيئين ، أحدهما عالم والآخر غير عالم - كان العالم أكمل ، فلو لم يكن الخالق عالما لزم أن يكون الممكن أكمل منه وهو ممتنع .

والثانى : أن يقال : كل علم فى الممكنات التى هى المخلوقات - فهو منه ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عاريا منه بل هو أحق به . والله تعالى له المثل الأعلى ، ولا يستوى هو والمخلوقات ، لا فى قياس تمثيلى ولا فى قياس شمولى ، بل كل ما ثبت للمخلوق من كمال فالخالق به أحق ، وكل نقص تنزه عنه مخلوق فتنزيه الخالق عنه أولى[2] .اهـ .

أعود وأقول أن هذه الصفة لا ينكرها إلا زنديق . والسلف ومن تبعهم من الكلابية والأشاعرة فى هذه المسألة يقولون : أن الله عز وجل عالم بعلم هو صفة له كما تقدم عند تقرير مذهب السلف .

---

(١) انظر : ص : ١٤٥ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٢٤٨ .

والمعتزلة يدعون : أنه عالم بعلم . وعلمه ذاته[1] . وهذا باطل .

وهم بقولهم هذا ينكرون أن يكون العلم صفة لله عز وجل والبعض منهم كالمريسى إذا سئل : هل لله علم يقول : لا يجهل . وعندما ناظره الإمام عبد العزيز المكى صاحب الإمام الشافعى فى هذه المسألة « وجعل يقرر السؤال له عن صفة العلم ، تقريرا له وبشر يقول : لا يجهل ، ولا يعترف له أنه عالم بعلم ، فقال الإمام عبد العزيز : نفى الجهل لايكون صفة مدح ... وقد مدح الله تعالى الأنبياء والملائكة والمؤمنين بالعلم ، لابنفى الجهل . فمن أثبت العلم فقد نفى الجهل ، ومن نفى الجهل لم يثبت العلم ، وعلى الخلق أن يثبتوا ما أثبته الله تعالى لنفسه ، وينفوا ما نفاه ويمسكوا عما أمسك عنه[2] .

---

(١) انظر : مقالات الإسلاميين للأشعرى ١/٢٤٥ ، وشرح الأصول الخمسة ص : ١٨٣ .
(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص : ١٤٧ - ١٤٨ .

قول الإمام أحمد فى صفة « الكلام »

٢٨٠ – نقل حنبل عنه فى رواية طويلة أخرجها أبو بكر الخلال : لم يزل الله عالما متكلماً[١] . اهـ .

وفى أخرى : لم يزل الله علما متكلما غفورا[٢] .

وذكر أبو يعلى بن الفراء عن حنبل عن أبى عبد الله : لم يزل الله متكلما[٣].

وكذا نقل ابنه بإسناد[٤] . ومثل هذا نقل : إبراهيم بن الحارث العبادى وأبو بكر أحمد بن هانئ[٥] .

٢٨١ – وفى معرض رده على الجهمية قال : بل نقول إن الله تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ولا نقول إنه قد كان ولا يتكلم حتى خلق كلاما[٦] .

٢٨٢ – وفى كتاب السنة قال : وكلم الله موسى تكليما من الله سمع موسى يقينا . ولم يزل متكلما عالما تبارك الله أحسن الخالقين[٧] .

٢٨٣ – وفى رسالة مسدد بن مسرهد قال : وأن الله كلم موسى تكليما واتخذ إبراهيم خليلا[٨] .

---

(١) انظر : السنة للخلال (ق : ١٥٧/أ) .
(٢) إبطال التأويلات (ق : ٢٤٤/أ) .
(٣) إبطال التأويلات (ق : ١٩٧/ب) .
(٤) طبقات الحنابلة ١٤٤/١ .
(٥) انظر : إبطال التأويلات (٢٤٤/أ) .
(٦) الرد على الزنادقة والجهمية (ق : ٢٢/أ) .
(٧) شذرات البلاتين ص : ٤٩ . وانظر : طبقات الحنابلة ٢٩/١ .
(٨) طبقات الحنابلة ٣٤٤/١ .

٢٨٤ - وفى رسالة عبدوس بن مالك قال : وأن الله يكلم العباد يوم القيامة ليس بينه وبينهم ترجمان[١] .

٢٨٥ - قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : قال أبى رحمه الله : حديث ابن مسعود رضى الله عنه : « إذا تكلم الله عز وجل سمع له صوت كجر السلسلة على الصفوان[٢] . قال أبى : وهذه الجهمية تنكره . وقال أبى : هؤلاء كفار يريدون أن يموهوا على الناس . من زعم أن الله عز وجل لم يتكلم فهو كافر . إلا إنا نروى الأحاديث كما جاءت[٣] .

٢٨٦ - قال أبو بكر الخلال : أخبرنى على بن عيسى أن حنبلا حدثهم قال : قلت لأبى عبد الله : الله يكلم عبده يوم القيامة ؟ قال : نعم ، فمن يقضى بين الخلائق إلا الله عز وجل ، يكلم عبده ويسأله . الله متكلم لم يزل الله متكلما يأمر بما يشاء ويحكم بما يشاء وليس له عدل ولا مثل كيف شاء وأين شاء[٤] .

قال الإمام أحمد فى كتابه : الرد على الجهمية :

(ق : ٢٠/ب) باب بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله كلم موسى .

٢٨٧ - قال أحمد رضى الله عنه : فقلنا لهم : لم أنكرتم ذلك فقالوا : إن الله لم يتكلم ولا يكلم إنما كون شيئا فعبر عن الله وخلق صوتا فأسمع وزعموا أن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان . فقلنا لهم : فهل يجوز لمكون أو غير الله أن يقول : ﴿ إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة

---

(١) رسالة عبدوس (ق : ٣/ب) وكذا فى رسالة محمد بن عوف . انظر : طبقات الحنابلة ٣١٢/١ .

(٢) تقدم تخريجه . انظر : ص : ٢١٧ .

(٣) السنة لعبد الله (ق : ٣٢/أ - وفى المطبوع ص : ٧٠ - ٧١ . وأخرجه النجار فى : الرد على من يقول القرآن مخلوق ص : ٣٣ عن عبد الله بن أحمد به .

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية ص : ٨٣ . نقلا عن كتاب السنة للخلال .

لذكرى ﴾[1] أو ﴿ إنى أنا ربك ﴾[2] فمن زعم ذلك فقد ادعى الربوبية ولو كان كما زعم الجهمى أن الله كون شيئا كان يقول ذلك المكون ﴿ يا موسى إنى أنا الله رب العالمين ﴾[3] لا يجوز له أن يقول : ﴿ إنى أنا الله رب العالمين ﴾ وقال الله : ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾[4] وقال : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ﴾[5] وقال : ﴿ إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى ﴾[6] فهذا منصوص القرآن .

وأما ما قالوا : إن الله لم يتكلم ولم يكلم فكيف بحديث الأعمش ، عن خيثمة ، عن عدى بن حاتم الطائى قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان »[7] .

وأما قولهم : إن الكلام لايكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان أليس قال الله تعالى للسموات والأرض : ﴿ ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ﴾[8] أترى أنها قالت بجوف وشفتين ولسان وأدوات ، وقال الله تعالى ﴿ وسخرنا مع داود الجبال يسبحن ﴾[9] أتراها (سبحت)[10] بفم وجوف ولسان وشفتين . والجوارح إذا شهدت على الكفار فقالوا : ﴿ لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء ﴾[11] أتراها أنها بجوف وفم وشفتين ولسان ولكن الله أنطقها كيف شاء فكذلك تكلم الله كيف شاء من غير أن نقول فم ولا لسان ولا شفتان ولا جوف .

---

(١) سورة طه /١٤ .
(٢) سورة طه /١٢ .
(٣) سورة القصص /٣٠ .
(٤) سورة النساء /١٦٤ .
(٥) سورة الأعراف /١٣٤ .
(٦) سورة الأعراف /١٤٤ .
(٧) أخرجه البخارى : ١١/٤٠٠ ، وأحمد ٤/٢٥٦ ، والترمذى ٤/٦١١ ، وابن ماجه ١/٦٦ .
(٨) سورة فصلت /٢١ .
(٩) سورة الأنبياء /٧٩ .
(١٠) ما بين القوسين ليس من الأصل والمثبت من المطبوع .
(١١) سورة فصلت /٢١ .

قال أحمد رضى الله عنه : فلما خنقته الحجج قال : إن الله كلم موسى إلا أن كلامه غيره . فقلنا : وغيره مخلوق . قال :نعم . فقلنا : هذا مثل قولكم الأول إلا أنكم تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون .

(ق ٢١/ب) وقلنا للجهمية: من القائل يوم القيامة: ﴿يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ﴾[١] أليس الله هو القائل : قالو يكون شيئا يعبر عن الله كما كون شيئا فعبر لموسى . فقلنا : فمن القائل : ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾[٢] أليس الله هو الذى يسأل . قالوا : هذا كله إنما يكون شيئا يعبر عن الله فقلنا لهم : قد أعظمتم على الله الفرية حين زعمتم أنه لايتكلم فشبهتموه بالأصنام التى تعبد من دون الله لأن الأصنام لا تتكلم ولا تنطق (ق ٢٢/أ) ولا تتحرك ولا تزول من مكان إلى مكان فلما ظهرت عليه الحجة قال : إن الله تعالى قد تكلم ولكن كلامه مخلوق . فقلنا : وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق فشبهتم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق ففى مذهبكم أن الله قد كان فى وقت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق التكلم وكذلك بنو آدم لا يتكلمون حتى خلق لهم كلاماً فجمعتم بين كفر وتشبيه فتعالى الله عن هذه الصفة علوا كبيرا[٣] .

(ق ٢٥/ب) وقلنا لهم : زعمتم أن الله لم يتكلم فبأى شىء خلق الله الخلق « قالوا » أموجود عن الله تبارك تعالى أنه خلق الخلق بقوله وكلامه . (قلنا) وحين قال : ﴿ إنما (ق ٢٦/أ) قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾[٤]. قالوا إنما معنى قوله: ﴿إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾. قلنا لهم : فلم أخفيتم ﴿ أن نقول له ﴾ قالوا : إنما معنى كل شىء فى القران معانيه قال الله مثل قول العرب : قال الحائط وقالت النخلة فسقطت والحائط

---

(١) سورة المائدة /١١٦ .
(٢) سورة الأعراف /٦ .
(٣) أورده ابن تيمية فى مجموع الفتاوى ١٥٣/٦ -١٥٥ .
(٤) سورة النحل /٤٠ .

والنخلة لا يقولان شيئا . فقلنا : فعلى هذا قستم . قالوا : نعم . قلنا : فبأى شيء خلق الخلق إن كان فى مذهبكم لم يتكلم ؟ فقالوا بقدرته . فقلنا : قدرته هى شيء . قالوا : نعم . فقلنا : قدرته من الأسماء [1] المخلوقة . قالوا : نعم . فقلنا : كأنه خلق خلقا بخلق وعارضتم القرآن وخالفتموه حين قال الله جل ثناؤه : ﴿ الله خالق كل شيء ﴾[2] فأخبر الله أنه يخلق وقال : ﴿ هل من خالق غير الله ﴾ أى بأنه ليس يخلق غيره وزعمتم أنه خلق الخلق غيره فتعالى الله عما تقوله الجهمية علوا كبيرا .

التعليق :

صفة الكلام لها ارتباط قوى بمسألة القول بخلق القرآن . لذا نجد النقول كثيرة عن الإمام أحمد فى إثبات هذه الصفة لله عز وجل . وما ذكرته عنه هنا . وما تقدم ذكره فى مسائل القرآن الكريم يوضح هذا بجلاء والذى عليه سلف الأمة أن الكلام صفة من صفات الله اللازمة لذاته[3] وأنه عز وجل متكلم – على ما يليق بجلاله – وكلامه قديم النوع، حادث الآحاد وأنه عز وجل لم يزل متكلما إذا شاء بما شاء كيف شاء ، وأنه يتكلم بحرف وصوت يسمعه من شاء من خلقه .

وقد ذكر الإمام أحمد ما يدل على ذلك من الكتاب والسنة . ونقض مزاعم الجهمية المنكرين هذه الصفة وبين بطلانها أوضح بيان[4] .

وبعد أن ذكرت مذهب أهل السنة بإيجاز أتعرض لآراء المخالفين . ثم وضح ما أوجزته من مذهب أهل السنة .

---

(١) فى المطبوع : الأشياء .
(٢) سورة الرعد /١٦ و سورة الزمر /٦٢ .
(٣) كما أنه صفة فعل أيضا . انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢١٩/٦ .
(٤) انظر : ما تقدم آنفا . وانظر أيضا : مسائل القرآن الكريم من ص : ١٨٩ إلى ص ٣٧٥ وانظر : ما احتج به أحمد على الجهمية من القرآن ص : ٩٠٤ .

يقول شارح الطحاوية : افترق الناس فى مسألة الكلام على تسعة أقوال :

أحدها : أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معانى إما من العقل الفعال عند بعضهم ، أو من غيره ، وهذا قول الصابئة والمتفلسفة .

ثانيها : أنه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه . وهذا قول المعتزلة .

ثالثها : أنه معنى واحد قائم بذات الله ، هو الأمر والنهى والخبر والاستخبار وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة وهذا قول ابن كلاب[(١)] ومن وافقه كالأشاعرة [(٢)] وغيره .

رابعها : أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة فى الأزل وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث .

خامسها : أنه حروف وأصوات لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلما ، وهذا قول الكرامية وغيرهم .

سادسها : أن كلامه يرجع إلى مايحدث من علمه وإرادته القائم بذاته ، وهذا يقوله صاحب المعتبر ويميل إليه الرازى فى المطالب العالية .

سابعها : أن كلامه يتضمن معنى قائما بذاته هو ما خلقه فى غيره وهو قول أبى منصور الماتريدى .

ثامنها : أنه مشترك بين المعنى القائم بالذات وبين ما يخلقه فى غيره من الأصوات . وهذا قول أبى المعالى ومن اتبعه[(٣)] .

(١) هو : عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصرى المتكلم، كانا يلقب كلابا لأنه كان يجر الخصم إلى نفسه ببيانه وبلاغته . قال الذهبى : صاحب التصانيف فى الرد على المعتزلة وربما وافقهم . اهـ .
وهو أول من عرف عنه القول بأن الكلام معنى واحد قائم بالنفس وأنه عز وجل لم يتكلم بصوت .
توفى فى حدود الأربعين ومئتين .
انظر ترجمته فى : الفهرست لابن النديم ص : ٢٣٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٧٤/١١ ، وطبقات الشافعية للسبكى ٢٩٩/٢ .
وانظر: مذهبه فى: مقالات الإسلاميين ٢٤٩/١، ٢٥٠، ٣٥٠، مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥٢٨/٦.

(٢) تقدم الكلام عن عقيدة أبى الحسن الأشعرى فأغنى عن إعادته هنا . راجع ص : ٧٤ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص : ١٧٩ - ١٨٠ .

هذه مقالات المخالفين فى هذه المسألة العظيمة سنتعرض لبعضها بالتحليل والنقد . فأقول وبالله التوفيق :-

أما القول الأول : فهو أفسد الأقوال وأعظمها بهتانا وكفرا . قال عز وجل : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء ﴾[1] .
وبطلان قول هؤلاء واضح لذا فلست بحاجة إلى التوسع فى نقضه .

وأصحاب القول الثانى : الجهمية والمعتزلة . أنكروا صفة الكلام وقالوا : إن معنى كونه متكلما أى خالقا للكلام فى غيره[2] .
وقد بينت بطلان هذا الكلام ونقلت عن الإمام أحمد وغيره ما يدحضه[3] .

أما القول الثالث : فهو للكلابية والأشاعرة - وبينهما فى هذه المسألة فرق فى أمرين سأبينهما إن شاء الله - إلا أنهم متفقون على : إنكار أن يكون لله كلاما حقيقيا . بل يرون أنه معنى قائم بالذات لا يتعلق بالقدرة والمشيئة بل هو لازم للذات لزوم الحياة والعلم .

ويحتجون على هذا بما روى عن عمر فى خبر بيعة الصديق وفيه : فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر رضى الله عنهما فكان عمر يقول : والله ما أردت بذاك إلا أنى قد هيأت كلاما أعجبنى . وفى رواية : كنت قد زورت مقالة أعجبتنى . فسمى تزوير الكلام فى نفسه كلاما قبل التلفظ به[4] .

كما تمسكوا بقول الشاعر - النصرانى - الأخطل فى البيت المنسوب إليه :

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما　　　جعل اللسان على الفؤاد دليلا

يقول ابن تيمية : الكلام صفة كمال ، فإن من يتكلم أكمل ممن لا يتكلم ،

---

(١) سورة الشورى /٥١ .
(٢) انظر : شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص : ٥٢٨ .
(٣) انظر : ص : ١٨٣ ، ٢٩٠ .
(٤) انظر : الأسماء والصفات للبيهقى ص : ٢٧٢ ، والإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد للجوينى ص : ١٠٤ .

كما أن من يعلم ويقدر أكمل ممن لا يعلم ولا يقدر ، والذى يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لايعلم ولا يقدر ، والذى يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يتكلم بمشيئته وقدرته ، وأكمل ممن تكلم بغير مشيئته وقدرته إن كان ذلك معقولا .
ثم يقول : إن أثبات كلام يقوم بذات المتكلم بدون مشيئته وقدرته غير معقول ولا معلوم ، والحكم على الشيء فرع عن تصوره . فيقال للمحتج بها : لا أنت ولا أحد من العقلاء يتصور كلاما يقوم بذات المتكلم بدون مشيئته وقدرته فكيف تثبت بالدليل المعقول شيئا لايعقل ...

وأيضا : فالكلام القديم النفسانى الذى أثبتموه لم تثبتوا ماهو . بل ولا تصورتموه وإثبات الشيء فرع من تصوره ، « فمن لم يتصور ما يثبته كيف يجوز أن يثبته[1] » ؟ ولهذا كان سعيد بن كلاب رأس هذه الطائفة وإمامها فى هذه المسألة لا يذكر فى بيانها شيئا يعقل . بل يقول : هو معنى يناقض السكوت والخرس والسكوت والخرس إنما يتصوران إذا تصور الكلام ، فالساكت هو الساكت عن الكلام ، والأخرس هو العاجز عنه ، أو الذى حصلت له آفة فى محل النطق تمنعه عن الكلام وحينئذ فلا يعرف الساكت والأخرس حتى يعرف الكلام ، ولا يعرف الكلام حتى يعرف الساكت والأخرس ، فتبين أنهم لم يتصوروا ما قالوه ولم يثبتوه ، بل هم فى الكلام يشبهون النصارى فى الكلمة وما قالوه فى « الأقانيم » و« التثليث » و«الاتحاد » فإنهم يقولون ما لايتصورونه ولا يبينونه ، والرسل عليهم السلام إذا أخبروا بشيء ولم نتصوره وجب تصديقهم وأما ما يثبت بالعقل فلا بد أن يتصوره القائل به وإلا كان قد تكلم بلا علم ...
ولهذا كان مما يشنع به على هؤلاء أنهم احتجوا فى أصل دينهم ومعرفة حقيقة الكلام - كلام الله ، وكلام جميع الخلق بقول شاعر نصرانى ... وقد قال طائفة : إن هذا ليس من شعره وبتقدير أن يكون من شعره فالحقائق العقلية ، أو مسمى لفظ الكلام الذى يتكلم به جميع بنى آدم لا يرجع فيه إلى قول ألف شاعر فاضل ، دع أن يكون شاعرا نصرانيا ...[2] . اهـ.

---

(١) سيأتى توضيح لهذه الجملة فى نفس كلام ابن تيمية هذا .
(٢) انظر : مجموع الفتاوى ٢٩٤/٦ - ٢٩٧ .

قلت : ومما احتج به هؤلاء أيضا قول الله تعالى : ﴿ ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ﴾[1] .

وقد أجيب بجوابين :

الأول: أنهم قالوا بألسنتهم قولا خفيا .

والثانى أنه قيده بالنفس فإن دلالة المقيد خلاف دلالة المطلق . فالكلام المطلق يتناول اللفظ والمعنى جميعا .

والجواب الثانى يجاب به أيضا على القول المأثور عن عمر[2].

يقول شارح الطحاوية : ويرد قول من قال : بأن الكلام المعنى القائم بالنفس : قوله صلى الله عليه وسلم : « إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس »[3] ، وقال : « إن الله يحدث من أمره ما يشاء ، وإنما أحدث أن لا تكلموا فى الصلاة »[4] . واتفق العلماء على أن المصلى إذا تكلم فى الصلاة عامدا لغير مصلحتها بطلت صلاته . واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب من تصديق بأمور دنيوية وطلب - لايبطل الصلاة وإنما يبطلها التكلم بذلك فعلم باتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام . وأيضا فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ، ما لم تتكلم به أو تعمل به »[5] فقد أخبر أن الله عفا عن حديث النفس إلا أن تتكلم ففرق بين حديث النفس وبين الكلام ، وأخبر أنه لا يؤاخذ به حتى يتكلم به ، والمراد : حتى ينطق به اللسان ، باتفاق العلماء . فعلم أن هذا هو الكلام فى اللغة لأن الشارع إنما خاطبنا بلغة العرب ... فلفظ القول والكلام وما تصرف منهما من فعل ماضى ومضارع وأمر واسم فاعل -: إنما يعرف فى القرآن والسنة

---

(١) سورة المجادلة /٨ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٥/٣٥ .

(٣) تقدم تخريجه . انظر : ص : ١٩٧ ، ٢٩٧ .

(٤) أخرجه أحمد ٤٠٩/١ ، ٤١٥ ، ٤٣٥ ، وأبو داود ٥٦٨/١ ، والنسائى ١٩/٣ وغيرهم . وعلقه البخارى فى صحيحه . انظر : فتح البارى ٤٩٦/١٣ .

(٥) عند البخارى فى كتاب الأيمان والنذور ، فتح البارى ٥٤٨/١١ - ٥٤٩ ، وعند مسلم فى كتاب الإيمان . صحيح مسلم ١١٦/١ .

وسائر كلام العرب إذا كان لفظا ومعنى[1] .

والذى يتضح من الأدلة أن الله يتكلم بكلام مسموع فكيف يسمع المعنى القائم بالنفس وبعد أن اتضح بطلان ما ذهب إليه كل من الكلابية والأشاعرة فى أن كلام الله معنى قائم فى نفسه . أتعرض الآن لأمر آخر اتفقوا عليه أيضا وهو قولهم : إن كلامه لا يتعلق بمشيئته . فهو لازم له كلزوم الحياة ، فهم يرون أن كلام الله عز وجل قديم قدم الذات فلا يكون حادثا أبدا .

وهذا خلاف قول السلف - كما قدمت - « فهو سبحانه متكلم فيما لم يزل ولا يزال متكلما بما شاء من الكلام يسمع من يشاء من خلقه ما شاء من كلامه إذا شاء ذلك »[2] .

ولهؤلاء - أى الكلابية والأشاعرة - حجج نقلية وعقلية أقاموها للاستدلال لرأيهم ، فمن حججهم النقلية :

ما ذكره الله سبحانه وتعالى عن القرآن الكريم بقوله : ﴿ وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم ﴾[3] ومرادهم من الاستدلال بهذه الآية : « أنه كان موجودا قبل الحاجة إليه فى أم الكتاب وفيه الأمر والنهى والخبر والاستخبار[4] . وليس فى الآية دليل على امتناع حدوث كلام الله وإنما فيها دلالة على أن القرآن مكتوب فى أم الكتاب الذى هو اللوح المحفوظ واللوح مخلوق .

أما حججهم العقلية فقد ذكرها ابن تيمية إذ يقول :

الحجة الأولى : أنه لو لم يكن الكلام قديما للزم أن يتصف فى الأزل بضد من أضداده : إما السكوت وإما الخرس . ولو كان أحد هذين قديما لامتنع زواله . وامتنع أن يكون متكلما فيما لايزال ، ولما ثبت أنه متكلم فيما لم يزل ثبت أنه لم يزل متكلما .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص : ١٩٩ - ٢٠٠ .
(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٨٨/٢ .
(٣) سورة الزخرف /٤ .
(٤) انظر : الأسماء والصفات للبيهقى ص :٢٢٩ .

والحجة الثانية: أنه لو كان مخلوقا لكان قد خلقه إما فى نفسه أو فى غيره ، أو قائما بنفسه .

والأول : ممتنع لأنه يلزم أن يكون محلا للحوادث . **والثانى** : باطل لأنه يلزم أن يكون كلامه كلاماً للمحل الذى خلق فيه . **والثالث** : باطل لأن الكلام صفة والصفة لا تقوم بنفسها . فلما بطلت الأقسام الثلاثة تعين أنه قديم[1] .

وقد تعرض ابن تيمية بالتحليل والنقد لهاتين الحجتين[2] .

وقد نسب ابن تيمية القول بقدم الكلام وامتناع حدوثه إلى القاضى أبى يعلى ابن الفراء . وما وجدته فى كتابيه مختصر المعتمد وإبطال التأويلات يدل على : إثباته لصفة الكلام وأن الله عز وجل يتكلم بحرف وصوت إلا أنه يرى أن كلام الله قديم لا سكت فيه وللزيادة فى الإيضاح أنقل قوله فى إبطال التأويلات (ق : ١٩٧) - إذ يقول : « واعلم أنا وإن أثبتنا الحروف والأصوات فلا نقول إن الله يتكلم كلاما بعد كلام لأن ذلك يوجب حدث الكلام الثانى . ولا نقول إن الله تكلم فى الأزل مرة ويتكلم إذا شاء ولا نقول إنه تكلم فى الأزل مرة ثم يتكلم بعد ذلك بل نقول : إن الله لم يزل متكلما ولا يزال متكلما . وأنه قد أحاط كلامه بجميع معانى الأمر والنهى والخبر والاستخبار ...

فإن قيل : فقد روى أن الله تعالى يتكلم فى وقت بعد وقت نحو ما روى إن الله تكلم بعد ما خلق ذرية آدم وتكلم لما خلق ذرية آدم وأخذ الميثاق وتكلم بعد أن بعث إبراهيم وبعد أن بعث أيوب وداود.

قيل : معناه أنه يفهم خلقه ويسمعهم كلامه وقتا بعد وقت أو شيئا فشيئا وكذلك الجواب عما روى أن الله يكلم عباده بعد قيام القيامة فقال : ﴿ يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ﴾[3] وقوله : ﴿ يوم نقول لجهنم هل امتلأت ﴾[4] وقول أهل الجنة له : يارب ألم تغفر لنا فيقول : بلى . معناه ما

(١) مجموع الفتاوى ٢٩١/٦ .
(٢) انظر : نفس المصدر ما بعد ص : ٢٩١ .
(٣) سورة المائدة /١٠٩ .
(٤) سورة ق /٣٠ .

تقدم من الإفهام والإسماع لكلامه القديم . اهـ .

ومن هنا لا غرابة أن نجد القاضي يفسر قول أحمد : « لم يزل متكلما إذا شاء » فيقول : معنى قول أحمد : « إذا شاء » أن يسمعنا ويفهمنا ذلك . فيحمل قوله « إذا شاء » على الإسماع والإفهام .

ويحاول أن يؤكد هذا المعنى عن أحمد عندما ساق قوله : « إن الله لم يزل متكلما عالما غفورا » . إذ يقول : فقد نص على أنه لم يزل غفورا والغفران من صفات الفعل فى خلقه وقد أثبتها ولا مغفور له فدل من مذهبه على قدم هذه الصفات[1] اهـ. وهذا خلاف مراد الإمام أحمد وكلامه هذا لم يرد به أن كلام الله قديم لم يزل . ثم إن كلام أحمد هذا جاء فى معرض رده على من قال بخلق القرآن .

قال ابن تيمية : قال القاضى : قول أحمد لم يزل غفورا بيان أن جميع الصفات قديمة سواء كانت مشتقة من فعل كالغفران والخلق والرزق ، أو لم تكن مشتقة . وقوله : لم يزل متكلما إذا شاء : معناه إذا شاء أن يسمعه . **قلت** : وطريقة القاضى هذه هى طريقة أصحابه وأصحابهم وغيرهم كابن عقيل وابن الزاغونى .

وأما أكثر أهل الحديث من أصحاب أحمد وغيرهم وكثير من أهل الكلام أيضا فيخالفونه فى ذلك ، ويقولون فى الفعل أحد قولين :

أحدهما: وهو القول الآخر للقاضى ، الذى هو الصحيح عند أصحابنا إما أن الفعل قديم والمفعول مخلوق ، كما يسلم ذلك لهم فى الإرادة والقول المكون : أى الإرادة قديمة والمراد محدث ، وكما أن المنازع يقول : التكوين قديم فالمكون مخلوق .

والثانى : أن الفعل نفسه عندهم – كالقول كلاهما – غير مخلوق مع أنه يكون فى حال دون حال ، إذ هو قائم بالله ، والمخلوق لا يكون إلا منفصلا عن الله ويقولون : إن قول أحمد موافق لما قلناه، لأنه قال : لم يزل متكلما إذا

(١) إبطال التأويلات (ق : ٢٤٤/أ) .

شاء ولم يقل : لم يزل مكلما إذا شاء والمتعلق بالمشيئة – عند من يقول إنه قديم واجب – إنما هو التكليم الذى هو فعل جائز لا التكلم فبين ذلك أن أحمد – رضى الله عنه – قال فى الموضع الآخر : لم يزل الله متكلما عالما غفورا . فذكر الصفات الثلاث : الصفة التى هى قديمة واجبة وهى العلم ، والتى هى جائزة متعلقة بالمشيئة وهى المغفرة . فهذان متفق عليهما .

وذكر أيضا التكلم ، وهو القسم الثالث : الذى فيه نزاع ، وهو يشبه العلم من حيث هو وصف قائم به ، لا يتعلق بالمخلوق ، ويشبه المغفرة من حيث هو متعلق بمشيئته كما فسره فى الموضع الآخر .

فعلم أن قدمه عنده : أنه لم يزل إذا شاء تكلم ، وإذا شاء سكت لم يتجدد له وصف القدرة على الكلام التى هى صفة كمال ، كما لم يتجدد له وصف القدرة على المغفرة وإن كان الكمال هو أن يتكلم إذا شاء ، ويسكت إذا شاء .

وأما قول القاضى : إن هذا قول بحدوثه فيجيبون عنه بجوابين :

أحدهما : ألا يسمى محدثا أن يسمى حديثا ، إذ المحدث هو المخلوق المنفصل وأما الحديث فقد سماه الله حديثا وهذا قول الكرامية وأكثر أهل الحديث .

الثانى : أنه يسمى محدثا كما فى قوله : ﴿ من ذِكْرٍ من ربهم مُحْدَثٍ ﴾ وليس بمخلوق . وهذا قول كثير من الفقهاء وأهل الحديث والكلام . لكن المنقول عن أحمد إنكار ذلك ... والإطلاقات قد توهم خلاف المقصود فيقال : إن أردت بقولك محدث أنه مخلوق منفصل عن الله . كما يقوله الجهمية والمعتزلة والنجارية – فهذا باطل لا نقوله . وإن أردت بقولك : أنه كلام تكلم الله به بمشيئته ، بعد أن لم يتكلم به بعينه – وإن كان قد تكلم بغيره قبل ذلك مع أنه لم يزل متكلما إذا شاء فإنا نقول بذلك . وهو الذى دل عليه الكتاب والسنة وهو قول السلف[1] اهـ.

والأدلة على أن الله عز وجل يتكلم متى شاء وأن الكلام متعلق بمشيئته كثيرة .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٥٩/٦ – ١٦١ .

فمن القرآن الكريم قول الله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا ﴾[1] فهذا عند خلقه . وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ سلام قولا من رب رحيم ﴾[2] فهذا لأهل الجنة . وقوله : ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾[3] فهذا لأهل النار . وفى قول الله تعالى : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ﴾[4] دلالة قوية فمن الواضح أن التكليم وقع بعد مجيء موسى عليه السلام .

ومن السنة : ما رواه البخارى[5] ، ومسلم[6] عن عدى بن حاتم رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان ... » الحديث .

وبعد ان اتضح اتفاق الكلابية والأشاعرة فى القول : إن كلام الله عز وجل معنى قائم بالنفس وإن لازم له كلزوم الحياة لا يتعلق بمشيئته وتبين خطأ هذا الاتجاه . أعود إلى ما أشرت إليه من أنهم اختلفوا فى أمرين :

فالكلابية يرون : أن كلام الله عز وجل أربعة معان : الأمر والنهى والخبر والاستخبار . وأن الحروف والأصوات حكاية عن كلام الله خلقت للدلالة على المعنى القائم بذاته .

والأشاعرة يرون : أنه معنى واحد . لا ينقسم ولا له أبعاض ولا له أجزاء فالأمر هو عين النهى والخبر هو عين الاستخبار وكونه أمرا ونهيا وخبرا واستخبارا إنما ذلك صفات للمعنى الواحد لا أنواع له ، وأن القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ليس كلام الله حقيقة بل هو عبارة عن كلام الله النفسى[7] .

---

(١) سورة البقرة /٣٤ والإسراء / ٦١ ، والكهف / ٥٠ ، وطه / ١١٦ .
(٢) سورة يس /٥٨ .
(٣) سورة المؤمنون /١٠٨ .
(٤) سورة الأعراف /١٤٣ .
(٥) فى الصحيح ٤٧٤/١٣ .
(٦) فى الصحيح ٧٠٣/٢ .
(٧) انظر : الصواعق المرسلة لابن القيم ٢٩٠/٢ - ٢٩١ .

يقول شارح الطحاوية : وهذا الكلام فاسد . فإن لازمه أن معنى قوله ﴿ ولا تقربوا الزنى ﴾[1] هو معنى قوله : ﴿ وأقيموا الصلاة ﴾[2] ومعنى آية الكرسى هو معنى آية الدين ومعنى سورة الإخلاص هو معنى ﴿ تبت يدا أبى لهب ﴾[3] وكلما تأمل الإنسان هذا القول تبين له فساده وعلم أنه مخالف لكلام السلف ، والحق أن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن من كلام الله حقيقة وكلام الله لا يتناهى ، فإنه لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء . ولا يزال كذلك قال تعالى : ﴿ لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا مثله مددا ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم ﴾[5].

ولو كان ما فى المصحف عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله لما حرم على الجنب والمحدث مسه ، ولو كان ما يقرأه القارئ ليس كلام الله لما حرم على الجنب والمحدث قراءته ، بل كلام الله محفوظ فى الصدور مقروء بالألسن مكتوب فى المصاحف[6] . اهـ.

والذى يتضح من الأدلة أن كلام الله عز وجل أنواع فمنه الأمر ومنه النهى ومنه الخبر ومنه الاستخبار ومنه النداء . وكل نوع يختلف عن الآخر والله تعالى أعلم .

ولزيادة الإيضاح حول مسألة الكلام والفرق المخالفة . يراجع : الصواعق المرسلة لابن القيم[7]، حيث ذكر الأقوال التى ساقها شارح الطحاوية وتكلم عنها بالتفصيل وزاد عليها قول الاتحادية .

(١) سورة الإسراء /٣٢ .
(٢) سورة البقرة /٤٣ ، ٨٣ ، ١١٠ ، والنساء /٧٧ ، ويونس /٨٧ ، والنور /٥٦ ، والروم /٣١ ، والمزمل/٢٠ .
(٣) سورة المسد/١ .
(٤) سورة الكهف/١٠٩ .
(٥) سورة لقمان/٢٧ .
(٦) شرح العقيدة الطحاوية ص : ١٩١ – ١٩٢ .
(٧) ٢/٢٨٦ – ٢٩٣ .

قول الإمام أحمد فى مسألة الحرف والصوت

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل :

٢٨٨ – سألت أبى رحمه الله عن قوم يقولون : لما كلم الله عز وجل موسى لم يتكلم بصوت فقال أبى : بلى إن ربك عز وجل تكلم بصوت ، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت .

وقال أبى رحمه الله : حديث ابن مسعود رضى الله عنه : إذا تكلم الله عز وجل سمع له صوت كجر السلسلة على الصفوان[١] قال أبى وهذا الجهمية تنكره[٢] .

٢٨٩ – وساق أبى يعلى– بسنده – عن أبى بكر الخلال حدثنا محمد ابن على قال : حدثنا يعقوب بن بختان قال : سئل أبو عبد الله عمن زعم أن الله لم يتكلم بصوت . قال : بلى يتكلم سبحانه بصوت[٣] .

٢٩٠ – وأخرجها الخلال من طريق آخر عن يعقوب بزيادة : وهذه الأحاديث نرويها لكل حديث وجه يريدون أن يموهوا على الناس من زعم أن الله لم يكلم موسى فهو كافر[٤]

٢٩١ – وأخرج أبو بكر الخلال عن المروذى قال : سمعت أبا عبد الله وقيل له إن عبد الوهاب[٥] قد تكلم وقال : من زعم أن الله كلم موسى بلا صوت فهو جهمى عدو لله عدو للإسلام . فتبسم أبو عبد الله وقال : ما أحسن

---

(١) تقدم تخريجه . انظر : ص : ٢١٥ .

(٢) السنة (ق : ٣٢/أ – وفى المطبوع ص :٧٠ – ٢٧١ ،وأخرجه ابن النجاد فى الرد على من يقول القرآن مخلوق ص : ٣١ وابن مندة كما فى ذيل طبقات الحنابلة ١٣٣/١ كلاهما عن عبد الله بن أحمد به .

(٣) طبقات الحنابلة ٤١٥/١ .

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية ص : ٩٣ .

(٥) هو : الوراق ، انظر ترجمته مفصلة فى ط/الحنابلة ٢٠٩/١ .

ما قال ، عافاه الله[1] .

٢٩٢ – قال أبو يعلى : وقد نص أحمد فى رواية الجماعة على إثبات الصوت[2] .

التعليق :

القول بأن الله عز وجل يتكلم بحرف وصوت يسمعه من شاء من خلقه كما أسمعه موسى عليه السلام هو مذهب السلف الصالح لهذه الأمة .

يقول ابن تيمية : وقد نص أئمة الإسلام أحمد ومن قبله من الأئمة على ما نطق به الكتاب والسنة من أن الله ينادى بصوت وأن القرآن كلامه تكلم به بحرف وصوت[3] . اهـ.

والأدلة على أن الله عز وجل يتكلم بحرف وصوت كثيرة . من الكتاب والسنة ذكرت بعضها فى معرض الحديث عن « صفة الكلام » وسأضيف هنا جملة أخرى : فمن الكتاب : قول الله تعالى : ﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ﴾[4] والنداء لا يكون إلا بصوت .

ومن السنة : ما رواه البخارى[5] عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : يقول الله : يا آدم فيقول : لبيك وسعديك . فينادى بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار ».

وروى أحمد[6] عن عبدالله بن أنيس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يحشر الناس يوم القيامة أو قال العباد – عراة غرلا بهما

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ص : ٨٣ .
(٢) إبطال التأويلات (ق ١٩٦/أ) ، انظر : مجموع الفتاوى ٩٧/١٢ ، ٣٠٥ ، ٣٧٥ ، ٥٧٩ – ٥٨٠.
(٣) مجموع الفتاوى ٥٨٤/١٢ .
(٤) سورة مريم /٥٢ .
(٥) فى الصحيح ٤٥٣/١٣ .
(٦) فى المسند ٤٩٥/٣ .

قال : ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه (من بعد كما يسمعه) من قرب أنا الملك أنا الديان » .

وعلقه البخارى[1] وقال ابن حجر : أخرجه فى الأدب المفرد وكذا أخرجه أبو يعلى والطبرانى[2] .

وقد أنكر الكلابية والأشاعرة أن الله عز وجل يتكلم بحرف وصوت وذلك بناء على قولهم أن كلام الله معنى قائم بالذات .

وما أثاره هؤلاء من شبهات تصدى لها الإمام أحمد وأبان عورها ومن تلك الشبه التى تمسكوا بها : أن الكلام المسموع لا يكون إلا بمخارج وأن الله عز وجل ليس بذى مخارج . ويعتقدون أن من أثبت الحرف والصوت لزمه التشبيه وأجابوا عن الأحاديث السابقة بتأويلات بعيدة عن الحق والصواب[3] . وكذا فعلوا عند قول الله تعالى : ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾[4] فمن المعلوم أن موسى عليه السلام سمع كلام الله وهذا واضح من جميع الآيات فى هذا الشأن .

لكن هؤلاء جاؤوا بمعنى جديد وقالوا : إن الله عز وجل أزال المانع عن موسى عليه الصلاة والسلام وجعل له من القوة ما أدرك به كلامه القديم[5] .

أما ما ذكروه من أن إثبات الحرف والصوت يقتضى التشبيه – وهو عمدتهم – فقد رد الإمام أحمد عليهم إذ يقول :

وأما قولهم : إن الكلام لايكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان أليس قال الله تعالى للسموات والأرض : ﴿ ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ﴾[6] أترى أنها قالت بجوف وفم وشفتين ولسان وأدوات، وقال الله تعالى : ﴿ وسخرنا

---

(١) فى الصحيح ٤٥٣/١٣ .
(٢) فتح البارى ٤٥٧/١٣ .
(٣) انظر : الأسماء والصفات للبيهقى ص : ٢٧٣ – ٢٧٤ ، وفتح البارى ٤٥٧/١٣ – ٤٥٨ .
(٤) سورة النساء : ١٦٤ .
(٥) انظر : شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى للسنوسى ص : ٢٧٥ .
(٦) سورة فصلت /١١ .

مع داود الجبال يسبحن ﴾[1] أتراها (سبحت) بفم وجوف ولسان وشفتين والجوارح إذا شهدت على الكفار فقالوا: ﴿ لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء ﴾[2] أتراها أنها نطقت بجوف وفم وشفتين ولسان ولكن الله أنطقها كيف شاء فكذلك تكلم الله كيف شاء من غير أن نقول فم ولا لسان ولا شفتان ولا جوف[3] . اهـ .

يقول ابن تيمية : والصواب الذى عليه سلف الأمة - كالإمام أحمد والبخارى وسائر الأئمة قبلهم وبعدهم اتباع النصوص الثابتة وإجماع سلف الأمة وهو أن القرآن كلام الله ... وأن الله تعالى يتكلم بصوت كما جاءت به الأحاديث الصحاح وليس ذلك كأصوات العباد ... وأن الله ليس كمثله شىء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله فكما لا يشبه علمه وقدرته وحياته علم المخلوق وقدرته وحياته ، فكذلك لايشبه كلامه كلام المخلوق ولا معانيه تشبه معانيه ولا حروفه تشبه حروفه ولا صوت الرب يشبه صوت العبد فمن شبه الله بخلقه فقد ألحد فى أسمائه وآياته ومن جحد ما وصف به نفسه فقد ألحد فى أسمائه وآياته[4] .اهـ .

وعبد الله بن كلاب هو أول من عرف عنه القول بأن الكلام معنى قائم بالنفس وأن الله عز وجل لايتكلم بحرف وصوت . لذا نجد الإمام أحمد يحذر من ابن كلاب وأتباعه .

قال ابن خزيمة : كان أحمد بن حنبل من أشد الناس على عبد الله بن سعيد وعلى أصحابه مثل الحارث[5] وغيره[6] . اهـ .

---

(١) سورة الأنبياء /٨٩ .

(٢) سورة فصلت /٢١ .

(٣) الرد على الزنادقة والجهمية (ق : ٢١/أ) وقد ذكرت فى صفة الكلام فى معرض رد الإمام أحمد على الجهمية ص : ٣٠٥ وناسب تكراره هنا .

(٤) مجموع الفتاوى ١٢/٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٥) ابن أسد المحاسبى ، الزاهد ، قال الذهبى : المحاسبى كبير القدر وقد دخل فى شىء يسير من الكلام فنقم عليه وورد أن الإمام أحمد أثنى على حال الحارث من وجه وحذر منه . توفى سنة ٢٤٣هـ. سير أعلام النبلاء ١٢/١١٠ وانظر مصادر ترجمته فى نفس المصدر .

(٦) مجموع الفتاوى ٦/١٧١ - ١٧٢ .

ويقول ابن تيمية : وكان الإمام أحمد يحذر من الكلابية وأمر بهجر الحارث المحاسبي لكونه كان منهم . وقد قيل عن الحارث إنه رجع فى القرآن عن قول ابن كلاب وأنه كان يقول : الله يتكلم بصوت[1] .

(١) المصدر السابق ٥٣٣/٥ و٩٥/١٢ ، ٣٦٨ .

قول الإمام أحمد فى صفة اليدين

قال القاضى أبو يعلى بن الفراء :

٢٩٣ – قال فى رواية أبى طالب : قلب العبد بين أصبعين وخلق آدم بيده وكل ماجاء الحديث مثل هذا قلنا به[١] .

٢٩٤ – قال أحمد فى رواية الميمونى : من زعم أن يداه نعمتاه كيف يصنع بقوله : ﴿ خلقت بيدى ﴾[٢] مشددة[٣] . اهـ .

وفى كتاب السنة له قال :

٢٩٥ – وخلق الله عز وجل آدم عليه السلام بيده[٤] .

وفى رسالة محمد بن عوف الطائى قال :

٢٩٦ – وكما صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « وكلتا يديه يمين »[٥] الإيمان بذلك فمن لم يؤمن بذلك ويعلم أن ذلك حق كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مكذب برسول الله صلى الله عليه وسلم[٦] . اهـ .

وذكر اللالكائى – بسنده – عن أحمد بن يعقوب بن زاذان[٧] قال :

---

(١) إبطال التأويلات (ق : ٢٦/أ) .

(٢) سورة ص /٧٥ .

(٣) إبطال التأويلات (ق : ١٠٢/أ) .

(٤) شذرات البلاتين ص : ٤٩ . وانظر : طبقات الحنابلة ٢٩/١ .

(٥) روى مسلم ١٤٥٨/٣ وأحمد ١٦٠/٢ ، والنسائى ٢٢١/٨ – ٢٢٢ عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن المقسطين عند الله على منابر من نور ، عن يمين الرحمن عز وجل . وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا » . وانظر : السنة لابن أبى عاصم ٩١/١ والصفات للدارقطنى ص : ٣٥ – ٣٦ . فقد جاءت هذه اللفظة فى حديثين لأبى هريرة وابن عمر .

(٦) طبقات الحنابلة ٣١٣/١ .

(٧) لم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه من المصادر .

٢٩٧ – بلغنى أن أحمد بن حنبل قرأ عليه رجل : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾[١] . قال : ثم أومأ بيده .
فقال له أحمد : قطعها الله قطعها الله قطعها الله . ثم حرد[٢] . وقام[٣] .

التعليق :

ورد ذكر هذه الصفة فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة . وقد تقدم استدلال الإمام أحمد ببعض الآيات وأما من السنة فما رواه البخارى[٤] ، ومسلم[٥] عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أما ترى الناس ؟ خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شىء اشفع لنا إلى ربك ... الحديث . واللفظ للبخارى .
وروى مسلم[٦] عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما . فحج آدم موسى قال موسى : أنت آدم الذى خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ... » الحديث . وانظر الحديث بألفاظ مقاربة عند مسلم[٧] أيضاً والبخارى[٨] وقد جمع طرقه ابن خزيمة[٩] وراجع

(١) سورة الزمر /٦٧ .
(٢) أى : غضب . المصباح المنير ص : ١٥٥ .
(٣) شرح أصول أهل السنة ٤٣٢/٣ .
(٤) ف الصحيح ٣٩٢/١٣ .
(٥) ف الصحيح ١٨٠/١ .
(٦) ف الصحيح ٢٠٤٣/٤ .
(٧) ف الصحيح ٢٠٤٢/٤ .
(٨) ف الصحيح ٤٧٧/١٣ .
(٩) ف التوحيد ص : ٥٣ – ٥٧ .

شرح أصول أهل السنة للالكائي[1] والدارقطني في الصفات[2] والرد على الجهمية لابن مندة[3] والأربعين في دلائل التوحيد للهروي[4] فقد رووا جملة من الأحاديث الدالة على هذه الصفة . وفي ما أوردت من الآيات والأحاديث دلالة على اثبات هذه الصفة على الوجه اللائق بكمال الله عز وجل وجلاله دون تكييف أو تشبيه أو تعطيل أو تأويل : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ . وقد عطل النفاة هذه الصفة وأنكروها وزعموا أن ما جاء من الآيات في هذه الصفة إنما هو بمعنى النعمة أو القدرة أو القوة .

وكما أن السلف أنكروا على المعطلة ومن وافقهم نفي هذه الصفة . كذلك اشتد إنكارهم على المشبهة الذين شبهوا صفات الله بخلقه – تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا – وقد تقدم أن أحمد رحمه الله أنكر بشدة على من قرأ : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾ ثم أومأ بيده فقال أحمد : قطعها الله وخرج من المجلس غاضبا .

وكما أن المعطلة والمؤولة زعموا أن في اثبات ذلك تشبيها لله بخلقه فإن المشبهة زعموا – أيضا – إن اتفاق الصفات في الأسماء يستلزم اتفاقها في المسميات أيضا . فضلوا ضلالاً كبيراً بسبب التشبيه الذي وقعوا فيه : يقول جل وعلا : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ فلا يكون – قطعا – لله مثيل أو نظير . تعالى الله عن ذلك وتقدس فهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته . فكان الواجب على هؤلاء أن يثبتوا هذه الصفات كما أثبتها السلف رضوان الله عليهم[5] .

---

(١) ج ٤١٢/٣ – ٤٢٠ .
(٢) ص : ٣٥ – ٣٨ .
(٣) ص : ٦٧ – ٧٨ .
(٤) ص : ٦٧ – ٧٤ .
(٥) وسوف يأتي المزيد من الدراسة حول المشبهة عند : « قول الإمام أحمد في المشبهة » ص : ٣٦٤.

قول الإمام أحمد فى صفة القدم

قال القاضى أبو يعلى بن الفراء :

٢٩٨ – نص أحمد على ذلك فى رواية المروذى : وقد سأله عن الأحاديث « يضع قدمه » وغيرها . قال : نمرها كما جاءت .

٢٩٩ – وقال ابن منصور[١] : قلت لأبى عبد الله : « اشتكت النار إلى ربها حتى يضع قدمه فيها » فقال أحمد صحيح[٢] .

٣٠٠ – وقال فى رواية حنبل : ... وأنه يضع قدمه وما أشبه ذلك يؤمن بها ويصدق بها ولا كيف ولا معنى ولا نرد شيئا منها ونعلم أن ما قاله الرسول حق إذا كانت بأسانيد صحاح[٣] .

٣٠١ – وفى رسالة محمد بن عوف الطائى قال : وجهنم لا تزال تقول: هل من مزيد حتى (يأتيها)[٤] الرب تبارك وتعالى فيضع قدمه فيها فتزوى فتقول : قط قط حسبى حسبى[٥] هكذا جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣٠٢ – وقال أبو بكر الأثرم : قلت لأبى عبد الله حدث محدث وأنا عنده بحديث : « يضع الرب عز وجل قدمه »[٦] وعنده غلام . فأقبل على الغلام فقال له : إن لهذا تفسيرا . فقال أبو عبد الله : انظر إليه كما تقول الجهمية سواء[٧]

---

(١) إسحاق بن منصور الكوسج .
(٢) إبطال التأويلات (ق : ١١٢/أ) ورواية الكوسج أخرجها الآجرى فى الشريعة ص : ٣١٥ .
(٣) إبطال التأويلات (ق : ٢٦/أ) وذكرها ابنه فى طبقات الحنابلة ١٤٤/١ .
(٤) انظر : التوحيد لابن خزيمة ص : ٩٧ .
(٥) طبقات الحنابلة ٣١٢/١ .
(٦) نفس المصدر ٢٩/١ .
(٧) إبطال التأويلات (ق : ١١٢/أ) .

التعليق:

الإمام أحمد لما سئل عما جاء فى هذه الأحاديث قال : نمرها كما جاءت . أى : نقر بها ولا نتكلم فى الكيفية ولا نخوض بل كما جاء الحديث .

والأحاديث التى فيها ذكر صفة « القدم » فى الصحيحين :

روى البخارى[1] ، ومسلم[2] عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال جهنم تقول : هل من مزيد ، حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه . فتقول قط قط ، وعزتك ، ويزوى بعضها إلى بعض » .

وروى البخارى[3] ، ومسلم[4] عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول : هل من مزيد : حتى يضع رب العزة فيها قدمه . فينزوى بعضها إلى بعض وتقول : قط قط . بعزتك وكرمك . ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشىء الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة » .وروى مسلم[5] عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تحاجت النار والجنة . فقالت النار : أوثـرت بالمتكبرين والمتجبرين . وقالت الجنة : فما لى لايدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم. فقال الله للجنة : أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى . وقال للنار أنت عذابى ، أعذب بك من أشاء من عبادى . ولكل واحدة منكم ملؤها . فأما النار فلا تمتلىء . فيضع قدمه عليها . فتقول قط قط فهنالك تمتلىء ويزوى بعضها إلى بعض » .

ورواه البخارى[6] ومسلم[7] وابن خزيمة[8] من طريق آخر عن أبى هريرة

(١) فى الصحيح ٥٩٤/٨، ٥٤٥/١١ .
(٢) فى الصحيح ٢١٨٧/٤ .
(٣) فى الصحيح ٣٦٩/١٣ .
(٤) فى الصحيح ٢١٨٨/٤ .
(٥) فى الصحيح ٢١٨٦/٤ .
(٦) فى الصحيح ٥٩٥/٨ .
(٧) فى الصحيح ٢١٨٦/٤ – ٢١٨٧ .
(٨) فى التوحيد ص : ٩٤ .

وفيه : « حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله » .

ورواه باللفظ الأول - أى : « فيضع قدمه » أبو سعيد الخدرى أيضا . كما عند أحمد[1] وابن أبى عاصم[2] وابن خزيمة[3] والدارقطنى[4] .

وقد تأول البعض القدم والرجل بالجماعة . اعتمادا على أن ذلك أمر يرد فى اللغة وعلى هذا قالوا : إن المراد بالقدم فى هذا الحديث : هم الأمم من أهل الشقوة الذين سبق فى علمه أنهم صائرون إلى النار[5] .

يقول الآمدى : يحتمل أن يراد به بعض الأمم المستوجبين النار وتكون إضافة القدم إلى الجبار تعالى إضافة التمليك[6] .اهـ .

وهذا التأويل بعيد وباطل حتى مع التسليم بالمعنى اللغوى[7] .فإن جواز هذا الأمر لغويا لا يعنى حصره فيه . بل إن السياق هو الذى يحدد المعنى . والله أعلم .

---

(١) فى المسند ١٣/٣ ، ٧٨ .
(٢) فى السنة ٢٣٣/١ .
(٣) فى التوحيد ص : ٩٣ .
(٤) فى الصفات ص : ٣١ .
(٥) انظر : رد الدارمى على المريسى ص : ٦٦ والنهاية لابن الأثير ٢٥/٤ .
(٦) انظر : غاية المرام للآمدى ص : ١٤١ .
(٧) انظر : النهاية لابن الأثير ٢٠٣/٢ .

قول الإمام أحمد فى صفة الأصابع

قال القاضى أبو يعلى بن الفراء :

٣٠٣ – قال فى رواية أبى طالب : قلب العبد بين أصبعين وخلق آدم بيده وكلما جاء الحديث مثل هذا قلنا به[١] .

التعليق :

بين الإمام أحمد أنه يجب الأخذ بكل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهو عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى .

روى مسلم[٢] وأحمد[٣] – وغيرهما – عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد ، يصرفه حيث يشاء » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك » .

وروى البخارى[٤] ومسلم[٥] عن عبد الله بن مسعود أن يهوديا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إن الله يمسك السموات على أصبع والأرضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع والخلائق على أصبع

---

(١) إبطال التأويلات (ق : ٢٦/أ) . وانظر كتاب السنة لأحمد ضمن شذرات البلاتين ص : ٤٩ ، وطبقات الحنابلة ٢٩/١ .

(٢) فى الصحيح ٢٠٤٥/٤ .

(٣) فى المسند ١٦٨/٢ ، ١٧٣ .

(٤) فى الصحيح ٣٩٣/١٣ .

(٥) فى الصحيح ٢١٤٧/٤ .

ثم يقول : أنا الملك . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه . ثم قرأ : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ .

وفى بعض الروايات : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا وتصديقا له .

أما الحديث الأول فقيل فيه « إن المراد بالأصابع القدرة أو النعمة . وإن أصبعاه : أى نعمتاه وهذا جائز فى كلام العرب »[1] .

يقول ابن قتيبة :

ونحن نقول إن هذا الحديث صحيح ، وإن الذى ذهبوا إليه فى تأويل الأصبع لا يشبه الحديث ، لأنه عليه السلام قال فى دعائه : « يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك » فقالت له إحدى أزواجه : « أوتخاف يا رسول الله على نفسك » . فقال : « إن قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الله عز وجل »[2] فإن كان القلب عندهم بين نعمتين من نعم الله فهو محفوظ بتينك النعمتين فلأى شيء دعا بالتثبيت، وَلِمَ احتج على المرأة التى قالت له : أتخاف على نفسك — بما يؤكد قولها وكان ينبغى أن لا يخاف إذا كان القلب محروسا بنعمتين[3] اهـ .

وتؤول هذا الحديث بتأويل آخر حيث قيل : إن هذا الوصف كناية عن

---

(١) انظر : رد الدارمى على المريسى ص : ٥٩ ، ٦٣ ، ومقالات الإسلاميين للأشعرى ١/٢٣٥ ، ومشكل الحديث لابن فورك ص : ٧٧ ، ٧٩ ، والأسماء والصفات للبيهقى ص : ٣٣٨ ، ٣٤١ .

(٢) رواه أحمد ٣/١١٢ ، والترمذى ٤/٤٤٨ ، والحاكم ١/٥٢٦ من حديث أنس قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

(٣) تأويل مختلف الحديث ص : ٢٠٩ ، وانظر رد الدارمى على هذه الشبهة فى الرد على المريسى ص : ٥٩ — ٦٥ .

قول الإمام أحمد فى صفة الضحك

قال القاضى أبو يعلى بن الفراء :

وقد نص أحمد على ذلك فى رواية الجماعة .

٣٠٤ – قال فى رواية حنبل : يضحك الله ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول .

٣٠٥ -- وقال المروذى : سألت أبا عبد الله عن عبد الله التيمى فقال : صدوق وقد كتبت عنه من الرقائق ولكن حكى عنه أنه ذكر حديث الضحك فقال : مثل الزرع وهذا كلام الجهمية[١] .

التعليق :

ورد ذكر هذه الصفة فى أحاديث صحاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى البخارى[٢] ومسلم[٣] وابن ماجه[٤] وابن خزيمة[٥] عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة ، يقاتل هذا فى سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد** » .

---

(١) إبطال التأويلات (ق : ١١٩/ب) .

(٢) فى الصحيح ٣٩/٦ .

(٣) فى الصحيح ١٥٠٥/٤ .

(٤) فى السنن ٦٨/١ .

(٥) فى التوحيد ص : ٢٣٥ .

سرعة تقليب الله لقلوب العباد . وأنهم تحت مشيئته سبحانه . وأما حديث ابن مسعود فتؤول بأن اليهود قوم عرفوا بالتشبيه والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » . وقولوا : ﴿ آمنا بالله وما أنزل ﴾[1] الآية[2] .

قالوا : والنبى صلى الله عليه وسلم لم يتكلم فى ذلك الموقف وإنما ضحك وضحكه عليه الصلاة والسلام يحتمل الرضى والإنكار . ثم إنه عليه الصلاة والسلام تلا قول الله تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ وهذا يحتمل الوجهين السابقين .

وقالوا أيضا : إن قول الراوى « تصديقا له » ظن منه وحسبان[3] .

كما أن لهم تأويلات أخرى[4] .

وأما قولهم : إن اليهود عرفوا بالتشبيه فمقتضاه : أن هذا القول ليس قول النبى صلى الله عليه وسلم . وإنما هو قول اليهودى .

وهذا واضح . ولكن المعروف أن السنة المأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم إما قوله أو فعله أو إقراره . وعلى قول من يرى أن ضحك النبي صلى الله عليه وسلم كان تصديقاً لليهودى وهو الصحيح فقد تحقق الأمر الثالث فالنبى صلى الله عليه وسلم وإن كان لم يقله إلا أنه أقره عليه، والله أعلم. ثم إن إثبات هذه الصفة لم يكن مقتصرا على هذا الحديث فقط فهناك أحاديث أخرى كما تقدم . والله تعالى أعلم .

---

(١) أخرجه البخارى ١٧٠/٨ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) من سورة البقرة١٣٦ .

(٣) انظر : الأسماء والصفات للبيهقى ص : ٣٣٧ - ٣٣٩ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٥٧٢٢/٧ ، وفتح البارى ٣٩٨/١٣ .

(٤) انظر : المصادر المتقدمة ومشكل الحديث لابن فورك ص : ٧٩ .

وروى أحمد[(١)] وابن ماجه[(٢)] وابن أبى عاصم[(٣)] والدارمى[(٤)] والدارقطنى[(٥)] والآجرى[(٦)] عن أبى رزين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره » قال : قلت : يا رسول الله أو يضحك الرب عز وجل ؟ قال : « نعم » . قال - أى أبو رزين - لن نعدم من رب يضحك خيرا .

وفى الإسناد : وكيع بن حدس . قال محقق ابن ماجه : فى الزوائد : وكيع ذكره ابن حبان فى الثقات . وباقى رجاله احتج بهم مسلم . اهـ .

ووكيع قال عنه الذهبى : لا يعرف[(٧)] . وقال ابن حجر : مقبول[(٨)] . ولم أجد له متابعة . لذا ضعف البعض إسناد الحديث[(٩)] .

وهناك عدة أحاديث عن عدد من الصحابة ذكرها الدارمى[(١٠)] - رواها غيره أيضا - وإن كان فى بعض أسانيدها مقال إلا أنه يؤيد بعضها بعضا . والسلف أخذوا بما جاء فى هذه الأحاديث .

يقول الآجرى : ... هذا مذهب العلماء من اتبع ولم يبتدع ولا يقال فيه كيف بل التسليم له والإيمان بأن الله عز وجل يضحك كذا روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن صحابته رضى الله عنهم[(١١)] اهـ .

---

(١) فى المسند ٤/١١ .
(٢) فى السنن ١/٦٤ .
(٣) فى السنة ١/٢٤٤ .
(٤) فى النقض على المريسى ص : ١٧٧ .
(٥) فى الصفات ص : ٤٦ .
(٦) فى الشريعة ص : ٢٧٧ .
(٧) ميزان الاعتدال : ٤/٣٣٥ .
(٨) تقريب ١/٣٣١ .
(٩) انظر : السنة لابن أبى عاصم ١/٢٤٤ .
(١٠) فى الرد على المريسى ص : ١٧٩ .
(١١) الشريعة للآجرى ص : ٢٧٧ .

وأما ما تأوله البعض من أن المراد بالضحك : الإخبار عن الرضى أو القبول أو إبداء الفضل والنعم أو أن الشيء كان عنده بمحل ما يضحك منه[1] . فهي تأويلات باطلة ولا داعي لها ويجب الوقوف عند النص والله أعلم .

قول الإمام أحمد في العلو

قال ابن أبي يعلى في ترجمة : يوسف بن موسى[2] : نقل عن إمامنا أشياء منها :

٣٠٦ – قيل لأبي عبد الله : والله تعالى فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان ؟ قال : نعم ، على عرشه لا يخلو شيء من علمه[3] .

وقال أبو بكر الخلال :

٣٠٧ – أخبرني عبد الملك الميموني قال : سألت أبا عبد الله أحمد عمن قال : إن الله تعالى ليس على العرش فقال : كلامهم كله يدور على الكفر .

وقال أحمد في كتاب السنة له :

٣٠٨ – وهو على العرش فوق السماء السابعة .

فإن احتج مبتدع أو مخالف بقوله تعالى : ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾[4] وبقوله عز وجل : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾[5] أو بقوله تعالى :

---

(١) انظر : الأسماء والصفات للبيهقي ص : ٤٦٧ – ٤٧٣ .

(٢) ابن راشد القطان .

(٣) طبقات الحنابلة ١/٤٣١ وأخرجه الخلال في السنة عن يوسف بن موسى قال : أخبرنا عبد الله بن أحمد قال : قيل لأبي . فذكره ، اجتماع الجيوش الإسلامية ص : ٧٧ . وكذا الرواية التي بعدها في المصدر نفسه .

(٤) سورة ق /١٦ .

(٥) سورة الحديد/٤ .

﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾[1] ونحو هذا من متشابه القرآن .

قيل : إنما يعنى بذلك العلم . لأن الله تبارك وتعالى على العرش فوق السماء السابعة العليا . يعلم ذلك كله . وهو تعالى بائن من خلقه . لا يخلو من علمه مكان[2] .

روى أحمد بسنده عن الضحاك فى قول : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ﴾ قال : هو على العرش وعلمه معهم[3] .

٣٠٩ - وذكرها ابن أبى يعلى من طريق الفضل بن زياد عن الضحاك ثم قال : - أى الفضل - قال أحمد : هذه السنة[4] .

٣١٠ - قال ابن تيمية : قال حنبل بن إسحاق فى كتاب السنة : قلت لأبى عبد الله أحمد بن حنبل ما معنى قوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ و ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ إلا هو معهم أينما كانوا ﴾ قال : علمه . عالم الغيب والشهادة يحيط بكل شىء ، شاهد علام الغيوب ، يعلم الغيب ، ربنا على العرش بلا حد ولا صفة[5] .

وذكرها ابن القيم نقلا عن كتاب السنة للطبرى - بإسناده - إلى حنبل قال : قيل لأبى عبد الله - فذكرها . اهـ .

٣١١ - وقال أبو طالب سألت أحمد عن رجل قال : إن الله معنا وتلا قوله تعالى ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ . قال - أى أحمد - يأخذون بآخر الآية ويدعون أولها هلا قرأت عليه : ﴿ ألم تر أن الله يعلم ما

---

(١) سورة المجادلة/٧ .
(٢) ضمن شذرات البلاتين ص : ٤٨ .
(٣) السنة لعبد الله بن أحمد ص : ٨٠ .
(٤) طبقات الحنابلة ٤٢١/١ .
(٥) مجموعة الفتاوى ٤٩٦/٥ . وسيأتى الكلام حول قول أحمد : « بلا حد ولا صفة » فى الاستواء ص : ٣٤٤/٢ .

فى السموات ﴾ بالعلم معهم وفى (ق) ﴿ ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ .

٣١٢ – وقال المروذى : قلت لأبى عبد الله إن رجلا قال : أقول كما قال الله تعالى : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ أقول هذا ولا أجاوزه إلى غيره فقال أبو عبد الله : هذا كلام الجهمية فقلت له : فكيف تقول ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ﴾ قال : علمه فى كل مكان وعلمه معهم . قال : أول الآية يدل على أنه علمه .

٣١٣ – وقال فى موضع آخر : وإنه الله عز وجل على عرشه فوق السماء السابعة يعلم ما تحت الأرض السفلى وإنه غير مماس لشىء من خلقه هو تبارك وتعالى بائن من خلقه وخلقه بائنون منه[1] .

قول الإمام أحمد فى كتابه الرد على الجهمية

(ق ٢٣/أ) ومما أنكرت الجهمية الضلال أن يكون الله سبحانه على العرش

٣١٤ – فقلنا لهم : لم أنكرتم ذلك ؟ إن الله سبحانه على العرش وقد قال سبحانه : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾[2] وقال : ﴿ ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا ﴾[3] . قالوا : هو تحت الأرض السابعة كما هو على العرش فهو على العرش وفى السموات وفى الأرض وفى كل مكان لا يخلو منه مكان ولا يكون فى مكان دون مكان . وتلوا آيات من القرآن : ﴿ وهو الله فى السموات وفى الأرض ﴾[4] . فقلنا : قد عرف المسلمون أماكن كثيرة

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ص : ٧٨ . نقلا من كتاب السنة لأبى بكر الخلال .
(٢) سورة طه /٥ .
(٣) سورة الفرقان /٥٩ .
(٤) سورة الأنعام /٣ .

وليس فيها من عظمة الله شيء . فقالوا : أى مكان . فقلنا : أحشاؤكم وأجواف الخنازير والحشوش والأماكن القذرة ليس فيها من عظمة الرب سبحانه شيء وقد أخبرنا أنه فى السماء فقال سبحانه : ﴿ ءَأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم ﴾[1] الآية . وقال : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾[2] وقال : ﴿ وله من فى السموات والأرض ومن عنده ﴾[3] وقال : ﴿ إنى متوفيك ورافعك إلىّ ﴾[4] وقال : ﴿ بل رفعه الله اليه ﴾[5] وقال : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾[6] (ق ٢٣/ ب) وقال : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾[7] وقال : ﴿ وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴾[8].

فهذا خبر الله أنه فى السماء[9] . ووجدنا كل شيء أسفل مذموم قال الله تعالى : ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ﴾[10]﴿ وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والأنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين ﴾[11].

وقلنا لهم : أليس تعلمون أن إبليس كان مكانه والشياطين مكانهم فلم يكن الله ليجتمع هو وإبليس فى مكان واحد ولكن إنما معنى قوله تبارك وتعالى ﴿ وهو الله فى السموات وفى الأرض ﴾[12] يقول هو إله من فى السموات وإله من فى

---

(١) سورة الملك /١٦ ، ١٧ .

(٢) سورة فاطر /١٠ .

(٣) سورة الأنبياء /١٩ .

(٤) سورة آل عمران /٥٥ .

(٥) سورة النساء /١٥٨ .

(٦) سورة النحل /٥٠ .

(٧) سورة المعارج /٤ .

(٨) سورة الأنعام /١٨ .

(٩) من قوله السابق : وقد أخبرنا أنه فى السماء إلى هنا . ذكره أبو يعلى ابن الفراء فى كتابه إبطال التأويل (ق : ٢١٥) حيث قال : وقد قال أحمد فيما خرجه فى الرد على الجهمية :...

(١٠) سورة النساء /١٤٥ .

(١١) سورة فصلت /٢٩ .

(١٢) سورة الأنعام /٣ .

الأرض وهو على العرش وقد أحاط بعلمه ما دون العرش لا يخلو من علم الله مكان ولا يكون علم الله فى مكان دون مكان وذلك قوله : ﴿ لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾[1] . (ق ٢٤/أ) قال أحمد رضى الله عنه : ومما تأولته الجهمية من قول الله سبحانه : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ﴾[2] الآية . قالوا : إن الله عز وجل معنا وفينا . فقلنا : لم قطعتم الخبر من أوله إن الله يقول : ﴿ ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ﴾[3] ثم قال : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ يعنى إن الله بعلمه رابعهم ولا خمسة إلا هو بعلمه سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم يعنى بعلمه فيهم أين ما كانوا ﴿ ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴾ يفتح الخبر بعلمه ويختم الخبر بعلمه[4] وإذا أردت تعلم أن الجهمى كاذب على الله حين زعم أنه فى كل مكان ولا يكون فى مكان دون مكان فقل له : أليس كان الله ولا شيء . فسيقول : نعم . فقل له حين خلق الشيء خلقه فى نفسه أو خارجاً عن نفسه (ق ٢٤/ ب) فإنه يصير إلى ثلاثة أقاويل واحد منها : إن زعم أن الله خلق الخلق فى نفسه كفر حين زعم أنه خلق الخلق والشياطين وإبليس فى نفسه .

فإن قال خلقهم خارجا عن نفسه ثم دخل فيهم كان هذا أيضا كفرا حين زعم أنه دخل فى كل مكان وحش قذر ردىء . وإن قال : خلقهم خارجا من نفسه ثم لم يدخل فيهم رجع عن قوله كله أجمع وهو قول أهل السنة[5] .

---

(١) سورة الطلاق /١٢ .

(٢) سورة المجادلة /٧

(٣) سورة المجادلة /٧ .

(٤) نحو هذا ذكر الآجرى فى الشريعة . انظر : ص : ٢٨٧ .

(٥) ذكر نحو هذا ابن تيمية فى مجموع الفتاوى ١٥٢/٥ وقال : وهذه القاعدة للإمام أحمد من حججه على الجهمية فى زمن المحنة .اهـ .

وفى موضع آخر ذكره بنصه وقال معلقا : فقد بين الإمام أحمد ما هو معلوم بالعقل الصريح والفطرة البديهية ، من أنه لابد أن يكون خلق الخلق داخلا فى نفسه أو خارجا عنه ، وإنه إذا كان خارجا عن نفسه ، فإما أن يكون حل فيه بعد ذلك ، أو لم يزل مباينا ، فذكر الأقسام الثلاثة . مجموع الفتاوى ٣١٢/٥ - ٣١٣ .

بيان ما ذكر الله فى القرآن : وهو معكم

وهذا على وجوه : قول الله تعالى لموسى : ﴿إننى معكما أسمع وأرى﴾[1] يقول : فى الدفع عنكما . وقال : ﴿ ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾[2] يعنى فى الدفع عنا . وقال : ﴿ والله مع الصابرين ﴾[3] (ق ٢٥/أ) يعنى فى النصرة لهم على عدوهم وقوله : ﴿ وأنتم الأعلون والله معكم ﴾[4] فى النصرة لكم على عدوكم وقال : ﴿ وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول ﴾[5] يقول بعلمه فيهم . وقوله : ﴿ كلا إن معى ربى سيهدين ﴾[6] يقول فى العون على فرعون .

فلما ظهرت الحجة على الجهمى بما ادعى على الله عز وجل أنه مع خلقه فى كل شىء قال : هو غير مماس للشىء ولا مباين منه . فقلنا : إذا كان غير مباين أليس هو مماس . قال : لا . قلنا : فكيف يكون فى كل شىء غير مماس الشىء فلم يحسن الجواب . فقال : بلا كيف فخدع الجهال بهذه الكلمة وموه عليهم . فقلنا له : إذا كان يوم القيامة أليس إنما هو الجنة والنار والعرش والكرسى والهواء . قال : بلى . قلنا : وأين يكون ربنا . قال : يكون فى كل شىء كما كان حيث كانت الدنيا . فقلنا : فإن مذهبكم أن ما كان من الله على العرش فهو على العرش وما كان من الله فى الجنة فهو فى الجنة وما كان من الله فى النار فهو فى النار وما كان من الله فى الهواء فهو فى الهواء فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله جل وعلا .

---

(١) سورة طه/٤٦ .
(٢) سورة التوبة /٤٠ .
(٣) سورة البقرة /٢٤٩ .
(٤) سورة محمد /٣٥ .
(٥) سورة النساء /١٠٨ .
(٦) سورة البقرة / ٦٢ .

(ق ٢٧/أ) وقلنا للجهمية : زعمتم أن الله فى كل مكان لا يخلو منه مكان دون مكان . فقلنا لهم : أخبرونا عن قول الله جل ثناؤه ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ﴾[1] لم تجلى إذا كان فيه بزعمكم ولو كان فيه كما تزعمون لم يكن يتجلى لشيء لكن الله تعالى (ق / ٢٧ / ب) على العرش وتجلى لشيء لم يكن فيه ورأى الجبل شيئا لم يكن يراه قط قبل ذلك .

التعليق :

علو الله عزل وجل بذاته على جميع مخلوقاته أمر لا يكاد ينكره إلا من عميت بصيرته وضل عن سواء السبيل . فالدلائل عليه متضافرة من الكتاب والسنة والعقل والفطرة ، وقد أجمع علماء الأمة وعامتهم عليه . والإمام أحمد كان له جهد كبير فى الرد على الجهمية المنكرين لعلو الله عز وجل بذاته على جميع مخلوقاته . المدعين أنه بذاته فى كل مكان تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . وقد تقدم نقضه لمزاعمهم وترهاتهم .

والأمر وإن كان فى غاية الوضوح - ولله الحمد والمنة - إلا أنه لابد من الكلام حول هذه المسألة العظيمة لكشف مزاعم الجهمية خاصة وأنه قد ظهرت بعد زمن الإمام أحمد مزاعم كفرية هى امتداد لأباطيل الجهمية كالاتحادية[2] والحلولية[3] .

وكما أسلفت آنفا - أن الدلائل متضافرة من الكتاب والسنة والعقل والفطرة على أن الله قد علا بذاته على جميع مخلوقاته .

(١) سورة الأعراف /١٣٤ .

(٢) أصحاب وحدة الوجود القائلون بأن العالم هو الله والله هو العالم وذلك مبنى على أصلهم الفاسد : إن الله هو عين هذا الوجود تعالى الله عما يقوله الكافرون علوا كبيرا . ومن زعمائهم ابن عربى المتوفى سنة ثمان وثلاثين وست مئة صاحب « الفتوحات المكية » و «فصوص الحكم » قال ابن كثير: « فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح » . انظر : البداية والنهاية ١٥٦/١٣ . وابن الفارض - المتوفى سنة ست وسبعين وخمس مئة . انظر لسان الميزان ٣١٧/٤ . وابن سبعين - المتوفى سنة تسع وستين وست مئة انظر : شذرات الذهب ٣٢٩/٥ .

(٣) هم :القائلون بأن الله جل وعلا يجوز أن يحل فى الأشخاص . تعالى الله عما يقوله الكافرون علوا كبيرا .انظر : مقالات الإسلاميين ٨١/١ .

والإمام أحمد استدل ببعض الآيات على ذلك ولم يكن غرضه الاستقصاء وإنما أراد الاستشهاد .

يقول ابن تيمية : قد وصف الله تعالى نفسه فى كتابه ، وعلى لسان رسوله بالعلو والاستواء على العرش والفوقية » فى كتابه فى آيات كثيرة ، حتى قال بعض أكابر أصحاب الشافعي : فى القرآن « ألف دليل » أو أزيد تدل على أن الله تعالى عال على الخلق وأنه فوق عباده[1] . اهـ .

ومع ذلك تمادى هؤلاء فى ضلالهم وادعوا المجاز فى الآيات الدالة على العلو والفوقية وزعموا أن المراد علو القدر والقهر لا علو الذات .

يقول ابن القيم : مما ادعى المعطلة مجازه الفوقية وقد ورد به القرآن مطلقا بدون حرف ومقترنا بحرف فالأول : كقوله تعالى : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾[2] فى موضعين . والثانى : كقوله : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾[3] وفى حديث الأوعال[4] لما ذكر السموات السبع وذكر البحر الذى فوقها والعرش فوق ذلك كله والله فوق ذلك كله لا يخفى عليه أعمالكم وحقيقة الفوقية علو ذات الشيء على غيره فادعى الجهمى أنها مجاز فى فوقية الرتبة والقهر كما يقال : الذهب فوق الفضة والأمير فوق نائبه وهذا وإن كان ثابتا للرب تعالى لكن إنكار حقيقة فوقيته سبحانه وحملها على المجاز باطل من وجوه عديدة .

أحدها: أن الأصل الحقيقة والمجاز على خلاف الأصل .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢١/٥ .

(٢) سورة الأنعام /١٨ .

(٣) سوة النحل /٥٠ .

(٤) أخرجه أحمد ، وأبو داود ٩٣/٥ ، وابن ماجه ٦٩/١ ، والدارمى فى النقض على المريسى ص : ٩٠ - ٩١ ، والعقيلى فى الضعفاء ٢٨٤/٢ وابن أبى شيبة فى كتاب العرش ص : ٥٥ ، وفى الإسناد الوليد بن أبى ثور وهو ضعيف . تقريب ٣٢٣/٢ ، إلا أنه توبع تابعه عمرو بن قيس كما فى رواية أبى داود ٩٤/١ والترمذى ٤٢٤/١ وقال : حسن غريب ، واللالكائى فى شرح أصول السنة ٣٨٩/١ ، وابن خزيمة فى التوحيد ص : ١٠٢ وتابعه أيضا : إبراهيم بن طهمان كما فى رواية أبى داود ٩٤/٥ إلا أن مدار الحديث على عبد الله بن عميرة رواه عن الأحنف بن قيس قال البخارى فى التاريخ ١٥٩/٥ :لا نعلم له سماعا من الأحنف وقال الذهبى : فيه جهالة . الميزان ٤٦٩/٢ .

الثانى: أن الظاهر خلاف ذلك .

الثالث: أن هذا الاستعمال المجازى لابد فيه من قرينة تخرجه عن حقيقته فأين القرينة فى فوقية الرب تعالى .

الرابع: أن القائل إذا قال : الذهب فوق الفضة قد أحال المخاطب على ما يفهم من هذا السياق والمعتد بأمرين عهد تساويهما فى المكان وتفاوتهما فى المكانة فانصرف الخطاب إلى ما يعرفه السامع ولا يلتبس عليه . فهل لأحد من أهل الإسلام وغيرهم عهد بمثل ذلك فى فوقية الرب تعالى حتى ينصرف فهم السامع إليها .

الخامس: أن العهد والفطر والعقول والشرائع وجميع كتب الله المنزلة على خلاف ذلك وأنه سبحانه فوق العالم بذاته فالخطاب بفوقيته ينصرف إلى ما استقر فى الفطر والعقول والكتب السماوية .

السادس: أن هذا المجاز لو صرح به فى حق الله كان قبيحا فإن ذلك إنما يقال فى المقاربين فى المنزلة وأحدهما أفضل من الآخر وأما إذا لم يتقاربا بوجه فإنه لا يصح فيهما ذلك .

السابع: أن الرب سبحانه لم يمتدح فى كتابه ولا على لسان رسوله بأنه أفضل من العرش وأن رتبته فوق رتبة العرش و أنه خير من السموات والعرش والكرسى وحيث ورد ذلك فى الكتاب فإنما هو فى سياق الرد على من عبد معه غيره وأشرك فى إلهيته فبين سبحانه أنه خير من تلك الآلهة كقوله : ﴿ آلله خير أمَّا يشركون ﴾[1] وقوله : ﴿ أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾[2] وقول السحرة : ﴿ وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى ﴾[3] ولكن أين فى القرآن مدحه نفسه وثناؤه على نفسه بأنه أفضل من السموات والعرش والكرسى ابتداء ولا يصح إلحاق هذا بذلك إذ يحسن فى الاحتجاج على المنكر

(١) سورة النمل /٥٩ .

(٢) سورة يوسف /٣٩ .

(٣) سورة طه /٧٣ .

وإلزامه من الخطاب الداحض لحجته ما لايحسن فى سياق غيره ولا ينكر هذا إلا غبى .

الثامن: أن هذا المجاز وإن احتمل فى قوله : ﴿ وإنا فوقهم قاهرون ﴾[1] فذلك لأنه قد علم أنهم جميعا مستقرون على الأرض فهى فوقية قهر وغلبة لم يلزم مثله فى قوله : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ إذ قد علم بالضرورة أنه وعباده ليسوا مستوين فى مكان واحد حتى تكون فوقية قهر وغلبة .

التاسع: ... (وأنه) قد جاءت فوقية الرب مقرونة بمن كقوله تعالى : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ فهذا صريح فى فوقية الذات ولا يصح حمله على فوقية الرتبة لعدم استعمال أهل اللغة له .

العاشر: ما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لما قضى الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش رحمتى سبقت غضبى »[2] وفى لفظ : « فهو عنده موضوع على العرش » فتأمل قوله : « فهو عنده فوق العرش » هل يصح حمل الفوقية على المجاز وفوقية الرتبة والفضيلة بوجه من الوجوه .

وفى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم فى تفسير قوله ﴿ هو الأول و الآخر والظاهر والباطن ﴾ وبقوله : « أنت الأول فليس قبلك شىء وأنت الآخر فليس بعدك شىء وأنت الظاهر فليس فوقك شىء وأنت الباطن فليس دونك شىء »[3] فجعل كمال الظهور موجبا لكمال الفوقية ولا ريب أنه ظاهر بذاته فوق كل شىء والظهور هنا العلو ومنه قوله : ﴿ فما اسطاعوا أن يظهروه ﴾[4] أى يعلوه وقرر هذا المعنى بقوله : « فليس فوقك شىء » أى أنت فوق الأشياء كلها ليس لهذا اللفظ معنى غير ذلك ولا يصح أن يحمل الظهور على الغلبة لأنه

---

(١) سورة الأعراف /٢١٧ .
(٢) أخرجه البخارى ٢٨٧/٦، ومسلم ٢١٠٧/٤ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .
(٣) رواه مسلم ٢٠٨٤/٤ ، وأحمد ٣٨١/٢ ، وابن ماجه ١٢٥٩/٢ وأبو داود ٣٠١/٥ . من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .
(٤) سورة الكهف /٩٧ .

قابله بقوله : « وأنت الباطن » فهذه الأسماء الأربعة متقابلة اسمان لأزل الرب تعالى وأبده واسمان لعلوه وقربه ... وثبت عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه مر بعجوز فاستوقفته فوقف يحدثها فقال له رجل : يا أمير المؤمنين حبست الناس على هذه العجوز فقال : ويحك أتدرى من هذه . هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هذه خولة التى أنزل الله فيها : ﴿ قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله ﴾[1] . أخرجه الدارمى[2] وغيره . فسل المعطل هل يصح أن يكون المعنى : سمع الله قولها حال كونه خيرا وأفضل من سبع سموات .

الحادى عشر: أنه سبحانه لو لم يتصف بفوقية الذات مع أنه قائم بنفسه غير مخالط للعالم لكان متصفا بضدها لأن القابل للشىء لا يخلو منه أو من ضده وضد الفوقية السفول وهو مذموم على الإطلاق ... فإن قيل لا نسلم أنه قابل للفوقية حتى يلزم من نفيها ثبوت ضدها قيل : لو لم يكن قابلا للفوقية والعلو لم يكن له حقيقة قائمة بنفسها فمتى أقررتم بأنه ذات قائم بنفسه غير مخالط للعالم وأنه موجود فى الخارج ليس وجوده ذهنيا فقط بل وجود خارج الأذهان . فقد علم العقلاء بالضرورة أن ماكان وجوده خارج الأذهان فهو إما فى هذا العالم وإما خارج عنه وإنكار ذلك إنكار لما هو من أجلى البديهيات فلا يستدل على ذلك بدليل إلا كان العلم بالمباينة أوضح منه ، وإذا كان العلو والفوقية صفة كمال لا نقص فيه ولا يستلزم نقصا ولا يوجب محذورا ولا يخالف كتابا ولا سنة ولا إجماعا فنفى حقيقتها عين الباطل فكيف إذا كان لا يمكن الإقرار بوجود الصانع وتصديق رسله والإيمان بكتابه وبما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم إلا بذلك فكيف إذا شهدت بذلك العقول السليمة والفطر المستقيمة وحكمت به القضايا البديهيات والمقدمات اليقينيات ، فلو لم يقبل العلو والفوقية لكان كل عال على غيره أكمل منه فإن ما يقبل العلو أكمل مما لا يقبله .

---

(١) سورة المجادلة /١ .

(٢) فى الرد على الجهمية ص : ٢٧٤ ضمن عقائد السلف ، والبيهقى فى الأسماء والصفات ص : ٤٢٠ .

الثانى عشر : أنه لو كانت فوقيته سبحانه مجازا لا حقيقة لها لم يتصرف فى أنواعها وأقسامها ولوازمها ولم يتوسع فيها غاية التوسع فإن فوقية الرتبة والفضيلة لا يتصرف فى تنويعها إلا بما شاكل معناها نحو قولنا : هذا خير من هذا وأفضل وأجل وأعلى قيمة ونحو ذلك ، وأما فوقية الذات فإنها تتنوع بحسب معناها فيقال فيها : استوى وعلا وارتفع وصعد ويعرج إليه كذا ويصعد إليه وينزل من عنده ،وهو عال على كذا ورفيع الدرجات ، وترفع إليه الأيدى ... وأنه يطلع على عباده من فوق سبع سمواته وأن عباده يخافونه من فوقهم وأنه ينزل إلى السماء الدنيا ، وأنه يبرم القضاء من فوق عرشه ... وأن عباده المؤمنين إذا نظروا إليه فى الجنة رفعوا رؤوسهم . فهذه لوازم الأنواع كلها أنواع فوقية الذات ولوازمها لا أنواع فوقية الفضيلة والمرتبة فتأمل هذا الوجه حق التأمل تعلم أن القوم أفسدوا اللغة والفطرة والعقل والشرع .

الثالث عشر: أنه لو كانت فوقية الرب تبارك وتعالى مجازا لا حقيقة لها لكان صدق نفيها أصح من صدق إطلاقها ، ألا ترى أن صحة نفى اسم الأسد عن الرجل الشجاع ... ونحو ذلك أظهر وأصدق من إطلاق تلك الأسماء فلو كانت فوقيته واستواؤه وكلامه وسمعه وبصره ووجهه ومحبته ورضاه وغضبه مجازا لكان إطلاق القول بأنه ليس فوق العرش ولا استوى عليه ولا هو العلى ولا الرفيع ولا هو فى السماء ولا ينزل من عنده شىء ولا يصعد إليه شىء ولا تكلم ولا أمر ولا نهى ولا يسمع ولا يبصر ولا له وجه ولا رحمة ولا يرضى ولا يغضب أصح من إطلاق ذلك وأدنى الأحوال أن يصح النفى كما يصح الإطلاق المجازى . ومعلوم قطعا أن إطلاق هذا النفى تكذيب صريح لله ولرسوله . ولو كانت هذه الإطلاقات إنما هى على سبيل المجاز لم يكن فى نفيها محذور لا سيما ونفيها عين التنزيه والتعظيم وسوغ إطلاق المجاز للوهم الباطل بل الكفر والتشبيه والتجسيم .

هذه بعض الأوجه التى ذكرها ابن القيم والتى بلغت سبعة عشر وجها وقد ذكرت بعضها باختصار[1] .

---

(١) انظر : مختصر الصواعق المرسلة ٢/٢٠٥ - ٢١٧ .

والآن بعد بيان بطلان ما ذهبوا إليه من دعوى المجاز . أتعرض لادعاء آخر من ادعاءاتهم حيث عمدوا إلى بعض آيات من القرآن الكريم مدعين أن فيها دلالة على صحة مذهبهم القائل : بأن الله جل وعلا بذاته فى كل مكان ومن تلك الآيات قول الله جل وعلا : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ﴾[1] . الآية . وقد أجمع المفسرون وعلماء الأمة[2] قاطبة على أن المقصود بذلك أنه معهم بعلمه لا بذاته . وقد بين الإمام أحمد ذلك كما مر فى نقضه على الجهمية . وقد نقل الإجماع على هذا ابن عبد البر حيث يقول : أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا فى تأويل قوله : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ هو على العرش وعلمه فى كل مكان ، وما خالفهم فى ذلك من يحتج بقوله[3] . اهـ .

يقول عثمان بن سعيد الدارمى بعد أن ذكر احتجاج هؤلاء بها : إنما يعنى أنه حاضر كل نجوى ، ومع كل أحد من فوق العرش بعلمه ، لأن علمه بهم محيط ، وبصره فيهم نافذ ، لا يحجبه شيء عن علمه وبصره ، ولا يتوارون منه بشيء وهو بكماله فوق العرش بائن من خلقه ﴿ يعلم السر وأخفى ﴾[4] أقرب إلى أحدهم من فوق العرش من حبل الوريد قادر على أن يكون له ذلك لأنه لا يبعد عنه شيء ولا تخفى عليه خافية ، فى السموات ولا فى الأرض فهو كذلك رابعهم وخامسهم وسادسهم ، لا أنه معهم بنفسه فى الأرض كما ادعيتم. وكذلك فسره العلماء[5] . اهـ .

ومن الآيات التى احتجوا بها أيضا قول الله جل وعلا : ﴿ إننى معكما أسمع وأرى ﴾[6] وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول

---

(١) سورة المجادلة /٧ .
(٢) ممن يُعْتد بهم .
(٣) مجموع الفتاوى ٥/٨٧ .وانظر : نفس المصدر ٥/٤٩٥ - ٤٩٦ .
(٤) سورة طه /٧ .
(٥) الرد على الجهمية ص : ٢٦٨ - ٢٦٩ ضمن عقائد السلف .
(٦) سورة طه /٤٦ .

لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾[1] وقوله تبارك وتعالى : ﴿ والله مع الصابرين ﴾[2] وقوله عز وجل : ﴿ وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول ﴾[3] ونحو ذلك من الآيات .

وقد أوضح الإمام أحمد بجلاء تام المعية المقصودة فى هذه الآيات وأبان أنه لا يمكن أن يفهم منها بحال أنه معهم أى بذاته بل إنه معهم فى الدفع عنهما ، كما فى الآية الأولى ومعهم فى النصرة على عدوهم وتأييدهم كما فى الآية الثانية والثالثة ومعهم بعلمه كما فى الآية الرابعة .

ولمزيد من الإيضاح أقول : إن المعية نوعان – كما حقق ذلك العلماء – : معية عامة : وهى كما فى قوله تعالى : ﴿ هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ماكنتم والله بما تعملون بصير ﴾ ونحو هذه من الآيات . والمقصود بهذه المعية : العلم والتدبير والقدرة .

أما المعية الخاصة : فهى كما فى قوله تعالى : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ وفى قوله جل وعلا : ﴿ قال لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى ﴾ ونحو هذا من الآيات . فهذه المعية المقصود بها النصرة والتأييد والعون[4] . وهو مادل عليه كلام أحمد السابق .

يقول ابن تيمية : وقد بسط الإمام أحمد الكلام على المعية فى الرد على الجهمية[5] . اهـ .

ويقول أيضا – أى ابن تيمية – فى معرض رده على هؤلاء : وذلك أن كلمة (مع) فى اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها فى اللغة إلا المقارنة المطلقة من

---

(١) سورة التوبة /٤٠ .
(٢) البقرة /٢٤٩، وسورة الأنفال /٦٦ .
(٣) سورة النساء /١٠٨ .
(٤) انظر : مجموع الفتاوى ٤٩٦/٥ – ٤٩٧ .
(٥) المصدر السابق .

غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال فإذا قيدت بمعنى من المعانى دلت على المقارنة فى ذلك المعنى فلفظ المعية قد استعمل فى الكتاب والسنة فى مواضع ، يقتضى فى كل موضع أمورا لايقتضيها فى الموضع الآخر ، فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع ، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها – وإن امتاز كل موضع بخاصية – فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب مختلطة بالخلق ، حتى يقال : قد صرفت عن ظاهرها[1] .

ويقول فى موضع آخر : وأيضا فلفظ المعية ليست فى لغة العرب ولا شيء من القرآن يراد بها اختلاط إحدى الذاتين بالأخرى ، كما فى قوله : ﴿ محمد رسول الله والذين معه ﴾[2] وقوله : ﴿ فأولئك مع المؤمنين ﴾[3] وقوله : ﴿ واتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾[4] وقوله : ﴿ وجاهدوا معكم ﴾[5] ومثل هذا كثير ، فامتنع أن يكون قوله : ﴿ وهو معكم ﴾[6] يدل على أن ذاته مختلطة بذوات الخلق ...

إن لفظ المعية فى اللغة – وإن اقتضى المجامعة والمصاحبة والمقارنة – فهو إذا كان مع العباد لم يناف ذلك علوه على عرشه ، ويكون حكم معيته فى كل موطن بحسبه ، فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان ويخص بعضهم بالإعانة والنصر والتأييد[7] . اهـ .

يتضح لنا بعد هذا انكشاف أقنعة الجهمية وأذيالهم . وهنالك مزاعم أخرى فلسفية أثاروها احتجاجا بها على مزاعمهم الكفرية . وليس هناك حاجة إلى سطرها والرد عليها فهى واضحة البطلان .

(١) المصدر السابق ١٠٣/٥ – ١٠٤ .
(٢) سورة الفتح /٢٩ .
(٣) سورة النساء /١٤٦ .
(٤) سورة التوبة /١١٩ .
(٥) سورة الأنفال /٧٥ .
(٦) سورة الحديد/٤ .
(٧) مجموع الفتاوى ٤٩٧/٥ ، وانظر : مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ٢٦٢/٢ – ٢٦٧ .

وبعد أن ذكرت الأدلة من القرآن الكريم على علو الله عز وجل بذاته على جميع مخلوقاته ورد ما أثاره المبطلون ، أتطرق الآن إلى ذكر الأدلة من السنة الصحيحة وغرضى الاستشهاد فقط لا الاستقصاء فمن تلك الأدلة :

ماجاء من الأحاديث فى قصة المعراج وما فيها من الدلالات الكثيرة على علو ذاته جلا وعلا .

وحديث الجارية المتقدم[1] والذى يقول فيه راويه معاوية بن الحكم السلمى : كانت لى جارية ترعى غنما لى قبل أحد والجوانية فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بنى آدم . آسف كما يأسفون لكنى صككتها صكة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك علىّ . قلت : يا رسول الله أفلا أعتقها ؟ قال : « ائتنى بها » فأتيته بها . فقال لها : « أين الله » قالت : فى السماء . قال : من أنا . قالت : أنت رسول الله . قال : « أعتقها فإنها مؤمنة » . هذا لفظ مسلم .

وروى البخارى[2] ومسلم[3] من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : ... أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى أربعة نفر ... فقال رجل من أصحابه : كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء فقال : « ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء » .

وروى البخارى[4] ومسلم[5] من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول : كيف تركتم عبادى . فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون .

---

(١) انظره ص : ٨٦/١ .
(٢) فى الصحيح ٦٧/٨ .
(٣) فى الصحيح ٨٤٢/٢ .
(٤) فى الصحيح ٤١٥/١٣ .
(٥) فى الصحيح ٤٣٩/١ .

والأحاديث كثيرة جدا ومن أراد الاستزادة فليراجع كتاب إثبات صفة العلو لابن قدامة فقد عقد فصلا بعنوان « ذكر الأحاديث الصحيحة الصريحة فى أن الله تعالى فى السماء »[1].

وبعد ذكر بعض الدلائل على علو الله عز وجل بذاته على جميع مخلوقاته من الكتاب والسنة ، أذكر الآن دلالة العقل والفطرة :

أما دلالة العقل فقد ذكر الإمام أحمد فى رده على الجهمية أكثر من وجه وتلك الأوجه ذكر نحوها شارح الطحاوية إذ يقول :

أما ثبوته بالعقل فمن وجوه :

أحدها : العلم البديهى القاطع بأن كل موجودين ، إما أن يكون أحدهما ساريا فى الآخر قائماً به كالصفات ، وإما أن يكون قائما بنفسه بائنا من الآخر .

الثانى : أنه لما خلق العالم فإما أن يكون خلقه فى ذاته أو خارجا عن ذاته ، والأول باطل : أما أولا : فبالاتفاق ، وأما ثانيا فلأنه يلزم أن يكون محلا للخسائس والقاذورات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . والثانى يقتضى كون العالم واقعا خارج ذاته فيكون منفصلا ، فتعينت المباينة ، لأن القول بأنه غير متصل بالعالم وغير منفصل عنه - غير معقول .

الثالث : أن كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه يقتضى نفى وجوده بالكلية ، لأنه غير معقول : فيكون موجودا إما داخله وإما خارجه .

والأول باطل ، فتعين الثانى فلزمت المباينة[2] .

وأما دلالة الفطرة فيقول - أى شارح الطحاوية - :

وأما ثبوته بالفطرة فإن الخلق جميعا بطباعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى[3] . اهـ .

---

(١) انظره : ٤٥ - ٥٧ وانظر مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٣٧/٥ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٣٢٥ ،وانظر : مجموعة الفتاوى لابن تيمية ١٥٢/٥ .

(٣) المصدر السابق .

ويقول ابن قدامة المقدسى : إن الله تعالى وصف نفسه بالعلو فى السماء ووصفه بذلك رسوله محمد خاتم الأنبياء ، وأجمع على ذلك جميع العلماء من الصحابة الأتقياء والأئمة الفقهاء وتواترت الأخبار بذلك على وجه حصل به اليقين وجمع الله عليه قلوب المسلمين وجعله مغروزا فى طباع الخلق أجمعين ، فتراهم عند نزول الكرب بهم يلحظون السماء بأعينهم ويرفعون نحوها للدعاء أيديهم ، وينتظرون مجىء الفرج من ربهم وينطقون بذلك بألسنتهم ، لا ينكر ذلك إلا مبتدع غال فى بدعته[١] .

(١) إثبات صفة العلو ص : ٤١ .

قول الإمام أحمد فى العرش

(فى كتاب السنة له قال) :

٣١٥ – ولله عز وجل عرش . وللعرش حملة يحملونه . والله عز وجل على عرشه[(١)] .

التعليق :

العرش من أعظم مخلوقات الله جل جلاله . وقد دل عليه الكتاب والسنة .

أما الكتاب الكريم فقد ذكر فيه فى إحدى وعشرين آية؛ ذكر عز وجل استواءه عليه فى سبع منها وهى : ﴿ ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار ﴾[(٢)] ﴿ ثم استوى على العرش يدبر الأمر ﴾[(٣)] ﴿ ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر ﴾[(٤)] ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾[(٥)] ﴿ ثم استوى على العرش الرحمن فسئل به خبيرا ﴾[(٦)] ﴿ ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع ﴾[(٧)] ﴿ ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها ﴾[(٨)] .

وذكره سبحانه وتعالى فى أربع عشرة آية وهى :

---

(١) انظر : كتاب السنة – ضمن شذرات البلاتين ص : ٤٨ وطبقات الحنابلة ١/٢٩ .
(٢) سورة الأعراف /٥٤ .
(٣) سورة يونس /٣ .
(٤) سورة الرعد /٢ .
(٥) سورة طه /٥ .
(٦) سورة الفرقان /٥٩ .
(٧) سورة السجدة /٤ .
(٨) سورة الحديد /٤ .

﴿ عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾[1] ﴿ وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾[2] ﴿ إذاً لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا ﴾[3] ﴿ فسبحان الله رب العرش عما يصفون ﴾[4] ﴿ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ﴾[5] ﴿ فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴾[6] ﴿ الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ﴾[7] ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش ﴾[8] ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ﴾[9] ﴿ رفيع الدرجات ذو العرش ﴾[10] ﴿ سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون ﴾[11] ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾[12] ﴿ إنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين ﴾[13] ﴿ وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد ﴾[14][*].

أما من السنة : فقد روى البخارى[15] وأحمد[16] عن عمران بن حصين عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على

---

(١) سورة التوبة /١٢٩ .
(٢) سورة هود/٧ .
(٣) سورة الإسراء /٤٢ .
(٤) سورة الأنبياء /٢٢ .
(٥) سورة المؤمنون /٨٦ .
(٦) سورة المؤمنون /١١٦ .
(٧) سورة النمل /٢٦ .
(٨) سورة الزمر /٧٥ .
(٩) سورة غافر /٧ .
(١٠) سورة غافر ١٥ .
(١١) سورة الزخرف /٨٢ .
(١٢) سورة الحاقة /١٧ .
(١٣) سورة التكوير /٢٠ .
(١٤) سورة البروج /١٥ .
(*) المصدر فى حصر هذه المواضع : « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » وضع : محمد فؤاد عبد الباق .
(١٥) فى الصحيح ٦/٢٨٦ .
(١٦) فى المسند ٤/٤٣١ – ٤٣٢ .

الماء وكتب فى الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض » . واللفظ للبخارى .

وروى مسلم[1] عن ابن عباس عن جويرية أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهى فى مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى ، وهى جالسة فقال : « ... لقد قلت بعدك أربع كلمات ، ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته » .

وروى البخارى[2] عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ... إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله ، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة » .

وروى البخارى[3] ومسلم[4] عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ... الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أفاق قبلى أم جوزى بصعقة الطور » . واللفظ للبخارى .

وأخرجاه[5] أيضاً من حديث أبى هريرة وفيه : « فإذا موسى باطش جنب العرش » .

وفى رواية : « فإذا موسى آخذ بالعرش » .

وروى البخارى[6] ومسلم[7] عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه

---

(1) فى الصحيح ٤/٢٠٩٠ .
(2) فى الصحيح ٦/١١ ، ١٣/٤٠٤ .
(3) فى الصحيح ٥/٧٠ و ٦/٤٣٠ و ١٢/٢٦٣ و ١٣/٤٠٥ .
(4) فى الصحيح ٤/١٨٤٥ .
(5) أى البخارى فى الصحيح ٤/٥/٧٠ و ٦/٤٤١ ، ٤٥٠ ومسلم فى الصحيح ٤/١٨٤٣ .
(6) فى الصحيح ٦/٢٨٧ .
(7) فى الصحيح ٤/٢١٠٧ .

وسلم قال : « لما قضى الله الخلق كتب فى كتابه فهو عنده فوق العرش : إن رحمتى تغلب غضبى » .

وروى البخارى[1] ومسلم[2] عن ابن عباس قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : عند الكرب : « لا إله إلا الله العليم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش الكريم » .

فهل يسوغ لأحد بعد هذا أن ينكره أو يؤوله إلا أن يكون مبتدعا ضالا زائغا عن الحق .

يقول ابن أبى زمنين : ومن قول أهل السنة إن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ثم استوى عليه كيف شاء[3] .

ويقول الدارمى : وما ظننا أن نضطر إلى الاحتجاج على أحد ممن يدعى الإسلام فى إثبات العرش والإيمان به ، حتى ابتلينا بهذه العصابة الملحدة فى آيات الله[4] . اهـ .

وقد أخبر الله جل وعلا أنه قد خلقه قبل خلق السموات والأرض قال تعالى : ﴿ وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ﴾ وقد مر بنا حديث عمران بن حصين أنه صلى الله عليه وسلم قال : « كان الله و لم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء ... الحديث » .

والآيات تدل أيضا على أن استواءه عليه كان بعد خلق السموات والأرض قال تعالى : ﴿ إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ .

يقول شارح الطحاوية معلقا على قول الطحاوى : « وهو مستغن عن العرش ومادونه » – ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش

---

(١) فى الصحيح ٤٠٤/١٣ .

(٢) فى الصحيح ٢٠٩٢/٤ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ٥٤/٥ .

(٤) الرد على الجهمية – ضمن عقائد السلف –ص : ٢٦٣ .

لبيين أن خلقه العرش لاستوائه عليه ، ليس لحاجته إليه ، بل له فى ذلك حكمة اقتضته ، وكون العالى فوق السافل ، لا يلزم أن يكون السافل حاويا للعالى محيطا به حاملا له ، ولا أن يكون الأعلى مفتقرا إليه . فانظر إلى السماء كيف هى فوق الأرض وليست مفتقرة إليها ؟ فالرب تعالى أعظم شأنا وأجل من أن يلزم من علوه ذلك ، بل لوازم علوه من خصائصه ، وهى حمله بقدرته للسافل ، وفقر السافل وغناه هو سبحانه عن السافل ،وإحاطته عز وجل ، فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته وغناه عن العرش وفقر العرش إليه[1] . اهـ .

والعرش فى اللغة : سرير الملك . قال الله تعالى فى خبر بلقيس : ﴿ ولها عرش عظيم ﴾ .

قال شارح الطحاوية : وليس هو فلكا[2] ولا تفهم منه العرب ذلك والقرآن إنما نزل بلغة العرب[3] . اهـ .

وقال البيهقى : وأقاويل أهل التفسير على أن العرش هو السرير وأنه جسم مجسم[4] . اهـ .

وروى عن ابن عباس أنه قال : يسمى عرشا لارتفاعه .

قال ابن تيمية : والاشتقاق يشهد لهذا كقوله تعالى : ﴿ وما كانوا يعرشون ﴾ وقوله : ﴿معروشات وغير معروشات ﴾ ... ومقعد الملك يكون أعلى من غيره . فهذا بالنسبة إلى غيره عال عليه وبالنسبة إلى ما فوقه هو دونه .

وفى الصحيحين : « إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة وسقفه عرش الرحمن » .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٣١٣ .
(٢) وقد فصل ابن تيمية هذه المسألة عندما سئل : ما تقول فى العرش . هل هو كرى أم لا انظر : مجموع الفتاوى ٦/٥٤٥–٥٨٣ .
(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٣١١ .
(٤) الأسماء والصفات : ٤٩٧ .

فدل على أن العرش أعلى المخلوقات[1] .

بعد هذا العرض للآيات والأحاديث الدالة على أن الله عز وجل خلق العرش – وهو أعظم مخلوقاته ــ ثم استوى عليه كيف شاء يأتي المبتدعة والمتفلسفة ويحاولون أن يخرجوا بالنصوص عن ظواهرها وحقائقها إلى معان لا يمكن أن تحتملها ومن ذلك تأويلهم للعرش على أنه يراد به : « معنى الملك » .

يقول عبد الجبار بن أحمد – المعتزلي ــ بعد أن ذكر هذا : وذلك ظاهر فى اللغة يقال : ثل عرش بنى فلان . أى زال ملكهم وفيه يقول الشاعر :

إذا ما بنو مروان ثلت عروشهم وأودت كما أودت إياد وحمير[2]

يقول شارح الطحاوية : وأما من حرف كلام الله وجعل العرش عبارة عن الملك كيف يصنع بقوله تعالى : ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ وقوله : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ أيقول : ويحمل ملكه يومئذ ثمانية . وكان ملكه على الماء ويكون موسى عليه السلام آخذا بقائمة من قوائم الملك هل يقول هذا عاقل يدرى ما يقول[3] .

---

(١) مجموعة الفتاوى ٤٠٢/١٦ .
(٢) شرح الأصول الخمسة ص : ٢٢٦ ، وانظر : الكشاف للزمخشرى ٥٢/٣ .
(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٣١٢ .

قول الإمام أحمد فى صفة الاستواء

فى كتاب السنة له قال :

٣١٦ – والله عز وجل على العرش .
وهو على العرش فوق السماء السابعة[١] .

وفى رسالة الإصطخرى :

٣١٧ – والله عز وجل على عرشه ليس حد والله أعلم بحده[٢] .

قال القاضى أبو يعلى الفراء :

٣١٨ – قال – أى أحمد – فى رواية حنبل بن إسحاق : نحن نؤمن بأن الله على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف أو يحده أحد[٣] .

٣١٩ – ونقل ابن القيم من رواية طويلة لحنبل بن إسحاق عن كتاب السنة للخلال وفيها قول الإمام أحمد : « وهو على العرش بلا حد كما قال : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ كيف شاء[٤] » .

قال أبو يعلى بعد ذكره لهذه الرواية فى موضع آخر :

فقد نص على نفى الحد وأومأ إليه فى رواية يعقوب بن العباس الهاشمى[٥] .

---

(١) انظر : شذرات البلاتين ، ص :٤٨ .
(٢) انظر : طبقات الحنابلة : ٢٩/١ .
(٣) إبطال التأويلات لأخبار الصفات (ق : ٢١٣/ب) . وهذه الرواية ذكرها ابن تيمية وأوضح مصدرها وهو كتاب السنة للخلال .
انظر مجموع الفتاوى : ٤٩٦/٥ . وقد وجدتها بعد عند الخلال (ق : ١٥٧/أ)بلفظ مقارب .
(٤) انظر الرواية بأكملها ص : ٢٧٧ من هذا البحث وهى فى اجتماع الجيوش الإسلامية، ص : ٨٣.
(٥) قال عنه أبو بكر الخلال : عنده عن أبى عبد الله مسائل صالحة ، حسان مشبعة . سأل عنها أبا عبد الله . طبقات الحنابلة ٤١٦/١ .

٣٢٠ – وقد سئل عن قول ابن المبارك : ربنا على العرش بحد[1] ما معنى الحد ؟ قال : لا أعرفه والأحاديث بغير تحديد ولا تكييف .

٣٢١ – ونقل الأثرم[2] أنه قيل له : يحكى عن ابن المبارك أنه قال : ربنا على العرش[3] بحد فقال أحمد : هكذا هو عندنا[4] .

٣٢٢ – ونقل المروذى أنه ذكر له قول ابن المبارك : نعرف الله على العرش بحد . فقال أحمد : بلغنى ذلك ، وأعجبه[4] .

التعليق :

تقدم الكلام عن العرش وذكر الآيات الدالة عليه وأن الله سبحانه وتعالى ذكر فى سبع منها استواءه عليه .

والقول : بأن الله عز وجل مستو على العرش بذاته حقيقة استواء يليق بجلاله لا على معنى القعود والمماسة وإنما على معنى العلو والارتفاع والبينونة من الخلق هو : مذهب السلف .

وما تقدم ذكره من الآيات والأحاديث فى : العلو ، والعرش . دلائل واضحة على صحة هذا الاعتقاد .

وأيضا : روى أبو بكر الخلال فى : « السنة » عن قتادة بن النعمان أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه » .

---

(١) انظر : الأسماء والصفات للبيهقى ص : ٤٢٧ ، والسنة لعبد الله بن أحمد ص : ١٣ .

(٢) هو : أحمد بن محمد بن هانئ ، أبو بكر الأثرم . ثقة . من كبار أصحاب الإمام أحمد . انظر : ط/الحنابلة ١٢/١ وهذه الرواية فى طبقات الحنابلة ٢٦٧/١ عن الأثرم : قال حدثنى محمد بن إبراهيم القيسى قال : قلت لأحمد : يحكى عن ابن المبارك ... والقيسى : قال عنه ابن أبى يعلى : نقل عن الإمام أحمد أشياء . وذكر له هذه الرواية فقط .

(٣) الروايتان والوجهان لأبى يعلى (ق : ٢٤٩/أ) .

(٤) إبطال التأويلات (ق : ٢١٣/أ) .

قال الذهبى : رواته ثقات[1] .

قال الدارمى : « فالله تبارك وتعالى فوق عرشه فوق سماواته ، بائن من خلقه ، فمن لم يعرفه بذلك لم يعرف إلهه ، الذى يعبد وعلمه من فوق العرش بأقصى خلقه وأدناهم واحد لا يبعد عنه شيء ﴿ لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ﴾ »[2] .

سبحانه وتعالى عما يصفه المعطلون علوا كبيرا[3] .

ويقول الحافظ الصابونى : ويعتقد أهل الحديث ويشهدون أن الله سبحانه وتعالى فوق سماواته على عرشه كما (أخبر) به فى كتابه ، يثبتون من ذلك ما أثبته الله تعالى ويؤمنون به ويصدقون الرب جل جلاله فى خبره ويطلقون ما أطلقه سبحانهُ وتعالى من استوائه على العرش[4] . اهـ .

وقد مر بنا قول مالك عندما سئل عن الاستواء .

وكذا روى عن ربيعة الرأى – لما سئل عن قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله تعالى الرسالة وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم البلاغ وعلينا التصديق[5] . اهـ .

ومجمل الروايات عن أحمد تفيد إثبات هذه الصفة إثباتا مطلقا .

يقول القاضى أبو يعلى ابن الفراء :

«... ذكر أبو الحسن التميمى[6] أن هذا الاستواء لا بمعنى المماسة للعرش ... وما ذكره أبو الحسن التميمى أصح . وهو أشبه بكلام أحمد لأن من نقل عن أحمد نقل الاستواء مطلقا من غير ذكر مماسة ، ولأن هذا مذهبه فى

---

(١) انظر : العلو للذهبى ص : ٥٢ .

(٢) سورة سبأ /٣ .

(٣) الرد على الجهمية ص : ٢٧١ ضمن عقائد السلف .

(٤) انظر : عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص : ١٠٩ ضمن مجموعة الرسائل المنيرية .

(٥) انظر : العلو للذهبى ص : ٩٨ واجتماع الجيوش الإسلامية ص: ٧٥ .

(٦) هو عبد العزيز بن الحارث ، صنف فى الأصول والفروع والفرائض ، توفى سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة . انظر : ت/بغداد ٤٦١/١٠ ، والبداية والنهاية ٢٩٨/١١، وطبقات الحنابلة ١١٩/٢ .

الصفات وأنها تمر كما جاءت . والذى ورد فى القرآن والأخبار الاستواء مطلقا فيجب أن يحمل على ذلك الإطلاق[1]. اهـ .

وبعد هذا الإيضاح الموجز لمذهب السلف فى الاستواء . أتطرق الآن إلى المعطلة الذين أنكروا أن يكون الله جل وعلا مستويا على عرشه بذاته حقيقة وسأورد بعض ادعاءاتهم ليتضح بطلانها . فأقول وبالله التوفيق .

إن أول من أنكر الاستواء وأوله بالاستيلاء هو : الجعد بن درهم .

يقول ابن تيمية : إن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة فى الإسلام – أعنى أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة وأن معنى استوى بمعنى استولى ونحو ذلك – هو الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان ، وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه[2] .

ويقول ابن القيم مفندا هذا الادعاء وغيره :

«... فى قوله: ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ فى سبع آيات من القرآن حقيقة عند جميع فرق الأمة إلا الجهمية ومن وافقهم[3] فإنهم قالوا : هو مجاز ثم اختلفوا فى مجازه والمشهور عنهم ما حكاه الأشعرى عنهم[4] وبدعهم وضللهم فيه بمعنى استولى أى ملك وقهر وقالت فرقة منهم : بل معنى قصد وأقبل على خلق العرش . وقالت فرقة أخرى : بل هو مجمل فى مجازاته يحتمل خمسة عشر وجها كلها لا يعلم أيها المراد إلا أنا نعلم انتفاء الحقيقة عنه بالعقل .

هذا الذى قالوا باطل من اثنين وأربعين وجها :

---

(١) الروايتان والوجهان (ق : ٢٤٩/أ) وانظر ما بعدها . وكذا انظر : إبطال التأويلات (ق : ٢١٣ – ٢١٤) (ق : ٢٤٣ –٢٤٤) .

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/٥ .

(٣) انظر : شرح الأصول الخمسة ص : ٢٢٦ ، والأسماء والصفات للبيهقى ص : ٤١٠–٤١٢، والإرشـاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد للجوينى ، إحياء علوم الدين للغزالى ١٠٨/١ ، مشكل الحديث لابن فورك ص : ١٤٦ ، مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٨٦/٥ .

(٤) انظر : الإبانة عن أصول الديانة ص : ٤٨ – ٤٩ .

أحدها : أن لفظ الاستواء فى كلام العرب الذى خاطبنا الله تعالى بلغتهم وأنزل بها كلامه نوعان : مطلق ومقيد .

فالمطلق : مالم يوصل معناه بحرف مثل قوله : ﴿ ولما بلغ أشده واستوى ﴾[1] وهذا معناه كمل وتم ، يقال : استوى النبات واستوى الطعام .

والمقيد : فثلاثة أضراب :

أحدها : مقيد بإلى كقوله : ﴿ ثم استوى الى السماء ﴾[2] واستوى فلان على السطح وإلى الغرفة . وقد ذكر سبحانه هذا المعدى بإلى فى موضعين فى كتابه فى (سورة) البقرة فى قوله تعالى : ﴿ هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء ﴾[3] .

والثانى : فى سورة فصلت[4] ﴿ ثم استوى إلى السماء وهى دخان ﴾ . وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف .

والثانى : مقيد بعلى كقوله تعالى : ﴿ لتستووا على ظهوره ﴾[5] وقوله ﴿ واستوت على الجودى ﴾[6] وقوله ﴿ فاستوى على سوقه ﴾[7] وهذا أيضا معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة .

الثالث : المقرون بواو مع التى تعدى الفعل إلى المفعول معه نحو استوى الماء والخشبة بمعنى ساواها .

---

(١) سورة القصص /١٤ .
(٢) سورة فصلت /١١ .
(٣) آية /٢٩ .
(٤) فى الأصل : السجدة والصواب ما أثبت . ورقم الآية /١١ .
(٥) سورة الزخرف /١٣ .
(٦) سورة هود /٤٤ .
(٧) سورة الفتح /٢٩ .

وهذه معانى الاستواء المعقولة فى كلامهم ليس فيها معنى استولى البتة ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم ، وإنما قاله متأخرو النحاة ممن سلك طريق المعتزلة والجهمية[1] . اهـ .

واستواء الله على عرشه الوارد فى الآيات جاء مقيدا « بعلى » فلا يصح إلا أن يكون على معنى العلو أو الارتفاع[2] .

ثم إنه ظهر مقابل هؤلاء النفاة : المشبهة كالكرامية الذين غلوا فى الإثبات وقالوا : إن الله عز وجل مماس للعرش[3] .

يقول ابن تيمية : فإنه إذا قال القائل : لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويا . وكل ذلك من المحال ونحو ذلك من الكلام : فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأى جسم كان على أى جسم كان ، وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم . أما استواء يليق بجلال الله ويختص به فلا يلزمه شىء من اللوازم الباطلة التى يجب نفيها ، كما يلزم من سائر الأجسام .

وقوله : إذا كان مستويا على العرش فهو مماثل لاستواء الإنسان على السرير أو الفلك ، إذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا فإن كليهما مثل وكليهما عطل حقيقة ما وصف الله به نفسه .

وامتاز الأول : بتعطيل كل اسم للاستواء الحقيقى .

وامتاز الثانى : بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين .

---

(١) هذا أحد الأوجه الاثنتين والأربعين . انظرها جميعها فى مختصر الصواعق المرسلة ٢/١٢٦ – ١٥٢ ، وانظر فى نقض هذا الادعاء أيضا: الإبانة للأشعرى ص : ٤٨ – ٤٩ ، والأسماء والصفات للبيهقى ص :٤١٢ .

(٢) وبهذا فسر السلف الاستواء . انظر : فتح البارى ٤٠٣/١٣ ، وغاية الأمانى فى الرد على النبهانى ٤٦٠/١ ،والإتقان للسيوطى ٧٠٦/٢ .

(٣) انظر : مقالات الإسلاميين ٢٨٤/١ – ٢٨٥ ، الفرق بين الفرق للبغدادى ص : ٢١٥ .

والقول الفاصل : هو ما عليه الأمة الوسط : من أن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ، ويختص به فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير ، وأنه سميع بصير ونحو ذلك[1] .

قول الإمام أحمد فى صفة النزول

قال القاضى أبو يعلى بن الفراء :

٣٢٣ - فى رواية ابن منصور[2] وقد سأله : ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة حين يبقى ثلث الآخر إلى السماء الدنيا . أليس تقول بهذا الحديث .

قال أحمد : صحيح .

٣٢٤ - وقال أحمد بن الحسين بن حسان[3] : قيل لأبى عبد الله إن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة . قال : نعم . قيل له : وفى شعبان كما جاء الأثر . قال : نعم .

٣٢٥ - وقال يوسف بن موسى[4] : قيل لأبى عبد الله : إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء من غير وصف . قال : نعم .

٣٢٦ - وقال حنبل : قلت لأبى عبد الله ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا قال : نعم . قلت : نزوله بعلمه أم بماذا فقال : اسكت عن هذا وغضب وقال : مالك ولهذا أمض الحديث على ما روى[5] . اهـ .

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/٢٧ - ٢٨ .

(٢) إسحاق بن منصور الكوسج .

(٣) قال أبو بكر الخلال : رجل جليل روى عن أبى عبد الله مسائل حسان جدا . وقال الخطيب : ثقة مشهور . ت/بغداد ٤/٨٠ ، وطبقات الحنابلة ١/٣٩ .

(٤) القطان . تقدم ص : ٣٢٨ .

(٥) إبطال التأويلات (ق : ١٣٤/ب - ق : ١٣٥/أ) ورواية الكوسج أخرجها الآجرى فى الشريعة ص : ٣١٥ .

وفى كتاب السنة للإمام أحمد قال :

٣٢٧ - وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف يشاء ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾[١] [٢].

التعليق :

أحاديث النزول صحاح فقد روى البخارى[٣] ومسلم[٤] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفر فأغفر له » .

وفى بعض الروايات : حين يمضى ثلث الليل الأول، وفى أخرى: إذ مضى شطر الليل أو ثلثاه .

قال الترمذى : بعد أن ذكر رواية أبى هريرة . « حين يمضى ثلث الليل الأول » .

وفى الباب عن على بن أبى طالب وأبى سعيد ورفاعة الجهنى وجبير بن مطعم وابن مسعود وأبى الدرداء وعثمان بن أبى العاص[٥] .

وحديث أبى هريرة حديث حسن صحيح .

وقد روى هذا الحديث من أوجه كثيرة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه أنه قال : « ينزل الله عز وجل حين يبقى ثلث الليل الآخر » وهو أصح الروايات[٦] . اهـ .

---

(١) سورة الشورى /١١ .

(٢) شذرات البلاتين ص : ٤٩ وكذا عند **الإصطخرى** . انظر طبقات الحنابلة ١/٢٩ .

(٣) فى الصحيح ٣/٢٩ .

(٤) فى الصحيح ١/٥٢١ .

(٥) انظر : أحاديث النزول عن الصحابة المشار إليهم وغيرهم فى كتاب النزول للدارقطنى من ص : ٨٩ - ١٥٤ .

(٦) سنن الترمذى ٢/٣٠٧ - ٣٠٩ .

ويقول ابن تيمية : والنزول المذكور فى الحديث النبوى على قائله أفضل الصلاة والسلام الذى اتفق عليه الشيخان : البخارى ومسلم واتفق علماء الحديث على صحته هو : « إذا بقى ثلث الليل الآخر » . وأما رواية النصف والثلثين فانفرد بهما مسلم فى بعض طرقه .... وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من رواية جماعة كثيرة من الصحابة ... فهو حديث متواتر عند أهل العلم بالحديث والذى لا شك فيه : « إذا بقى ثلث الليل الآخر » . فإن كان النبى صلى الله عليه وسلم قد ذكر النزول أيضا إذا مضى ثلث الليل الأول وإذا انتصف الليل فقوله حق وهو الصادق المصدوق ويكون النزول أنواعا ثلاثة الأول إذا مضى ثلث الليل ثم إذا انتصف وهو أبلغ ثم إذا بقى ثلث الليل وهو أبلغ الأنواع الثلاثة[(1)] . اهـ .

قلت : والإجماع منعقد على أن أصح الروايات هى رواية الثلث الأخير كما ذكر ابن تيمية .

وقد ذكر بعض العلماء أوجها للجمع بين هذه الروايات[(2)] .

أما النزول فى النصف من شعبان : فقد روى عن عدة من الصحابة من ذلك :

ما رواه ابن أبى عاصم[(3)] والدارقطنى[(4)] :

عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل الله تبارك وتعالى ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لكل نفس إلا إنسان فى قلبه شحناء أو مشرك بالله عز وجل » .

قال الألبانى : حديث صحيح ، وإسناده ضعيف بعبد الملك بن عبد الملك والمصعب بن أبى ذئب لا يعرفان كما فى الجرح والتعديل[(5)] .

---

(1) شرح حديث النزول ص : ١٠٢ - ١٠٣ .
(2) انظر : مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ٢/٢٣٢ ، ومسلم بشرح النووى وفتح البارى ٣/٣١ .
(3) فى السنة ١/٢٥٢ .
(4) فى النزول ص : ١٥٦ - ١٥٧ .
(5) ٤/١/٣٠٦ - ٣٠٧ .

بل قال البخارى فى الأول منهما : فى حديثه نظر . يعنى هذا كما فى الميزان . فقول المنذرى لا بأس بإسناده . فيه تساهل ظاهر . ومثله الهيثمى[1] .

وعبد الملك بن عبد الملك ذكره ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل و لم يضعفه وبقية رجاله ثقات ... وإنما صححت الحديث لأنه روى عن جمع من الصحابة بلغ عددهم عندى الثمانية ... وقد خرجت أحاديثهم فى الصحيحة[2][3] . اهـ .

قلت : وقد رواه الدارقطنى فى كتاب « النزول » عن ستة من الصحابة وهم : أبو بكر الصديق ومعاذ بن جبل وأبو ثعلبة الخشنى وكثير بن مرة الحضرمى وعائشة وأبو موسى الأشعرى[4] .

والأحاديث بصفة عامة صريحة فى إثبات النزول . وقد أوله البعض ورأى آخرون أنه من المتشابه الذى يجب السكوت عنه . والحق إثباته وفق الحديث . والله تعالى أعلم .

---

(١) فى مجمع الزوائد ٨/٦٥ .
(٢) برقم ١١٤٤ .
(٣) انظر : السنة لابن أبى عاصم ١/٢٢٣ .
(٤) انظر : النزول للدارقطنى من ص : ١٥٥ – ١٧٣ وقد جمع الروايات فى هذه المسألة الشيخ حماد ابن محمد الأنصارى فى رسالة أسماها : إسعاف الخلان بما ورد فى ليلة النصف من شعبان وهى مطبوعة .

قول الإمام أحمد فى صفة الإتيان والمجىء

قال أبو يعلى بن الفراء :

٣٢٨ – وقد قال أحمد فى رواية أبى طالب : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة ﴾[١] . ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾[٢] . فمن قال : إن الله لا يرى فقد كفر . وظاهر هذا أن أحمد أثبت مجىء ذاته لأنه احتج بذلك على جواز رؤيته وإنما يحتج بذلك على جواز رؤيته إذا كان الإتيان والمجىء مضافا إلى الذات[٣] .

التعليق :

روى البخارى[٤] ومسلم[٥] من حديث أبى سعيد الخدرى – وغيره – فى حديث الرؤية : « ... قال : فيأتيهم الجبار فى صورة غير صورته التى رأوه فيها أول مرة . فيقول : أنا ربكم . فيقولون أنت ربنا ... » الحديث واللفظ للبخارى .

وذكر أبو يعلى أن رواية أبى طالب تدل على إثبات أحمد للإتيان والمجىء . اهـ .

ولكن قد يقال : ليس فى هذه الرواية نص عن أبى عبد الله فى إثبات الإتيان والمجىء .

---

(١) سورة البقرة /٢١٠ .
(٢) سورة الفجر /٢٢ .
(٣) إبطال التأويلات (ق : ٨٤) .
(٤) فى الصحيح : ٤٣١/١٣ .
(٥) فى الصحيح : ١٦٧/١ .

والجواب :

أن مذهب الإمام أحمد فى الصفات بصورة عامة : إثبات ما أثبته الله عز وجل لنفسه ، أو ما أثبته له نبيه صلى الله عليه وسلم – كما مر بنا فى : « قول الإمام أحمد فى الصفات »[1] – وهذه الصفة ثابتة بالكتاب والسنة . وقد أول البعض هذه الصفة . وقالوا فى قول الله تعالى : ﴿ يوم يأتى ربك ﴾ أى : أمره . ﴿ وجاء ربك ﴾ أى :قدرته . وذكروا أن هذا هو مذهب الإمام أحمد . متمسكين بما جاء فى رواية حنبل بن إسحاق : « أنهم لما احتجوا عليه فى المحنة بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « تجىء البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان أو غيايتان ، أو فرقان من طير صواف »[2] ، وقالوا له : لا يوصف بالإتيان والمجىء إلا مخلوق . فعارضهم أحمد بأن المراد به مجىء ثواب البقرة وآل عمران ... ثم عارضهم بقوله تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام ﴾ قال : قيل : إنما يأتى أمره[3] .

قال ابن تيمية : هكذا نقل حنبل ، ولم ينقل هذا غيره ممن نقل مناظرته فى المحنة كعبد الله بن أحمد وصالح بن أحمد والمروذى وغيره[4] .

يقول ابن القيم معلقا على هذه الرواية :

اختلف فيها أصحابه على ثلاث طرق :

أحدها : أنها غلط عليه[5] فإن حنبل تفرد بها عنه وهو كثير المفاريد المخالفة للمشهور من مذهبه . وإذا تفرد بما يخالف المشهور عنه فالخلال وصاحبه عبد العزيز لا يثبتون ذلك رواية . وأبو عبد الله بن حامد وغيره يثبتون ذلك

---

(١) انظر : ص : ٢٨٩ .

(٢) تقدم تخريجه . انظر ص :٢١٨ .

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية : ٣٩٨/٥ – ٣٩٩ ،وانظر : الأسماء والصفات للبيهقى والروايتين والوجهين لأبى يعلى (ق : ٢٤٩/ب – ٢٥٠/أ) ، والفصل فى الملل لابن حزم : ١٧٣/٢ ، والبداية والنهاية : ٣١٧/١٠ .

(٤) مجموع الفتاوى ٣٩٩/٥ .

(٥) قال أبو إسحاق بن شاقلا : هذا غلط من حنبل لاشك فيه . إبطال التأويلات (ق : ٨٢/ب)

رواية والتحقيق أنها رواية شاذة مخالفة لجادة مذهبه هذا إذا كان ذلك من مسائل الفروع فكيف فى هذه المسألة .

وقالت طائفة أخرى : بل ضبط حنبل ما نقله وحفظه . ثم اختلفوا فى تخريج هذا النص فقالت طائفة منهم : إنما قاله أحمد على سبيل المعارضة لهم . فإن القوم كانوا يتأولون فى القرآن من الإتيان والمجىء بمجىء أمره سبحانه . ولم يكن فى ذلك مايدل على أن من نسب إليه المجىء والإتيان مخلوق فكذلك وصف الله سبحانه كلامه بالإتيان والمجىء هو مثل وصفه نفسه بذلك فلا يدل على أن كلامه مخلوق بحمل مجىء القرآن على مجىء ثوابه كما حملتم مجيئه سبحانه وإتيانه على مجىء أمره وبأسه . فأحمد ذكر ذلك على وجه المعارضة والإلزام لخصومه بما يعتقدونه فى نظير ما احتجوا به عليه لا أنه يعتقد ذلك والمعارضة لا تستلزم اعتقاد المعارض صحة ما عارض به .

وقالت طائفة أخرى : بل ثبت عن أحمد بمثل هذا رواية فى تأويل المجىء والإتيان ونظائر ذلك من أنواع الحركة . ثم اختلفوا فى ذلك . فمنهم من قصد التأويل على هذا النوع خاصة وجعل فيه روايتين ومنهم من حكى روايتين فى باب الصفات الخبرية بالنقل والتخريج[1] .

والرواية المشهورة من مذهبه ترك التأويل فى الجميع . حتى إن حنبلا نفسه ممن نقل عنه ترك التأويل صريحا . فإنه لما سأله عن تفسير النزول هل هو أمره أم ماذا نهاه عنه .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٩٩/٥ ، ٤٠٠ ، ١٥٦/٦ .

وطريقة القاضى[1] وابن الزاغونى[2] تخصيص الروايتين بتأويل النزول ونوعه[3] وطريقة ابن عقيل[4] تعميم الروايتين لكل ما يمنع عندهم إرادة ظاهرة[5] .

وطريقة الخلال وقدماء الأصحاب : امتناع التأويل فى الكل[6] وهذه رواية إما شاذة أو أنه رجع عنها كما هو صريح عنه فى أكثر الروايات وإما أنها إلزام منه ومعارضة لا مذهب وهذا الاختلاف وقع نظيره فى مذهب مالك[7] فإن المشهور عنه وعن أئمة السلف إقرار نصوص الصفات والمنع من تأويلها وقد روى عنه أنه تأول قوله : « ينزل ربنا » بمعنى نزول أمره وهذه الرواية لها إسنادان :

أحدهما : من طريق حبيب كاتبه وحبيب هذا غير حبيب ... بل هو كذاب وضاع باتفاق أهل الجرح والتعديل ولم يعتمد أحد من العلماء على نقله[8] .

والإسناد الثانى : فيه مجهول لا يعرف حاله فمن أصحابه من أثبت هذه الرواية ومنهم من لم يثبتها . لأن المشاهير من أصحابه لم ينقلوا عنه شيئا من ذلك[9] .

---

(١) أبويعلى ابن الفراء .

(٢) هو : على بن عبيد الله من شيوخ الحنابلة ، مصنف ، توفى سنة سبع وعشرين وخمس مئة . انظر : المنتظم ١٠/٣٢ ، وسير أعلام النبلاء١٩/ ٦٠٥ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ٥/٤٠١ ، ٦/١٥٦ .

(٤) على بن عقيل الظفرى ، المقرىء ، الفقيه الأصولى ، الواعظ ، المتكلم ، أبو الوفاء ، أحد الأعلام . توفى ، سنة خمس مئة وثلاث عشرة . انظر ترجمته فى : البداية والنهاية ١٢/١٨٤ ، والمنتظم ٩/٢١٢ وشذرات الذهب ٤/٥٣ ، وذيل طبقات الحنابلة ١/١٤٢ ، والمنهج لأحمد ٢/٢٥٢ .

(٥) انظر : مجموع الفتاوى ٥/٣٩٧، ٦/١٥٦ .

(٦) وانظر المصدر السابق :٥/٣٩٨ .

(٧) وانظر المصدر السابق :٥/٣٩٧ ، ٤٠٢ .

(٨) قال ابن حجر : حبيب بن أبى حبيب المصرى ، كاتب مالك ، متروك كذبه أبو داود وجماعة . توفى سنة ثمان عشرة ومئتين . تقريب ١/١٤٩ .

(٩) مختصر الصواعق المرسلة ٢/٢٦٠ – ٢٦١ .

يقول ابن تيمية : ولا ريب أن المنقول عن أحمد يناقض هذه الرواية ويبين أنه لا يقول : إن الرب يجيء ويأتى وينزل أمره بل هو ينكر على من يقول ذلك[1] .

ويقول أيضا : والصواب أن جميع هذه التأويلات مبتدعة لم يقل أحد من الصحابة شيئا منها . ولا أحد من التابعين لهم بإحسان وهى خلاف المعروف المتواتر عن أئمة السنة والحديث أحمد بن حنبل . وغيره من أئمة السنة[2] . اهـ .

وقد بين ابن القيم بطلان هذه التأويلات من عشرة أوجه[3] .

قول الإمام أحمد فى الحديث المروى عن النبى صلى الله عليه وسلم : أن الله خلق آدم على صورته

ذكر أبو بكر الخلال فى كتاب السنة :

٣٢٩ – عن إسحاق الكوسج أنه قال لأحمد : « لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورته » أليس تقول بهذه الأحاديث . قال أحمد : صحيح .

وقال ابن راهويه : صحيح ولا يدعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأى[4] .

٣٣٠ – وذكر أيضا عن يعقوب بن بختان أن أبا عبد الله أحمد بن حنبل سئل عن حديث النبى صلى الله عليه وسلم خلق الله آدم على صورته فقال : لا تفسره ما لنا أن نفسره كما جاء الحديث[5] .

---

(١) مجموع الفتاوى ٤٠١/٥ ، وانظر : ١٥٦/٦ .
(٢) شرح حديث النزول ص : ٦٢ .
(٣) انظر : مختصر الصواعق المرسلة ١٠٦/٢ – ١٠٩ .
(٤) أخرجها ابن بطة فى الإبانة الكبرى (ق : ٢٠١) .
ونقلها القاضى أبو يعلى بن الفراء فى إبطال التأويلات (ق : ٤٨/أ)وابن حجر فى فتح البارى ١٨٣/٥ .
(٥) نقلها القاضى فى إبطال التأويلات (ق : ٤٨/أ) .

٣٣١ - وأنا أبو بكر المروذى قال : قلت لأبى عبد الله كيف تقول فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم خلق الله آدم على صورته . قال : الأعمش يقول عن حبيب بن أبى ثابت عن عطاء عن ابن عمر[١] قال : وقد رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم على صورته فنقول كما جاء الحديث .

٣٣٢ - قال : وسمعت أبا عبد الله يقول : لقد سمعت الحميدى[٢] يحضره سفيان بن عيينة فذكر هذا الحديث خلق الله على صورته فقال : من لا يقول بهذا فهو كذا وكذا يعنى من الشتم وسفيان ساكت لا يرد عليه شيئا .

٣٣٣ - قال المروذى : أظن أنى ذكرت لأبى عبد الله عن بعض المحدثين بالبصرة أنه قال قول النبى صلى الله عليه وسلم : خلق الله آدم على صورته . قال : على صورة الطين . قال : هذا جهمى . وقال : نسلم الخبر كما جاء[٣] .

٣٣٤ - وعن أبى الطالب قال : سمعت أبا عبد الله يعنى أحمد بن حنبل يقول : من قال إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمى وأى صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه[٤] .

٣٣٥ - وأنا أبو بكر المروذى : قال :سمعت أبا عبد الله قيل له : أى شىء أنكر على بشر بن السرى[٥] وأى شىء كانت قصته بمكة . قال : تكلم بشىء من كلام الجهمية فقال : إن قوما يحدون . قيل له : التشبيه فأوماً برأسه

---

(١) راجع إبطال التأويلات (ق : ٥٦ ، ٦٠) .

(٢) هو عبد الله بن الزبير بن عيسى القرشى ، ثقة حافظ فقيه ، من أجل أصحاب ابن عيينة توفى سنة ٢١٩هـ . تقريب ١/١٥ .

(٣) أخرجها ابن بطة فى الكبرى (ق : ٢٠١) .

(٤) أخرجها ابن بطة فى الكبرى (ق : ٢٠١) ونقلها القاضى أبو يعلى فى إبطال التأويلات (ق : ٤٨/أ) .

(٥) أبو عمرو الأفوه ، بصرى سكن مكة ، وكان واعظا ، ثقة متقن ، طعن فيه برأى جهم ، ثم اعتذر وتاب . توفى سنة خمس أو ست وتسعين ومئة . تقريب ١/٩٩ .

نعم . فقال : فقام به مؤمل حتى جلس فتكلم ابن عيينة فى أمره حتى أخرج وأراه كان صاحب كلام[1] .

قال القاضى أبو يعلى بن الفراء :

٣٣٦ – وقد ذكر عبد الرحمن بن منده[2] فى كتاب الإسلام فقال : قال أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن فراس[3] فى كتابه عن حمدان بن على[4] قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : وسأله رجل فقال : يا أبا عبد الله الحديث الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله خلق آدم على صورته » على صورة آدم قال : فقال أحمد بن حنبل : فأين الذى يروى : عن النبى (صلى الله عليه وسلم) إن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن عز وجل وأى صورة كانت لآدم قبل أن يخلق[5] .

٣٣٧ – قال : وأنا على بن يحيى بن جعفر الإمام[6] قال : أنا الطبرانى[7] قال : سمعت عبد الله بن أحمد يقول : قال رجل لأبى أن فلانا يقول فى حديث رسول الله : إن الله خلق آدم على صورته فقال : على صورة الرجل . قال أبى : كذب هذا قول الجهمية وأى فائدة فى هذا .

٣٣٨ – قال : وروى إسماعيل بن أحمد بن أسعد[8] فى كتاب السنة عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : كنا بالبصرة عند شيخ فحدثنا بحديث النبى :

---

(١) هذه الروايات ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية نقلا عن كتاب السنة . انظر : نقض أساس التقديس ٢٢١/٣ .

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده ، محدث مصنف ،توفى سنة سبعين وأربع مئة .انظر : سير أعلام النبلاء : ٣٤٩/١٨ .

(٣) الوراق .

(٤) انظر رواية محمد بن عوف الطائى . طبقات الحنابلة ٣٣/١ .

(٥) ابن عبد كويه ، محدث ثقة ، توفى سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة . سير أعلام النبلاء ٤٧٨/١٧ .

(٦) الحافظ الثقة ، أبو القاسم سليمان بن أحمد ، صاحب المعاجم الثلاثة . توفى سنة ستين وثلاث مئة . سير أعلام النبلاء ١١٩/١٦ .

(٧) ذكرها ابن حجر فى فتح البارى : ١٨٣/٥ بقوله : قال الطبرانى فى كتاب السنة حدثنا عبد الله ابن أحمد فذكره ، وانظر رواية إبراهيم بن أبان الموصلى فى طبقات الحنابلة : ٩٣/١ .

(٨) لم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه من المصادر .

« إن الله عز وجل خلق آدم على صورته » فقال الشيخ : تفسيره خلقه على صورة الطين . فحدثت بذلك أبى رحمه الله تعالى فقال : هذا جهمى وقال هذا كلام الجهمية[1] .

التعليق :

روى البخارى[2] ، ومسلم[3] عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعا ... الحديث » .

وروى مسلم[4] عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا قاتل أحدكم فليتجنب الوجه . فإن الله خلق آدم على صورته » .

وروى أحمد[5] وابن أبى عاصم[6] وابن خزيمة[7] والدارقطنى[8] عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا ضرب أحدكم فليتجنب الوجه ولا يقل قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فإن الله عز وجل خلق آدم على صورته » .

وروى ابن أبى عاصم[9] ، والدارقطنى[10] عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقبحوا الوجه فإن الله عز وجل خلق آدم على صورته » .

---

(١) إبطال التأويلات (ق ٥٥ - ٥٦) .
(٢) فى الصحيح : ٣/١١ .
(٣) فى الصحيح : ٢١٨٣/٤ .
(٤) فى الصحيح : ٢٠١٧/٤ .
(٥) فى المسند : ٥٢١/٢ ، ٤٣٤ .
(٦) فى السنة : ٣٣٠/١ .
(٧) فى التوحيد : ص :٣٦ .
(٨) فى الصفات : ص :٥٦ .
(٩) فى السنة : ٢٢٩/١ .
(١٠) فى الصفات : ص :٥٦ .

وروى ابن أبى عاصم[1] عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «إذا قاتل أحدكم فليتجنب الوجه فإن الله تعالى خلق آدم على صورة وجهه » .

وروى ابن أبى عاصم[2] وابن خزيمة[3] والدارقطنى[4] :

عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقبحوا الوجه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن » .

مما تقدم يتضح لنا أن الحديث جاء على لفظين :

الأول : « على صورته » . وهو متفق عليه .

الثانى : « على صورة الرحمن » . وهو مختلف فيه .

وقد صحح الإمام أحمد اللفظ الثانى ومنع التكييف والتشبيه ﴿ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ﴾ .

والإمام ابن خزيمة صحح اللفظ المتفق عليه وقال : « توهم بعض من لم يتحر العلم أن قوله : « على صورته » يريد صورة الرحمن عز ربنا وجل عن أن يكون هذا معنى الخبر بل معنى قوله « خلق آدم على صورته » الهاء فى هذا الموضع كناية عن اسم المضروب والمشتوم ، أراد صلى الله عليه وسلم أن الله خلق آدم على صورة المضروب الذى أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب والذى قبح وجهه فزجر صلى الله عليه وسلم أن يقول ووجه من أشبه وجهك لأن وجه آدم شبيه وجه بنيه فإذا قال الشاتم لبعض بنى آدم : قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك كان مقبحا وجه آدم صلوات الله وسلامه عليه الذى وجوه بنيه شبيهة بوجه أبيهم[5] .

---

(١) فى السنة : ١/٢٢٧ - ٢٢٨ .
(٢) فى السنة : ١/٢٢٨ - ٢٢٩ .
(٣) فى التوحيد : ص :٣٨ .
(٤) فى الصفات : ص :٦٤ .
(٥) التوحيد لابن خزيمة : ص :٣٧ - ٣٨ .

أما اللفظ الثانى : والذى جاء فى حديث ابن عمر - فقد قال بعد أن روى الحديث : « والذى عندى فى تأويل هذا الخبر إن صح من جهة النقل موصولا فإن فى الخبر عللا ثلاثا : إحداهن : أن الثورى قد خالف الأعمش فى إسناده ، فأرسل الثورى ولم يقل عن ابن عمر . و الثانية: أن الأعمش مدلس لم يذكر أنه سمعه من حبيب بن أبى ثابت . والثالثة : أن حبيب بن أبى ثابت أيضا مدلس لم يعلم أنه سمعه من عطاء ... فإن صح هذا الخبر مسنداً فمعناه عندنا أن إضافة الصورة إلى الرحمن فى هذا الخبر إنما هو من إضافة الخلق إليه لأن الخلق يضاف إلى الرحمن لأن الله صورها[1] ... فمعنى الخبر إن صح من طريق النقل مسنداً فإن ابن آدم خلق على الصورة التى خلقها الرحمن حين صور آدم ثم نفخ فيه الروح . ثم ذكر أدلته على صحة هذا التأويل . كما قال[2] . قال الذهبى فى ترجمة حمدان بن الهيثم : وقد أتى بشيء منكر عن أحمد بن حنبل فى معنى قوله عليه الصلاة والسلام : « إن الله خلق آدم على صورته » زعم أنه قال : صور الله آدم قبل خلقه على تلك الصورة[3] .

فأما أن يكون خلق الله آدم على صورته فلا . فقد قال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ ويدل على بطلان روايته هذه مارواه حمدان بن على الوراق ثم ذكر روايته السابقة[4] .

قال الحافظ ابن حجر : « واختلف إلى ماذا يعود الضمير فقيل إلى آدم أى خلقه على صورته التى استمر عليها إلى أن أهبط وإلى أن مات[5] . دفعا لتوهم من يظن أنه لما كان فى الجنة كان على صفة أخرى أو ابتدأ خلقه كما وجد لم ينتقل فى النشأة كما ينتقل ولده من حالة إلى حالة[6] .

---

(١) المصدر السابق : ص :٣٨ .

(٢) وتبعه على هذا التأويل المازرى . انظر مسلم بشرح النووى : ١٦٦/١٦ . ونحو هذا نقل الخطابى عن البعض . انظر : الأسماء والصفات للبيهقى ص : ٣٧١ .

(٣) راجع التوحيد : ص :٣٩ - ٤١ .

(٤) انظر ما ذكره أبو يعلى ابن الفراء حول رواية ابن الهيثم هذه فى إبطال التأويلات (ق : ٥٦) .

(٥) انظر : ميزان الاعتدال : ٦٠٢/١ - ٦٠٣ .

(٦) وبهذا تأوله الخطابى . انظر : الأسماء والصفات للبيهقى ، ص :٣٧٠ .

وقيل للرد على الدهرية إنه لم يكن إنسان إلا من نطفة ولا تكون نطفة إنسان إلا من إنسان ولا أول لذلك فبين أنه خلق من أول الأمر على هذه الصورة وقيل للرد على الطبائعين الزاعمين أن الإنسان قد يكون من فعل الطبع وتأثيره وقيل للرد على القدرية الزاعمين أن الإنسان يخلق فعل نفسه . وقيل إن لهذا الحديث سببا حذف من هذه الرواية وأن أوله قصة الذى ضرب عبده فنهاه النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال له إن الله خلق آدم على صورته .

وقيل الضمير لله وتمسك قائل ذلك بما ورد فى بعض طرقه « على صورة الرحمن والمراد بالصورة الصفة . والمعنى أن الله خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك[1] وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء . اهـ[2] .

وقال ابن حجر - أيضاً فى موضع آخر - : واختلف فى الضمير على من يعود فالأكثر على أنه يعود على المضروب لما تقدم من الأمر بإكرام الوجه ولولا أن المراد التعليل بذلك لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها .

وقال القرطبى : أعاد بعضهم الضمير على الله متمسكا بما ورد فى بعض طرقه « إن الله خلق آدم على صورة الرحمن » قال : وكان من رواه أورده بالمعنى متمسكا بما توهمه فغلط فى ذلك .

وقد أنكر المازرى ومن تبعه صحة هذه الزيادة « على صورة الرحمن » ثم قال المازرى : وعلى تقدير صحتها فيحمل على ما يليق بالبارى سبحانه وتعالى .

قال الحافظ ردا على المازرى فى إنكاره صحتها :

قلت : الزيادة أخرجها ابن أبى عاصم فى السنة والطبرانى من حديث ابن عمر بإسناد رجاله ثقات .

---

(١) وهذا التأويل ذكره الرازى وقال : فيكون المعنى أن آدم عليه السلام امتاز عن سائر الأشخاص والأجسام بكونه عالما بالمعقولات قادرا على استنباط الحرف والصناعات وهذه صفات شريفة مناسبة لصفات الله من بعض الوجوه .

(٢) فتح البارى : ٣/١١ .

فتعين إجراء ذلك على ما تقرر بين أهل السنة من إمراره كما جاء من غير اعتقاد تشبيه ، أو من تأويله على ما يليق بالرحمن جل جلاله . وزعم بعضهم أن الضمير يعود على آدم[1] أى على صفته أى خلقه موصوفا بالعلم الذى فضل به الحيوان وهذا محتمل ، وقد قال المازرى : غلط ابن قتيبة فأجرى هذا الحديث على ظاهره وقال : صورة لا كالصور . انتهى .

وقد أخرج البخارى فى الأدب المفرد وأحمد من طريق ابن عجلان عن سعيد عن أبى هريرة مرفوعا « لا تقولن قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فإن الله خلق آدم على صورته » .

وهو ظاهر فى عود الضمير على المقول له ذلك . وكذلك أخرجه ابن أبى عاصم أيضا من طريق أبى رافع عن أبى هريرة بلفظ : « إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورة وجهه »[2] . انتهى كلام ابن حجر .

قلت : ولا يخفى ما فى بعض هذه التأويلات من بعد .

والذى يفهم من كلام الإمام أحمد تصحيح الحديث بلفظيه والسكوت عن تفسيره والنهى عن الخوض فيه . بل نكل علمه إلى الله عز وجل .

ومن أراد الاستزادة حول هذا الموضوع فليراجع ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية[3] .

---

(١) وهو أحد تأويلات الرازى . وذكر له عدة أوجه . انظر : نقض أساس التقديس .

(٢) فتح البارى : ١٨٣/٥ .

(٣) وذلك فى نقض أساس التقديس . الجزء الثالث (مخطوط) .

قول الإمام أحمد فى المشبهة

قال القاضى أبو يعلى ابن الفراء :

وقد أنكر أحمد التشبيه فقال فى رواية حنبل :

٣٣٩ – المشبهة تقول : بصر كبصرى ويد كيدى وقدم كقدمى ومن قال ذلك فقد شبه الله بخلقه .

٣٤٠ – وقال فى رواية يوسف بن موسى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾[(١)] .

٣٤١ – وقال فى رواية حنبل : ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعات شنعت[(٢)(٣)] .

٣٤٢ – وذكر اللالكائىُّ – بسنده – عن أبى نصر أحمد بن يعقوب ابن زاذان قال : بلغنى أن أحمد بن حنبل قرأ عليه رجل : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾[(٤)] . قال : ثم أومأ بيده . فقال له أحمد : قطعها الله قطعها الله قطعها الله ثم حرد وقام[(٥)] .

التعليق :

الإمام أحمد أثبت ما أثبته الله عز وجل لنفسه من صفات وكذا ما أثبته له نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . وإثباته للصفات إنما كان على الوجه اللائق

(١) إبطال التأويلات (ق : ٢٤/ب) .

(٢) نفس المصدر : (ق : ٢٦/أ) .

(٣) هذه الروايات أخرجها الخلال فى السنة ونقلها القاضى من المصدر المذكور . انظر : نقض أساس التقديس لابن تيمية : ٢٦٨/٣ . واجتماع الجيوش الإسلامية ص : ٨٣ .

(٤) سورة الزمر : ٦٧ .

(٥) شرح أصول أهل السنة : ٤٣٢/٣ . وقد تقدم ذكر هذه الرواية عند « قول الإمام أحمد فى اليدين » ص :٣٢٧ .

بكمال الله وجلاله وعظمته من غير تشبيه ولا تكييف بل التزم بقول الله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ وأنكر على المشبهة كما أنكر على المعطلة . وأوضح أن الرد على من وقع فى التشبيه لا يكون بنفى هذه الصفات وإنما بإثباتها على الوجه الذى تقدم .

يقول شارح الطحاوية : قال نعيم بن حماد : من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله نفسه ولا رسوله تشبيه . وقال إسحاق بن راهويه : من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم . وقال : علامة جهم وأصحابه : دعواهم على أهل السنة والجماعة ما أولعوا به من الكذب أنهم مشبهة . بل هم المعطلة[1] .

ويقول فى موضع آخر :وقوله : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ رد على المشبهة وقوله : ﴿ وهو السميع البصير ﴾ رد على المعطلة . فهو سبحانه وتعالى موصوف بصفات الكمال ، وليس له فيها شبيه . فالمخلوق وإن كان يوصف بأنه سميع بصير – فليس سمعه وبصره كسمع الرب وبصره ، و لا يلزم من إثبات الصفة تشبيه ، إذ صفات المخلوق كما يليق به وصفات الخالق كما يليق به . ولا تنف عن الله ما وصف به نفسه وما وصفه به أعرف الخلق بربه وما يجب له وما يمتنع عليه ، وأنصحهم لأمته ، وأفصحهم وأقدرهم على البيان فإنك إن نفيت شيئا من ذلك كنت كافرا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وإذا وصفته بما وصف به نفسه فلا تشبهه بخلقه ، فليس كمثله شيء . فإذا شبهته بخلقه كنت كافرا به[2] . ويقول أيضاً : ومما يوضح هذا : أن العلم الإلهى لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيلى يستوى فيه الأصل والفرع ، ولا بقياس شمولى يستوى أفراده فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء ،فلا يجوز أن يمثل بغيره ولا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قضية كلية يستوى أفرادها ولهذا لما سلكت طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة فى المطالب الإلهية – لم يصلوا بها إلى اليقين

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص : ١٢٠ – ١٢١ .

(٢) المصدر السابق : ص : ١٤٣ – ١٤٤ .

بل تناقضت أدلتهم ، وغلب عليهم بعد التناهى الحيرة والاضطراب ، لما يرونه من فساد أدلتهم أو تكافئها .

ولكن يستعمل فى ذلك قياس الأولى ، سواء كان تمثيلا أو شمولا كما قال تعالى : ﴿ ولله المثل الأعلى ﴾[1] . مثل أن يعلم أن كل كمال للممكن أو للمحدث ، لا نقص فيه بوجه من الوجوه ، وهو ماكان كمالا للوجود غير مستلزم للعدم بوجه : فالواجب القديم أولى به . وكل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه ، ثبت نوعه للمخلوق والمربوب المدبر-: فإنما استفاده من خالقه وربه ومدبره وهو أحق به منه . وأن كل نقص وعيب فى نفسه ، وهو ما تضمن سلب هذا الكمال ، إذا وجب نفيه عن شىء من أنواع المخلوقات والممكنات والمحدثات - : فإنه يجب نفيه عن الرب تعالى بطريق الأولى[2][3] .

---

(١) سورة النحل /٦ .

(٢) المصدر السابق ص : ١٢٢ وانظر ص : ٢٣٧ ، ٥٨٧ .

(٣) وقد سبق الكلام على المشبهة عند « قول الإمام أحمد فى الصفات » ص : ٢٧٦. وعند : « قول الإمام أحمد فى « اليدين » كما سبق الإشارة إلى المشبهة وقبح مسلكهم .

قول الإمام أحمد فى الخلافة

قال إسحاق بن إبراهيم بن هانىء :

٣٤٣ – سمعت أبا عبد الله يقول فى الخلافة : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على[1] . .

* الروايات عن الإمام أحمد فى مثل هذا مستفيضة . وسيأتى ذكر لبعضها فى مسائل التفضيل وممن نقلها عنه – إضافة إلى ما سيأتى – إسحاق الكوسج[2] وأبو داود السجستانى[3] وعبد الله بن أحمد بن حنبل[4] .

التعليق :

مسألة الخلافة من المسائل المهمة والتى لم أكن بحاجة إلى بحثها وتقريرها فلم يزل المسلمون يقرون بشرعية خلافة الصديق والفاروق وذى النورين حتى ظهر الروافض وأخذوا يبثون سمومهم فى المجتمع الإسلامى باختلاق الأكاذيب وترويج العقائد الفاسدة والطعن فى خلافة الثلاثة الراشدين . لكن هيهات أن يتحقق لهم ما أرادوا فقد انكشفت مقاصدهم الخبيثة وعرف المسلمون زيغهم ومخالفتهم للعقيدة الصحيحة .

---

(١) مسائل ابن هانئ : ١٦٩/٢ .
(٢) انظر : مسائل الكوسج ١٧٩/٢ .
(٣) انظر : مسائل أبى داود (ظ : ص ٢٦٠ وفى المطبوع ص :٢٧٧) .
(٤) انظر : السنة له (ظ . ق : ٩٥/أ ، و« خ » ق : ١٨٨/ب – ١٨٩/أ ، وفى المطبوع ص : ٢٣٥) ، ومسائل عبد الله ص :٤٤٠ .
وعنده أيضا : أما الخلافة فيذهب إلى حديث سفينة . والحديث سيأتى ذكره وتخريجه فى الصفحة التالية .

ولست فى مقام بحث هذا الخطر العظيم الذى يشكله هؤلاء على العقيدة الصحيحة . فقد بذل علماء الإسلام قديما وحديثا جهودا كبيرة لتوضيح هذه المسائل[1] .

أعود وأقول : إن المسلمين فى مختلف العصور والأزمنة على تيقن تام بشرعية خلافة الأربعة رضوان الله عليهم على الترتيب الذى تمت به خلافة كل منهم وهو الأمر الذى أوضحه السلف عند ظهور من خالف ذلك . والإمام أحمد قرر هذه المسألة وأنكر إنكاراً شديدا على من تكلم فى خلافة أحد منهم .

وقد كان عدد سنين خلافتهم مما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم به . ففى حديث سفينة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتى الله الملك من يشاء »[2] .

قول الإمام أحمد فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه

قال أبو بكر الخلال :

٣٤٤ – أخبرنا أبو بكر المروذى قال : قيل لأبى عبد الله قول النبى صلى الله عليه وسلم : « يؤم القوم أقرؤهم »[3] . فلما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قدموا أبا بكر يصلى بالناس »[4] وقد كان فى القوم من أقرأ من أبى بكر .

فقال أبو عبد الله : إنما أراد الخلافة[5] .

---

(١) وسيأتى مزيد من الإيضاح عن عقائد الروافض عند « قول الإمام أحمد فى الرافضة » ص :٨٧٧ .

(٢) أخرجه ابن أبى عاصم فى السنة : ٥٤٨/٢ ، وأبو داود : ٣٦/٥ ، والترمذى : ٥٠٣/٤ وغيرهم . قال الترمذى : حديث حسن رواه غير واحد عن سعيد بن جهمان ولا نعرفه إلا من حديث سعيد. قلت : سعيد وثقه أحمد وابن معين وأبو داود وابن حبان . وأنكر الإمام أحمد على من تكلم فيه وصحح الحديث . انظر : السنة للخلال (ق : ٦٣/أ) وجامع بيان العلم لابن عبد البر ٢٢٥/٢ وتهذيب التهذيب : ١٤/٤ .

(٣) أخرجه مسلم : ٤٦٥/١ وأحمد : ١١٨/٤ من حديث أبى مسعود رضى الله عنه .

(٤) رواه البخارى : ٦٤/٢ ومسلم : ٣١١/١ عن عدد من الصحابة .

(٥) السنة (ق : ٤٢/أ) وأخرجه ابن الجوزى فى مناقب أحمد ص: ٢٠٩ بسنده عن أبى بكر المروذى به .

* ونقل نحو هذا عن أحمد :

٣٤٥ - علي بن مسعود : أنه سأل أبا عبد الله عن الإمامة من أحق . قال : أقرؤهم فإذا استووا فالصلاح عندي والله أعلم . قدم النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر فصلى بالناس ولم يكن أقرأهم وابن مسعود أعلمهم بكتاب الله فقال : ...إنما قدمه النبي صلى الله عليه وسلم من أجل الخلافة وهذا موضع تأويل .

٣٤٦ - أبو بكر الأثرم قال : قلت لأبي عبد الله : حديث النبي صلى الله عليه وسلم : قدموا أبا بكر يصلي بالناس وهو خلاف حديث أبي مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم : « يؤم الناس أقرؤهم » فقال : إنما قوله لأبي بكر عندي يصلي بالناس : للخلافة إنما أراد الخلافة بذلك وقد كان لأبي بكر فضل بين على غيره وإنما الأمر في القراءة فأما أبو بكر فإنما أراد به الخلافة ثم قال أبو عبد الله : ألا ترى أن سالما مولى أبي حذيفة كان مع خيار أصحاب رسول الله فكان يؤمهم لأنه جمع القرآن[1] وحديث عمرو بن سلمة أمهم للقرآن[2] .

ونقل عنه الإنكار على من خالف ذلك :

٣٤٧ - هارون بن عبد الله قال : لأبي عبد الله جاءني كتاب من الرقة أن قوما قالوا : لا تقل إن أبا بكر خليفة رسول الله استخلفه . فغضب وقال : ما اعتراضهم في هذا . يجفون حتى يتوبوا . قال له - أي هارون - أليس أبو برزة يقول لأبي بكر : يا خليفة رسول الله . قال : نعم هذا وغيره .

٣٤٨ - أبو بكر المروذي قال : سمعت أبا عبد الله يقول : يتكلمون في خلافته أو قال : خير البرية بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

٣٤٩ - أبو الحارث الصائغ قال : قال أبو عبد الله : يجانبون ولا يجالسون ويبين أمرهم للناس[3] .

---

(١) انظر : في إمامة سالم للصحابة فتح الباري : ٧١٤/٢ .
(٢) الروايتان في السنة للخلال : (ق : ٤٠) .
(٣) انظر : هذه الروايات في السنة للخلال (ق : ٤٠) .

التعليق :

أبو بكر الصديق رضى الله عنه هو أول الخلفاء الراشدين المهديين . ولا خلاف بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان على أحقيته بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعية ثبوتها له .

والخلافة : هل كان ثبوتها نصا وتوقيفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أم اختيارا أجمع عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقبل بحث هذه المسألة يجدر ذكر خبر بيعته رضوان الله عليه .

روى البخارى[1] فى حديث طويل عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « وإنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم فى سقيفة بنى ساعدة وخالف عنا على والزبير ومن معهما واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر فقلت لأبى بكر : يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نريدهم ، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان فذكرا ما تمالأ عليه القوم فقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ فقلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار . فقالا : لا عليكم أن لا تقربوهم ، اقضوا أمركم . فقلت : والله لنأتينهم . فانطلقنا حتى أتيناهم فى سقيفة بنى ساعدة ، فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم . فقلت : من هذا ؟ فقالوا : هذا سعد بن عبادة . فقلت : ماله ؟ قالوا : يوعك . فلما جلسنا قليلا تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله . ثم قال : أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم – معشر المهاجرين – رهط ، وقد دفت دافة من قومكم ، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر فلما سكت أردت أن أتكلم – وكنت قد زورت مقالة أعجبتنى أريد أن أقدمها بين يدى أبى بكر وكنت أدارى منه بعض الحد ، فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر على رسلك . فكرهت أن أغضبه ، فتكلم أبو بكر ، فكان هو أحلم منى وأوقر ، والله ما ترك من كلمة أعجبتنى فى تزويرى إلا قال فى بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت : فقال : ما ذكرتم فيكم من

---

(١) فى الصحيح : ١٢/١٤٥ .

خير فأنتم له أهل ، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ، هم أوسط العرب نسبا ودارا . وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم - فأخذ بيدى ويد أبى عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا - فلم أكره مما قال غيرها ، كان والله أن أقدم فتضرب عنقى لا يقربنى ذلك من إثم أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر . اللهم إلا أن تسول إلى نفسى عند الموت شيئا لا أجده الآن فقال قائل من الأنصار : أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب . منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش . فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف ، فقلت : ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار ...[1] .

ثم بايعه الناس عامة[2] .

ويجدر التنبيه إلى أن طعن الروافض فى خلافة الصديق والفاروق وذى النورين إنما هو مبنى على مزاعم وأكاذيب وأباطيل من صنع أيديهم .

ومن جملة أباطيلهم وأكاذيبهم الادعاء بأن الخلافة انتزعت من على وأنه هو الأحق بها بموجب الوصية المزعومة له .

وكلامهم هذا واضح البطلان لا أساس له ولا أصل . وفيما صح عن على نفسه دلالة كافية على رده .

فقد روى مسلم[3] وأحمد[4] وغيرهم عن أبى الطفيل قال : سئل على أخصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء . فقال : ماخصنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء لم يعم به الناس كافة إلا ما كان فى قراب سيفى هذا فأخرج صحيفة مكتوبا فيها : « لعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من سرق منار الأرض - ولعن الله من لعن والديه . ولعن الله من آوى محدثا » .

---

(١) فتح البارى : ١٤٤/١٢ .
(٢) انظر : فتح البارى : ٢٠٦/١٣ ، والبداية والنهاية : ٣٠١/٦ .
(٣) فى الصحيح : ١٥٦٧/٣ .
(٤) فى المسند : ١١٨/١ .

وأبو الطفيل هو : عامر بن واثلة . ولد عام أحد ورأى النبى صلى الله عليه وسلم . توفى سنة عشر ومئة على الصحيح[1] . وفى بعض الروايات قال : كنت عند على بن أبى طالب فأتاه رجل فقال : ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يسر إليك . قال : فغضب وقال : ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يسر إلىَّ شيئا يكتمه الناس غير أنه حدثنى بكلمات أربع فذكر الحديث . ثم إن على بن أبى طالب كغيره من الصحابة عرف حق أبى بكر وفضله[2] وبايعه[3] وأقر له .

وروى البخارى[4] عن عبد الله بن عباس أن على بن أبى طالب رضى الله عنه خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجعه الذى توفى فيه فقال الناس : يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أصبح بحمد الله بارئا ، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له : أنت والله بعد ثلاث عبد العصا ، وإنى والله لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوفى فى وجعه هذا ، إنى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت . اذهب بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلنسأله فيمن هذا الأمر ؟ إن كان فينا علمنا ذلك . وإن كان فى غيرنا علمناه فأوصى بنا فقال على : إنا والله لئن سألناها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده وإنى والله لا أسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم . اهـ . هذا هو الواقع والحقيقة .

أما التأويلات والافتراءات فلا تغنى عن الحق شيئا .

يقول أبو نعيم الأصبهانى : فيقال للإمامية الطاعنين على المهاجرين والأنصار اجتماعهم على تقدمة الصديق رضى الله عنه : أكان اجتماعهم عليه على إكراه منه لهم بالسيف ، أو تأليف منه لهم بمال ، أو غلبة بعشيرة ، فإن الاجتماع لا يخلو من هذه الوجوه ، وكل ذلك مستحيل منهم لأنهم (أهل) المديحة والمروءة والدين والنصيحة ولو كان شيء من هذه الوجوه ، أو أريد واحد منهم على المبايعة كارها لكان ذلك منقولا عنهم ومنتشرا .

(١) تقريب التهذيب : ٣٨٩/١ .
(٢) سيأتى ذكر الروايات الصحيحة عن على فى تفضيله للشيخين ص : ٣٩٤ .
(٣) انظر : البداية والنهاية : ٢٤٩/٥ .
(٤) فى الصحيح : ١٤٢/٨ .

فأما إذا أجمعت الأمة على أن لا إكراه ، والغلبة والتأليف غير ممكن منهم وعليهم ، فقد ثبت أن اجتماعهم لما علموا منه من الاستحقاق والتفضيل والسابقة وقدموه وبايعوه لما خصه الله تعالى به من المناقب والفضائل[1] .

يقول ابن تيمية : ... ولم يقل قط أحد إنى أحق بهذا الأمر منه لا قرشى ولا أنصارى ، فإن من نازع أولا من الأنصار لم تكن منازعته للصديق بل طلبوا أن يكون منهم أمير ومن قريش أمير ، وهذه منازعة عامة لقريش ، فلما تبين لهم أن هذا الأمر فى قريش قطعوا المنازعة ... ثم بايعوا أبا بكر من غير طلب منه ولا رغبة بذلتهم ولا رهبة ، فبايعه الذين بايعوا الرسول تحت الشجرة والذين بايعوه ليلة العقبة والذين بايعوه لما كانوا يهاجرون إليه والذين بايعوه لما كانوا يسلمون من غير هجرة كالطلقاء وغيرهم ولم يقل أحد قط إنى أحق بهذا من أبى بكر ولا قاله أحد فى أحد بعينه إن فلانا أحق بهذا الأمر من أبى بكر وإنما قال من فيه أثر جاهلية عربية أو فارسية أن بيت الرسول أحق بالولاية لأن العرب فى جاهليتها كانت تقدم أهل الرؤساء وكذلك الفرس يقدمون أهل بيت الملك فنقل عمن نقل عنه كلام يشير به إلى هذا . وصاحب هذا الرأى لم يكن له غرض فى على بل كان العباس عنده بحكم رأيه أولى من على[2] . اهـ .

ولهذه المسألة جوانب متعددة والكلام فيها يطول وما ذكرته هنا – بإيجاز – هو مذهب الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة ومن أراد الاستزادة فليراجعها فى مظانها .

أعود إلى ما أشرت إليه آنفا من الخلاف فى إمامة أبى بكر هل ثبتت بالنص أم بالاختيار .

وقد بحث القاضى أبو يعلى بن الفراء هذه المسألة على ضوء الروايات المنقولة عن الإمام أحمد ، فمما قاله :

---

(١) الإمامة ص : ٢١٤ – ٢١٥ .

(٢) منهاج السنة : ٣/٢٦٦

قال أحمد فى رواية المروذى وعلى بن سعيد والأثرم[1] لما مرض النبى صلى الله عليه وسلم قدم أبا بكر ليصلى بالناس وقد كان فى القوم من هو أقرأ من أبى بكر وإنما أراد الخلافة فظاهر هذا من كلامه أنها ثبتت بالنص الخفى والإشارة[2] . قلت : وعزى شارح الطحاوية هذا القول إلى الحسن البصرى وجماعة من أهل الحديث[3] .

ومن أدلة أصحاب هذا القول : تقديم النبى صلى الله عليه وسلم له فى الصلاة مع وجود من هو أقرأ منه كما أشار إليه الإمام أحمد سابقا . وإن كان هناك من يرى أن فى تقديم النبى صلى الله عليه وسلم لأبى بكر دلالة على أنه أقرأهم لكتاب الله . اعتمادا على قول النبى صلى الله عليه وسلم « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله » . والمشهور أن أبى بن كعب هو أقرأ الصحابة . فقد روى البخارى[4] عن عمر رضى الله عنه قال : أبى أقرؤنا .

وهذا لا يتعارض مع تقديم النبى صلى الله عليه وسلم لأبى بكر رضى الله عنه . بل فيه دلالة قوية على أفضلية الصديق رضوان الله عليه .

ومن أدلتهم أيضا :

ما رواه البخارى[5] ومسلم[6] من حديث أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ...ولو كنت متخذا خليلا من أمتى لاتخذت أبا بكر ، إلا خلة الإسلام ، لا يبقين فى المسجد خوخة إلا خوخة أبى بكر » .

وأما من ذهب إلى ثبوتها بالنص الجلى فهم جماعة من أهل الحديث أيضا وهو ما نصره ابن حزم[7] .

---

(١) هذه الروايات تقدمت : ٣٧١ .
(٢) الروايتان والوجهان : (ق : ٢٥٣/ب) .
(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص : ٥٣٣ .
(٤) فى الصحيح : ٤٧/٩ .
(٥) فى الصحيح : ٢٢٧/٧ .
(٦) فى الصحيح : ١٨٥٤/٤ .
(٧) فى الملل والنحل ١٠٨/٤ .

ومما استدل به أصحاب هذا القول :

ما رواه البخارى[1] ومسلم[2] عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال : أتت النبى صلى الله عليه وسلم امرأة فكلمته فى شىء ، فأمرها أن ترجع إليه ، قالت : يا رسول الله أرأيت إن جئت ولم أجدك – كأنها تريد الموت – قال : إن لم تجدينى فأتى أبا بكر .

وما رواه البخارى[3] ومسلم[4] أيضاً عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه : « ادعى لى أبا بكر وأخاك ، حتى أكتب كتابا . فإنى أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى . ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر » هذا لفظ مسلم وفى لفظ البخارى « يأبى الله ويدفع المؤمنون » . هذا بعض أدلة من قال بثبوتها بالنص أما من ذهب إلى ثبوتها بالاختيار فهم جمهور العلماء وأهل الحديث والمتكلمون . ومما اعتمدوا عليه ما جاء فى خبر بيعته فى سقيفة بنى ساعدة ففى مجرد اجتماع الأنصار دلالة واضحة على أنهم لا يعلمون نصا فى الخلافة وإلا لما اجتمعوا فى ذلك المكان . ثم ما جاء فى الخبر من التحاور بين الأنصار وبين أبى بكر وعمر ومن معهما من المهاجرين وقول أبى بكر رضى الله عنه : « قد اخترت لكم أحد هذين الرجلين » . ما يؤيد ويرجح هذا القول ، فلو كان رضى الله عنه يعلم لنفسه عهدا ما قال ذلك . بل لو كان هناك عهد لعلمه المسلمون جميعا ولما اجتمعوا لاختيار خليفة كما مر آنفا .

ومما احتجوا به أيضا :

ماروواه البخارى[5] ومسلم[6] عن عبد الله بن عمر قال : قيل لعمر ألا

---

(١) فى الصحيح : ٢٠٦/١٣ .
(٢) فى الصحيح : ١٨٥٦/٤ – ١٨٥٧ .
(٣) فى الصحيح : ٢٠٥/١٣ .
(٤) فى الصحيح : ١٨٥٧/٤ .
(٥) فى الصحيح : ٢٠٥/١٣ .
(٦) فى الصحيح : ١٤٥٥/٣ .

تستخلف ؟ قال : إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى أبو بكر وإن أترك فقد ترك من هو خير منى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

خلاصة القول : أن هذا هو القول الراجح فليس فى الأحاديث التى استدل بها على النصية ما يقطع بذلك . وإن كان فيها دلالة واضحة – والله أعلم – على معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحى من الله تعالى بأن أبا بكر سيخلفه فى أمته ، وأن المسلمين سيجتمعون عليه لما له من الفضائل .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ... خلافة أبى بكر الصديق دلت النصوص الصحيحة على صحتها وثبوتها ورضا الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم له بها . وانعقدت بمبايعة المسلمين له واختيارهم إياه اختيارا استندوا فيه إلى ما علموه من تفضيل الله ورسوله بها ، وأنها حق وأن الله أمر بها وقدرها وأن المؤمنين يختارونها وكان هذا أبلغ من مجرد العهد بها ، لأنه حينئذ يكون طريق ثبوتها العهد ، وأما إذا كان المسلمون قد اختاروه من غير عهد ودلت النصوص على صوابهم فيما فعلوه ورضا الله ورسوله بذلك كان ذلك دليلا على أن الصديق كان فيه من الفضائل التى بان بها عن غيره ما علم المسلمون به أنه أحقهم بالخلافة فإن ذلك لا يحتاج إلى عهد خاص[1] . اهـ .

وقد تقدم قول القاضى أبى يعلى بن الفراء فى أن ظاهر كلام أحمد فى بعض الروايات عنه إلى ثبوتها بالنص الخفى والإشارة .

وفى كتابه مختصر المعتمد قال : وروى عن أحمد رحمه الله كلام يدل على أن خلافة أبى بكر ثبتت بالنص الخفى والإشارة[2] .

وفى موضع آخر قال : وقد حكينا عن أحمد رضى الله عنه فى ذلك روايتين إحداهما بالاختيار والثانية بالنص[3] .

---

(١) منهاج السنة : ١/١٤٠ – ١٤١ .
(٢) ص : ٢٢٣ .
(٣) ص : ٢٢٦ .

ويرى ابن تيمية أن كلام أحمد يدل على انعقادها بالاختيار إذ يقول : والتحقيق فى خلافة أبى بكر وهو الذى يدل عليه كلام أحمد أنها انعقدت باختيار الصحابة ومبايعتهم له . وأن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر بوقوعها على سبيل الحمد لها والرضى بها ، وأنه أمر بطاعته وتفويض الأمر إليه ، وأنه دل الأمة وأرشدهم إلى بيعته . فهذه الأوجه الثلاثة : الخبر ، والأمر ، والإرشاد ثابت من النبى صلى الله عليه وسلم[1] .

قول الإمام أحمد فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه

قال أبو بكر الخلال :

٣٥٠ – أخبرنى محمد بن أبى هارون قال : قال حمدان بن على سمعت أبا عبد الله قال : ماكان فى القوم أوكد بيعة من عثمان كانت بإجماعهم[2] .

* ونحو هذا نقل عنه :

٣٥١ – أبو الحارث الصائغ قال : قال أبو عبد الله : وهل يقدر أحد أن يطعن على خلافة عثمان وما رويت له من السوابق . وقال عبد الله : ولينا أعلاها ذا فوق[3] .

٣٥٢ – الفضل بن زياد أنه : سمع أبا عبد الله وذكر نوح بن أبى حبيب فقال : إن كان الذى قيل فى نوح بن أبى حبيب أنه يقدم عليا على عثمان فهذا أيضا بلاء أو نحو هذا[4] ثم قال : كيف يقدم عليا على عثمان وهل كانت بيعة

---

(١) مجموع الفتاوى : ٤٨/٣٥ .

(٢) السنة : (ق : ٤٥/أ) .

(٣) رواه أحمد فى فضائل الصحابة : ٤٥٤/١ .

(٤) نوح : ثقة . توفى سنة اثنتين وأربعين ومئتين . ولهذا كان أحمد يشك فى صدور هذا منه . وقد وصفه ابن حجر بقوله سنى . تقريب : ٣٠٨/٢ .

ولا أصح منها وخليفة قتل ظلما لم يبهش إليهم بقصبة فجعل يقول هذا الكلام وهو مغضب شديد الغضب[1] .

التعليق :

عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه الخليفة الراشد الثالث ذو النورين الشهيد المبشر بالجنة كانت خلافته سنة ثلاث وعشرين من الهجرة .

روى البخارى[2] قصة بيعته فى الحديث الطويل الذى فيه خبر استشهاد عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

يقول راوى الحديث عمرو بن ميمون : « ... فقالوا : أوص يا أمير المؤمنين استخلف . قال : ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر – أو الرهط – الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض : فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن ، وقال : يشهدكم عبد الله بن عمر ، وليس له من الأمر شيء – كهيئة التعزية له – فإن أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك ، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر ، فإنى لـم أعزله عن عجز ولا خيانة ... فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشى فسلم عبد الله بن عمر قال : يستأذن عمر بن الخطاب قالت أى عائشة – أدخلوه فأدخل ، فوضع هنالك مع صاحبيه . فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن : اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم . فقال الزبير : قد جعلت أمرى إلى على . فقال طلحة : قد جعلت أمرى إلى عثمان ، وقال سعد قد جعلت أمرى إلى عبد الرحمن بن عوف . فقال عبد الرحمن : أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم فى نفسه ؟ فأسكت الشيخان . فقال عبد الرحمن : أفتجعلونه إلىَّ والله علىَّ أن لا آلو عن أفضلكم ؟ قالا : نعم . فأخذ بيد أحدهما فقال : لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم فى الإسلام ما قد علمت فالله عليك لئن أمَّرتك لتعدلن

---

(١) انظر : الروايات السابقة فى السنة للخلال : (ق : ٤٥/أ) .

(٢) فى الصحيح : ٥٩/٧ .

ولئن أمَّرت عثمان لتسمعن ولتطيعن . ثم خلا بالآخر فقال : مثل ذلك . فلما أخذ الميثاق . قال : ارفع يدك يا عثمان فبايعه فبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه .

وروى البخاري[1] أيضاً عن المسور بن مخرمة : أن الرهط الذين ولاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا فقال لهم عبد الرحمن : لست بالذي أنافسكم على هذا الأمر ولكنكم إن شئتم اخترت لكم منكم فلما ولوا عبد الرحمن مال الناس على عبد الرحمن يشاورونه تلك الليالي حتى إذا كانت الليلة التي أصبحنا منها فبايعنا عثمان – قال المسور – طرقني عبد الرحمن بعد هجع من الليل فضرب الباب حتى استيقظت فقال : أراك نائما فوالله ما اكتحلت هذه الثلاث بكثير نوم ... فلما صلى للناس الصبح واجتمع أولئك الرهط عند المنبر فأرسل إلى من كان حاضرا من المهاجرين والأنصار ، وأرسل إلى أمراء الأجناد – وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر – فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال : أما بعد يا علي إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان ... .

والذي يستخلص من مجموع الروايات في بيعة عثمان رضي الله عنه أنها تمت بعد مشاورات مكثفة أجراها عبد الرحمن بن عوف مع أهل الرأي والمشورة . فقد كان رضي الله عنه مؤتمنا وقد بذل جهودا كبيرة في تلك الأيام الثلاث ليستخلص ما يراه الناس الأوفق فلما وجد إجماعهم على عثمان وتأكد من ذلك أعلنه[2] . لذا نجد الإمام أحمد ينكر بشدة على من يتكلم في خلافة عثمان فهي كما قال : كانت بإجماعهم .

---

(١) في الصحيح : ١٣/١٩٣ .

(٢) انظر : البداية والنهاية : ٧/١٤٥ .

قول الإمام أحمد فى خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه

قال أبو بكر الخلال :

٣٥٣ – أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل : وأبو بكر المروذى وعبد الملك الميمونى وحرب بن إسماعيل الكرمانى وأبو داود السجستانى وأحمد بن الحسين ويوسف بن موسى ومحمد بن يحيى ومحمد بن أحمد بن واصل وصالح ابن على الحلبى ويعقوب بن يوسف المطوعى ومحمد بن الحسن بن هارون[١] المعنى قريب كلهم سمع أحمد بن حنبل يقول : أبو بكر وعمر وعثمان فى التفضيل[٢] وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى فى الخلافة . قال عبد الله بن أحمد : على ما قال سفينة وقال ابن عمر . وقال أحمد بن الحسين : الخلافة ثلاثون عاما . وقال محمد بن يحيى : من زعم أن عليا ليس إماما إلى أى شىء يذهب ألم يقم الحدود ألم يحج بالناس ألم ألم وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : يا أمير المؤمنين . وقال صالح بن على : لا يعجبنى من يقف عن على فى الخلافة[٣] .

٣٥٤ – وقد نقلت عن الإمام أحمد روايات كثيرة يؤكد فيها على خلافة على رضى الله عنه وأنه رابع الخلفاء الراشدين المهديين ويستدل على ذلك بأدلة متنوعة وينكر إنكارا شديد على من خالف فى ذلك ويبدعه ويأمر بمجانبته والروايات نقلها : أحمد بن الحسن الترمذى وإبراهيم بن الحارث وأبو بكر الأثرم

---

(١) كلهم ترجموا انظر فهرس تراجم نقلة المسائل .
(٢) ستأتى الروايات عنه فى التفضيل ص : ٣٨٤ .
(٣) انظر : السنة للخلال : (ق : ٦١/ب) .

وحنبل بن إسحاق[1] وأبو طالب ويعقوب الهاشمى[2] وأبو القاسم الجبلى[3] وأبو بكر المروذى[4] وعلى بن زكريا التمار[5] ومحمد بن مطهر المصيصى والحسن بن على بن الحسن وأحمد بن الحسين بن حسان[6] وأبو الحارث الصائغ وصالح ابن أحمد بن حنبل ويعقوب الدورقى[7] وعبد الله بن أحمد بن حنبل[8] وإسحاق ابن إبراهيم البغوى وحرب الكرمانى[9] وعبد الملك الميمونى[10] ومحمد بن أبى حسان ومحمد بن الحكم بن الأحول[12] وأحمد بن زرارة المقرىء[11] وإبراهيم بن

(١) السنة للخلال : (ق : ٦١/ب) ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزى : ص : ٢١٣ وشرح اعتقاد الإمام أحمد لابن شكر ص : ٧،٥ .

(٢) السنة : (ق ٦٢/أ) .

(٣) هو : إسحاق بن إبراهيم . قال ابن أبى يعلى : نقل عن الإمام أحمد أشياء اهـ وذكره الخطيب فقال : سمع منصور بن أبى مزاحم وطبقته ولم يحدث إلا بشىء يسير وكان يذكر بالفهم ويوصف بالحفظ . توفى سنة إحدى وثمانين ومئتين ت/بغداد : ٦/٣٧٨، ط/الحنابلة : ١/١١٠، المنهج الأحمد ٢٧٣/١ .

(٤) السنة للخلال : (ق ٦٣/أ) .

(٥) هو : أبو الحسن القطيعى ، ثقة ، قال ابن أبى يعلى : نقل عن الإمام أحمد أشياء . توفى سنة سبع وستين ومئتين . ت/بغداد : ٤٢٨/١١ ، ط/الحنابلة : ٢٢٢/١.

(٦) السنة للخلال : (ق : ٦٣/ب) .

(٧) المصدر السابق : (ق : ٦٤/أ) .

(٨) المصدر السابق : (ق : ٦٤/أ - ٦٤/ب) والسنة له : (ظ ق : ٩٥/أ - وفى المطبوع ص : ٢٣٥) .

(٩) السنة للخلال : (ق ٦٤/ب) .

(١٠) المصدر السابق : (ق ٦٥/أ) . وطبقات الحنابلة ٢١٥/١ .

(١١) السنة للخلال : (ق : ٦٥/أ) .

(١٢) قال عنه ابن أبى يعلى : روى عن الإمام أحمد وذكره ابن الجوزى فيمن حدث عن أحمد . ط/الحنابلة : ٤٥/١ ، مناقب الإمام أحمد ص : ١٢٥ ، غاية النهاية : ٥٤/١ . والرواية فى طبقات الحنابلة بالرقم السابق .

سويد الأرمنى[1] ووريزة بن محمد الحمصى[2] وهشام بن منصور[3] ويعقوب بن يوسف أبو بكر المطوعى[4] .

التعليق :

على بن أبى طالب رضى الله عنه رابع الخلفاء الراشدين ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم المبشر بالجنة كانت خلافته سنة خمس وثلاثين من الهجرة .

روى أبو بكر الخلال[5] – بإسناد جيد – عن محمد بن الحنفية قال : كنت مع على رحمه الله وعثمان محصور قال : فأتاه رجل فقال : إن أمير المؤمنين مقتول ثم جاء آخر فقال : إن أمير المؤمنين مقتول الساعة . قال : فقام على رحمه الله – قال محمد : فأخذت بوسطه تخوفا عليه فقال : خل لا أم لك قال : فأتى على الدار وقد قتل الرجل رحمه الله فأتى داره فدخلها وأغلق بابه فأتاه الناس فضربوا على الباب فدخلوا عليه فقالوا : إن هذا قد قتل ولابد للناس من خليفة ولا نعلم أحدا أحق بها منك قال لهم على : لا تريدونى فإنى لكم وزيرا خير منى لكم أميرا فقالوا : لا والله ما نعلم أحدا أحق بها منك قال : فإن أبيتم على فإن بيعتى لا تكون سرا ولكن أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يبايعنى قال : فخرج إلى المسجد فبايعه الناس . اهـ .

---

(١) قال عنه ابن أبى يعلى : روى عن الإمام أحمد أشياء وذكره ابن الجوزى فيمن حدث عن أحمد . ط/الحنابلة : ٩٥/١ ، مناقب الإمام أحمد ص : ١٢٨ والرواية فى المصدر الأخير .

(٢) قال عنه ابن أبى يعلى : سأل الإمام أحمد عن أشياء . وذكره ابن الجوزى فيمن حدث عن الإمام أحمد . ط/الحنابلة : ٣٩٣/١ ، مناقب الإمام أحمد ص : ١٤٣ ، وفى لسان الميزان : ٢٢٠/٦ قال ابن حجر : وزيرة بن محمد الغسانى من شيوخ خيثمة الطرابلسى لم أر فيه جرحا . ضبطه عبد الغنى بالراء وقبل الزاى مصغرا . والرواية فى طبقات الحنابلة : ٣٩٢/١ وشرح ذكره اعتقاد الإمام لابن شكر ص: ٦ – ٧ .

(٣) هو : هشام بن منصور بن سيف ، أبو سعيد السكسكى ، ويعرف باليخامرى ذكره ابن أبى يعلى وابن الجوزى فيمن حدثوا عن أحمد . توفى سنة مئتين وثلاث وستين ، ت/بغداد : ٤٨/١٤ ، ط/الحنابلة : ٣٩٤/١ ، مناقب الإمام أحمد : ١٤٣ ، المنهج الأحمد : ٤٥٥/١ . والرواية فى مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص : ٢١٣ .

(٤) المصدر الأخير ص : ٢٠٨ .

(٥) فى السنة : (ق : ٦٢) .

وتكاد تجمع الروايات على نحو ما تقدم[1] .

من هنا يتضح لنا أن خلافة على بن أبى طالب انعقدت باختيار المسلمين من أهل الحل والعقد . وبهذا تكون خلافته خلافة شرعية ، لا يطعن فيها بحال خروج البعض عليه . ولهذا كان الإمام أحمد ينكر بشدة على من تكلم فى خلافته أو وقف فهو فيها رضى الله تعالى عنه رابع الخلفاء وبه ختمت الخلافة .

قول الإمام أحمد فى التفضيل

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل :

٣٥٥ – سمعت أبى يقول : أما التفضيل فأقول أبو بكر ، عمر ، عثمان . على قول ابن عمر : كنا نعد ورسول الله صلى الله عليه وسلم حى فنقول : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت[2] .

* هذا القول مشهور معروف عن الإمام أحمد والنقول عنه فى مثل هذا مستفيضة . وقد تقدم عند : « قول الإمام أحمد فى خلافة على » ذكر بعض من نقل عنه ذلك من الرواة . وإضافة إلى ما تقدم نقل عنه هذا أيضا : ابن هانىء[3] وإسحاق الكوسج[4] وصالح بن أحمد بن حنبل[5] وحنبل بن إسحاق[6] ويعقوب ابن العباس الهاشمى وأحمد بن الحسن الترمذى ويحيى بن معين[7] وأحمد بن أبى

(١) انظر : تاريخ الطبرى ٤/٤٣٤ ، والبداية والنهاية : ٧/٢٧٧ .

(٢) مسائل عبد الله ص : ٤٤٠ وقول ابن عمر رواه البخارى : ٧/١٦ ، وأحمد : ٢/١٤ وغيرهم وعند البخارى : كنا نخير بين الناس فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان رضى الله عنهم .

(٣) انظر : مسائل ابن هانئ ٢/١٧٢ .

(٤) مسائل الكوسج : ٢/١٧٩ .

(٥) السنة للخلال : (ق : ٥٣/ب) .

(٦) المصدر السابق : (ق : ٥٩/أ) وشرح اعتقاد أحمد لابن شكر ص : ٥، ٧ .

(٧) هو : يحيى بن معين بن عون الغطفانى ، مولاهم ، أبو زكريا البغدادى ، ثقة حافظ مشهور ، إمام الجرح والتعديل توفى سنة ثلاث وثلاثين ومئتين بالمدينة المنورة . ط/الحنابلة : ١/٤٠٢ ، تقريب ١/٣٥٨ .
والروايات المتقدمة فى السنة للخلال : (ق : ١٥٨/أ) .

الحوارى[1] وسلمة بن شبيب[2] وعبدوس بن مالك[3] ومحمد بن حبيب الأندرانى[4]، وغيرهم .

٣٥٦ – سمعت أبى رحمه الله يقول : السنة فى التفضيل الذى نذهب إليه ما روى عن ابن عمر رضى الله عنه . نقول : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ولا نعيب من ربع بعلى رضى الله عنه لقرابته وصهره وإسلامه القديم[5] .

* ونقل نحو هذا عن أحمد :

٣٥٧ – **ابن هانىء قال** : سمعت أبا عبد الله يقول فى **التفضيل** : **أبو بكر** ثم عمر ثم عثمان ولو أن رجلا قال على لم أعنفه[6] .

٣٥٨ – **أبو داود ومحمد بن يحيى بن فارس**[7] **وحمدان بن على وأبو** الحارث الصائغ . كلهم مثل ابن هانىء[8] .

٣٥٩ – **الفضل بن زياد أنه**: سمع أبا عبد الله وقال له رجل : لم يزل الناس نعرفهم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى فقال : ما يرد هذا شىء .

٣٦٠ – **أبو بكر المروذى قال**: سمعت أبا عبد الله وذكر **التفضيل** فقال لى : كلمنى عاصم فى التفضيل وأبو عبيد حاضر فقلت : أبو بكر وعمر وعثمان وأراه قال : احتججت بحديث ابن عمر فقال عاصم نقول : أبو بكر وعمر وعثمان

---

(١) هو : أحمد بن عبد الله بن ميمون ، ثقة زاهد ، توفى سنة ست وأربعين ومئتين . ط/الحنابلة : ٧٨/١ ، تقريب : ١٨/١ .

(٢) الروايتان فى السنة للخلال : (ق : ٤/أ) .

(٣) رسالة عبدوس : (ق : ٤/أ) .

(٤) طبقات الحنابلة : ٢٩٤/١ .

(٥) السنة لعبد الله : (ظ /٩٥/أ) وفى المطبوع ص : ٢٤٣ وأخرجه أبو بكر الخلال عن عبد الله به . السنة : (ق : ٥٩/ب) .

(٦) مسائل ابن هانىء : ١٦٩/٢ .

(٧) هو : الذهلى ، ثقة حافظ جليل . توفى سنة ثمان وخمسين ومئتين على الصحيح ت/بغداد : ٤١٥/٣ ، ط/الحنابلة : ٣٢٧/١ ، تقريب : ٢١٧/١ .

(٨) انظر : السنة للخلال : (ق : ٥٩/ب) ورواية أبى داود ومحمد بن يحيى انظرها أيضا فى مسائل أبى داود ظ ص : ٢٦٠ وفى المطبوع ص : ٢٧٧ .

وعلى ووافقه أبو عبيد . قال : فقلت لأبى عبيد : لست أدفع ما تقول يا أبا عبيد . قال : ففرح بها .

٣٦١ - على بن سهل بن المغيرة[1] قال : حدثنى من حضر مجلس عاصم فقال أحمد : فإن قال قائل من بعد عثمان قلت : على .

٣٦٢ - صالح بن على الحلبى قال: يا أبا عبد الله فتعنف من قال الإمامة والخلافة قال : لا .

٣٦٣ - محمد بن حبيب قال : قلت لأبى عبد الله : من قال : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى قال : أذهب إليه ويعجبنى أن أقول أبو بكر وعمر عثمان وأسكت وإن قال رجل وعلى لم أعنفه[2] .

٣٦٤ - حبيش بن سندى أنه : سمع أبا عبد الله وقال له الذى سأله وكان غريبا لا أدرى ما تقول ومن قال على لم أعنفه .

٣٦٥ - عبد الملك الميمونى قال: سئل أحمد عمن قال : أبو بكر وعمر فسمعته يقول : ما يعجبنى قالوا له فمن قال : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى قال : أرجو أن لا يكون به بأس .

٣٦٦ - الحسن بن ثواب قال :قلت لأبى عبد الله : فمن قال فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى قال : نعم .

٣٦٧ - قلت : حديث ابن عمر كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حى : أبو بكر وعمر وعثمان ونسكت . أفليس من قال بهذا فقد أصاب ومن قال بأبى بكر وعمر وعثمان وعلى فقد أصاب . قال : نعم قد أصاب من قال أى هذين القولين فقد أصاب[3] .

---

(١) هو : البزاز ، البغدادى ، نسائى الاصل ، يعرف بالعفانى لملازمة عفان بن مسلم، **وهو ثقة. توفى** سنة إحدى وسبعين ومئتين . ت/بغداد : ٤٢٩/١١ ، ط/الحنابلة : ٢٢٥/١ ، **تقريب ٣٨/١.**

(٢) رواياتهم فى السنة للخلال : (ق : ٥٩/ب) .

(٣) الروايات فى السنة للخلال : (ق : ٦٠/أ) .

٣٦٨ - إسحاق بن إبراهيم البغوى قال : قلت يا أبا عبد الله : من قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلى أليس هو عندك صاحب سنة ؟ قال : بلى لقد روى فى على رحمه الله ما تقشعر - أظنه - الجلود قال صلى الله عليه وسلم « أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى »[١] .

٣٦٩ - هارون المستملى قال : قلت : ما تقول فيمن قال : أبو بكر وعمر وعثمان ؟ قال : هذا قول ابن عمر وإليه نذهب . فقلت : من قال . أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ؟ قال : صاحب سنة[٢] .

٣٧٠ - ومسدد بن مسرهد[٣] ومحمد بن عوف الطائى[٤] والحسن بن **إسماعيل** الربعى[٥] .

ونقلت عنه روايات كثيرة ينكر فيها على من قدم عليا على عثمان - رضى الله عنهما - وممن نقل عنه ذلك .

٣٧١ - ابن هانىء قال : قيل له : إن رجلا يقول أبا بكر وعمر وعليا معهم وترك عثمان فغضب ثم قال : ابن مسعود (يقول) أمرنا خيرنا ذا فوق وبيعة سابقة . هذا رجل سوء ، ثم أخرج إلىّ كتابا فيه هذه الأحاديث فقرأتها عليه[٦] .

٣٧٢ - وسئل عن الرجل لا يفضل عثمان على على . قال : ينبغى له أن يفضل على على ولم يكن بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف أن عثمان أفضل من على . ولا أذهب إلى ما رآه الكوفيون وغيره ولا إلى ما قاله أهل المدينة : لا يفضلون أحدا على أحد[٧] .

---

(١) انظر : الحديث فى صحيح البخارى (فتح البارى ١١٢/٨) وصحيح مسلم : ١٨٧٠/٤ .
(٢) الروايتان فى السنة للخلال : (ق : ٦٠/ب) .
(٣) انظر : طبقات الحنابلة : ٣٤٤/١ .
(٤) انظر : طبقات الحنابلة : ٣١٣/١ .
(٥) انظر : طبقات الحنابلة : ١٣١/١ .
(٦) مسائل ابن هانىء : ١٧٢/٢ وأخرجه الخلال فى السنة : (ق : ٥٥/ب) .
(٧) مسائل ابن هانىء : ١٧٢/٢ ورواه الخلال فى السنة : (ق : ٥٣/ب - ق : ٥٧/أ) .

٣٧٣ - وسألته عمن قدم عليا على عثمان ؟ فقال : هو قول سوء نبدأ بما قال أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ومن فضلهم النبى صلى الله عليه وسلم[(١)] .

٣٧٤ - سمعت أبا عبد الله يقول : فكل من فضل عليا على عثمان فقد أزرى على المهاجرين والأنصار[(٢)] .

٣٧٥ - عبد الملك الميمونى أنه قال لأبى عبد الله : من قال أبو بكر وعمر وسكت ولم يقل عثمان تاما فى السنة ؟ فأقبل يتعجب وقال : يكون تاما فى السنة . يعنى لا يكون تاماً فى السنة .

٣٧٦ - حمدان بن على قال : قلت : يا أبا عبد الله من قال : أبو بكر وعمر هو عندك من أهل السنة ؟ قال : لا توقفنى هكذا كيف نصنع بأهل الكوفة .

٣٧٧ - قال حمدان : وحدثنى عنه أبو السرى عبدوس بن عبد الواحد قال : إخراج الناس من السنة شديد[(٣)] .

٣٧٨ - محمد بن عوف الحمصى قال : سمعت أحمد بن حنبل وسئل عن التفضيل فقال من قدم عليا على أبى بكر فقد طعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قدمه على عمر فقد طعن على رسول الله وعلى أبى بكر ومن قدمه على عثمان فقد طعن على أبى بكر وعلى عمر وعلى أهل الشورى وعلى المهاجرين والأنصار[(٤)] .

٣٧٩ - شاهين بن السميذع قال : سمعت أبا عبد الله يقول : من قدم عليا على أبى بكر فقد أزرى على المهاجرين الأولين[(٥)] .

(١) مسائل ابن هانىء : ٢/١٧٠ ورواه الخلال فى السنة : (ق : ٥٤/ب) .
(٢) مسائل ابن هانىء : ١٧٧/٢ ، ورواه ابن الجوزى فى مناقب الإمام أحمد ص ٢١١ ، عن عمرو بن عثمان الحمصى وأنه سأل أحمد عندما مر بحمص محمولا إلى المأمون .
(٣) الروايتان فى السنة للخلال : (ق : ٥٣/ب) .
(٤) انظر : السنة للخلال : (ق : ٥٤/أ) وط/الحنابلة : ١٢٠/٢ ومناقب الإمام أحمد : ص : ٢١١ وشرح اعتقاد أحمد لابن شكر ص : ٧ .
(٥) طبقات الحنابلة : ١٧٣/١ .

٣٨٠ – جعفر بن محمد النسائى قال : سمعت أبا عبد الله يسأل عن رجل يفضل عليا على أبى بكر وعمر رحمهما الله . قال : بئس القول هذا[١] .

٣٨١ – صالح بن أحمد قال : سئل أبى وأنا أسمع **عمن يقدم عليا على** عثمان مبتدع قال : هذا أهل أن يبدع ، أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قدموا عثمان[٢] .

٣٨٢ – حنبل بن إسحاق : مثل ما تقدم فى رواية صالح وعنده أيضا : سألت أبا عبد الله من قال : على وعثمان ؟ قال : هؤلاء أحسن حالا من غيرهم ثم ذكر عدة من شيوخ أهل الكوفة وقال : هؤلاء أحسن حالاً من الروافض . ثم قال أبو عبد الله : إن أولئك يعنى الذين قدموا عليا على عثمان قد خالفوا من تقدمهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وأنا أذهب إلى أن عثمان ثم على رحمهما الله .

٣٨٣ – هارون المستملى قال : قال أحمد : من قال أبو بكر وعمر وعثمان فهو صاحب سنة ومن قال : أبو بكر وعمر وعلى وعثمان فهو رافضى أو قال مبتدع[٣] .

٣٨٤ – زكريا الناقد[٤] قال : سمعت أبا عبد الله قال له رجل : من قدم عليا على عثمان ؟ قال : زا قول سوء .

٣٨٥ – أبو بكر المروذى قال : ذكرت لأبى عبد الله عن بعض الكوفيين أنه كان يقول فى التفضيل : أبو بكر وعمر وعلى فعجب من هذا القول . قلت : إن أهل الكوفة يذهبون إلى هذا . فقال : ليس يقول هذا أحد إلا مزكوم واحتج بمن فضل عثمان على على فذكر ابن مسعود وقال : قال ابن مسعود : أمرنا خير من بقى ولم نأل وذكر قول ابن عمر .

---

(١) السنة للخلال : (ق : ٥٤/ب) .
(٢) المصدر السابق : (ق : ٥٥/أ) ومناقب الإمام أحمد ص : ٢١١ .
(٣) الروايات فى السنة للخلال : (ق : ٥٥/أ) .
(٤) هو : زكريا بن يحيى الناقد ، قال الدارقطنى : ثقة فاضل وقال أبو بكر الخلال كان عنده أبى عبد الله مسائل صالحة . ت/بغداد : ٨/٤٦١ طبقات الحنابلة ١/٥٨ والرواية فى السنة للخلال : (ق : ٥٥/أ) .

٣٨٦ - عبد الملك الميمونى أنه : سأل أبا عبد الله قال : **قلت** : أليس تقول أبو بكر وعمر وعثمان . قال : أما فى التخيير : فأبو بكر وعمر وعثمان . قلت : فإنه حكى لى عنك أنك تقول : إذا قال أبو بكر وعمر وعلى وعثمان ، وأبو بكر وعمر أن هذا عندك قريب بعضه من بعض فتغير لونه ثم قال لى : لا والله ما قلت هذا قط ولا دار بينى وبين أحد من هذا قول هكذا وأنا لم أزل أقول : أبو بكر وعمر وعثمان واسكت وأغتم بما حكيت له من القول[1] .

٣٨٧ - الحسن بن ثواب قال : قلت (لأحمد) إن قوما يقولون أبو بكر وعمر وعلى وعثمان ؟ قال : هؤلاء أهل بدر رضى الله عنهم يقدمون أبا بكر وعمر وعثمان وعليا لا يقدمون عليا على عثمان[2] .

٣٨٨ - محمد بن الحكم الأحول أنه : سأله عمن قال : **أبو بكر وعمر** وعلى وعثمان فقال : ما يعجبنى هذا القول قلت : فيقال إنه مبتدع قال : أكره أن أبدعه البدعة الشديدة قلت : فمن قال : أبو بكر وعمر وعلى وسكت فلم يفضل أحدا قال : لا يعجبنى أيضا هذا القول . قلت : فيقال : مبتدع قال : لا يعجبنى هذا القول[3] .

التعليق :

من مجموع الروايات السابقة عن الإمام أحمد يتضح بجلاء موقفه من هذه المسألة فهو يرى رحمه الله الوقوف على عثمان رضى الله عنه فى التفضيل . ولا يرى بأسا فى التربيع بعلى فى التفضيل . وهذا الوقوف منه إنما كان تمشيا مع ما ورد فى حديث عبد الله بن عمر المتقدم .

وكما هو واضح من الروايات عنه أيضا أن عدم تربيعه بعلى لا يعنى تفضيل غيره عليه .

---

(١) السنة للخلال : (ق : ٥٧/ب) .

(٢) المصدر نفسه : (ق : ٦٠/أ) .

(٣) المصدر نفسه : (ق : ٥٤/ب) .

يقول ابن تيمية : ليس فى أهل السنة من يقدم عليه أحدا غير الثلاثة ، بل يفضلونه على جمهور أهل بدر وأهل بيعة الرضوان وعلى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وما فى أهل السنة من يقول : إن طلحة والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف أفضل منه ، بل غاية ما يقولون السكوت عن التفضيل بين أهل الشورى[1] . اهـ .

وما أثر عن الإمام أحمد فى الوقوف على عثمان فى التفضيل ذهب إليه بعض السلف ، فمن ناحية تفضيل أبى بكر وعمر على غيرهما من الصحابة . لم يكن فى ذلك خلاف بين السلف بل الكل مجمعون على هذا .

يقول ابن تيمية : أما تفضيل أبى بكر ، ثم عمر على عثمان وعلى : فهذا متفق عليه بين أئمة المسلمين المشهورين بالإمامة فى العلم والدين : من الصحابة والتابعين ، وتابعيهم ، وهو مذهب مالك وأهل المدينة ، والليث بن سعد وأهل مصر ، والأوزاعى ، وأهل الشام ، وسفيان الثورى ، وأبى حنيفة ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وأمثالهم من أهل العراق . وهو مذهب الشافعى وأحمد ، وإسحاق ، وأبى عبيد ، وغير هؤلاء : من أئمة الإسلام الذين هم لسان صدق فى الأمة . وحكى مالك إجماع أهل المدينة على ذلك فقال : ما أدركت أحدا ممن أقتدى به يشك فى تقديم أبى بكر وعمر[2] اهـ .

وبهذا يتضح لنا مخالفة الروافض لما أجمعت عليه هذه الأمة من تقديم الشيخين وهم يتعلقون بعلى وعلى رضوان الله عليه برىء منهم ومن أعمالهم وأقوالهم . فهو نفسه رحمه الله تعالى قدَّم الشيخين وعرف فضلهما ومنزلتهما فى الإسلام .

روى البخارى[3] عن محمد بن الحنفية قال : قلت لأبى : أى الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أبو بكر قلت : ثم من قال : ثم عمر ...

---

(١) منهاج السنة : ٢٠٦/٢ . وانظر الروايتين والوجهين لأبى يعلى ابن الفراء : ق : ٢٤٧ ، ٢٤٨) فقد فصل هذه المسألة على ضوء الروايات المنقولة عن أحمد .

(٢) مجموع الفتاوى : ٤٢١/٤ .

(٣) فى الصحيح : ٢٠/٧ .

وروى البخارى[1] ومسلم[2] عن ابن عباس قال : إنى لواقف فى قوم فدعوا الله لعمر بن الخطاب – وقد وضع على سريره – إذا رجل من خلفى قد وضع مرفقه على منكبى يقول : رحمك الله . إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لأنى كثيرا ما كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كنت وأبو بكر وعمر وفعلت وأبو بكر وعمر وانطلقت وأبو بكر وعمر . فإنى كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما . فالتفت فإذا هو على بن أبى طالب .

والروايات الصحيحة الصريحة عن على فى تفضيله للشيخين من الكثرة بمكان .

يقول ابن تيمية : وهذا مستفيض عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب .

ثم ذكر رواية محمد بن الحنفية السابقة وقال : ويروى هذا عن على بن أبى طالب من نحو ثمانين وجها وأنه كان يقول على منبر الكوفة بل قال : لا أوتى بأحد يفضلنى على أبى بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى[3] .

والإمام أحمد ينكر على من قدم عليا على عثمان رضى الله عنهما فكيف بمن يقدمه على الشيخين .

وقد سبق أن بينا أنه لا خلاف بين السلف فى تقديم الشيخين على سائر الصحابة .

وفى تقديم عثمان على على رضوان الله عليهما لم يحصل ذلك **الإجماع** السابق وإن كان معظم السلف على تقديم عثمان . ولم يخالف فى ذلك إلا قلة .

يقول ابن تيمية : وأما عثمان وعلى : فهذه دون تلك . فإن هذه كان قد حصل فيها نزاع فإن سفيان الثورى ، وطائفة من أهل الكوفة : رجحوا عليا على عثمان ثم رجع عن ذلك سفيان وغيره . وبعض أهل المدينة توقف فى عثمان وعلى ، وهى إحدى الروايتين عن مالك ، لكن الرواية الأخرى عنه تقديم عثمان

(١) فى الصحيح : ٢٢/٧ .
(٢) فى الصحيح : ١٨٥٨/٤ – ١٨٥٩ .
(٣) مجموع الفتاوى : ٤٢٢/٤ .

على على كما هو مذهب سائر الأئمة كالشافعي ، وأبي حنيفة وأصحابه ، وأحمد بن حنبل وأصحابه وغير هؤلاء من أئمة الإسلام .

حتى إن هؤلاء تنازعوا فيمن يقدم عليا على عثمان هل يعد من أهل البدعة على قولين : هما روايتان عن أحمد[1] . اهـ .

قال أبو بكر الخلال : استقر القول من أبي عبد الله أنه يكره هذا القول ولم يجزم فى تبديعه وإن قال قائل هو مبتدع لم ينكر عليه[2] . اهـ .

وقد سبق قول الإمام أحمد : من قدم عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار .

يقول ابن تيمية : فإنه وإن لم يكن عثمان أحق بالتقديم ، وقد قدموه : كانوا إما جاهلين بفضله ، وإما ظالمين بتقديم المفضول من غير ترجيح دينى ومن نسبهم إلى الجهل والظلم فقد أزرى بهم[3] . اهـ .

لكن التربيع بعلى فى التفضيل هو قول جمهور أهل السنة . وهو ما أقره الإمام أحمد . قال ابن حجر : إن الإجماع انعقد بآخرة بين أهل السنة أن ترتيبهم فى الفضل كترتيبهم فى الخلافة[4] اهـ .

وقد نقل محمد بن عوف الطائى عنه أنه قال : وخير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على . فقلت له : يا أبا عبد الله : فإنهم يقولون : إنك وقفت على عثمان ؟ فقال : كذبوا والله علىَّ إنما حدثتهم بحديث ابن عمر« كنا نفاضل بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نقول : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان فيبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فلا ينكره » ولم يقل النبى صلى الله عليه وسلم لا تخايروا بعد هؤلاء بين أحد ليس لأحد فى ذلك حجة . فمن وقف على عثمان ولم يربع بعلى فهو على غير السنة يا أبا جعفر .اهـ .

(١) المصدر السابق : ٤/٤٢٥ - ٤٢٦ .
(٢) السنة : (ق : ٥٦) .
(٣) نفس المصدر السابق : ٤/٤٢٨ .
(٤) فتح البارى : ٧/٣٤ .

يقول أبو بكر الخلال بعد ذكره للروايات عن أحمد فى التفضيل : مذهب أحمد بن حنبل الذى هو مذهبه أبو بكر وعمر وعثمان وهو المشهور عنه وقد حكى المروزى رحمه الله وغيره أنه قال لعاصم وأبى عبيد لست أدفع قولكم فى التربيع بعلى . وحكى بعد هذا أيضا جماعة رؤساء أجلة كبار فى سنة وقريب من سنة أنه قال : ومن قال على فهو صاحب سنة ... وكل هذا صحيح على ما قالوا والذى نذهب إليه من قول أبى عبد الله أنه من قال : أبو بكر وعمر وعثمان فقد أصاب وهو الذى العمل عليه ومن قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم فصحيح جيد لا بأس به[1] .

قول الإمام أحمد فى الصحبة

قال إسحاق الكوسج :

٣٨٩ – قلت : هل للصحبة حد ؟ قال : لا . ومن صحب النبى صلى الله عليه وسلم ولو ساعة فهو من أصحاب (النبى صلى الله عليه وسلم) .

قال إسحاق : كما قال[2] .

وفى رسالة عبدوس بن مالك قال :

٣٩٠ – كل من صحبه سنة أو شهرا أو يوما أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه له (من)[3] الصحبة على قدر ما صحبه . وكانت سابقته معه ، وسمع منه ونظر إليه (نظرة)[4][5] .

---

(١) السنة (ق : ٦٠/ب – ٦١/أ) .
(٢) مسائل الكوسج : ١٥٨/٢ .
(٣) كذا عند ابن أبى يعلى وليست فى المخطوط .
(٤) هكذا فى المخطوط . وعند ابن أبى يعلى : « ونظر إليه » فقط .
(٥) انظر : رسالة عبدوس (ق : ٣) وطبقات الحنابلة : ٢٤٣/١ .

الصحبة تطلق على كل من اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك وإن تخللته ردة .

يقول ابن تيمية : والصحبة اسم جنس تقع على من صحب النبى صلى الله عليه وسلم قليلا أو كثيرا لكن كل منهم له من الصحبة بقدر ذلك فمن صحبه سنة أو شهرا أو يوما أو ساعة أو رآه مؤمنا فله من الصحبة بقدر ذلك[١] .

وفى موضع آخر يقول : والمقصود أن الصحبة فيها خصوص وعموم وعمومها يندرج فيه كل من رآه مؤمنا به[٢]

قول الإمام أحمد فى بعض ما يجب نحو صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو بكر الخلال :

٣٩١ - أخبرنا أبو بكر المروذى قال : سمعت أبا عبد الله وذكر له رجل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : رحمهم الله أجمعين[٣] .

* والروايات عنه فى الترحم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم أجمعين ومعرفة حقهم كثيرة نقلها :

٣٩٢ - صالح بن على الحلبى أنه : سمع أبا عبد الله يترحم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعين .

٣٩٣ - هارون الهاشمى[٤] قال : كنا عند أبى عبد الله سنة سبع وعشرين أنا وأبو جعفر بن إبراهيم فقال له أبو جعفر : أليس نترحم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم معاوية وعمرو بن العاص وعلى أبى موسى

---

(١) مجموع الفتاوى : ٤/٤٦٤ .
(٢) نفس المصدر : ٣٥/٦٢ . وانظر : العدة فى أصول الفقه لإبى يعلى بن الفراء: **٣/٩٨٧** .
(٣) السنة : (ق : ٧٤/ب) .
(٤) قال ابن أبى يعلى : سمع من الإمام أحمد أشياء . ط/الحنابلة : ١/٣٩٦ .

الأشعرى والمغيرة . قال : نعم كلهم وصفهم الله في كتابه فقال : ﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ .

٣٩٤ - أبو الحارث الصائغ قال : سمعت أبا عبد الله يقول : قال صلى الله عليه وسلم « خير الناس قرنى »[١] فلا يقاس بأصحابه أحد من التابعين . وقال أبو عبد الله : من تنقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينطوى إلا على بلية وله خبيئة سوء إذا قصد إلى خير الناس وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك[٢] اهـ .

٣٩٥ - أبو طالب قال : سألت أبا عبد الله : البراءة بدعة والولاية بدعة والشهادة بدعة ؟ قال : البراءة : أن تتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . والولاية : أن تتولى بعضا وتترك بعضا . والشهادة : أن تشهد على أحد أنه في النار[٣] .

٣٩٦ - الحسن بن إسماعيل الربعى قال : قال لى أحمد ...والترحم على جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أولاده وأزواجه وأصهاره رضوان الله عليهم أجمعين[٤] .

٣٩٧ - محمد بن حبيب قال : سمعت أحمد ... وترحم على جميع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم صغيرهم وكبيرهم وحدث بفضائلهم وأمسك عما شجر بينهم .

... وعرف حق السلف الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم[٥] .

---

(١) أخرجه البخارى : ٣/٧ ومسلم : ١٩٦٢/٤ - ١٩٦٣ .
(٢) الزوايات فى السنة للخلال : (ق : ٧٤/ب) .
(٣) المصدر السابق : (ق : ٧٥/أ) .
(٤) طبقات الحنابلة : ١٣١/١ .
(٥) المصدر السابق : ٢٩٤/١ .

٣٩٨ – أبو بكر المروذى قال : قلت لأبى عبد الله : أيما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز . فقال : معاوية أفضل . لسنا نقيس بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] أحدا .

٣٩٩ – وفى كتاب السنة له ورسالة الإصطخرى عنه قال : ومن السنة ذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعين ... حبهم سنة والدعاء لهم قربة[2] .

٤٠٠ – الفضل بن جعفر قال : قلت : يا أبا عبد الله أيش تقول فى حديث قبيصة ، عن عباد السماك ، عن سفيان : أئمة العدل خمسة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن العزيز فقال : هذا باطل – يعنى – ما ادعى على سفيان – ثم قال : أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدانيهم أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقاربهم أحد[3] .

٤٠١ – الفضل بن زياد قال : سمعت أبا عبد الله وسئل عن رجل انتقص معاوية وعمرو بن العاص أيقال له رافضى فقال : إنه لم يجترىء عليهما إلا وله خبيئة سوء ما انتقص أحد أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا له داخلة سوء[4] .

التعليق :

فضل أصحاب رسو ل الله صلى الله عليه وسلم أجمعين ومكانتهم فى الدين دل عليه الكتاب والسنة وانعقد عليه إجماع الأمة . ولا يخالف فى هذا إلا ضال مضل . قال الله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره

---

(١) السنة للخلال : (ق : ٦٦/ب) .

(٢) انظر : السنة ضمن شذرات البلاتين ص : ٤٩ والإصطخرى فى طبقات الحنابلة : ٣٠/١ .

(٣) السنة للخلال : (ق : ٦٧) .

(٤) المصدر السابق : (ق : ٦٩ ب) .

فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعلموا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾[1] . وقال عز وجل : ﴿ والذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدروهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾[2] .

وروى البخارى[3] ، ومسلم[4] من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » .

والأحاديث الصحيحة فى فضل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكثرة بمكان . لذا كان من الواجب أن نعرف حق أصحاب رسول الله أجمعين وكما قال الإمام أحمد : « حبهم سنة والدعاء لهم قربة » . فهم مشاعل الهدى بذلوا مهجهم فى سبيل الله فمن حقهم على الأمة محبتهم والترضى والترحم والثناء عليهم .

---

(١) سورة الفتح /٢٩ .
(٢) سورة الحشر /٩، ١٠ .
(٣) فى الصحيح : ٢١/٧ .
(٤) فى الصحيح : ١٩٦٧/٤ .

قول الإمام أحمد فيما وقع بين بعض أصحاب رسول الله رضوان عليهم أجمعين

قال أبو بكر الخلال :

٤٠٢ – أخبرنا أبو بكر المروذى قال : قيل لأبى عبد الله ونحن بالعسكر وقد جاء بعض رسل الخليفة وهو يعقوب . فقال : يا أبا عبد الله ما تقول فيما كان من على ومعاوية رحمهما الله . فقال أبو عبد الله : ما أقول فيهما إلا الحسنى رحمهم الله أجمعين[١] .

*** الروايات عن الإمام أحمد فى الكف عما شجر بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة وممن نقل ذلك عنه :**

٤٠٣ – ابنه عبد الله قال : حدثنى أبو الحسن العقيلى قال : كنت آتى أبا عبد الله فيقبل علىَّ ويلقانى لقاءً جميلا فأتيته يوما فأنكرت لقاءه فقلت فى نفسى : قد دهيت سبعت عنده . فقلت : يا أبا عبد الله بلغك عنى شيء فقد أنكرت لقاءك اليوم فقال : وأومأ إلى شاب ناحية درجة المسجد فقال : أخبرنى ذاك – وكان من أهل اليمامة – أنك سببت أو ذكرت بعض الصحابة . فقلت : لا والله ما سببت أحدا من الصحابة قط ولا ذكرت أحدا منهم بسوء ولكن سمعت هذا ذكر عليا ومعاوية فسوى بينهما أراه قال : فرددت عليه . فقال : قد بين الله عز وجل هذا فى كتابه ثم قال : قبلت منك ولا تعد تكلم فى هذا[٢] .

٤٠٤ – حنبل بن إسحاق قال : أردت أن أكتب كتاب صفين والجمل عن خلف بن سالم[٣] فأتيت أبا عبد الله أكلمه فى ذاك وأسأله فقال : وما تصنع بذاك وليس فيه حلال ولا حرام[٥] .

---

(١) السنة : (ق : ٧١/ب) وأخرجه ابن الجوزى فى مناقب الإمام أحمد ص : ٢١٣ – ٢١٤ .

(٢) السنة للخلال : (ق : ٤٩) .

(٣) هو : المخرمى ، ثقة حافظ ، تقريب : ٢٢٥/١ ، وانظر ميزان الإعتدال : ١٨٢/٢ .

(٥) انظر : الروايات عنه فى هذا الشأن فى المصدر السابق : (ق : ٧٨، ٧٩) .

٤٠٥ - إبراهيم بن موسى بن آزر[1] **قال** : حضرت أحمد بن حنبل ، وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية فأعرض عنه فقيل له : يا أبا عبد الله ، هو رجل من بني هاشم . فأقبل عليه وقال اقرأ : ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ﴾ الآية[2] .

٤٠٦ - مسدد بن مسرهد كتب له أحمد : والكف عن مساوئ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدثوا بفضائلهم وأمسكوا عما شجر بينهم[3] .

٤٠٧ - عبدوس بن مالك قال : سمعت أحمد يقول ... ومن انتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أبغضه لحدث كان منه أو ذكر مساوئه ، كان مبتدعا حتى يترحم عليهم جميعا ويكون قلبه لهم سليما[4] .

٤٠٨ - الحسن بن إسماعيل الربعي قال : قال لي أحمد : والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[5] ومثله نقل محمد بن عوف الطائي[6] .

٤٠٩ - محمد بن حبيب قال : سمعت أحمد يقول ... وحدث بفضائلهم وأمسك عما شجر بينهم[7] .

---

(١) قال الخطيب : حكى عن أحمد بن حنبل ، وكذا ذكر ابن أبي يعلى وابن الجوزي ت/بغداد : ٤٤/٦ ، مناقب الإمام أحمد ص : ١٢٨ ، ط/الحنابلة : ٩٦/١ .
(٢) الرواية في ت/بغداد : ٤٤/٦ ، وطبقات الحنابلة : ٩٦/١ - ٩٧ ومناقب أحمد ص : ٢١٤ .
(٣) طبقات الحنابلة : ٣٤٤/١ .
(٤) رسالة عبدوس (ق/أ) وطبقات الحنابلة : ٢٤٥/١ .
(٥) انظر : المصدر الأخير : ٣١١/١ .
(٦) نفس المصدر .
(٧) نفس المصدر : ٢٩٤/١ .

التعليق :

تقدم آنفا بعض ما يجب نحو صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحب لهم والترحم والثناء عليهم جميعا بدون استثناء .

كما أن من الواجب على المؤمن الكف عما شجر بين بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم الخوض فيما جرى بين بعضهم بل يذكر محاسنهم ويتحدث بها ويسكت عن بعض ما صدر من بعضهم وهو لا يعد شيئا بجانب ما لهم من المحاسن الكثيرة فهم على كل حال لم يخرجوا عن نطاق البشرية والعصمة للأنبياء .

يقول ابن تيمية موضحا مذهب أهل السنة :

ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم ، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون : إن هذه الآثار المروية فى مساويهم منها ما هو كاذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره بل يجوز عليهم الذنوب فى الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما ليس لمن بعدهم .

وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم خير القرون وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبا ممن بعدهم .

ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم الذى هو أحق بشفاعته أو ابتلى ببلاء فى الدنيا كفر به عنه ، فإذا كان هذا فى الذنوب المحققة فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور . ثم إن القدر الذى ينكر من فعل بعضهم قليل نزر فى جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد فى سبيله

والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح ومن نظر فى سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله عليهم به من الفضائل علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التى هى خير الأمم وأكرمها على الله[1] .

قول الإمام أحمد فيمن يشهد له الجنة

فى رسالته إلى مسدد بن مسرهد قال :

٤١٠ – وأن نشهد للعشرة بالجنة وهم أبو بكر[2] وعمر[3] وعثمان[4] وعلى[5] وطلحة[6] والزبير[7] وسعد[8] وسعيد[9] وعبد الرحمن بن عوف الزهرى[10] وأبو عبيدة بن الجراح[11] .

* ومن شهد النبى صلى الله عليه وسلم له بالجنة شهدنا له بالجنة[12] .

* الروايات عن الإمام أحمد مستفيضة فى الشهادة لمن شهد لهم النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة والاستدلال لذلك والإنكار على من خالف وممن نقل عنه :

٤١١ – ابنه عبد الله قال : سألت أبى رحمه الله عن الشهادة لأبى بكر وعمر هما فى الجنة ؟ قال : نعم . وأذهب إلى حديث سعيد بن زيد أنه قال :

---

(١) العقيدة الواسطية ص : ١٢٢ – ١٢٤ ، وانظر :الإبانة الصغرى لابن بطة ص :٢٦٨ .

(٢) الخليفة الراشد ، خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . توفى سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة . تقريب : ٤٣٢/١ .

(٣) الخليفة الراشد ، عمر بن الخطاب ، استشهد فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين . نفس المصدر : ٥٤/٢ .

(٤) الخليفة الراشد ، عثمان بن عفان ، استشهد فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين . نفس المصدر : ١٢/٢ .

(٥) الخليفة الراشد ، على بن أبى طالب ، قتل سنة أربعين . نفس المصدر : ٣٩/٢ .

(٦) طلحة بن عبيد الله التيمى ، قتل يوم الجمل سنة ست وثلاثين . نفس المصدر : ٣٧٩/١ .

(٧) الزبير بن العوام ، قتل سنة ست وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل . نفس المصدر : ٢٥٩/١ .

(٨) سعد بن أبى وقاص ، توفى سنة خمس وخمسين على المشهور . نفس المصدر : ٢٩٠/١ .

(٩) سعيد بن زيد ، توفى سنة خمسين أو بعدها بسنة .نفس المصدر : ٤٩٤/١ .

(١٠) توفى سنة اثنتين وثلاثين وقيل غير ذلك . نفس المصدر :٤٩٤/١ .

(١١) هو : عامر بن عبد الله بن الجراح ، مات بطاعون عمواس سنة ثمانى عشرة نفس المصدر : ٣٨٨/١ .

(١٢) طبقات الحنابلة : ٣٤٤/١ .

أشهد أن النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة وكذلك أصحاب النبى التسعة والنبى صلى الله عليه وسلم عاشرهم[(1)] .

٤١٢ – قلت لأبى : من قال : أنا أقول إن أبا بكر وعمر فى الجنة ولا أشهد . قال : يقال له : هذا القول لقول حق . فإن قال نعم فيقال له : ألا تشهد على الحق والشهادة هو القول ولا تشهد حتى تقول[(2)] .

وفيمن قال أقول ولا أشهد نقل :

٤١٣ – أبو بكر بن حماد المقرىء أنه سأل أبا عبد الله فى هذه المسألة قال : تفرق بين العلم وبين الشهادة ؟ قال : لا ، إذا قلت أعلم فأنا أشهد قال الله تعالى : ﴿ إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾ وقال : ﴿ وما شهدنا إلا بما علمنا ﴾ .

٤١٤ – وفى رواية الميمونى قال : وهل معنى القول والشهادة إلا واحد[(3)] . وكذا روى عنه أكثر من واحد[(4)] .

٤١٥ – أبو بكر المروذى قال : قال أبو عبد الله : واحتججت عليهم بحديث ابن أبى عروبة عن قتادة عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اسكن فما عليك إلا نبى وصديق وشهيد »[(5)] . واحتججت بحديث أبى عثمان عن أبى موسى افتح له الباب وبشره بالجنة[(6)] .

٤١٦ – أبو الحارث الصائغ : قال أبو عبد الله : وأحتججت عليهم قال : وحديث جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « دخلت الجنة فرأيت قصرا فقلت : لمن هذا قالوا : لعمر »[(7)] . وما يروى عن النبى صلى الله عليه

---

(١) أخرجه أحمد :١٨٨/١ والترمذى : ٦٥١/٥ .
(٢) مسائل عبد الله ص : ٤٤٠ ، ومناقب الإمام أحمد ص : ٢٠٩ .
(٣) انظر : السنة للخلال : (ق : ٥٠ /ب) .
(٤) راجع المصدر السابق : (ق : ٥٠/ب ، ق : ٥١/أ ، ق : ٥٢/أ) .
(٥) أخرجه البخارى : ٥٣/٧ ورواه مسلم : ١٨٨١/٤ عن أبى هريرة .
(٦) أخرجه البخارى : ٤٣/٧ ومسلم : ١٨٦٧/٤ والرواية فى السنة للخلال (ق ٥١/ ب) .
(٧) أخرجه البخارى : ٤٠/٧ ومسلم : ١٨٦٢/٤ وأحمد : ٣٧٣/٢ .

وسلم أن أبا بكر استأذن فقال : « ائذن له وبشره بالجنة » لأبى بكر وعمر وعثمان . وروى أنس وسهل بن سعد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى أحد : اسكن فما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان[1] .

٤١٧ - محمد بن الحكم الأحول أنه سأله عن الرجل يقول : أشهد أن أبا بكر فى الجنة وأشهد أن عمر فى الجنة قال : لا بأس به إذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا فأنا أشهد عليه ثم ذكر حديث سعيد بن زيد .

٤١٨ - محمد بن أبى حرب[2] قال : سألت أبا عبد الله عن الشهادة للعشرة فقال : نحن نشهد ... وسعيد بن زيد فى بعض حديثه يقول : أشهد وفى أخرى قال : قلت - لأحمد - فمن لم يشهد يهجر قال : يقول ماذا ؟ قلت : يقول : كما قال رسول صلى الله عليه وسلم ولا أشهد فسكت[3] .

٤١٩ - مثنى الأنبارى[4] قال : قال أبو عبد الله : نعم كل من شهد له النبى صلى الله عليه وسلم يشهد له .

٤٢٠ - وفى أخرى: أنه قال لأبى عبد الله : رجل محدث يكتب عنه الحديث قال : من شهد أن العشرة فى الجنة فهو مبتدع فاستعظم ذلك وقال : لعله جاهل لا يدرى ما يقال له[5] .

٤٢١ - محمد بن الحسن بن هارون قال : سألت أبا عبد الله عن الشهادة للعشرة . قال : نعم أشهد للعشرة بالجنة[6] .

---

(١) السنة للخلال : (ق : ٥١/ب) .

(٢) هو محمد بن النقيب بن أبى حرب الجرجرائى ذكره أبو بكر الخلال فقال : ورع جليل القدر كان أحمد يكاتبه ويعرف قدره عنده عن أبى عبد الله مسائل مشبعة . ط/الحنابلة : ٣٣١/١ .

(٣) السنة للخلال : (ق : ٥٣/أ) .

(٤) هو : المثنى بن جامع ، قال عنه أبو بكر الخلال : كان ورعا جليل القدر كان أبو عبد الله يعرف قدره وحقه ونقل عنه - أى عن أبى عبد الله - مسائل حسانا **وقال** الخطيب : كان ثقة صالحاً دينا مشهورا بالسنة . ت/بغداد : ١٧٢/١٣ . ط/الحنابلة : ٣٣٦/١ .

(٥) السنة : (ق : ٥٢/ب ، ٥٣/أ) .

(٦) المصدر نفسه : (ق : ٥٠/ب) .

٤٢٢ – محمد بن يحيى الكحال قال : سألت أبا عبد الله عمن لا يشهد لأبى بكر وعمر وعثمان بالجنة فقال : هذا قول سوء .

٤٢٣ – أبو بكر الأثرم قال : سمعت أبا عبد الله ونحن على باب عفان فذكروا الشهادة للذين جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنهم فى الجنة . فقال أبو عبد الله : نعم نشهد وغلظ القول على من لم يشهد واحتج بأشياء كثيرة .

٤٢٤ – أبو بكر المروذى[١] قال : قال أبو عبد الله : قال لكم : لا أقول إنهم فى الجنة ولا نشهد . هذا كلام سوء[٢] .

التعليق :

مذهب السلف الصالح لهذه الأمة الشهادة بالجنة لمن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم وممن شهد لهم النبى صلى الله عليه وسلم العشرة المشهورون وغيرهم كالحسن والحسين وعكاشة بن محصن .

وروى مسلم[٣] فى قصة حاطب بن بلتعة قول النبى صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب : « إنه قد شهد بدرا . وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

وفى رواية البخارى[٤] : « اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة – أو فقد غفرت لكم » .

وقال تعالى : ﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريبا ﴾[٥] .

---

(١) راجع الروايتين بأكملهما فى المصدر السابق : (ق ٥١) .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) فى الصحيح : ٤/١٩٤١ .
(٤) فى الصحيح : ٧/٣٠٥ .
(٥) سورة الفتح /١٨ .

وروى مسلم[1] عن أم مبشر أنها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة « لا يدخل النار ، إن شاء الله ، من أصحاب الشجرة أحد . الذين بايعوا تحتها » .

قال عبد القاهر البغدادى : « وأجمع أهل السنة على أن من شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا من أهل الجنة وكذلك من شهد معه أحداً غير قزمان الذى استثناه الخبر وكذلك كل من شهد معه بيعة الرضوان بالحديبية »[2] . اهـ .

قلت : وإلى هذا أشار الإمام أحمد كما فى رواية عبد الله بن أحمد وأبى الحارث الصائغ فقد قال بعد ذكر المشهود لهم المصرح بهم ... وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾[3] و ﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم ﴾ .

وعنهما أن أحمد قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أهل الجنة عشرون ومئة صف ثمانون منها من أمتى[4] فإذا لم يكن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فمن يكون »[5] .

والإمام أحمد ينكر بشدة على من لا يشهد لمن يشهد له الرسول صلى الله عليه وسلم لأن فى ذلك ردًّا لخبر رسول الله وهو الذى لا ينطق عن الهوى وقد تقدم آنفا ذكر الآيات والأحاديث الدالة على فضل أهل بدر وبيعة الرضوان وما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم « لا يدخل النار من أصحاب الشجرة أحد » .

---

(١) فى الصحيح : ١٩٤٢/٤ .
(٢) الفرق بين الفرق ص : ٣٥٣ .
(٣) سورة التوبة /١٠٠ .
(٤) رواه أحمد : ٣٤٧/٥ ، ٣٥٥ ، والترمذى : ٦٨٣/٤ ، وابن ماجة : ١٤٣٤/٢ من حديث بريدة . قال الترمذى : حديث حسن . ورواه أحمد : ٤٥٣/١ **من حديث ابن مسعود** .
(٥) السنة للخلال : (ق : ٥٣) .

أما بالنسبة لعامة الصحابة رضوان الله عليهم فقد قيل : إن الصحابة كلهم مقطوع لهم بالجنة[1] والله تعالى أعلم .

قول الإمام أحمد فى القطع للمعين بالجنة أو النار

فى رسالة عبدوس بن مالك قال :

٤٢٥ – ولا نشهد على أحد من أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار نرجو للصالح ونخاف عليه ونخاف على المسىء المذنب ونرجو له رحمة الله .[2]

ونحو هذا نقل عنه :

٤٢٦ – محمد بن عوف الطائى قال : أملى علىَّ أحمد ... ولا ننزل أحدا من أهل القبلة جنة ولا ناراً إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة[3] .

٤٢٧ – محمد بن حبيب قال : سمعت أحمد يقول ... صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة ... ورجا لمحسن أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتخوف على مسيئهم . ولم ينزل أحدا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الجنة بالإحسان ولا النار بالذنب اكتسبه حتى يكون الله تعالى هو الذى ينزل خلقه حيث شاء[4] .

التعليق :

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة يرجون للمحسن ويخافون على المسىء ويكلون علم الخلق للخالق ولا يتجرؤون على الله عز وجل فيما لا علم لهم به .

يقول شارح الطحاوية : لا نقول عن أحد معين من أهل القبلة إنه من أهل الجنة أو من أهل النار إلا من أخبر الصادق صلى الله عليه وسلم إنه من

(١) وهو ما يفيده كلام الإمام أحمد الآنف الذكر .
(٢) رسالة عبدوس : (ق : ٥/ب) وطبقات الحنابلة : ١/٢٤٤ – ٢٤٥ .
(٣) طبقات الحنابلة : ١/٣١٢ – ٣١٣ .
(٤) المصدر السابق : ١/٢٩٤ .

أهل الجنة كالعشرة رضى الله عنهم وغيرهم ، وإن كنا نقول : إنه لا بد أن يدخل النار من أهل الكبائر من شاء الله إدخاله النار ، ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين ، ولكنا نقف فى الشخص المعين فلا نشهد له بجنة ولا نار إلا عن علم ، لأن الحقيقة باطنة ، وما مات عليه لا نحيط به . لكن نرجو للمحسنين ونخاف على المسيئين[1] .

قول الإمام أحمد فى : يزيد بن معاوية

قال أبو بكر الخلال :

٤٢٨ - أخبرنى محمد بن على ، ثنا مهنا[2] قال : سألت أحمد عن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان[3] قال : هو فعل بالمدينة ما فعل[4] . قلت : وما فعل ؟ قال : قتل بالمدينة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وفعل . قلت : وما فعل قال : نهبها . قلت : فيذكر عنه الحديث قال : لا يذكر عنه الحديث ولا ينبغى لأحد أن يكتب عنه حديثا[5] قلت لأحمد : ومن كان معه بالمدينة حين فعل ما فعل . قال : أهل الشام . قلت له : وأهل مصر . قال : إنما كان أهل مصر معهم فى أمر عثمان رحمه الله .

٤٢٩ - أخبرنى أحمد بن محمد بن مطر[6] وزكريا بن يحيى[7] أن أبا طالب[8] حدثهم قال : سألت أبا عبد الله من قال : لعن الله يزيد بن معاوية ؟

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص: ٤٢٦ .

(٢) هو : ابن يحيى الشامى - تقدمت ترجمته ص : ٣٧م .

(٣) عقد له أبوه بولاية العهد من بعده فتسلم الملك عند موت أبيه سنة ستين وله ثلاث وثلاثون سنة فكانت دولته أقل من أربع سنين . **انظر سيرته** فى : سير أعلام النبلاء : ٣٥/٤ ، والبداية والنهاية : ٢٢٦/٨ ، وتهذيب التهذيب : ٣٦٠/١١ .

(٤) فى وقعة الحرة المشهورة .

(٥) قال ابن حجر : ليس بأهل أن يروى عنه . تقريب : ٣٧١/٢ .

(٦) قال أبو بكر الخلال : عنده عن أبى عبد الله مسائل . سمعتها منه . وكان فيها غرائب ، ووثقه الخطيب . طبقات الحنابلة : ٧٥/١ ، ت/بغداد ٩٨/٥ .

(٧) الناقد . تقدمت ترجمته ص : ٣٨٩ .

(٨) هو : عصمة بن أبى عصمة العكبرى ، قال أبو بكر الخلال كان صالحا صحب أبا عبدالله قديما=

قال : لا أتكلم فى هذا . قلت : ما تقول فإن الذى تكلم به رجل لا بأس به وأنا صائر إلى قولك فقال : أبو عبد الله : قال النبى صلى الله عليه وسلم « لعن المؤمن كقتله »[1] وقال : « خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم »[2] وقد صار يزيد فيهم وقال : « من لعنته أو سببته فاجعلها له رحمة »[3] فأرى الإمساك أحب إلىّ[4] .

التعليق :

علاقة هذه المسألة بمسائل العقيدة ليست فى شخص يزيد نفسه وإنما فى الكلام حول لعن المعين المخصوص .

ولا مانع من أن أبدأ بما قيل حول يزيد ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

افترق الناس فى يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ثلاث فرق طرفان ووسط فأحد الطرفين قالـوا : إنـه كان كافرا منافقا ، وإنه سعى فى قتل سبط رسول الله تشفيا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتقاما منه ، وأخذا بثأر جده عتبة وأخى جده شيبة ، وخاله الوليد بن عتبة وغيرهم ممن قتلهم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بيد على بن أبى طالب وغيره يوم بدر وغيرها . وقالوا : تلك أحقاد بدرية وآثار جاهلية .

والطرف الثانى : يظنون أنه كان رجلا صالحا وإماما عدلا وأنه كان من الصحابة الذين ولدوا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وحمله على يديه وبرك عليه وربما فضله بعضهم على أبى بكر وعمر . وربما جعله بعضهم نبيا ... وهو قول غالية العدوية .

= إلى أن مات وروى عنه مسائل كثيرة جياد وأول مسائل سمعت بعد موت أبى عبد الله مسائله . توفى سنة مئتين وأربع وأربعين . ط/الحنابلة : ٢٤٦/١ .

(١) رواه البخارى : ٤٦٤/١٠ - ٤٦٥ وأحمد : ٣٤/٤ من حديث ثابت بن الضحاك رضى الله عنه .

(٢) تقدم تخريجه انظر ص : ٤٢٦ .

(٣) رواه مسلم ٢٠٠٧/٤ عن عدة من الصحابة .

(٤) الروايتان فى السنة للخلال : (ق : ١٣/ب - ٨٤/أ) والثانية نقلها ابن أبى يعلى فى ط/الحنابلة : ٢٤٦/١ .

والقول الثالث : أنه كان ملكا من ملوك المسلمين ، له حسنات وسيئات ولم يولد إلا فى خلافة عثمان ، ولم يكن كافرا ، ولكن جرى بسببه ما جرى من مصرع الحسين وفعل ما فعل بأهل الحرة ... وهذا قول عامة أهل العقل والعلم والسنة والجماعة .

ثم افترقوا ثلاث فرق : فرقة لعنته ، وفرقة أحبته ، وفرقة لا تسبه ولا تحبه . وهذا هو المنصوص عن الإمام أحمد ، وعليه المقتصدون من أصحابه وغيرهم من جميع المسلمين[(١)] . اهـ .

قال الذهبى : ويزيد ممن لا نسبه ولا نحبه ، وله نظراء من خلفاء الدولتين وكذلك فى ملوك النواحى ، بل فيهم من هو شر منه ، وإنما عظم الخطب لكونه ولى بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بتسع وأربعين سنة ، والعهد قريب والصحابة موجودون[(٢)] . اهـ .

قال القاضى أبو يعلى ابن الفراء : رأيت بخط أبى حفص العكبرى[(٣)] على ظهر جزء فيه فضل رجب إلى أبى القاسم بن السوادى[(٤)] قال : ثنا أبو على الحسين ابن الجندى قال : ثنا أبو طالب العكبرى قال : سمعت أبا بكر محمد بن العباس قال : سمعت صالح بن أحمد بن حنبل يقول : قلت لأبى : إن قوما ينسبونا إلى توالى يزيد . فقال : يا بنى وهل يتوالى يزيد أحد يؤمن بالله . فقلت : فلم لا تلعنه . فقال : ومتى رأيتنى ألعن شيئا[(٥)] . لم لا تلعن من لعنه الله فى كتابه . فقلت : وأين لعن الله يزيد فى كتابه فقرأ : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾[(٦)(٧)] .

---

(١) مجموع الفتاوى : ٤٨١/٤ - ٤٨٣.
(٢) سير أعلام النبلاء : ٣٦/٤ .
(٣) عمر بن أحمد بن عثمان قال الخطيب : كان ثقة أمينا . ت/بغداد : ٢٧٣/١١ .
(٤) لعله عبيد الله بن أبى الفتح . أثنى عليه الخطيب كثيرا . انظر ت/بغداد : ٣٨٥/١٠ والأنساب للسمعانى : ٢٧٥/٧ . وبقية رجال الإسناد لم أعرفهم - خلا العكبرى وصالح .
(٥) إلى هنا ذكرها ابن تيمية فى مجموع الفتاوى : ٤١٢/٣ ، ٤٨٣/٤ .
(٦) سورة محمد /٢٢ .
(٧) الروايتان والوجهان : (ق : ٢٥٤/أ) .

وروى الخلال عن صالح أنه قال لأبيه : الرجل يذكر عنده الحجاج[1] أو غيره فيلعنه : قال : لا يعجبنى لو عبر فقال : ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾[2][3] .

قلت : وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة لا يخصون أحداً من المسلمين باللعن .

يقول ابن تيمية : ولهذا كان المقصدون من أئمة السلف يقولون : إنا لا نسبهم و لانحبهم ، أى لا نحب ماصدر منهم من ظلم . والشخص الواحد يجتمع فيه حسنات وسيئات ، وطاعات ومعاصى ، وبر وفجور وخير وشر فيثيبه الله على حسناته ويعاقبه على سيئاته إن شاء أو يغفر له ، ويحب ما فعله من الخير ويبغض ما فعله من الشر[4] .

ويقول أيضا :

... إن الفاسق المعين لا يلعن بخصوصه ، إما تحريما ، وإما تنزيها فقد ثبت فى صحيح البخارى عن عمر فى قصة « حمار » الذى تكرر منه شرب الخمر وجلده لما لعنه بعض الصحابة ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله »[5] وقال : « لعن المؤمن كقتله »[6] هذا مع أنه قد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لعن الخمر وشاربها فقد ثبت أن النبى لعن عموما شارب الخمر ونهى فى الحديث الصحيح عن لعن هذا المعين .

هذا كما أن نصوص الوعيد عامة فى أكل أموال اليتامى ، والزانى ، والسارق فلا نشهد بها عامة على معين ، بأنه من أصحاب النار . لجواز تخلف المقتضى

---

(١) ابن يوسف الثقفى ، الأمير ، المشهور ، الظالم ولى العراق عشرين سنة . تقريب : ١٥٤/١ .
(٢) سورة هود /١٨ .
(٣) السنة للخلال : (ق : ٨٤/ب) .
(٤) مجموع الفتاوى : ٤٧٥/٤ .
(٥) فتح البارى : ٧٥/١٢ .
(٦) رواه أحمد : ٣٣/٤ من حديث ثابت بن الضحاك .

عن المقتضي لمعارض راجح : إما توبة ، وإما حسنات ماحية ، وإما مصائب مكفرة ، وإما شفاعة مقبولة ، وإما غير ذلك كما قررناه فى غير هذا الموضع[1] .

---

(١) مجموع الفتاوى : ٤٨٤/٤ .

حدث خطأ فى الإحالات فى بعض الهوامش

وإليكم الصواب

صفحة	هامش	الخطـأ	الصـواب
٨	(١)	ص :٢١م،٢٤م .	٢٨،٣١ .
٣٧	(٨)	ص : ٢٨ .	٣٥ .
٣٩	(٩)	ص : ٢٨ .	٣٥ .
٤٠	(٩)	ص : ٢٧١ .	٢٧٦ .
٤٦	(١)	ص : ١٥ .	١٦ .
٤٦	(٥)	ص : ٢٦٢ .	٢٦٠ .
٥٣	(١)	ص : ٣٤٦ .	٣٤٤ .
٥٣	(٥)	ص : ٢٩٤ .	٢٩٢ .
٦٦	(٣)	٢/٣٤ .	٢/٣٦ .
٦٦	(٤)	٢/٤٩ .	٢/٥١ .
٦٦	(٥)	٢/٤٦ .	٢/٤٨ .
٦٦	(٦)	٢/٥٠ .	٢/٥١ .
٦٩	(١)	ص : ٨٩١ .	٢/٣٦٩ .
٧٦	(١)	ص : ٢/٣٤٦ .	٢/٣٥٢ .
٧٧	(١)	ص : ٢/٣٦٥ .	٢/٣٧٤ .
٧٧	(٥)	ص : ٢/٣٦٢ .	٢/٣٦٩ .
١١١	(١)	ص : ٢/٣٤ .	٢/٣٦ .
١١١	(٢)	ص : ٢/٤٦ .	٢/٤٨ .
١١١	(٣)	ص : ٢/٤٩ .	٢/٥١ .
١١١	(٤)	ص : ٢/٥٠ .	٢/٥١،٥٢ .
١٢٩	(٤)	ص : ٧١١ .	٢/٢١١ .
١٢٩	(٤)	ص : ٧١٥ .	٢/٢١٤ .
٣٦٩	(١)	ص : ٨٧٧ .	٢/٣٥٧ .